

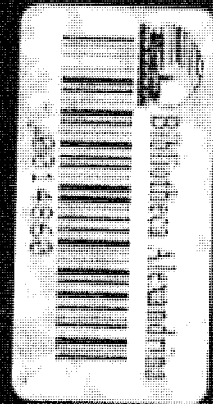
# صِفْوَةُ الْأَعْيَانِ

بِمُسْتَوْجِبِ الْأَضَائِرِ وَالْأَقْطَابِ

تأليف

محمد يريم الخمارين التونسي

دار صادر  
بيروت



# صِفْوَةُ الْأَعْتَابِ

بمُسْتَوْجِ الْأَمْثَالِ وَالْأَقْطَابِ

٥-٤

تأليف

محمد بريم الخاريس التونسي

دار صداد  
بيروت



الجزء الرابع من كتاب صفوة الاعتبار بمسئودع الامصار  
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ  
المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكياء

وحيد دعوته وفريد دعوته

الشيخ محمد دبيرم الخامس

التونسي نعمنا الله

به وبعلمه

آمين

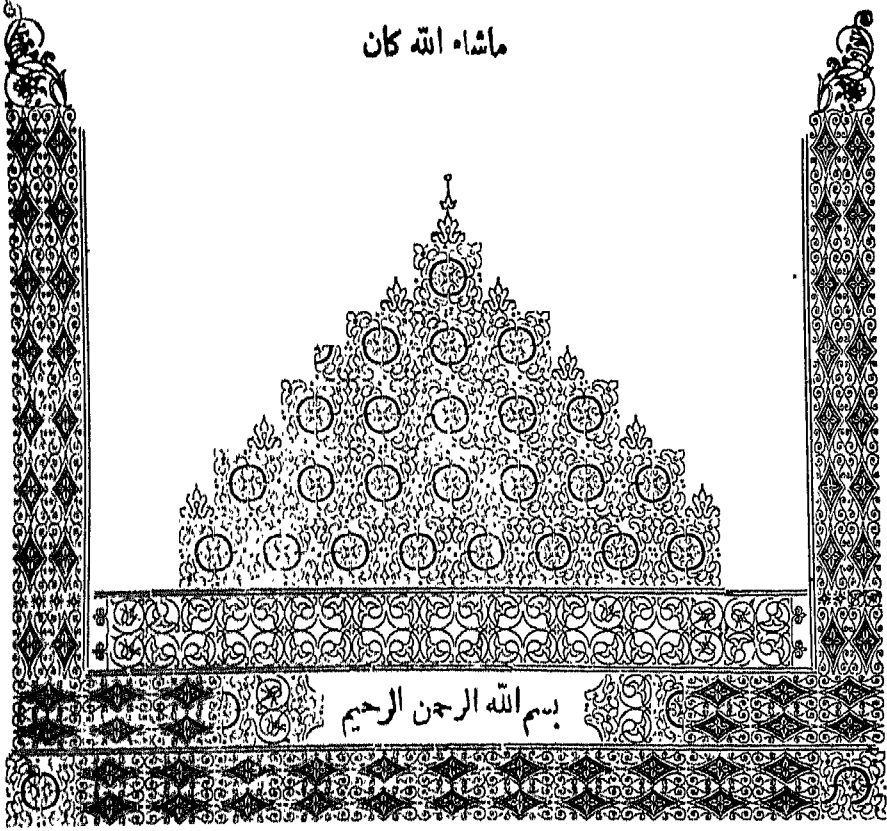
﴿ لا يجوز طباع هذا الكتاب الا باذن مؤلفه ومن ﴾  
﴿ تجازى على ذلك يعسا كم حسب القوانين ﴾

﴿ طبعة اولى ﴾

﴿ بالطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ هجرية ﴾



ما شاء الله كان



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## ال باب ال خام س فى ق ط ر ال ج ز اى ر ال فصل ال اول فى س فى رى ال يه

قد تقدم انى لما رجعت المرة الاولى من فرانسا كان رجوعى بحرا مارا على بلد يونه المعروفة بعنابه وهى احد فرض الجزائر فارسى بها البساتنة صبا حافى ميا صناعية واسعة مدينة تصل البواخر فيها الى الرصيف فى البر ويصل الرتل بطريق الحديد الى حدوفوه هاته المرسى الصناعية لكنه رتل للساح خاصة وبهاته المرسى كثير من السفن والبواخر منها نحو ثلاثة بواخر شركة معدن الحديد الموجود بقرب عنابه فهذا المعدن هناك غنى ويستخرج بكثرة ويحمل فى حواصل طريق الحديد وهى توصله الى ذات البواخر التى تحملها الى مرسيها وفى كل يوم يخرج من المرسى باخرة مشهورة به وتدخل اخرى

خاوية

خاوية وفي مرسة يلبا يصفي ويشغل لاهم وجدوا ذلك أرخص مصر وفان جاب معمل  
 لتصفية في محله ولما ارسلنا رأينا البلاد من جهة الغرب متصاعدة في جبل وحول  
 المرسي ابنية حسنة من النوع الاوروبى ثم نزلنا الى البر فوجدنا عجالات الكوب  
 للكره الكثر اربعة وسبعة فذهبت لداخل البلاد فاذا فيها قرب المرسي بطحاء وطريق  
 متسع وحواليه ابنية جيدة وقهاوى ومنازل للمسافرين وحوانيت لبيع الخلوات  
 والتحف الظريفة وفي وسط البطحاء حديقة صغيرة منتزه للسارة وفي وسط البلد بطحاء  
 أخرى صغيرة يحيط بها اسرادات تحتها حوانيت وفيها البطحاء الجامع الكبير فذهبت  
 الى الحمام الذى هو قرب الجامع حيث كان فرضي النعيم في السنة فاذلجامها ولما  
 دخلت الى البلاد وجب الحمام فاذا هو على نحو حمامات تونس وسائر بلاد المشرق غير انه  
 غير متقن النظافة وليس فيه بيوت منفردة للتطهير للانسان وحده وانما يتطهر الانسان  
 بعد التنظيف في محله فيقع الحرج من التحفظ على كشف العورة امام المقتولين ولذلك  
 كان أكثرهم مكشوف العورة وهى مصيبة طامة في أغلب البلاد الاسلامية التى رأيتها  
 على خلاف تونس فان حماماتها لها بيوت صغيرة ذات أحواض صغيرة لغرف الماء منها  
 ولها أنابيب للماء الحار والبارد وللبيت باب يغلق وينفرد الانسان للتطهير ويروح منه بلا  
 مشقة ولذلك كنت اختار الحمامات الأفرنجية فى أكثر أسفارى ولوفى البلاد الاسلامية  
 لانها أبعد عن المحرم من كشف العورة وان حصل فيها تعب من جهة الاعتدال المعتاد  
 وذلك ان هيتما بيت صغير فيه حوض كبير يحتمل الانسان وله أنابيب للماء الحار  
 والبارد وفى البيت مكان ومسطبة ومعلق للثياب وأرض البيت مفروشة بزربية  
 فلا يمكن اخراج الماء عن الحوض وانما يغتسل الانسان فى الحوض ويغتسل فيه  
 بالصابون اما بنفسه أو بخادم من الحمام ثم يجذب سائلا من قعر الحوض ليجذب سدا  
 فيخرج ما فيه من الماء ثم يجده له ماء ثانيا أو بأى بمناديل من الكتان مستحثة نظيفة جدا  
 يتمش بها الانسان وهو منفرد وباله اتفاق لا يدخل عليه أحد الا باذنه فاذا اراد الانسان  
 التطهير يزيل ما على بدنه من النجاسة فى بيته ان أمكنه والا عند اتيانه الى الحمام يأمر  
 الخادم بأن لا يملأ الحوض بالماء ولما ينفرد يقف فى الحوض ويأخذ الكاس الموضوع  
 فى البيت لاجل الشرب فيملؤه بالماء الحار والبارد من الانابيب ويزيل ما عليه من  
 النجاسة ويغسل رجليه ويخرج من الحوض ثم يفتح له منفذ خروج الماء منه ويفتح  
 أنابيب اندفاع الماء ويظهر أرض الحوض بالنسل ثم يسد منه هذا الخرج ويملا الحوض

ماء على قدر ما يكفيه ويتغسل لويته ظهر فيه وهو سائغ على مذهبه لان الماء لا يصبر  
 مستعمل الا بعد انقضه عن جميع البدن والبدن كما في الاغتسال عضو واحد (وأما)  
 على مذهب المالكية فهو أيسر وقد اضطررت في ذلك الحجام الى استئجار أحد خدمته  
 ليستر زاوية من الحجام بمسك ازار في يديه حتى تيسر لي تطهيري ما تحت ازارى وهناك  
 صعوبة أخرى وهي بعد الماء بحيث ان كل من غسل يأتى اليه بخوصة مما يسمى برميل  
 مملوءة له ليتطهر بهاءه. هذا التنظيف ثم خرجت من الحجام وأتيت الجامع واذا هو نظيف  
 محروس قائم الادوات مفروش بالحصص. يرمن السم ارضي نحو ما هو بثونس ولما كنت  
 لا يسبب العمل كالحلف مما يصح المسح عليه وهو تنظيف دخلت به المسجد وصليت به وكان  
 هناك بعض الناس فرأيتهم ينظرون الى شئرا متكررا من الدخول بالنعش الى المسجد  
 لكن لم يقل لي أحد منهم شيئا فلما فرغت من الصلاة خاطبني من بجنبني فقال لي أنت مسلم  
 ولم تدخل المسجد بنعشك فقلت له هل تعرف الفقه قال نعم قلت ما هو مذهبك قال  
 المالكي فانظر في مختصر الشيخ خليل في كتاب الطهارة فانك تجد فيه مسألة المسح على  
 الخفين وان المسافر مسح عليهما ولا يزعجهما ويصل فيهما وأنا مسافر وحتى المقيم أيضا  
 له اديهما والمسح عليهما والصلاة فيهما وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لم وهو  
 مذكور في كتب الحديث وكان الصحابة رضوان الله عليهم هم اجمعين يدخلون المسجد  
 ينعالهم بعد تقدها وتطهيرها ان كان بها نجاسة فهذا جائز شرطا وليس في نعلي نجاسة  
 ولا وضع فرضي بذلك وأخبر الحاضرين بجهة بان الربل مسافر وعارف بالحكم ثم خرجت  
 من هناك وتطوّفت في الابدان وقد فطرت فيها في حانوت لطباخ مسلم ابيك الاعرابيا  
 واسمها مذقة الغاية كيقما كان لاشتياقى الامتداد سيما وقد كانت تلك الساعة فرقة هي أول  
 سفرائي والاشياء الغير المتأداة تصعب على النفس أولا واحسن ما في الابدان سوق الخضر  
 فانه على الصوامتقن في ارويان كونه واسمه اذا قبة من الزجاج محمولة على قطع حديد  
 مرفوعة على أعمدة حديد والحيطان أيضا مثل ذلك مع النظافة وحسن التقسيم ولكن  
 ليس فيه حوائث ونمسا كل يباع يجلس في جهة ويضع هيبه أمامه وبخارج البالد آثار  
 قديمة للرومان من البناء والدهاليزنقصد للثفرج وبخارجها أيضا بستان عمومي ويبيع  
 منه الاشجار الصغيرة وايس هو بعتقن والحارات القديمة في البلد وديارها على نحو ديار  
 تونس وحرارتها الضيقة الطارق غير ان ابواب دورها بنه بدفة واحدة وبناء لباب مقوس  
 قليل الارتفاع وبخارج البلد أيضا جهة شاطئ البحر بعض من البساتين وحمامات من

الخشب على ماء البصرة تنديها الناس في الصيف وحوطها قهاوى تحوى في الصيف الفث  
 والسمين وسافرنا من هاته البلدة بعد الغروب قاصدين تونس وعدت اليها في سنة ١٢٩٥ \*  
 في سقري الى فرانس اذ هابا وابايا واقعت فيها في الاياب اسبوعا وكان الزمن صيفا وهى  
 لصغرها وعدم وجود الحركة الكثرة بها الا يذرح المسافر فيها وفي هاته السنة أيضا  
 مرت في الاياب على مدينة الجزائر قاعدة هذا القطر وهى لها مرسى على نحو ما تقدم  
 في عنابه والبادأ كبر من السابقة ومنظرها من جهة المرسى أوسع وأضخم وقد انشئ بها  
 طريق للترمواي يخترق البلدة من جهة المرسى ويذهب الى قرية تسمى مصطفي جهة  
 الشرق من الجزائر وأبنية البلاد على نحو ما ذكر في عنابه وهى أيضا متصاعدة في جبل  
 وليس بها عيون فزيرة بل الماء له خزنة في الجبل تحت مع فيها مياه الامطار من جهات  
 الجبل ولذلك كانت الطرق الواسعة في الصيف محتاجة الى الرش لئلا مات قرش به وبها  
 أربعة جوامع للخطب اثمان مالىكان واثمان حنفيان والجوامع نظيفة مستقيمة وبقية  
 ما كان بها من الجوامع هدمت وبدلت وبها حصون متينة وهاته البلدهى مقر الحاكم \*  
 العام لقطر الجزائر ومنظر البلدة من جهة البحر جميل لكثرة الديار والساتين في الجبل  
 منحوت به درج يصعد فيها من أسفل البلاد الى أعلى الجبل كما انه به طرق صناعية قليلة  
 الاختيار يصعد بها في الجبلات الى قمته وأمام دار الحاكم بطحاء صغيرة منظمة والدار  
 من نوع أبنية الاهالى قديما وأمامها محل لطائفة من الجنود حرسوا في خارج البلاد وداخلها  
 مقامات للاولياء والعلماء محترمة منها مقام سيدي عبدالرحمن الثعالى رضى الله عنه  
 خارج البلد في الجبل في مكان مشرح نزه واضربح الشجيرة مهابة ووقار قابى وحوانيت  
 البلاد على نحو ما ذكرنا في تونس وبساتينها تسقى بآبار يسنى عليها بالبدوايب وأغلب  
 القصد منها الانتفاع بالغلل وأكثر ذوى اليسار يسكنون في بساتينهم في الصيف وتنور  
 البلاد ليلا بقوانيس الغاز ويخرجها بستان انتراه عمومي قليل المجدوى وبقر به سبيل  
 قديم لازال قائما وحذرة قهوة على النخوال العربى لكثرتها ذرة ينما بها بعض الناس ومنازل  
 المسافرين بالبلد جديدة على النخوال اوروباوى وقد أقيمت بهاته البلدة ليلتين ثم سافرت \*  
 بجرا قاصدا عنابه ومنها الى تونس فمررت ببالدلس وهى قرية صغيرة على البحر لم نستطع  
 الدخول اليها لشدة هيجان البحر وعدم مرسى أمينتها ثم مرنا على بجاية ثم جلملي  
 ثم اسكيكده وكلها قرى صغيرة الجديدم ينتمون على النخوال اوروباوى والقديم على  
 عادة أهل القطر والاهالى أغابهم فرنساويون ارتحلوا الى هناك وأما اسكيكده فالبلد \*

(٦)

القديمة قد غسفت بهم الارض والعباد بالله وقد بنى على شاطئ البحر قرية بجدة مديدة منتظمة الطرق واسعة تاعلى نحو النوع الاوروبى ولم اشاهد تفاصيل هذه القرى لان الباخرة لا ترمى فيها الا قليلا واجمال حالهم يندمج فيما سياتى ان شاء الله تعالى ومن القرى التي رايتها قرية قالملة البعيدة عن عنابه نحو اربع ساعات في طريق الحديد في الجهة الجنوبية الشرقية منها وهي قرية مستحدثة يغلب على طبع أهلها البعداوة وهي منتظمة البناء والطرق قليلة الماء وبها جامع وقاض وحاكم فرانسواى وعساكر وحسن وكنييسة وحديقة صغيرة للعامة

## الفصل الثانى

في التعريف بالجزائر

هذا القطر واقع على شاطئ افرىقية الشمالية ويحده جنوبا الصحراء الكبيرة وشرقاً تونس وشمالا البحر الابيض وغربا مراکش وهو قطر متسع ذو جمال شاهقة وأثر عديده وعميون دافقة وبه معادن غنية من الحديد والفضة والآن مشتغلون باخراجها سيما المعدن الذى اصله تابع الى تونس قرب حدودها في القالة وبها معادن أخر عديده منها المسك تعمل كالقصدير ومنها الذى لم يزل في زوايا النجول وأما هوأوه وحيواناته ونباته فهو مثل تونس في عموم ما ذكرناه فيها والمجهاث الشمالية هي ذات الخصب والاشجار العظيمة والغابات ومدن هذا القطر وبلدانه أشهرها قاعدته الجزائر ثم وهران ثم تلمسان ثم قسنطينة ثم بونيه وغيرها كثير لا يبلغ مبلغ ما ذكره مراسيم المهمة هي المدن المذكورة غير قسنطينة لان هاته متوغلة في البر على قمة جبل وبقية قسم القطر بالنظر الى طبيعة الارض والسكان والادارة الى ثلاثة أوطان كبار (أولها) وطن الجزائر وهو في الوسط ويعتمد من الشط شمالا الى الصحراء جنوبا (وثانيها) وطن وهران غربى السابق متمدعه كذلك (وثالثها) وطن قسنطينة شرقي الاول متمدعه كذلك ولكل وطن قاعدته هي المدينة المنسوب اليها وله فروع على حسب الاحتياج وعدد سكانه نحو مايونين وسبعمائة ألف وستون الفا والمسلمون منهم مايونان وخمسمائة ألف والنصارى مائتا ألف وبنف واليهود نحو الثلاثين ألفا وقاعدة الجميع هي الجزائر عدد سكانها نحو خمسة وسبعين ألفا منهم ثمانية عشر ألفا مسلمون وتسعة آلاف يهود وثمانية وأربعمائة من النصارى من أجناس مختلفة وأكثرهم الاستنبول والسكان المسلمون أصلهم من البربر

وهم

وهم أكثر سكان الجهات الجنوبية والجنوبية وبقية الجهات سكانها من نسل العرب والمختلط منهم ومن البربر وبعض من نسل التبرك الذين استوطنوا هنالك وكذلك الأندلسيون الذين هاجروا بعد استيلاء الأسبنيول على بلادهم (وأما النصراني) على العموم فأكثرتهم فرانسايون انتقلوا إلى هنالك بعد استيلاء الفرانسييس سيما بعد حرب المسانية معهم سنة ١٢٨٧ م وأخذها الأقباط إلى الجاس واللورين فارتحل من أهالي ذينك الأقباط نحو المائة والسبعين ألفا كذا والجزائر وأما عنهم ولدتهم باعطاءهم الأراضي المنصوبة التي أخذتها من الأهل الأصيلين عقابا لهم على الثورات وغيرها وأغاب هؤلاء الفرانسييس سكان الجهات الشطوط والشوايف فيها قرى (وأما المسلمون) فأغابهم على مذهب أهل السنة في العقيدة وعلى مذهب الامام مالك في العروغ ونسل التبرك على مذهب الامام أبي حنيفة وبعض السكان على مذهب الاعتزال كبنى مزاب ثم ان أهل السنة في المدن والقرى يكثرون في معرفة احوال الديانة وان حصل الاثنان من كثير منهم تمارن كثير بالشعائر (وأما البوادي) فيغاب عنهم الجهل بالاحكام لكنهم لازالوا متصايين في العقيدة الاسلامية سيما أهالي الجهات الجنوبية والوسطى

## الفصل الثالث

### في اجمال تاريخ الجزائر

- مطلب في التاريخ القديم اعلم ان احوال هذا القطر التاريخية في القديم كانت في الاغاب متعددة مع تونس وطرابلس والمغرب فسايناه في احوال تونس كان شاملا لهذا القطر حتى في زمن الفتح واستقرار الحكومات الاسلامية لانه في اغلب الايام تابع لتونس لما كانت هي مقر الحاكم العام الاسلامي لافريقية ثم لما انفرد المغرب عن تونس كانت الجهة الغربية من الجزائر تابعة له ثم اتحد الجميع تحت دولة بني حفص وعن تقهرها وانفراد المغرب انشأت بعض حكومات منفردة في الجزائر كحكومة بني زيان من زيانة التي مقرها في تلمسان ثم لما اشرفت الدولة الحفصية على الاضمحلال واستولى الأسبنيول على عدة جهات من شطوط افريقية وكانت الفرق المنقسمة اليها الجزائر غلبت على مدافعة دولة كبيرة مثل الأسبنيول اذ ذلك وكانت الدولة العثمانية رافعة علم الحماية لاهل الاسلام واسطوطها ليجوب البهار تحت عدة امراء وارتت فرقة من هذا الاسطول تحت امرته برالدين بربروس باشا واخيه عروج على

شروط الجزائر للبحث عن حالة الأندلس مع الأسبانيول ضجح الى هـذا الاسطول اهالى الجزائر وطلبوا من الامراء حماية هذا القطر الاسلامى مادام فيه رمق قبيل هجوم الاسبانيول عليه وذلك أحق من تتبع الاسبانيول فى الأندلس اذ لم يبق فيها مسلم فاجابوا طلبتهم بعد تفحصهم للاتفاق ومن ذلك التاريخ استقرت الحكومة للدولة العثمانية وذلك فى حدود سنة ٩٤٥ هـ وجرى أعمال الدولة فى الجزائر ثم على نحو ما قررناه فى تونس لان المراد هو حماية البلاد الاسلامية واتحادها وجرى من الولاية الترتيب اول الاستقامة والعدل ثم استأثرت العساكر الينكشارية فى جميع الجهات حصل بينهم أيضا فى الجزائر ما ضجرت منه الاهالى وطغوا فى النصب والعزل للولاية من هولاء العساكر حسب الشهوات وقوة العصبية ولم يحسن من هولاء الولاية الامتثال لوامر الدولة العثمانية الى ان روى حسين باشا الذى كان سببا فى دخول الفرائسى بين الى البلاد والحكم لله رب العالمين

\* بمطلب فى تاريخ الجزائر الجـديد اعلم ان الدولة الفرائسية لما تفرقت فى المعارف والقوات سبب فى العصر اللاحق بضرورة لازمة حاجب الظهور وعدم تحمل الهوان وكانت الدولة العثمانية فى شغلها الشاغل من أعمال الينكشارية وحروب الروسية وثورات اليونان وضم الى ذلك طغيان ولاية الاقاليم وعدم امانة لهم للاوامر وكان حسين باشا والى الجزائر مستبدا ظلوما مرشيا قليل التدبير وحصل منه ما هانة فنسل فرانسوا وذلك على ما فى تاريخ ابن الضياف أحد كتبة التجار اليهود الاغنياء الجزائريين الملقب ببقرى أبو حناح له خطاطة مالية مع تجار من الفرائسيين وتداعوا فى نخسائر من الجهةتين واتهم حسين باشا الرعية بالحاح على فنسل فرانسوا فى انصافه وآل الامر الى صلح يدفع على مقتضاه التجار الفرائسيون الى التاجر الجزائري مالا وافر او اضر حسين باشا أخذ المال لنفسه لسا رآه ذريعا وارجع الرعية وتلك عادة الفروعها ولما قرب دفع المال واذا تجار آخر فرانسوا وبن قاموا على بقرى المذكور بدين او ففوا عليه المال الذى يريد قبضه فاستاء حسين باشا من ذلك وطلب من القنصل رفع الايقاف وقال ان ارياب الدين الفرائسيين الطالبيين لرعيته يتبعون ذمة المدين بعد قبضه للمال بحيث لا يكون لاطالبيين حق فى المال الذى يدفعه الفرائسيون فامتنع من ذلك القنصل مستغندا الى ان المال المنقرقل مال المدين والغرماء لهم حق فيه الا اذا ضمنه من يرضون بذمته وكان المدين نفسه مقر يا بهذا التدبير خوفا على ماله من الضياع باستيلاء الباشا عليه

فأعرض

فأعرض الباشا عن القنصل وكاتب دولة فرانسافي غرضه - فإرسالات المكتوب الى القنصل وامرته بالجواب عنه ولما قدم القنصل الى الباشا البعض ما سرب خاطبه الباشا في استمطاء جواب مكتوب به المشار اليه الى دولة فرانسافي فقال له القنصل ان المكتوب ارساله الدولة الى امرتني بالجواب عنه فسال عن سبب عدم اجابة الدولة له فاجابه بما فهم منه احتقاره وكانت بيد الباشا منشة يطرد بها الذباب فضرب بها وجه القنصل وبارده وبقي أسفا على ما فاتته من مال بقري وتهددت فرانسسا الوالى المذكور على اهانة نائبها وألححت عليه بان يطلب منها الرضى ويعترف بالخطا فاجابى واصرح امر الدولة العثمانية له بذلك ومن النصائح المتابعة له من الدول الاجانب وخواص الاهالى وقد كانت فرانسسا في شغل من داخلها في ذلك الوقت - مما مر بك في تاريخها لان ذلك كان اثر حروب نابليون الاول وكانت ايضا متوقفة المشاخصة مع العرب ومع الدولة العثمانية حتى رضيت فرانسسا بان يكف الباشا أى انسان كان في باريس يطلب الترضية لىكى تندفع عنها المعرة ولا تلحقه هو ومثله برسالة واحدة من متوظفيه الى القنصل لاقول والى باريس وكان قصدها بذلك كله اجتناب الحرب ما يمكن لاشتهغها ببحر وجمها واخرهاها الداخلية فاصر الوالى على رأيه وإرسالات فرانسسا اسطولها وحاربت بلاد الجزائر واستولت عليها ورجل ذلك الوالى الى باريس ثم مات في اسكندرية وقد نسب المؤرخ المذكور منشأ اعمال الباشا المشار اليه الى كونه لا غير له على الوطن من حيث كونه لم يكن من ابناء تراهير ولذلك خاطبه الى ذلك الحمد مع علمه بالضعف والخلال عرى عهده وبقرة الاهالى من جوره الخ والحق ان مثل ذلك التعديل تأناه الشرعية على ما سيأتى ايضا يحق في الخاتمة ان شاء الله تعالى فالجسمية الاسلامية واحدة ثم المشاهدة تناقض مقاله ايضا فكم شاهدنا وسعدنا من النار يخ ما ثبتت قبيرة الوافدين على الاقطار ووقاههم لها بشكر ثم ما ارادوا واجبات الديانة فيهما من التمسين والتحصين وكم شاهدنا وسعدنا ايضا ضد ذلك من ابناء الاقليم ومن دعوى فيها تحقيق السبب هو ان الله اذا تاذن في امة بالخلالها فسدت آسلاف اكبرها ففسد قواهم ومن فسوقهم اسناد الامر الى غير اهله فحق عليها القول وسطا عليها ما يدعها وذلك هو الدال عليه القرآن الكريم والحديث الشريف وهو المشاهد بالبيان والمعلوم من التواريخ في اضمحلال الدول وتقهقرها وحذاق الناظرين في احوال الدول يذسبون نكاتها لاصول منشأ الفساد وان طال الزمان ويكون الذى نهمل بيده الامر ظهر السكان الداه الزمن وهو مع ذلك مسؤول لله ولعباده



اذا كان يمكن له توقيف المرض فيعوض ذلك بزيادة هيجات بحراناته فيكون أشد على  
 الامة من وقع الصواعق اذا اجسم العليل يتأثر بما لا يتأثر منه السليم كقناه خزيافي الدنيا  
 والاشخرة ان كان مظهرا للشرور فداها الجزائر قد ابتداء من هذا المنحزم امر اليند كشارية  
 في القسطنطينية التي هي مقر الدولة العائمة ونشأ عنه ما نشأ من فساد الادارة والولاية  
 الى ان اصبحت عدة جهات وباء حسـين باشا في الجزائر بائم الظلم والخراب والتهور الذي  
 كان أعظم النكبات وانتقلت حالة الجزائر بل وحالة السياسة في شطوط افريقية  
 الشمالية الى طور آخر وكان مبدءا استيلاء فرانس على الجزائر سنة ١٢٤٦ في مدة  
 كارلوس العاشم ملك فرانس وقتئذ. كان الفرائيس اولامن القاعدة وما حولها لكن  
 بقية الجهات اصروا على الامتناع من الطاعة لفرانسا لانها لما ارادت الانتقام من  
 الوالي حسين باشا وقد حصل فالحجته الشرقية من القطران فربا بحكم فيها الحاج احمد  
 باي قسطنطينية والجهات الجنوبية والغربية تشتمت تحت رؤساء القبائل ورام  
 الفرانساويون محمولة تطويعهم بالرفق بان يتولى الامر في وهران والى تونس بارسال  
 احدعا ثلثة أو اربعة موظفيه فارسل والى تونس واحدا من جهته ومعه شرمذمة من  
 الحرس فلم ينفذ امره في مدينة وهران فضلا عن خارجها ورجع من حيث أتى ثم اجعت  
 الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة الرجل الوحيد سلاله النسل المظهر الامير  
 سيدي عبدالقادر بن محي الدين الحسيني وقام لله حق القيام وصحبه به النصر الالهية  
 في كثير من الوقائع الى ان كان في بعض ياماه وخرق للاعادة من الكرامات كطفر فرسه  
 الازرق به ستمين مبروح حيث احاطت به العساكر الفرانساوية كالحلقة وراموا مسكه  
 باليد فطفر به فرسه على رؤس العساكر واسلحتهم ذللا المدي ونجا را كضالى منعته  
 ودام محاربهم نحو سبع عشرة سنة واستقامت له حكومة شرب في السكة بايتمه  
 وانشأ المدافع والبنادق ونفذ امره ونشيت فرانس ودها الحاج اجدهاى ليمتحدا ويكونا  
 يدا واحدة فامتنع تجبروا طغيانا وخذل الامة الى ان وهن امره واستولى الفرانساويون  
 على ما كان تحتهم وبقي الامير سيدي عبدالقادر مدافعا ومهاجرا الى ان سوت الغلطات  
 النفسانية الخالفة للديانة الاسلامية لسلطان المغرب الاتحاد مع الفرائيس على  
 محاربة الامير المشاراليه وقطع عنه سلطان المغرب نخط التجائه جهات الصحراء فاضطر  
 الامير الى التسليم للفرانسيس فاقبلوا بالرحب والاكرام وجعلوا الى باريس تحت المراقبة  
 فيها وكان اذذاك نابليون الثالث مقبوضا عليه هنالك بخصات منه مودة للامبرويقال

انه وعده بالساعدة لوي فيضى ملك فرنسا اليه وعند ما استقر نابليون الثالث في منصب  
الامبراطورية لم تساعده من جال دولته على انجاز قصده من تولية الاميرالمشار اليه على  
الجزائر فاهدى اليه رسالة في محاسن الشام ونحيره في انتخاب محل لاقامته فاختر الامير  
سيدي عبد القادر ارض الشام و قدم من فرانساً و لالا الى الاستانة و اكرم مقدمه السلطان  
عبد الحميد و اقام مده في بلاد الترتك ثم استقر في دمشق الشام ادم الله بركته للانعام و حاطه  
بالامن و السلامة في نفسه و في آله الكرام و بعد خروج الاميرالمشار اليه من الجزائر  
نخف الخطب على فرانساً لكن بقي جبل الزاوة ثائراً عليها تحت امره كبرائه فطوقته  
اخيراً بجبل مافعلته في أغلب الجهات من انخداع الرؤساء بالمال و تساطب بعضهم على بعض  
كما انها حاربته في الجزائر أيضاً دولة المغرب بجميوش كثيرة خالية عن التدبير و التدريب  
الحر بي فلم تفد شيئاً سوى ضياع ما حملوا معهم و كان البوادى المنضمين الى الفرانسيس  
أشد على المعاربة من نفس الفرانسيس و ذلك سبب الخذلان و لازالت تتوالى الثورات  
في الجزائر على الفرانسيس منذ دخلها الى الآن تارة مشتدة و تارة خفيفة و لله عاقبة  
الامور

مطلب في كيفية اجراء السياسة الداخلية في الجزائر **ع** اعلم ان ادارة الجزائر في  
الحقيقة مناطة ببار باب الامروالنهى في باريس على ماهي قاعدة الفرانسيس من ارجاع  
كل الامور في محالكمهم و مستهراهم الى باريس من غير التفات الى بعد المستعمرات أو  
قربها و لا الى الجهل بأحوالها و أخلاق أهلها و عوائدهم فيضطروا أصحاب الحكومة الى  
اعتقاد أقوال المباشرة في المستعمر المبعوث فيه فيؤول الامر الى ما تقتضيه حالة ذلك المباشر  
من الانصاف أو ضدده مع أنه في نفس الامر غير مسؤول عما يقع الا في الاجراء فلا يلزمه  
الاحتراس اللازم للمسؤل ومع ذلك فالاحكام و الادارة كلها في الجزائر كانت استبدادية  
بصحة تمتت المحكم العسكري فساهى الاجتهادات من المباشرين بلا تعقب لمحكمهم لان  
الدولة مذمت الافسالى من الحرية السياسية و منعتهم بعض الحرية الشخصية من  
التصرف في ديانتهم و انفسانهم و اموالهم كيفية أرادوا فيها لا يضر بالدولة و لا بأحد  
في ثنائرا الحكام و الدولة فتعجبها كما عامان أهل المناصب العالية من الفرانسيس  
و بولى كما عامان على الجزائر جميعها و يستقر في مدينة الجزائر و هي أيضاً فتعجب ثلاثة  
حكام آخرون كبار الفرانسيس تناط بأحدهم ولاية الجزائر و بالآخر ولاية وهران  
و بالآخر ولاية قسنطينة و يرجعون في النظر لحاكم الجزائر العام و على كل قبيلة قائد

والاغراب ان يكون من بنى القبائل ويأقب كبراه هؤلاء القبياد بالاغرة ويتصرفون حسب  
اجتهادهم وحسب ما يلقنون به من الاوامر من الولاة وفي كل بلدة قسم من العساكر  
ولكبرائهم نفوذ كبير في الاهالي وفي كل بلدة اوقرية حاكم فرنساوى والرسم الظاهرية  
في الجباية وان كانت محدودة مقبولة بأخذ الاعشار من المزروعات والركاة على الحيوانات  
فكثيرا ما تمهد الايدي الى المكاسب من غير الثقات من المتوظفين على اوجه شبيهة بالسرية  
حيث انه ليس عليهم احتساب حقيقى ثم للوظائف مخلص عندما تقع به الشكاية بان ينسب  
المأخوذ منه الى الثورة أو السبى فيم اوبادنى قول فى ذلك تثبت التهمة وانسبتهام ووقوف  
على القرائن لدى الحاكم المستبد وكل من ثبت عليه شئ من ذلك يؤخذ بجميع كسبه  
للحكومة زيادة عن عقابه البرئى الشديد ولا يعقب لتلك الاحكام وقد ابتدأ ذلك العمل  
منذ دخلوا الجزائر فان جردان بن عثمان خوجه الذى هو من الاعيان العلماء الاغنياء  
العارف بالاسن الاجنبية اتهم بانه كانت الحكومة السابقة امنت عنده اموالا فخذماله  
وسافر هو وشتمكا الى دولة فرانسافا حالته على مجلس شورا الدولة المسمى كونسيل دى تا  
وكل اشهر اعارفين باحكامهم وعصفه من نظر المحكم ثلاث سنين صبارا واقابته  
فى مطالعة الكتب وتأليف كتابه باللغة الفرنساوية المسمى مرآة الجزائر الذى اودعه  
اخلاق القبائل وحالة سيرة حكام الترك وما آلت اليه من مظالم الفرنساويين ما لم يكن  
يظن صدوره عن امة متقدمة وقد قبل هذا التأليف فى فرانسابا لاعتبار ان حكام  
الجزائر اسناؤا منه وزادوا تسكالا بكل من له علاقة بالمؤلف المذكور وبعد ما مر عليه ما مر  
صدر المحكم من الجاس المشار اليه ان جردان المدعى بحق فى دعواه لكن المرافعة الى  
الجاس بعد صدور امر الدولة بان لا تقبل دعاوى تلك السنة التى حصلت عليه فيها  
المنظالم فلا تى له حينئذ فاف واسفير الدولة العثمانية واستقر بعد ما فى الاستماتة وكان ابنه  
على باشا من اعيان رجال الدولة وعلى نحو ذلك العمل تجرى الادارة السياسية فى الجزائر  
الى الآن فترى فى صحيفة الرسمية المسماة بالمتنر على الاستقرار صدور الامر بتعاقف  
املاك فلان وهى كذا وكذا واملاك فلان الخ لكن منذ سنة ١٢٩٥ ادخلت  
المدن وبعض قرى تبقيها تحت الحكم المدنى القانونى لكن من خال عن الحرية اللازمة  
والمساواة من الحكم العسكرى الاستبدادى ام بعض اقسام الناس واما كسبهم  
البيادية وجهال العامة فانهم يريدون الحكم السابق العسكرى ويرونه خيرا لهم ما يأتى  
بيانه لجمهور ما تدم ذكره مع التحالف فى الديانات بين الاهالى والدولة المتسلطة

دامت الثورات وتعاقبت عند كل فرصة وعذرهم على ذلك منصفوا الفرانسييس حتى  
 ١٨٤٤م من كثيرتهم . ثم ساكنى الجزائر يتشككون من الادارة وما زالت صحفهم . ثم تطالب  
 انصافهم واستقامة ادارتهم واعطاءهم المحاربة المناسبة بل وبطابون المساواة مع فرانسوا  
 في جميع قوانينها . على هذا الرأى قسم وافر من أهالى فرانسوا ايضا بل ان نابليون  
 الثالث نقر عن أسباب الثورات وذهب بنفسه الى الجزائر مرتين تايدتها التسكين ثورة  
 وقعت هناك وعلم ان أعظم أسباب ذلك من سوء مهارة الاهالى من الحكام فمضى  
 الى شكايتهم وأزال عنهم كثير من الظالم وساعفهم الى مطالبهم . ثم فسكنت الثورة بدون  
 سفك للدماء ولا تشفى في الثائرين كما صرح بذلك الامبراطور نفسه في خطبته عند  
 رجوعه الى فرانسوا وكان توغل في دواخل الجزائر وأواسط القبائل المحسية ذات السطوة  
 منفر داعن الجماعية الفرانسواوية بعمدة اعلى وقاء العرب وصدقهم وقد تعهدوا له بذلك  
 وقاموا له حق القيام من عامتهم وخاصتهم وفرحوا بقدومه لهم وماوا اليه الى انصافه  
 وأظهروا له من الصاعقة والتعظيم ما عادية مسرور انهم موقنا بانصاف مطالبهم ومحبا  
 خالصا وطافا حذوا اعابهم واختص منهم في باريس قسما من العساكر لمحراسة ذاته وأكرم  
 مقامهم ورفع من شأنهم واتخذ قسما من الفرسان في مصاحبته في ركوبه على ابلابهم العربية  
 وكذلك العساكر يابسون العمامة ويسمون بالزواف وقد حاربوا في الدفاع عن  
 الفرانسيس في حرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م بجميعة أكثر من جميعة الفرانسيس  
 أنفسهم وشهد لهم بالشجاعة والصبر والمعرفة والجرأة كل من الفرانسيس والامان ولما  
 وقع انكسار الفرانسيس اثناء تلك الحرب حركت الدساتين أهالى الجزائر الى الثوران  
 فامتنعوا وواجهتهم مع الامبراطور نابليون الذى أحكم معهم الصلوة ووعدهم بمزيد  
 المساعدة والتجاح قبيل تلك الحرب الى ان علموا خلع الفرانسيس له قنار بعضهم . اذ ذلك  
 لكنه لم يجد نفعا التفرغ فرانسوا من حربهم او لهدم اتفاق السكامة بين الجزائريين  
 ولزال أهل الجزائر يثنون على نابليون وعائلته لما شاهدوا منهم من انصافهم واعتبار  
 حريتهم . ثم حتى قال في خطابه الرسمى فى امبراطور الفرانسيس كما فى امبراطور العرب  
 وكان ذلك هو الذى أوجب للكثير ترجيح الحكومة العسكرية لظفرهم . ثم انما التمسير  
 الاصلى فهو ما تركه ساعليه الامبراطور بخلاف غيرها ممن لا يراعى له . ثم ذمته حتى ان  
 العساكر مع ما مر ذكره لم يمنع لاحد من اطعمهم ان ينال رتبة رفيعة في العسكرية فذلك  
 هو سبب المال الذى لا يبرح من نفوس الاهالى وان جعل منهم . ثم بعض أعضاء في المجلس

الذي يدعوه المحاكم للتشاور في المصالح. لكنهم أعضاء صورية لأن أغلب الأعضاء من  
الفرانساويين مدافعون عن حقوق الفرانساويين المستوطنين هناك وهو لا يرون  
أنفسهم مظلومين بالنسبة لأمثالهم في فرانس مع عدم الدعي إلى ذلك لأنهم قد تحققوا أن  
الاهالي إذا نالوا انصافهم وتسويتهم في الحقوق يكونون أهلا لنيل سائر المنح والمنازل  
الفرانساويون وأهالي الجزائر لا يكتفون بتسويتهم في حماة الفرانسايس لان لهم الجنسية  
الفرانساوية والفرق بين هذين هو ان من له الجنسية ينال سائر المنح الفرانساوية وعليه  
ما على أفراد الفرانسايس من القوانين من الدخول في العسكر و اجراء أحكام الزواج  
المدني والتوارث على مقتضى القانون الى غير ذلك وأما صاحب الجنسية فيجري أحكام  
ديانته فيما ذكر ولا يدخل العسكر الا برضاه نعم يتخذ منهم نوع من العسكر الميالة  
يسمون بالمايس دون رتبة العسكر وللأفراد ان يدخلوا في الجنسية باختيارهم بحيث  
لا يصعب فيها وقد دخل فيها كثير منهم للشهوات وبعضهم تعلقا كاليهود وبعضهم طمعا  
في الرتبة العالية العسكرية وهو وإن قال شيئا منها لكنه مهان في اعتبار النفوس لما  
يوجب ذلك من امتنان له ديانتته في نظر العموم ولومن الفرانسايس واساتق. دم لم يكن  
للاهالي المساواة في الاعتبار بينهم وبين الفرانسايس ويظهر ذلك حتى ينظر العيين  
في المعاملات التكميرية والتوقير وترى اليهود أحرز للعريفة في معاملة الفرانسايس  
ونحطابهم من المسلمين

(مطالب في السياسة الخارجية للجزائر) ليس للجزائر سياسة خارجية اذ السياسة انما هي  
لفرانسا ولا ترى في قاعدة الجزائر ولا غيرها من اعتبار اذ كراقتنا سل الدول الاجنبية  
وما هم فيها الا كما هم في احدى مدن فرانس

## الفصل الرابع

في بعض صفات الاهالي وحوادثهم

أغلب حوادث الاهالي وصفتهم في الجزائر هي مثل ما في أهالي تونس في السلام والمياه غير  
ان الجبل الجديد في المدن تتناقى أغلبه بانغلاق محضرة بين العادات الاصليّة وبين  
حوادث الفرانساويين ومن المعلوم ان النفوس مائلة الى التشبهه بالغالب غير انما اول  
ما تسمى اليها الاخلاق الشريرة اماها ما دفنتها فما يحملها العقل بالكفاية ولهذا  
فستة الهيا في كثير حتى سرى ذلك الى أبناء الفرانسايس الذين نشأوا هناك وقد

- صاحبني في الفاوور من الجزائر الى عنابة امرأة حاكم بلاد قفالة مصاحبة لابننا ثم الصغار وهم ثلاثة وبن البلوغ كانوا يعلمون الفنون في مكتب بلاد الجزائر ولما أurst البناترة على مرسي حيجلي صعدا اليها نائب لجنة تلك البوا حرمة فقد ا وكان حاضرا ذلك وقت الفطور فحاس مع الر كلب على المساندة وكان من جملة الحاضرين الابناء المذكورون وبعد الاكل أتى بالقهوة ومن طادة الافرنج التي ان بقينة فيماتوع من المشروبات الروحنة المسمى بالكنيك ومهه كيسان صغار لم ير يد الشرب من ذلك مع القهوة فأخذ منه من أخذ وامتنع من امتنع فعهد اولئك الصبية الى المشروب وأخذ كل منهم كأسا ووضعه أمامه فنبسب كبار الحاضرين متجهين من ذلك وأهمهم فارعاها العرق من الحياء ولم تتركاهم بشئ وبعد عنيها أخذ في نائب اللجنة الى ناحية منفردة وقال لي رأيت ما وقع قلت ما هو فقال لا تخره هي لو كان اولئك ابنة لي لا لقيتهم في البحر فقلت ما ذا هو عندكم ليس بممنوع قال كلا فانه وان كان الخمر عندنا مباحا لكان انما هو ما يؤخذ منه مع الاكل من نوع ماء العنب بقمه دار لا يفعل نشوة أما هذا فانه لا يستعمل الا بهد الا كل يجرده المشوة والصغار يمتعون من ذلك بمقتضى التربية الحسنة ولكن فمن قد خرجنا عن طورنا وفسدت اخلاقنا وأفسدنا اخلاق غيرنا فهو لاء ابنة أحد حكام البلاد على هذا النحو فبالبك بغيرهم الخ وكان منذ هذا الفساد هو ان الحرية في القرانيس قد فطروا عليهم ابقسمها اعنى الحرية الشخصية والحرية السياسية لكنهم تحمهاهم في بلادهم الحرية السياسية على الخفاق بحامد الاخلاق على قدر استطاعتهم وادراكهم وأما في الجزائر فقد دسروا في أنفسهم من الحرية السياسية وكذلك الاها الى اطلاقها هم الحرية الشخصية وحر موتهم من الاخرى فانه تمت القوات كله الى الاولى مع ملائمة الطبائع النفسانية فأقوا على كل ما يمكنهم التوصل اليه من الفسوق وقبائح الكلام والتزوج بين كل متراضين من غير نظر لديانة ولا صحة شرعية بل يقع حتى لبنات مسلمات الفرار من آبايهم الى رجال من الافرنج أو غيرهم ويصاحبهم بدون زواج أو به ولا مانع عندهم من ذلك وأضف الى ما تقدم من السبب ان الحكام كما كانوا من العساكر مستبدين فتراهم يشتمون بالكلام الفاحش وكأنه هو أول ما يتعلمونه بالصدفة من لغة الاها لي ثم ان السيرة العسكرية الاستبدادية معلومة في ان الغالب على الضباط الصغار من دونهم هو الميل الى الشموات الطبيعية والانحماله فيها ولا ينفك كونها الا با وازع الحكى أو العادى كما في بلادهم في فرانس بالنظر للعادة وهاته العادة من قديم في الجزائر ولم

اعتبار عادات الأهالي حتى الاعتبار فنشأ في ذلك القسم زيادة الاطلاق وقدمتهم  
صغار الاهالي على قاعد النساس على مذهب أمراهم ومع هذا فلا زال في ذوى  
البيوتات وأصحاب الاصول مكارم الاخلاق الاسلامية وفضائل الطابع العربية  
وان كانوا بالاصالة قدامين في المدن وأما إلى القبائل من البادية والمغوليين في الجنوب  
ودواخل القطر فلا أكثر منهم على الطابع والعادات الاصلية والقبائل الذين لهم علاقة  
بالحكومات والتداخل معهم تغيرت عاداتهم الى نحو ما وقع في الكثير من أهل البلدان ومن  
الاخبار الذين اجتمعت بهم ومحموفي فضائل اخلاقهم النحرير العالم الشيخ علي بن  
الحفاف المغني المالكي بقاعدة الجزائر وهو من تلامذة العلامة القطر الافريقي الشيخ  
ابراهيم الياحي كما أخبرني بذلك عن نفسه وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة واطلاع  
والسعة في الفقه والحديث وذو كرم في الهجرة وقد كرته بأن مثله قليل الوجود في ذلك  
القطر وان بقاءه فيه لتعاليم الناس دينهم أنفع للعامة وله عند الله من تروجه يرأسه وبقاءه  
تلك الامة المسماة خالية عن مثله بل وربما جعل خروج غيره عن هو على شاكته على  
النزوح فتبقى العامة بلاه لم لداياتهم وتضجمل منهم الديانة شيئا فشيئا والعياد بالله  
بخلاف ما ذابني هو وأمثاله فانه تنتشر تعاليم العقائد والفقه وتبقى الديانة ان شاء الله  
محفوظة في الاهالي وذلك هو المنصوص عليه في كتب فقهنا حتى ان الاسارى اذا لم  
يمكن فداءهم جملة فيؤخر منهم العلماء ومن الاخبار ايضا الاصيل الفهامة الشيخ أحمد  
أبو قدور المغني الحنفي بالقاعدة المشار اليها وهو ذو تجرد في المعارف السياسية ومتمقن  
للغة الفرنسية وصاحب حجة في المدافعة عن أهالي رطنه وهو عضو أيضا في مجلس  
الوالي وله مشاركة في الفقه والحديث وكل من الشيخين الموحى اليهما الامام وخطيب في  
جامع بالقاعدة المشار اليها وقد زرت كليهما في مقصورة جامعة ودعاني ثانيا في الواجبة  
اتخذها كراما لي جازاه الله أحسن الجزاء وتوجهت معه الى رستانه في الجبل وهو بستان  
فاريف جامع للشاكاين العربي والاورباوى وبنواؤه ظريف نظيف على النخيل العربي  
المتقن ومن أكارم من اجتمعت به صفة الخيرة سيدى قدور الشريف نقيب السادة  
الاشرف صاحب شمائل تليق بجلالة نسبه ومنهم العالم المتقن الشيخ علي بن موسى  
نقيب زاوية سيدى عبدالرحمن النعماني رضى الله عنه وهو صاحب ورع وديانة كان  
ولي في احدى المناصب الحكيمة والسالم بكمه الامتاع تصام واعتد تروباهم فأعني  
ومخ تقابته الزاوية المذكورة فبقساكنها نكمتة كفا على العبادة والمطالعة وله

أشعار جديدة ومنهم الوجيه السيد الشريف الصفصافي وغيرهم من الاعيان كما اجتمعت  
 بثقات من كبار متوطني الفرنسيين كالجنرال شـ بريزهاكم بهران ونائب الحاكم العام  
 في الجزائر عندهم غيبية في وقت قدومي الى هناك وهذا الجـ نزل زيادة على معارفه  
 العسكرية التي توصـ بها الى رتبة الفريق فانه منصف عاقل عارف بأحوال سياسة  
 الوطن والسياسة الخارجية صدوق في الكلام بدون محاباة وبإيثار كبير في وظائفهم  
 هناك مثله والذي أعانه على معرفة مصالح الاهالي هو معرفته لغتهم وفتحهم أميرال البحر  
 الكنديان دى سان اندى وهو شيخ من منصف في السياسة ومن لاقته في غير القاعة  
 الفقيه الفقيه الشيخ السيد بن شراح قاضي بلد قالمه وهو شارك في الغنون الاولية وله  
 اطلاع حسن في الفقه مع عفة واستقامة ثم ان الاهالي على العموم في طابعهم نوع من  
 الحدة والنشاط وذرية البر في لوطنهم شقرة وصهوبة ولهم ولوع بالفريسة والملاهي  
 في المدن على نحو ما في أوروبا وفي بقية القرى والوادي على نحو ما ذكر في تونس

● **مطلب في التجارة بالجزائر** التجارة مع خارج القطر أغنيها سيبدا للفرنسيين ثم  
 الاسبنيول والاطليان ثم غـ يركا لبعض من الاهالي والانكليز والنادر من غيرهم وفي  
 دواخل القطر قسمة بين الاهالي والفرنسيين وهي على نحو التجارة بتونس اذ لم  
 تحدث بها معامل ولا كبر حركة تجارية سوى بعض معسدين كما تقدم في عهد الحديدي  
 بعنايههم من فضة في القالمه على ان تصفحتم ارضنا صفتها تكون في فرنسا وأصول  
 التجارة التجارية على نحو الاصول الفرنسية وعلى ما فهم من المعاهدات مع الدول  
 وأما البريد برا وبحرافه ويبدشركات فرنساوية وفي الجزائر دار صرف تسمى بانك  
 الجزائر لها أوراق مالية مثل البنوك المعبرة في أوروبا ولتسهيل طرق التجارة وان شئت  
 قلت لتسهيل الحركة العسكرية قدامت طريق الحديدي بين الجزائر وهران وتلمسان  
 ثم أخرى بين عنابه وقالمه وسوق هراس وقسنطينه واسكندرية وهم بصدد وصاه ابطريق  
 تونس ووصول البقية ببعضها والمزاكرات تجارية في مداريق الحديدي الى دواخل  
 افريقية والصحراء حتى تجتمع بين شطوط افريقية الشمالية الشرقية من جهة الجزائر  
 وتونس وبين شطوطها الغربية من جهة سانيةغال وتقر على عمالاك السودان ولا يخفى  
 ما في ذلك ازيج الباطن

● **مطلب في الاحكام بالجزائر** الاحكام الشخصية منة مة الى قسمين فساير جمع الى  
 الوقت والنكاح والطلاق والارث عنده المسطين له قضاة مسلمون على مذهب مالك



وفي بعض المدن مفتون حنفية والقضاة معهم بن لهم الحكم بكتاب مختصر الشيخ خليل  
ويجلس مع القاضي عدلان للشهادة على الخصوم وينوبها كبرها ما عند من يديه وأما ما يرجع  
إلى سائر المعاملات والجنائيات فله مجلس مركب من ثلاثة أعضاء فرانسوا وبين ويحضر  
معهم عضو مسلم وهذا المجلس على نحو مجالس الأحكام في فرانسوا غير أن القانون الذي يحكم  
به مترجم بين ما ترجم من مختصر الشيخ خليل وبين القانون الفرانسواي فإذا كان الخصمان  
من المسلمين والدعوى من أنواع المعاملات الاختيارية فلهما الاختيار بين فصلها  
في هذا المجلس أو لدى القاضي المشار إليه. وأما إذا كانت الدعوى من قبيل الجنائيات  
أو بين مسلم وغيره فلا تفصل إلا بالمجلس كما أن للمجلس حق التحقيق على القاضي فيما يحكم  
به في نوازل المعاملات وذلك جار في كل بلدة (وأما القبائل) فلكل منهم القواد والاضوات  
والقضاة ثم لما كان أعضاء المجلس في الأغلب غير طارفين بلغة القوم لزم احضار مترجم  
مع مراقبة العضو المسلم ومع هذا فلا يحصل الانتصاف المعهود في محاكم فرانسوا إلا من حيث  
الأعضاء الفرانسواي بين فانهم يتحرى في انتخابهم استكمال الصفات والاستقامة لكن  
يحصل أطوار عدم احسان الترجمة جهلا أو عدم عدم جدارة العضو المسلم فلا يجري  
الانصاف وأغاب ما يكون ذلك في الحكم الذي لا يقيم المحكوم عليه وكذا لا عارفا باللغة  
الفرانسواية ومتضاعبا معرفة الأحكام وقد حضرت يوما متفرجا في مجلس الحكم بعنابة  
الذي هو في الهيئة على نحو ما تقدم في باريس فأتى برجل في دعوى جنائية ويدينها هو  
يتم في كلامه وإذا بالمترجم تسكلم للحكام كأن الرجل تم مقاله فصدرا المحكم حالاً  
بسهمة وما أخرج من بيت المحكم الا ولاقى من اللكم والاطم والسب من أعوان المجلس  
ما نهجت من صدوره من فروع الامة التي كنت أشاهد في اعتدالها في فرانسوا وأولئك  
الأعوان هم من الأهالي غير الثقات ومنهم أيضا أعوان للضابطية ويتجسسون على من  
يقدم من خارج رعبا يهيج الأعراب إذا توجه اليهم وبمجرد التهمة يسافر من البلاد وهم  
لا يحسنون لا التجسس ولا الخطاب لعدم الأهلية في الانتخاب وعلى هذا النحو في عدم  
الجدارة جمع من قضاتهم فلا يتقون الارتشاء ولا يحسنون حفظ ناموس المنصب حتى  
شاهدت قاضيا في عنابة يلاطم ويتقاتل مع الخصوم ويجلس في حالات الأراذل مما  
يتزده عنه أعضاء مجالس الحكم وكان ذلك في أصل القصد من عدم التحري في الانتخاب  
لتنفرا الأهالي من أحكام القضاة ويفضلون أحكام المجالس بل ورعبا أدى ذلك مع

زيادة جهول العامة الى اعتقادهم الاختلال في الشعائر الدينية لمسايرون من سوء حالة  
القضاة وأحكامهم واعتدال المجالس وانصافهم

مطلب في المعارف بالجزائر \* المعارف فيها على قسمين الاول علوم الديانات والثاني  
علوم الرياضيات فالاول قسمان أيضا الاول ماهو مختص بالديانة الاسلامية وله  
مدرسون في الجوامع يقرؤون النصوص والفقه وفي خصوص الجزائر من هؤلاء عشر مدرسين  
والفقه هو المالكي وقيل من الدروس في الحديث أو غيره وأكثر الاجتهاد في هاته  
العلوم في بلاد قسنطينة ثم تلسان وفي الجهات الجنوبية يقرؤون العلوم في زوايا الطرق  
ولاهالي هاته الجهات اعتناء بأخذ العلم فيرجعون اليه الى فاس وتونس وقيل من منهم  
يرحل الى مصر فلذلك لم يتقطع في تلك الجهات من له اطلاع حسن ومشاركة جيدة وقيل  
من يتضاع حقيقة التضلع لانه ليس في أوطانهم علماء يقولونهم يقرؤون شعائر الكتب  
وأكثر الانكباب في الفقه المالكي على حفظ نسخة من خليل وتفهمه ومن تمهوى في العلوم  
في إحدى البلاد الخارجية قلما يرجع الى وطنه وفي كل تلك العلوم مدرسون في  
الجوامع لهم مرتبات من قبل الدولة الفرنسية وهي القائمة بمصاريف إقامة الجوامع  
وما فيها من قراءة الاحزاب أو كتب الحديث لانها استولت على جميع الاوقاف والمساجد  
واقصرت في كل بلد على عدد مخصوص من المساجد تقوم به وغيره تصرفت فيه بما  
ناسبها وحرم المستحقين من مالهم كأوقاف الحرمين والقسم الثاني مما يختص بالديانة  
الانصرانية ولادخل للدولة فيه وانما القسيسون لهم مدارس لتعليم ديانتهم وقد كان  
نوع من القسوس يعرف بالجزوز ويت أنشأ مدارس للتعليم حتى لاهل علوم الرياضية مع  
الديانة ولهم اتقان في كيفية التعليم والتربية وقد كانوا في حدود نيف وثمانين ومائتين  
والفاحاتزوا بكثير من اولاد الاعراب وغيرهم المسلمين بناتنا وأطفالا ونصرهم وذلك  
عند ما وقعت فحاعة شديدة بالقطر ولما بلغ بحماس النواب في فرانس ذلك العمل شدد  
قسم منه الزكبير على الدولة في اطلاق القسوس على ذلك العمل لكنهم تمنعهم وعند  
ما كبر البعض من أولئك الاولاد وعلو ابان اهلهم معلون فرروا الى اهلهم ثم لما منعت  
الدولة الجزوز ويت من التعليم في فرانس واستولت على مدارسهم ومكاتبهم في سنة  
١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م عممت ذلك في الجزائر أيضا ونفتهم من كل عمل الكهنه  
أوصت بهم فوابها في المعاملات الاسلامية بان يحجهم وهم في جريتهم أي اذا ارادوا بناء مدارس  
والتعليم فيها فليس للدولة الاسلامية منهم وان منعهم تعارضهم نواب فرانس مع ان

الدولة الفرنسية والفرنساوية الاثنى عشرية وتطابق المحررية في كل شيء غير اننا سلمت حرية الجزويت في مالديكها ولم نبدسرها كما بدت في مالديكها اوربا اللاتي اكثرها فعل بهم مثل ما فعلت هي فكيف يسوغ مضادة ذلك في المعالكة الاسلامية مع اختلاف الديانة فيها واما في فرنسا فان ديانتهم متحدة لان الجزويت نصارى من اتباع الكنيسة الكاثوليكية الخاضعة للبابا يراهم لهم مذهب في دقائق الديانة والتأويلات والفلسفة فيها جعل لهم نوع انفراد عن بقية القسوس بيد ان الدولة الفرنسية تستند في منعهم من التعليم بانهم يزوجون في تعليمهم الاحوال السياسية على الاصول الاستمدادية بما لا يوافق مسامحتها وتجنبي من فسادها في الناس مع المكاتب التي يتخذونها تصير كالمعكرات تحدث منها الثورة وبأوى اليها الثائرون (وأما القسم الثاني) من أصل المعارف فهو اسرار المعارف الرياضية وهاته لها مكاتب من الدولة في البلدان المتقدمة وهي على نحو المكاتب الفرنسية غير اننا قاصر عن العلوم العالية فبعد اتمام التلميذ فيها معارفه ينتقل الى باريس التي هي مركز سائر العلوم العالية والمكاتب بالجزائر فيها ما هو للولدان وفيها ما هو للبنات وقد حضرت بالاستعداد في امتحان البنات بعناية ووقع الامتحان في اللغة الفرنسية وفي الكتابة وعزف البيانو واشدت المديرية خطبة في تحسين التعليم واغاب المعلمين نساء في هذا المكتب كما حضرت امتحان مكتب الولدان من مسلمين وغيرهم وحضر كلام الامتحانين وجوه البلاد وحكاها

مطلب في الصنائع وغيرها بالجزائر \* الصنائع بها احسنها الفلاحه وقد تقدمت في الجهات الشمالية على نحو ما هي في فرنسا (وأما بقية الصنائع) فانها على نحو ما بتونس مع الانحطاط في الدرجة لاني السكينة ولا في الكيفية كما في تونس الا بعض أنواع من البرنس فلهم فيه مزيد اتقان كالمسمى بالعباسي (وأما مهنة المساكين والطرفات) فان الجديد على نحو ما في فرنسا والقديم على نحو ما في تونس لكن الطرق معتنى بتنظيفها وتويرها على كل حال كما في فرنسا (وأما اللبس) فالرسمى فرانسواوي وقواد الاعراب البكار يلبسون قفطانا طويلا مطرزا بالمالك الفضة المذهبة وبقية لبس الاهالي على نحو لبس التونسيين سوى عموم لبس الرداء المسمى بالحرام حتى في المدن ويحلبون العمامة فوقه وكلهم يدخلون رؤسهم في فوهة البرنس ولباس النسوة احسن سترة منهن في تونس لانه متدلي وكذلك الاكل والملابس على أنواعها فانها نحو ما في تونس الا الذين

الذين لهم مزبادة تناء بتقليد الار و باورين فقادوهم في اشاء ككثيره وقد رأيت من العادات القديمة انهم لا يدخلون ديارهم نه الملم بل كل من وصل الى السقيفة نزع نعله ولبس نعل خاصا بالدار أو دخل حافيا ثم حفظا على النظافة والطهارة وله من أنواع ظريفة متقنة في الاكل سيما المتخذ من ورق البجين حلو وما لحسا (وأما اللقعة) فهي أيضا عربية محرفة على نحو ما في تونس غير أنهم أقل فصاحة في النطق ببعض الاحرف مع وجود كلمات غير معروفة في تونس كقولهم أدروك بمعنى انظر أو ما قاربها في جهات ذرية البر بل تنزل لغات أسلافهم مستعملة كما في زواوة و بنى مزاب

## الباب السادس ادس في ان للات يره

الفصل الاول في سفرى اليها

قد تقدم اني اقامت في باريس سنة ١٢٩٦ نحو شهر وحيث كنت علمت ان اغلب ما فيها ولزمني انتظار اشياء يتوقف عليها رجوعي الى تونس احدثت ان اقضى بعض ايام في رؤية انكلا تيره لشهرتها مع قربها من باريس فركبت الرتل السريع صبا ما حول ذلك في رمضان الموافق لثبوز الاعمى واستقر الرتل ساجسا بسرعة يقطعها نحو الخمسة والاربعين ميلا في الساعة فرأيت من منظر شمال فرانسا ما يربوعن الجهات الشرقية والجنوبية انتظاما ومع رانا الى ان وصلنا الى بلد كلى التي هي مرسى على ارض يوق خليج بجزر المنش بين فرانسا وانكلا تيره ولها عدة أسوار وحصن ممتد حصينة للغاية ودخل الرتل بين سورين الى ان وصل الى محاذات البانحة الاصلقة بالرصيف وكنا أخذنا ورقة الكراه الى ذات لندره فانتقلنا من الرتل الى البانحة وصادفنا بانحة عجيبه الشكل اذهى مؤلفة من باحرتين متلاصقتين عرضا وسطحهما متحد وان كل آلة بخارية وبها بيت جلوس واسع جدا واثقان بلا يخ وبها ايضا بيوت صغار لمن يريد الانفراد لكنه يزدن نحو عشرة فرنك في الكراه عن الطبقة الاولى وفي البانحة جميع ما يحتاج اليه المسافر لكنه له ثمن زائد عن الكراه والداعي للجلوس البانحة كذلك هو صوبه ذاك الخليج وشدة اضطرابه لانه مضيق بين بحرين ويمر فيه التيار بسرعة فباد في ربح بشدة اضطرابه مع تطاب الراحة لالا فخر فاخترعوا ذلك النوع من البوانح لكي لا يحمس ل فيه الاضطراب بكثرة عرضه فلم يقدوا اخترعوا نوعا آخر فيه أيضا وهو ان يكون بيت الجلوس منفصلا عن البانحة من جميع الجهات ومداقة نهارا

على نحو الفوانيس بحيث اذا مالت البانورة لا يجيل البيت حيث كان معلقا فيتبع نعل المركب زفلم يفدأ ايضا لانه اذا اشتد الميلان يلاطم بعض أجزاء السفينة حائط البيت ويتبعه في الميلان فحاولوا أن يخترقوا طر يقا تحت قعر البحر ووضعوا لذلك رأس مال قدره أربعة ملايين فرنك بين الفرنسيين والانكليز للتجربة أعنى تجربة معرفة الطبقة السفلى من أرض البحر هل هي صلبة قابلة للاستسك أم هي رخوة أما أصله على إمكان النفاذ فقد جربوه تحت نهر التيمس كما سيأتى ذكره ولا زال العمل جاريا في هاته التجربة وذكروا أنهم وجدوا الأرض صلبة بان حفر وافي شطى البحر بترين أعماق من أعماق محل في ذلك البحر فوجدوا طبقة الأرض صلبة فاجتهاد الجهات المتوال في أحداث هذا الطريق وهذا ينبغي عن عزائم الامتين في العمل والمسال ولا يبعد حصول المقصود في وقت قليل ثم أفلمت بنا البانورة ولم تحتحل الا الركب والبريد وما خف من البضائع ورحل الركاب وأنعم الله علينا بان كان البحر في نهاية السكون ولله الحمد فكنا في غاية الراحة غير اننا لانظر الا ما قرب من البحر للبانورة لكثرة الغيم في الشطين وبعدد سريسة وأربعين دقيقة وصلنا الى مرسى دو فر من انكلا تيره التي هي أقرب مرسى في مقابلة مرسى كالى ووصلت البانورة أيضا للرصيف ونزلنا الى الرتل الذي هو على أهبة السفر باصق البانورة فسالتى خدمة الرتل الى أين توجهى فقات الى لندره فقالوا أى جهة منها اتجهت هل هو لا ملهم بحلات يوصلوننى بها الى محل نزلى مع انى لم اتخذ ذم نزل وانما كنت كنت لاحد معارفى فيها ليتلقانى في المحطة فاعدت لهم انى ذاهب الى لندره الى محطة سكة الحديد فقالوا أى محطة فنذ كرت ما كتبلى المتلقى الى المحطة من انه ينتظر فى محطة فكموريا وعلمت اذذاك فائدة تنصيصه على اسم المحطة وحينئذ ذكرت لهم اسم المحطة فعينوا الى المحافة التي تركها او كان ذلك بعد تعب فى التفاهم من الجهل باللغات حتى كان الذى فرج الحال رجل يعرف الفرنسية وسمى ثم قفل الرتل سرعان ما بحسب سرعة أزيد مما هي فى فرنسا حتى لا يفككن النظر من رؤية الاشياء القريبة وكان الرتل يطفر طفر من تغارب مقاطع قضبان الحديد الجارى عليها من سرعة السير اذ هو يسير ستين ميلا أو أزيد الى الثمانين فى الساعة الواحدة وكنت أرى على بساط الأرض أجاما عن بعد من شجرة الدينار التي يضم ورقها الى الماء المشير المتخذ سكر كما هو المعروف بالميرة ونرى أكواما كالقمرى المنثورة من الآجر المصنوع حتى تهبت من كثرة وكثرت معاملته ولا كنى عنده ما شاهدت بلدانهم زال التعب لان

الآجر وحده هو مادة البناء لما قرب بنام من لندره واذا يبسط الارض على نحو مد البصر  
 كأنه شبكة صيد بفضبان طرق الحديد المنفرعة الى جميع الجهات والرتل وارادة صادرة  
 كأنه اساحب فوصلنا الى المحطة وتاقنا في المنتظر الى وقت منى على بكلامه العربي \*  
 وهو مستر امي وفي أحد ابنيه الشام انتقل الى هذالك وسكن بلندره محترفاً بصناعة التعليم  
 للسان العربي وكان دخله من التعليم كافياله بعسر لغوا الاسعار وكانت مدة السفر من  
 باريس الى لندره تسع ساعات وثلاث ارباع الساعة بين السير في البر والبحر وسكنت في  
 المحارة المعروفة بهيت بادك واقمت بلندره يومين منفصلين وثلاث ليال واليوم الوسط  
 ذهبت فيه الى بلاد بريتين صباحاً ورجعت متها مساء حيث انما على شاطئ البحر وبثديها  
 أعينهم صيفاً وهي من أعظم منزهاتهم وابنيتهما مثل أبيه بلندره واحسنها في هاتين البلدتين  
 ثلاثة أماكن (أولها) قصر الملك وبستانه فالديستان جميل اجالا (وأما) القصر فقدمناه \*  
 ملكهم ويلم الثالث التولى سنة ١٦٨٩ الذي كان يحبها بالصيد والخلاء -ة محبا  
 للانفراد في قصر بريتين وكان مغرباً بأحوال الصينيين فجعل بهذا القصر بعيداً عن  
 القاعدة ليمنى عيشه بالانفراد ثم أنشأ القصر على نحو قصور ملوك الصين وجلب اليه من  
 هنالك سائر الادوات والمفروشات وغاية الفرق بين هذا البناء والبنائات المعهودة انه  
 لا يشتمل على الاطبقتين والقباب كلها على شكل مخروط الوسط والمحيط والابواب كلها  
 منقوشة بمنزفة بالاشكال الصينية والوانها وتصاويرها والدرج ذات شكل غريب  
 مرتاح وظاهر القصر من زواياه وابوابه شرفات وصوامع جيدة مزر كشيعة وقد  
 باعت الملكة فيكتوريا المتولية الان هذا القصر بجمية أهلية ليبقى منتهى للعموم في  
 خطهم واجتماعهم وقد انشدوا اليه عقب شرائه من سائر أقطار انكلاديه وما زال  
 هكذا ما حاله تفرجين وقد شنت صحف اخبارهم على شح ما كتبتم ونهت في المسال  
 بديعها ذلك القصر للاهالي وكان ينبغي لها أن تهم ايها وأظن ان الثمن لم يبلغ  
 المليونين فرنسكا (والمكان الثاني) في البلاد هو محل معرض السمك في أحواض \*  
 من الزجاج وراها الضوء مركوزة في المحيط ينزل اليه بدرج على الشوا وحوله مطاعم  
 أنيقة وحديدائق وفوقها قهوة وفي بيوتها هذا المعرض بيوت عديدة جميع محيطها  
 أحواض زجاج فيها أنواع الحيوانات البحرية مما الله به عايم ويستفيدون من ذلك كيفية  
 حياة الحيوانات وتوالدها (والمكان الثالث هو دكة) على البحر طولها نحو نصف ميل \*  
 مصنوعة من خشب متين مرفوعة على أعمدة مبنية من الحديد عالىة من سطح البحر

وحول الذكوة وفوقها مقاعد ومنازه وقهاوى وذلك هو منتهى المتهين واللاعبين  
والمتسابقين في البحر وبقية البلاد ليس فيها ما يستغرب وانما هي حسنة قليلة نظافة  
الطريق ولم تنزل الاشغال جارية في احدات حارات جديدة فيها تمسار جعلت الى فرانسا  
بت ليلة في مرسى دو فرلان المانحة تسافر بالبريد بمركبة فاستمرت الذهاب اليها عشية  
لكي لا تعب بالركوب في الرتل ليلا للوصول اليها وتوفت فيها فاذا هي مرسى حربية  
وحشة متينة الحصون كثيرتها ومبانها رديئة وطرقها وسخة ومنزله المسافرين الذي بقنا  
فيه حسن متقن وطعامه رديء وليس في البلاد ما يبسط النفس فركبتنا منها بركوب  
الصباح ورجعنا الى فرانسا في باخرة فرانساوية اعني اديت وكان البحر ساكنا مع الضباب  
الكثيف وحول شاطئ فرانسا كان الجزر حاصلا حتى خشى السفن من مصادم الارض  
وتان فعر البحر يري في بعض الجهات

## الفصل الثاني

لما كانت هاته المصراع الممصرة هي قاعدة انكناز وفيها انغودج ساثر المملكة يلزم ان  
تفرد بالذكور غيرانه لا يخفى بالمعادات من المعادات وقد ذكرنا من اوصاف باريس  
وتفاصيلها ما يغني كثير منه عن اعادته في صفة لندره فانه قصر على ما تفرد به هاته عن  
تلك وهكذا نسلك في ساثر المباحث بحيث نقصر على ما يفيد وما يشترك فيه الجميع يعلم  
حاله مما سبق في الابواب السابقة فانه قول ان لندره أكبر مصر في أوروبا وسكانها على ما تحرر  
سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م ٣٤٨٩٠٠٠ نسمة منهم ١٦٣٣٠٠٠ ذكورا  
و ١٨٥٦٠٠٠ انا و يخترقها نهر التيمس الذي يحمل السفن الكبيرة وعاليه جسر  
بيديدة ضخمة جدا بنيت من الخشب ومنها الحديد الذي لا عمدة له يقوم عليها في  
النهر وانما طرفاه على العدوتين ووسطه معاق يقضبان وسلاسل ممتدة الى طرفيه حيث  
يوجد ابنية ضخمة مرتفعة ترفي أعلاها تلك السلاسل والقضبان ثم تنزل الى الارض  
بحيث تكون على شكل مثلث زاوية الوسطى قائم فيها ذلك البناء وتلك السلاسل  
أربع في كل جهتين من طرفيه اثنتان وبعض هاته الجسور ترفعها الطريق الحديد  
وبعضها على جسم آخر عالياه طريق الحديد وقد خرقوا تحت النهر نفقا يمر فيه  
الرتل أيضا وطول النفق ألف ومائتا قدم وكان انشاؤه سنة ١٨٢٥ ثم طمى عليه الماء  
ثم جدد سنة ١٨٤٣ وكانت مصاريفه ١٥٣٥٠٠٠٠ فونك بحيث ترى الطرق

عند نهر التيمس في بعض جهاته على أربع طبقات فالر تل تحت الماء والسفن على الماء والبعثات والدواب والناس على الجسر والرتل أيضا على جسر فوقهم والطرق أكثرها في عرض عشرين ذراعا والقليل أزيد من ذلك أو أقل حتى أن منها الضيق الذي لا تمر فيه بحملة والطرق قليلة النظافة حتى أن منها ما فيه الوحل من الطين بجملة دار لا تستطيع معها الجمالات على سير الخشب وبعض الطرقات مباط بتقطع من الخشب في شكل الحجارة ذات الشبر التي يبلط بها وذلك لقلّة الوسخ من الخشب مع قلّة الدوى وفقدان قرفة الجمالات وذلك إنما هو في الطرق الكثيرة مرور الجمالات (وأما غيرها) فعلى النحو المعناد والبنسآت غالبها من الأجر الاقليل من الأبنية خاصة ضخمة مقفزة من الحجارة وقليل أيضا من أساسات بعض الأبنية فهاته تحت لها الحجارة على شكل مستوى جميل المنظر وكثير من الديار عند أبوابها أسطوانات من المرمر محمول عليها رواشن أو سرداق وعمامة البناء ذر ثلاث طبقات والرابعة السفلى وكل دار تسكن عائلة فقط ولذلك كان منظر باريس أجمع الأبعض حارات بنيت على نحو باريس فلم يستحسنها الأهالي وبقيت تنغور من سكانها وكل دار تجدد على بابها روشن خارج عن حائط الدار وفي البلاد عدة حدائق رحبية جدا أعظم مما في باريس منها حديقة هيت بارك والسكل حارة تقر بها حديقة صغيرة خاصة بناهاتها وأعظم مكان في لندره هو الجهة المعروفة بالسينين وهو طريق عظيم مشتمل على دار صرف الدولة وعلى دار حاكم البلاد وهو مركز شغال التجارة الكبرى ومحط ادارات أعيان التجار فترى فيه من الأزدحام ودوى العواجل والحوافل والمخافل والركاب والساع ما يصحير العقل والنظر واللب مع أن ابنته وتصديقاته ليست مما يند كروادة أهالي لندره أن حارات الاشغال والحوانيت والمخازن لا يسكنها الا الصنف السفلى من الناس وحارات السكنى تكون خالية عن جميع ذلك حتى يتعب المساكنون في جانب ضمور ورياتهم لولا التيسير الكثير في الأبواب الانتقال من مكان الى مكان على نحو ما في باريس وتزيد لندره بان خط طريق الحديد يطوقها بدائرتين أحدهما أوسع من الأخرى وبالجملة فقد انفردت لندره بحارات يوسعت من مدن العالم بكثرة الحركة وهول البس في الشغل والاحذ والعطاء والسفر وان جوع ويرى أثر ذلك في محطات طرق الحديد كما أشيرنا الى ذلك سابقا من رؤية يراح شبهة القضاة مبسوطة عدة أميال ويحار العقل كيف لا يغلط مسير المزيجمات وحراس محطات الطرق بنهب الرتل الى ضيق قصده ففي لندره ثمان محطات على نحو



ما ذكرنا في محطة فوكتور يا وقد اُحصى في احداها عدد الداخل والخارج من الرتل في مدة نصف ساعه في كان اثني عشر رتلا ولبس على ذلك وقد نظرت يومان قصر الزجاج دخان المزجيات الصادرة والواردة جارة للرتل فاذا هي مثل الجراد المنتشر في كل الجهات (واما بقية الاحوال فهي دون باريس في نظارة الحوانيت وبعده البناء وهمم وجود محل للبول أو كنف في الطرقات وفي النظافة والتنظيم والتنوير وان ذكر بعض محلات لم نر مثلها في باريس فتمت قصر الزجاج وهو قصر عظيم جدا اتخذ من قصبان حديد مصفب بها قطع الزجاج وقد انشئ اول امر كذا المرض العام في لندن وهو اول معرض في اربو بار بعد انقضاء المعرض ذلك القصر الى ربوة حذر لندره واتخذ سوقا لبيع التحف وساع ظريفة ولوضع عجائب وآثار دهره وصناعاته للفرجة والتنزه وحوله حديقة انيقة ذات فوارات وقهاوى وعلى كل داخل ان يدفع شيئا زهيدا من المال لجرد الدخول والفرجة وما يشترى فهو يمتنه وطريق الحديد يصل الى هذا القصر من جهتين وهو ذو ثلاث طبقات منقسم على عدة اقسام (وفيه) ملبسى (وفيه) محل للرمية (وفيه) حديقة (وفيه) عدة فوارات (وفيه) عدة مطاعم (وفيه) قسم للمسال جراه غرناطة بالاندلس اعنى مجال بعض جهاتها الشهيرة كوسط الحجراء والبيوت الكبيرة متقن التمثيل اعنى تمثيلها بما بحيث يدخل الانسان الى قصر هو على شكل الحجراء فيما تقدم وفي كيفية تطلبي البيوت وتقومها بالذهب وما فيها من الكتابات الانيقة بالخط الكوفي وذلك القصر هو على نحو الابنية العربية لكنه فائق الاتقان والصنعة والتأنيق والتزيين وفي القصر الزجاجي (قسم) لاحوال الصينيين وصناعاتهم وأشكال اناسهم مجسمة بتصاوير من الشمع وهيئة الأكثرين منهم لاسيما تعامل الاقيون وتأثيره القوي في عقولهم وذاتهم (وقسم) منة لتاريخ بلاد بندي من ايطاليا تارة يخاطبها بالاشاهد للصورة اطوارها وقسم منه حيوانات غريبة منها الغول المسمى بالاكورا الذي هو نوع من القرد الكبير وقد مر ذكره في باريس وأنواع أخرى من القردة صغار شبيهة بالانسان الزنجي وفي القصر الزجاجي أيضا (قسم) لبيع التحف والبضائع الرقيقة وقد رأيت فيه نحو سبعة رجال من العرب من أهل الشام ومصر والمغرب متخذين محلات لبيع تحف بلادهم والطريات (والمحصل) ان هذا القصر الزجاجي جامع لاشئ من الطراف والمناظر (ومن الاماكن الشهيرة) في لندره أيضا التربة المروفة ترافدا كرو فيها عمود بلسون المبنى من المرمر ارتفاعه ١٧٦ قدما انقبض وعليه تمثال وحوله شرفات من النحاس اتخذت من

مدافع أخذت من الفرنسيين وحول العمود فوارتان بالماء أمامهما صورة الملك شارلس الاول وكان نصب العمود (سنة ١٨٤٣ ومنها عمدة) أخرى (ومنها) الملهى المتعددة وقد شرعوا في بناء أكبر ملهى في أوروبا وأكثرها تأنيقاً ببناءه الملهى قران لوبرة في باريس لكنه لم يتم الى الآن وأجرب ما رأيت في مملكتهم في محل التذخيرة من اللعب ان يمتازت تقع في الهواء الى السقف وتغيب فيه وتارة لما ترتفع الى نحو نصف الغضاء تذهب في الهواء طائفة الى جهة اليمين من المتفرجين من غير أن يرى لها ماسك أو شيء تعلق به وقت مدخاضت صحفهم في ذلك ولم يقفوا على قول حقيق في صورة ذلك في براني شعرت بأنهم يملكون الضوء عند اعادة تلك اللعبة (ومنها) دار الامتحانات العلمية (ومنها) قصر الندوى وهو أعظم بناء في هاته البلاد ويمكن ان يقال في أروبا أيضاً هذا قصر الفان كان برومه فهذا القصر بلندره يشغل على ١٢٦ مدرجا وأزيد للصعود اليه وأكثر من ١١٨٠ بحجرة و ١٩ ايوانا (ومنها) ايوان الاجتماع الرسمي الرحيب ويشغل على اسرة ومقاعد ومطاعم وقهاوى بحيث ان أعضاء الندوة اذا حوججهم الحال الى اقامة ايام هناك فلا يحتاج أحدهم منهم إلى سوى الملبوس يأتي به من محله ولما كان ليالهم طويلا يقضون أشغالهم فيه فكان في القصر من التنوير ما يتعجب منه الناظر وكذلك أمر قد فتمته (ومنها) المتحف البريتاني الشامل للآثار العتيقة والذخائر الغربية وعلى نحو وودونه عدة متاحف أخرى (ومنها) دار الصرف اى البنك الدولى وهو أعجب بنوك أوروبا كبراً وغناؤه من الذهب فقط عشرات آلاف الملايين مخزونة قطعاً كبيرة وصغيرة للذوالة ولما يؤمن ماله فضلاً عن المصوغ والفضة وللخزينة حمل حصصين محاط بالمياه خشبية الحريق (ومنها) البورس أى محل اجتماع التجار (ومنها) مجامع التجار العديدة (ومنها) قصر الهندى محل ادارة الهند الموزق (ومنها) دار شيخ البلد (ومنها) الحصن العظيم المسمى توراف لندره (ومنها) منزل للمسافرين المسمى ريمس ما ذت وهو خارج البلاد على رهوة مطبل على ضياع ومرج ونهر ويتما به الناس لال كل بكثرة ولله كفى بقلة وأكله أحسن من غيره (ومنها) بيتان الملك وقصره خارج لندره أيضاً المسمى هيمبتون كورت وليس به من الغرائب الاعريشة عنب واحدة مفروسة في بيت من الزجاج لوقايتها من البرد حيث ان شدة برد انكالاته يمنع من نبات العنب بها فكانت هاته الشجرة معتقة في ما نذا زيد من قرن وقد ظمت جداحتى ملأت أغصانها جميع البيت التي طولها نحو الاربعين ذراعاً وصارت تثمر الافان العناقيد ولا يخرج منها

عنه وقد لا يتدكره من عند ذات المملوكة ثم ادى بها من تخلفه من الاقارب والاعيان وعلى  
تلك الشجرة قيم خاص وخدمة وتقصد للتفرج بانفرادها (والحاصل) ان لندره لا تؤنس  
الوارد بنظرها الاجامى ومحاسنها مخبئة يروق بها الاعالى من الناس ومن أكرمهم هو - م  
حتى انهم ليست بها قهاوى كفى سائر أروبا وليس فيها الاطانات لا يدنها الا الالسة هاء أو  
حوانيت تبديع الخلويات لمن يدخلها واقفا ومنها عمود مصر المسمى بالمسلة موضوع  
\* على عدة نهر التيمس الخاوية للقصور الملكية وسائر مهمات لندره وقد صرف على  
جانبه من اسكندرية أموال باهظة تجاوزت عدة ملايين من الفرنك وأنشئ بجانبها سفينة  
خاصة بخزيرة وصاحبها المراقبة سفينة أخرى وتلقبت عند الوصول الى لندره باحتفال  
وركزت في موضعها غير ان هذا الموضع وما حوله ليس مما يذكرو بينه وبين مركز المسلة  
بيارس بون بعبه وكان الانقلاز انما قصه - دو الاسم وضع مسلة بقاعدتهم لانهم أرادوا  
\* جالها وبهاها (ومنها انمال) زوج المملوكة الخالة المتوفى سنة ١٨٦١ افاقيم له شمال في قبضة  
\* هيت بارك من أعظم الهياكل بناء ورواقا واتقانا من أنواع المرمر الملون المزخرف  
بقناطر الذهب وصرف عليه عدة ملايين من الفرنك (ومنها) المكتبات العديدة  
الخواوية لالين الكتب واحداه اشامله لالكتب التي غنمت من ممالك الهند التي  
استولى عليها الانكليز سنة ١٨١٧ باثا وهاتيه المكتبة ليس بها قاعات وأواوين كبيرة  
كغيرها وانما هي عبارة عن قصر ضخم كقصور اسكنى الكبيرة في باريس وفيه  
عدة طبقات وكل يشتمل على بيوت بها نوع من الكتب والفنون وعلى كل نوع مدير  
تحتة عدة قيمين والكتب الجلوية من الهندي على طبقات القصر في عدة بيوت ضيقة  
غير مرتبة ولا نظيفة والقباب على أكثرها ووضعها في الخزان على ترتيب وضعها في دفتر  
قيد اسمائها وهذا الدفتر انما رتب منه مدعها - مدقرب لان الكتب أتى بها من  
الهندي في أزيد من أربعين صندوقا كبيرا وبقيت متروكة على حالها زمانا طويلا ثم لما  
فحصت الصناديق وجدت ملائمة بالكتب وضعت هناك زمانا طويلا من غير ترتيب  
ثم كلف بتمضيدها وكتب فهرس لها أحد المستعربين من جهات سوربة فرتها على  
حسب حروف المعجم في اسمائها من غير نظر اوضاعها ومعانيها فوجدتها مجعوعة  
ولاجامع الحروف اسمائها ولم يتمها كلها بل قيد منها ألفا وخمسين مجلدات ربي  
غيرها غير معروف ثم ان الكتب المزخرفة والاوراق المذهبة جهت في صناديق  
من الزجاج للناظرين فترى ورقة من صحف كرم وبازاتها ورقة من تصاوير الصينيين

الى غير ذلك وتشتمل هذه المكتبة على كتب غريبة قليلة الوجود او غير  
معروفة وقد طبعت مع ماتم من فهرسها واعطيت منه نسخة وايس هو مجرد اسم الكتاب  
بل يذكر اسم وطالعتها وخاتمتها ومؤلفها وكاتبها وسنة بالعرفي مع الترجمة للا نكايزي  
وماريات به نسخة من التلويح بخط جميل صحيح اظنها بخط المؤلف حيث قال في آخرها  
كتبت هذه النسخة للشاب العزيزني وأنا العمدة المذنب الغريب الموسوم بسعد  
التمتازاني غفر الله ذنوبه وسعير عيوبه وهو المحترم المكرم صاحب المروعة والكرم علاه  
الملة والدين بالغه والله اقصى ما يتمناه اه وعلى ظاهر هذه النسخة خاتم مدغم كانه  
خاتم تيمورلنك والله اعلم

## الفصل الثالث

في وصف انكلا تيره

سمى عانة المملكة جزيرتان كبيرتان احدهما أكبر من الاخرى واقعتان في البحر  
الشمالى من أوروبا تبعدنى من دقيقة ٥٧ ودرجة ٤٩ شمالا الى دقيقة ٥٥  
ودرجة ٠٦ وفي الطول الغربى معتبرا من باريس من دقيقة ٣٤ ودرجة ١  
الى دقيقة ٥٠ ودرجة ١٢ ويحدهما من ثلاثة جهات المحيط الشمالى ومن الجهة  
الرابعة الخليج المسمى بالندس الفاصل بينهما ما وبين فرائسهم يفصل بينهما في ذاتهما  
شاليج ما جرس وبحر ارلانده وكبرها تين الجزيرتين يسمى انكلا تيره وجهاتها الشمالية  
تسمى اسكوتسيا والجزيرة الصغيرة تسمى ارلانده ولهذا كانت هذه المملكة معتبرة ثلاثة  
اقسام نظرا للتاريخ القديم ويسمى مجموعها الاكن برية طاقيا العظمى وعلى الاجمال  
فارضها خصبة جدا ذات مزارع ومراعى واسعة الاجهات الشمالية المسماة اسكوتيا  
فانها الشدة يرد بها كانت غير صالحة للزراعة وهاته المملكة اراضها منبسطة بهاربات  
قليلة الارتفاع وكاهها موروحة حسنة المنظر متقنة الصناعة (وأما الجبال) فهى منخفضة  
بها الا فى اسكوتيا فانها مرتفعة شاهقة وليس بها جبل بل كاني (وأشهر) مكان فى الجبال  
جهة الشمال على البحر فى اسكوتيا المكان المعروف بجمشى الجبابرة وهو اعمدة صخرية  
مركبة على بعضها الى علو ٤٠٠ قدما بنائية الاحكام خلقة فكانت نزهة للناظرين  
(وأما انهرها) فكثيرة واعانها نهر ساورن الذى يصب فى المحيط عند مدينة بريستل  
ونهر مرهى الذى يصب فى بحر ارلانده عند مدينة لينفر بول ونهر راليمس الذى يحمل

السفن العظيمة الى مدينة اندروو بين هاته الانهر ترع عظيمة سهلة المواصلات وكذلك  
 نهر شانون في ارلانده والترعة الماكية به الموصلة بين البحرين (وأما بحيراتهما) فكبيرة  
 أيضا وهي في اسكوتسيا أبهج ما يحيط به من المرج والجبال ولذلك كانت ممتدى  
 الافتياء في الصيف وأشهرها بحيرة نس وبحيرة لومندطولها نحو ٣٠ ميلا وكذلك  
 بحيرة نياغ في شمال ارلانده وبحيرة أرن فيها أيضا (وأما هوارها) فهو على العموم بارد  
 وفي الشمال أشد وسام موافق للصححة لكن يكثر فيها الضباب صيفا وشتاء وكذلك المطر  
 الذي يسقي حوز وعاتهم صيفا وشتاء ويوم الصحو الذي يظرون فيه زرقة السماء يعد من  
 حسنات الايام لان الضباب يتكاثف أحيانا الى أن يحوج الى ابقاء النور نهارا وربما  
 كان فير مجد الا في البيوت والمسقعات أما في الطرق فالنور راغيا يقوم بنفسه ولا تخرق  
 أشعته تكاثف الضباب وكذا المطر أن لا يفارقهم ثلاثة أيام متواليات وقديس تدمر  
 في الصيف الى أشد من أقاليم خط الاستواء سيما في دواخل القارة حتى يموت الناس في  
 الطرق وذلك لانعدام التسييم وسكون الهواء سكونا زائدا في شتد الحر الى درجة عالية  
 للغاية لكنه لا يدوم فها هو الا يوم أو بعض يوم وتعقبه السحب والامطار والبرد (وأما  
 نباتاتها) فهي نباتات الاراضي الباردة والجهات الوسطى والجنوبية ينحصب فيها سائر  
 الحبوب وان كانت لا تكفي السكان وأما العنب وماشا كله من نبات الاعدة دال والحر  
 فلا يوجد منه الا ما يجعل له بيوت خاصة مع الحجة بالتسخين الناري ومع ذلك فتجد الارض  
 هجة مخضرة بالنباتات الكثرة العلاج واتقان الفلاحة وتجرية المياه وغاباتها كثيرة  
 بها الاشجار الضخمة الصالح خشب الانشاء السفن العظيمة فيراها الناس معمرة لا غاب  
 الدقاع ونباتات المراعي خصبة جدا تسمن عابها الحيوانات (وأما معادنها) فالغنى منها  
 الحديد والنجم الحجري بكثرة في أغلب الجهات وفيها الرصاص وغيره وهي أدنى مما تالك  
 أوربا في المعادن (وأما حيواناتها) ففيها كل أنواع الحيوانات الموجودة في فرانسسا  
 واطاليا كما سبق ذكره والسياع منها منقطعة للاجتهد في ازالتهما من قديم فان وجد  
 شئ من صغار السباع فاعسا هو في الجبال الشمالية وذلك كالدب والتعب وماشا كلها  
 وأول من اعتنى بافناء السباع من المعادكة الملك أدغر المتولى سنة ٩٥٩ فقد أزم  
 رعيته في كل سنة بأن تأتيه بثلاثمائة ذئب واستمر ذلك الى ان فنى ذلك النوع وقد  
 كان ما لك أرضها مع خيشه الشديد لان الذئاب الشمالية كالسياع الكبيرة في الحررة  
 والاذابة كما شاهد الاثن في الروسية وخيلها جيدة للغاية وفيها من أجود الخيل العربية

لشدة العناية بعجائبها وتوليدها وتربيتها حتى فاقت سائر أروبا في الخيال وكذلك غنمها  
 أحسن أنواع الأغنام وصفها مرغوبة للصناعات النفيسة لأنها كادت أن تكون مثل  
 الحرير (وأما مدنها فقاعدتها النادرة) وقد مر ذكرها وبقيمة المدن كثيرة ومن أشهرها  
 ليفربول وهي ثانية نادرة (في التجارة) واقعة على مصب نهر مرسي في بحر ارلانده وفي  
 مرساه من السفن ما يستغرب من كثرتها ثم (مدينة) مانشستر لها من الشهرة ما يناكب  
 السابقة وهي شرقها على نحو (٣٢) ميلانم (مدينة) بيرمنهام ثم (مدينة) رشفيلد  
 (ومدينة) كدرمنستر وفي أسكوتسيا (مدينة) ايدنبر (ومدينة) ابردين (ومدينة)  
 دندي (ومدينة) كلاسكو وهاتاه أعظم انخواتها تجارة ومركزها معارفها في ارلانده أربع  
 عظيمة (أحدها) جهة الشمال وهي بلغاست (الثانية) جهة الشرق وهي دو بلين  
 (الثالثة) جهة الجنوب وهي كورك (الرابعة) جهة الغرب وهي غلوه وكل من هاته  
 الأربع قاعدة للقسم الذي هي فيه وهناك مدن أخرى عديدة غيرها (وأما مراسي)  
 هاته الممالك فثبت كانت هي جزائر بحرية فكادت مراسيها أن لا تعدوا أكثرها محصن  
 تحصينها جميعاً حتى أن كثيراً من الحصون في المراسي البحرية صارت الآن مدرعة  
 بصفائح الحديد الثمين الذي لا يهمل فيه الكور من المدافع الجديدة وفي بعضها معامل  
 للسفن المدرعة والنشبية ومن هاته المراسي ما هو مأمن للسفن بأصل الخاتمة كأكثر مراسي  
 ارلانده لان في شطوطها تعاريج كثيرة حسنة المنظر ومنها ما هو مأمن بالصناعة وتحتجى  
 الى هاته المراسي التجارة في السفن والبواخر من سائر الاقطار وأكثر سفن العالم انما هو  
 لانها تكفي كما يأتي توضيحه ان شاء الله تعالى وقد تقرر ان لها على شطوطها الهداية للسفن  
 ليلا أزدي من مائتي منارة (وأما تقاسيم المملكة) بالنظر للإدارة فهي في انكلا تيره  
 الاصايات اثنان وخمسون مقاطعة وفي أسكوتسيا ثلاثمائة وثلاثون مقاطعة وفي ارلانده أربع  
 مقاطعات فاجمع تسعة وثمسون مقاطعة لكل منها إدارة على نحو ما يأتي بيانه ان شاء  
 الله (واعلم) ان هاته المملكة تتبعها جزائر أخرى صغيرة حوالها كثيرة أشهرها جزيرة مان  
 وجزائر نورمونديا وذلك عند المستعمرات الخارجية لأن ما ذكره هو قطعة من ذات  
 المملكة (وأما أهل المملكة) فهم اثنان وثلاثون مليوناً كلهم انكلا تيريون وديانتهم  
 نصرانية على مذهب البريستانت الالبعض وهم أكثر أهل ارلانده فهو ولاية على  
 مذهب الكاثوليك ويوجد فيهم قليل من اليهود والذهريين وأفراد من المسلمين منهم من  
 أهل المناصب العالية والبيتوتات الكبارة الملقبين باللورد كاللورد اسقارني وهو من

الصادقين في الاعتقاد الاسلامي ولله الحمد دخل اليه عن رؤية وبرهان نسأل الله مزيد  
 \* الشهادة والحماية وعلو الكعب والهداية ثم ان هاته الممالك لهامة مستعمرات واسعة في  
 جميع قطار الارض حتى كانت اول دولة في العالم في اتساع الممالك وثاني دولة في كثرة  
 الرعية اذ هي تالية لدولة الصين في كثرة الرعية لكنها الاولى في اتساع الممالك وعلو  
 الشأن في اقطار الارض جميعها فاعظم مستعمراتها هو الهند ومما معه وقد مر في المقدمة  
 تفصيل ما وصلنا اليه من احواله ولها في آسيا أيضا جزيرة هنكونغ في الصين ومدينة  
 عدن وباب المنسب وجزيرة يريم في جزيرة العرب وجزيرة قبرس في البحر الابيض دخلتها  
 بمجاهدة مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٥ وجماية على مسقط وبعض قبائل شطوط  
 جزيرة العرب الشرقية ولها في أوروبا جزيرة الباسغولاند في بحر الشمال وجزيرة  
 \* غرني في بحر المانش وجزائر صغيرة حول المغرب الشمالي وجبل طارق الهائل  
 الحصين في ارض اسبانيا على المخرج الموصل بين المحيط والبحر الابيض المسمى ببوغاز  
 طارق لان طارق هذا هو الذي عبر البحر من افرقيته واسم تلك الجبل المذكور للمسلمين  
 قحبي به ثم افتخ ببقية الاندلس وكذلك لها في أوروبا جزيرة مالطة في البحر الابيض  
 وسبأ في تفصيل حالها ان شاء الله ولها في افرقيته شطوط من سانيةفال وجبال الاسد  
 في كينيا العليا وارض شط الذهب فيها اوراس الرجا الصالح وجزائر سنتين وموريس  
 ولاسانبول وشطوط في جزيرة مدغسكار ولها انواع حماية او سلطة على ممالك مسقة  
 في افرقيتها ايضا مثل الزلوس وغيرها في ارض الكفرونه في الزنجبار ولها في  
 اماريكالبرينيتا الجديدة في شمال اماريكال كندا وبرنزويك وسكوسيا ولا برادور  
 وكها توصف بالجديدة وجزيرة الارض الجديدة وارض اخرى غربي شمال اماريكال  
 وجزائر المغرب الشمالي وجزائر الاندلس الصغار وجزائر جامايك ويمان الانكليزية وما  
 جيلان ولها في استراليا الشط الشرقي ومعظمها من بقية الشطوط وجزائر ترميانا  
 وزيلانده الجديدة ونورفولك فاذا نظر المتأمل لاتساع هاته المستعمرات وافتراقها على  
 جميع اقسام المسكونة علم مقدار اقتدار هاته الدولة وسيأتي في فصل التاريخ ان من  
 حسن ادارتها كانت هاتيك الممالك قوة لدوائها لاجابة لضعفها وهذا جدول لعدد  
 السكان

(٣٣)

سكان انكلا تيره	٠٢٢٧٠٤١٠٨
سكان اسكوتسيا	٠٠٣٣٥٨٦١٣
سكان ايرلانده	٠٠٥٤٠٢٧٥٩
سكان الجزر التابعة لها	٠٠٠١٤٤٤٣٠
سكاكرو بحرية خارجها	٠٠٠٢٠٧١٩٨
سكان عمالها بالهند	١٦٢٠٧٢٧١٥
سكان بقره اما كن باروبا	٠٠٠١٦٠٣٦٩
سكان عمالها بامرىكا	٠٠٥١٣٣٧٢٢
سكان مستعمرات افرىقيا	٠٠١٨٦٠٠٠٠
فى استراليا	٠٠١٩٥٨٦٥٠
فى بقية الجهات	٠٠٠٤٢٦٠٤٧
	٢٠٣٤٣٠٦١١

## الفصل الرابع

﴿ فى اجمال تاريخ انكلا تيره ﴾

مطالب فى تاريخها القديم لا يفتى ان سائر اربا كانت فى الاعصر السالفة على جانب عظيم من التوحش واذلك كانت تواريخها القديمة عقيمة بجهولة ومن ذلك تاريخ انكلا تيره ايضا وغاية ما يعملم من احوالها ان قوما من السكنديين اى قدماه الافرانسيين الذين مقرهم فى فرانسايين نهر السيز ونهر غارون عبروا الى اراضى انكلا تيره بقصد توسيع التجارة فلم يجدوا لهم ممانعا واطمأنوا وطغرا هناك ثم لحق بهم فرقة من اهل البلطيك وبقوا جميعا على التوحش التام بحكمهم بايدى رؤساء القبائل بل العائلات حتى ان غير هؤلاءهم كالعبيد بايديهم ويديهم كهان لهم سيطرة على الجميع بما يتعلمونه خفية من علم السجيا والطبىعيات ووهوا العامة من بخرق العادة لهم حتى اعتبروهم كالالهة وكانوا جميعا يعبدون الاصنام حتى انهم يقربون الهى ساء الانسان بالقضية لها وفى سنة ٥٥٠ قبل التاريخ المسيحى عبروا الى انكلا تيره بولوس قيصر بجيوش الرومان فلم يتمكن منها المعارضة الاهالى مع هيجان عظيم فى البحر ثم عاد اليها ثانيا واستلك منها بعض الجهات ليكنتم لم يستقر حالها ايضا وفى سنة ٤٣ بعد التاريخ المسيحى احاد



الرومان المكررة واقتنحو الجزيرة وارسلوا رئيس حصبتها الى رومة أسيراً ثم ازداد الرومان  
تكتنا منها بما وقع من التخاذل بين أولئك الكهان الى ان ابادوهم غـ يرانه كانت احدى  
القبايل مترسدة عاميمـ م امرأة يقال لها يوديكيا فاستنصت جميع الاهالى وقهـ رت  
الرومان وقتلت منهم (سبعين) انفا ثم اعادوا المكررة وانقموا من الاهالى حتى قتلوا منهم  
ثمانين ألفاً وازادوا عليهم العذاب المعروف من الرومان ثم عدلوا فيهم وكل اخضاعهم  
بالعدل أحسن من السيف لكنهم شعبهم أهالى اسكوتسيا الساكنون في الجبال بغاراتهم  
المتتابعة فبئس ما بينهم سوراً ثم آخر أعظم منه طوله ثمانون ميلاً وذلك في حدود سنة ١٢١  
مسيحية وفي سنة ٦٨٧ استبد على الرومان احد قوادهم عيل الاهالى اليه وصار ملكاً على  
انكلا تيره ثم عادت الى الرومان بال حرب لثـ كائراً لانه سلمات الداخلية ودامت ولاية  
رومانية الى القرن الخامس وفي مدة استيلاء الرومان التي هي أربعة قرون حصلت  
الاهالى على معارف جيدة عما كان عند الرومان حتى كانت ذات مدن وحضارة  
وصنائع وتجارة لما في الاهالى من النشاط الى الكد ثم في سنة ٤٢٠ اضطرت الرومانيون  
الى تسليم انكلا تيره لاهابا ورفع جيوشهم منها لما وقع في ايطاليا من الحروب الالهية  
والخارجية فكان حفظ قاعدتهم أولى لهم من حفظ المستعمر غير ان اهالى انكلا تيره  
وان حصولها على ظمن التمدن بسبب المتسلط عليهم فقد فقدوا ما يوازي ذلك من  
الجريرة والشجاعة للهوان الذي جعلوهم اياه فلم يستطيعوا الاستقلال بانفسهم لاجحة أهل  
الشمال من جبال أسكوتسيا فاذلك استنجدوا قبيلة من الالمان مقرها على مصب نهر  
الالب من اوروبا الشمالية تسمى السكسونية لما كان بينهم من المودة والخالطة وطابوا  
منهم الاغاثة على دفاع الاعداء فأنجذوهم لكنهم استأثروا عنهم بضائفة النصر فجلوا  
الاهالى كالعبودية وتلكوا عليهم وعند ما أرادوا دفاعهم شتموهم واستقلواهم بالبلاد  
ورحلت فرقة من اهل انكلا تيره فارة بحياتهم الى اراضى فرانسار تسمى المكان الذى  
استعمروه منها باسم برنيطانيا نسبة اليهم حيث كانوا من أهالى برنيطانيا وكان مبدأ  
اسم ملك السكسونية من سنة ٤٤٢ ميلاديه ثم قسموا انكلا تيره الى سبع ولايات  
تسمى باسماء اعيانهم ولكل منها أمير ير جمع الجميع الى ملك وهو واحد منهم وشاع ذلك  
منازعات في هاتيك السيادة دامت بسببها الحروب الداخلية وعند ما فاز بها ملك ولاية  
كنت احد السبع المذكورة دخلت في الاهالى الداينة الزمرانية وذلك سنة ٥٩٦  
وامتدت الهونيافهم الى ان عمتهم وفي سنة ٨٢٧ زال استقلال سائر الولايات بدخولها

جميعاً تحت تلك الملك واسميكس وهو اغبرت وهو اول مستحق حقيقة بالجميع واول ملك  
 لان كلا تيره جميعاً من العائلة السكسونية ونوارثت الولاية اولاده وفي مدنتهم هجم عليهم  
 أهلى الدانيرك رتلكوا اولاً عدة جهات ثم عمت ولايتهم لانكناهم تطل واسترجع  
 منهم الفريد الملك الاصلى من العائلة السكسونية بعض الجهات ثم عقد معهم صلحاً ومعاهدة  
 على الذب والاقدام واشترط عليهم الدخول فى النصرانية ثم التفت الى اصلاح البلاد من  
 جهة التمدن ومن جهة القوات الحربية وأدمل جراحاتها ورقاها الى أوج حسن ومع ذلك  
 كان منكبها على التأليف والترجمة فاقد أمته فواندجسية وفتح لهم بابان الحريية حتى  
 كان من جملة حكمه التى جرت عندهم مثلاً الى الآن قوله يجب ان يكون الانكبا تزاراراً  
 مثل أفكارهم ومثل ذلك لقبه هذا الملك بالفريد الكبير وكانت وفاته سنة ٩٠٠ ومن  
 مشاهير ملوكه هاته العائلة حفيد المذكور اسامستان الذى أتم استخلاص المملكة من  
 بقية الدنمرك ورتقى قواته الحربية الى أن رغب فى موالاته غالب الملوك من أروبا فعد  
 الصلح مع فرانسوا صاهر باخته ملكها وباخته الاخرى ملك المانيا ومن مشاهيرهم  
 ايضا الرضوتوا المستولى سنة ٩٥٩ فانه أبانغ القوات البحرية الى درجة لم تعهد لهم فى ذلك  
 التاريخ حتى صارت سفنه أربعمائة سفينة وكان يتفقد بنفسه المملكة مرة فى السنة وهو  
 الذى قطع الذئاب منها كما مرأنا ومنهم أيضاً الملك اثريل الذى كان سبب اسبتيلا  
 الدنمرك على المملكة بقتله جميع من كان فيها منهم فافتتحوها ببحر وبذريعة تلك منهم  
 على انكلا تيره ثلاثة ملوك أشهرهم الملك كوف الذى عم العدل والراحة حتى استطاع  
 السفر عن الزياره البابا فى رومية وكتب الى عماله بما تعريه اهلوا جميعاً انى نذرت  
 حياتى لله وأن لا أحكم فى مسالكى الا بالعدل وأن لا أفعل فى كل أمر الا المستقيم فان كان  
 صدر منى وأنا فى عنفة وان شئى يبيتى وعدم مبالاى ما يناقض ذلك فها أنا ذاقده عزمت بحول  
 الله على تعويض ما فرط منى ولذلك أرجو وأمر كل من قلده شئى من الامر ويريد  
 خلاص نفسه وبقاء طاعته لى ان لا يظلم أحد اسواء كان فقيراً أو غنياً ولتسوا بين الاشراف  
 وغيرهم فى انالة حقوقهم على مقتضى الشرائع التى يجب حفظها ولا يجوزكم عن ذلك  
 الخوف منى ولا تطلبوا رضاه الاشراف ولا الميل الى ملى خزائنى المسالية فانى لأحب مالا  
 جمع يظلم اهل وبعد وفاة هذا الملك ثارت الفتنة بين أعقابها وأعقاب العائلة السكسونية  
 الى ان استولى منها اثنتان فى ارتبها كات متوالية حتى انقرض الجميع سنة ١٠٦٦ ويبنما  
 كانت الاهلى فى نزاع فبين يملكه عليهم وماذا باحد ادمراء ولاية نورمندية التابعة

لفرانسا قد هجم عليهم وقهرهم جميعا واستقر ما كاعا ما على انكلا تيره وعلى نور من مدينة  
 مع انم حصان له حروب في انكلا تيره جعلته على الانتقام بالقتل لاهائها وفساد الزرع  
 حتى نشأت عنه مجاعة مات فيها نحو مائة ألف نفس ثم نار عايبه ابنه الذي خلفه في نور  
 من مدينة و حارب به وانصر عليه و بعد موته خلفه ذلك الابن في كل من المملكتين مع حروب  
 دائمة فيه وفي خلفه حتى استولى هنرى الاول من افساده و حاربته فرانسافى عدة لوييس  
 السادس عشر لاستخلاص ولاية النور من مدينة وغلبها و نازع الالبان في حق اعطائه و نلأئى  
 الديانة واستقل هو مما مثل سائر الوظائف ثم تعاقبت الثورات والحروب تارة داخلية وتارة  
 مع الولاية النور من مدينة في استخلاص نفسها ونزع في التملك الى ان ولى هنرى الثمانى  
 اول العائلة البيلانية اجينية وهو واسم حشيشة كانوا يصنعونها في فلانديسهم ففسدت العائلة  
 اليها وذلك سنة ١١٥٤ فاعمل هذا الملك حزمه في ازالة تعصبات الجبهات و ازال ما فيها  
 من الحصون و خضر شيمانه من شوكة الاعيان و أجرى نوعا من التسوية في الحقوق فهذات  
 الحروب في مدته ومن مشاهير فروع في الملك ريكادوس الملقب بقلب الاسد المتولى  
 سنة ١١٨٩ وهو الذى اشترك في حرب الصليب ثم أسر عند النمسا و فداه أهله وقتل وهو  
 محاصر لاحدى القلاع في فرانسافولى أخوه يوحنا الموسوم باختلال العقل حتى خسر  
 ممتلكات الانكلا في فرانسافولى ابن أخيه فمات عليه الاعيان و الزموه بما يأتى  
 خبره و انتقلت حالة المملكة الى طور آخر

هو مطلب في تاريخ انكلا تيره المجد يدعى اعلم ان مبدء ظهور الحريية في جميع اوروبا  
 على الاصول المعروفة هي انكلا تيره ولذلك كانت هي اسبق ممالك اربا الى ذلك  
 وحصل فيها هذا الامر على نحو ما سياتى ولهذا اعتبرنا ذلك فهو تاريخ جديد الى انكلا تيره  
 لانها استمرت على اصوله و زادت سارته الى الآخرة وان اعتمدت في الايام توفقات  
 ومعارضات تارة فمخضد شوكة القنون وتارة تزويلها لكن على كل حال قد نشبت اصوله  
 وأدركتها العقلاء ومرت منهم الى غيرهم الهويناشان الاصلاح في كل شئ (وحاصل  
 هذا البناء) ان الملك يوحنا و بافتهم جانسانتيرما تصرفات أضرت بالمملكة  
 والدولة تعصب اعيان المملكة و فرضوا قانونا موه بالشرط الكبير و الزموا الملك بقبوله  
 وامضائه والعمل به وذلك في سنة ١٣١٥ فلم يسهه الا العمل بذلك و ملخص هذا الشرط  
 الكبير هو ان الملك التزم في حق نفسه وحق من يأتى بعده بمخ الحريية الى جميع الانكلا  
 وان فرض الضرائب على الامة لا يكون الا برضا مجلس مركب من الاساقفة و رؤسائهم

وأهل

وأهل المخطط المدينية والأعيان من الامة أصحاب الغاب البارون والكنيت والمتوظفين  
في الدولة وان ذلك يجرى أيضا فيما اذا اقتضى الحال جعل امانة مالية على مدينة لندره  
مع بقاء حريتها القديمة وان مجلس المحكم العام لا يلزم انتقاله الى حيث ينتقل الملك وان  
المكتنين للاراضي لا يلزمهم العقاب المالي لاجل هفواتهم وانما يكون العقاب على  
الجنانية ولا يؤخذ لاجلها الا بما يزيد على القدر الضروري للجناني وهكذا الباعة والسوقة  
لا تنس رؤس أموالهم ولا تعطل حركاتهم التجارية ولو لجنانية وكذلك الفلاحون الذين  
تحت تسلط الملك أو أصحاب الاملاك لا قوض عليهم ضرائب العقاب عند الذنب الا بقدر  
الطاقة بحيث لا تعطل أشغالهم وان جنائيتهم المزمرة لذلك لا تثبت الا بشهادة اثني عشر  
نفسا ممن يرضون للشهادة مع العيدين وان يبطل عمل القسطنطين بأخذ حيوانات الالهالي  
وبجلايتهم لم يحل انقال الملك وان يتخذ عيار التكيل والوزن والقياس في سائر الاماكن على  
عيار لندره وان لا يمس حق لانسان مطلقا في كل ما يرجع لذاته وماله وعرضه ولو من الملك  
الا بقتضى القسافون وحكم المجلس به وان لا يمنع أحد من السفر الى أى مكان اراده برا  
وجوا ولا يمنع من الرجوع متى اراد مع التزام الطاعة على مقتضى القانون (الح) فن  
تأهل ما يخصه من ذلك الشرط يعلم ما كانت عليه الحالة سابقا بما يناقض الشرط المشار  
اليه انهم حافظ ذلك الملك ابنة هينري الثالث ورام في الملك خمس وخمسين سنة مع كونه غير  
جدير بالنصر فوات وانما عند بقاء العمل بذلك الشرط وزاد تأكيده بالقانون المسمى  
بتقرير كسفر رندسة الى البلاد المنعقدة او لمصلحة ان مجلس البارلمان أى مجتمع  
البارونات هو الذى يعين اعيان المتوظفين والمحكام الذين يتبدلون في كل سنة ويجرس  
قصور الملك ويجمع ثلاث مرار في السنة ويبقى في بقية السنة لجنة منه مركبة من اثني  
عشر عضوا يتفاوضون دائما مع مجلس الملك ويوافقون في كل مقاطعة أربعة أعضاء لقبول  
الشكاية من الاعيان والمتوظفين ويعرضونها على البارلمان عند أول اجتماع (الح)  
ثم ولي ادورد الاول المقلب بذي الساقين سنة ١٢٧٢ فوحدات في مدته اياالة والس قمت  
انكلا تيره وولد ابنة بهار وهذا صار لقب ولي العهد برنس والس وبرنس دى فال نسبة الى  
الى المكان المولود به من الاسبين المذكورين ثم ولي ابنة مادوارد الثاني سنة ١٣٠٧ بعد  
حروب طويلة في مدة المملكين أفضت بالثاني الى الموت في السجن واستولى بهار ابنة  
ادوارد الثالث سنة ١٣٢٧ وهو ابن اثنتي عشرة سنة وهو المبتدى لحروب المائة سنة  
مع فرانس ابدعوى استمقاها تاجها لانه من ذرية البنات الاقرب من فليب غارامال كما

واسـتولى على كالى وبردو وبايون مع مستنبتعاتها من فرانسابعـد حروب هائلة وفى مدته  
 \* ظهر مذهب البرتيسناز الذى انتشأ فى انكلانديره من رجل فاسق متدين بالذصرانية  
 ولازال يتقوى فيهـم ذلك المذهب والحروب مستمرة نارة للديانة وتارة لجور الملوك الى  
 أن استولى الملك هنرى الرابع سنة ١٤٠٠ وهو أول العائلة المسماة لانكسترنسية  
 الى دوك ولابرة تسمى بذلك الاسم ودامت الحرب فى أيامه الى أن خلفه ابنه هنرى الخامس  
 سنة ١٤١٣ الذى جمع تاج انكلانديره وفرانسابا فتناحه للمانية وعند موته توج  
 ابنه فى حضن مرضعته بمدينة باريس بالنساجين معالانه ابن تسعة أشهر ولقب بهنرى  
 \* السادس غير انه ضعف أمره بانه قياده لامر زجته عنده دشمو بيته فانتسخت انكلانديره الى  
 قسمين أحدهما تابع لهذا الملك والاخر ثامن العائلة السابقة واتخذ الاهالى شعارا  
 دال على التبعية فأتباع الملك شعارهم وردة جراه والاخرون شعارهم وردة بيضاء ولهذا  
 تسمى حروبهم تلك التى دامت ثلاثين سنة تجر وب الوردون خرجت فى مدتها فرانساي  
 واستقلت وكشفت الحرب عن رجوع الملك الى العائلة السابقة فكاندو فقطاع من الملك  
 ادور الرابع الذى تسبب فى ذلك ولم يطل الملك فى عقبه عند وفاته سنة ١٤٨٣ وغايته  
 انتزاعه من ابنه الصغير الذى تحت وصاية عمه فاغتمت العم الامر الى نفسه بقتل الموصى  
 \* عليه وأخيه معا واستمدده سنة ١٤٨٥ متلقيا بهنرى السابع وأثمر تأسيس  
 ادخال اواسط القوم فى ادارة المملكة بان ينتخب الاهالى منهم ثم نوابا فى مجالس للأوضة  
 فى مصالحهم وأن لا تشهر حرب الا بعد تعذر اطرافها رلوبتوسط اجنبي وسلم لفرانسافيا  
 بقى لانكلانديره همامن ايلة برنيخانيا باعوض قدره اربعمائة الف ليبره واغتمت من الاموال  
 خزائنها عظيمة حتى قيل انه خاف فى خزائنه الخاصة عشرة ملايين ليبره وارتنى الى ملكه  
 بعده ابنه هنرى الثامن سنة ١٥٠٩ وكان شديد البطش لانه نفع المملكة  
 بالاصـلاحات التى اجراها وهو أول من مذهب بالمذهب البرتيسناز وتعب له حتى  
 أمر بقتل كل من لا يقبله وفى مدته دخلت ارلانده تحت انكلانديره وصارت مملكة واحدة  
 \* وعلى عكسه ابنته المتولية بعد أخيها وهى مريم حتى لقت بالدمويه لقتلها أهل ذلك  
 المذهب بل حرقتمهم أيضا وخضعت شوكة القوانين ومجالس البارلمان بعزلها من  
 عارضتها وتولية من يوافقها وخسرت مدينة كلى من فرانسالحار بتم ايامها انتصارا  
 لزوجها ملك اسبانيا ثم لما خلتها أختها سنة ١٥٥٨ رفعت الاضطهاد الدينى وزاد  
 مذهب البرتيسناز انتشارا الى انشال الاهالى من الحورية فى سائر اطوارهم وحصوا على

درجات من التقدم بالصنائع والمعارف من هاجر اليهم من المائتيا و فرانسوا وغيرهما من أهالي المذهب البرتيسة انت لما وجدوا هناك حريتهم من القتل لهم في أوطانهم وفي مدتها عرف الشاى عندهم وعرفت الساعات وفي سنة ١٦٠٠ تشكات لجنة الهند التي تقدم بيان أعمالها في المقدمة وحيث لم يكن لها وارث عهدت الى أحد قرابتها وهو ملك المكوتيسيا الملقب بحس استوارد وبه اتحدت الاماكن وهو اول صائفة استوارد استولى سنة ١٦٠٣ وكانت أيامه على نوع من التقدم لانفته من المحروب وكادى مدته أن يحرق مجلس البرلمان في فيه بدسائس البسابق فوضع تحتة لغم لكنهم تنظروا له وولى بعده سنة ١٦٢٥ ابنه كارلوس الاول وتعاقم الخلاف بينه وبين الامة في حدود سلطته اذ أراد ان يبقى مجلس الندوة المسمى بالبرلمان صوريا وهو يتصرف كيف يشاء ويحمل المسؤولية على المجلس لاختضاع الامة وتبرئة نفسه فلما عارضه المجلس عزل أعضاءه وانتخب آخرين لكنه كان كلما انتخب اناسا كانوا على غمط سلفهم في معارضته حتى تفاقم الخلاف واشتد الحرب بين الامة والملك وكان من خزيه اغراب الاعيان وكبراء ليتنونات لمبايهم من الخبط من اطلاق الملك لانه كلما اطلقت يده اطلقت ايديهم أيضا فاحفظ بقدمه ونبه بل يكون لهم منه القسط الاوفر حيث ان كلا منهم يجتهد في خصوص مرضات الملك وحواشيه بتي من التماق والتعظيم الباطل الذي يستخر منه العاقل ويضيف الى ذلك جزء من الاموال التي يذتهبها رشايا لاولئك الافراد ثم يطلق عنان شهواته في ملايين من الناس على حسب ارادته يستعوض منهم كلما دفعه من المال والاعمال بل وربما انفذ اغراضه في اقراءه لما وقع بينهم من القهاسد والتشاحن فها هو الا ان يرضى تلك الشرذمة وينتقم من ضده بالقتل على اوجه لا تحصى منها الجهرى بدعوى من الزور وحكم مجالس صورية تلقن ما تقول من الليل ومنها السرى بالتمسيم وغيره من انواع لغدر او يحصل التنكيل بدون القتل كالتهريب والسجن مع اخذ المال نكل ذلك باحتيالات صورية على ظاهرا الاعيان اي قال انهم لم يبقوا الشواين حتى لا تتور العامة واما متولى كبر حزب الامة فهو البعض من الاعيان والكبراء وجهورا لواسط والرعاع فاما الباعث لهذا الجهور على ذلك فهو واضح لانهم هم موضوع الاغتيال الواقع فيه المنافسة وقد كانوا هموا من السابق ما كانت عليه حالتهم ثم ما آلت اليه بعد تاسيس القوانين والاحتساب عليها واما الباعث لبعض الاعيان والكبراء فربما اشكل مع ما قررناه في حق اغابهم لكنه في الواقع بين وهو ان هذا القسم

هاتين ينظر في العواقب ولا يستغنى بالعاجل عن الآجل فعلم ان الزخرفات التي تحصل  
بالتسلسل لا تدوم لانها ما استلها الى انقراض الامم وضعفها اقتحم عليهم امة اخرى قويه  
وتصبر او تلك الاعيان كالسوقة ( كما قال تعالى ) وجهوا اعزة اهلها اذ ذلك بضع لولون  
وزجبا عاضد السوقه وهم الجمهور ذلك المهاجم للاستراحة مما هم فيه وايضا فان تلك  
الزخرفة التي يحصلونها الى الاعيان بتسلطهم مع قلة مدتها هي في نفس الامر غير هنيئة  
لعدم الامن معها وعدم الاطمئنان عليهم الما اشرفنا اليه من كونها موقوفة على رضا  
شخص يتلاعب به أهواه حاشيته والمقر بين اليه لجرد أغراض شهوانية وبضحوامعها  
عرضة للاضحية متى ما اراد الملك فلا يامن المقرب من طبيعة الملك المفسدة للاخلاق  
فربما غضب عنه بمقر به اليوم لشيء كان يرضى به عنه بالامس وايضا لا يامن ديب  
سمايات اقرانه وحساده الغافلين عن كونها تجري عليهم مناجرت على صاحبهم كما قيل  
( من حلفت بحية جازله فليس كذب الماء على لحيته ) ولهذا انضم القوم حتى عقلاء حاشية  
الملك والبعض من رجال الدولة اذ يتقنوا انه لا خير لهم في نعيم لامن معه لاعلى الدم ولا  
العرض ولا المال ولا الحرم ولا الذريرة فإى نعيم يحصل لهم وهم على شفا جرف هار وكان  
مقدام هذا الخبز جـ لامن اعيان اليمتونات اسمه اوليفر كرومويل ذابسطة في المال  
والعقل والشجاعة وتوجرت حروب هائلة كشفت عن خلع الملك وحسنه ثم قتلته بحكم  
مجلس على انه حاشن للامة واستولى اوليفر رياسة الدولة بعد ان تاقب بجنرال وكان يوم  
دخوله بالعمرك منتهرا الى لندنه تلقاه الجم الغفير بالهناء والترحيب فقيل له ألم تر هذا  
الاحتفال من العامة بملكها المحامي عن انكلا تيره وجعل ذلك اقمه فقال ان هؤلاء  
الرعاع لا يلتفت لالى تعظيمهم ولا الى تحقيرهم فهم تبع للغالب اذ لو كان هذا اليوم  
أخرجت فيه الى القتل لكانوا خرجوا الى النفرج على مناهم اخرجوا الى لقاء الاثن وبه  
يعلم ان تلك الخلة جارية في سائر الامم على السواء اذ هاته امة الانقيا التي قيل في المثل فيها  
يجب ان تكون حرة مثل افكارها قد قال فيها زهير المـ المذكور ما سمعت بوقيت الدولة  
الانقيلزية جمهورية بضع سنين الى وفاة الجنرال المذكور واستيلاء ابنه من بعده  
واستعفائه في مدة قليلة فأرجعوا ابن الملك السابق سنة ١٦٦٠ ولقبوه بكارلوس الثاني  
وعاد على نحو ما كان يريد أبوه ونوق سباج القانون باستمداده على البارسان متمسكا  
باقامة خمسة من أكابر الاعيان لتدبير الامور وانفاذها بدون مراجعة الندوة وحابر  
هلا يند وأخذ منهم دينية نيورل من أمر يكاشم عقد معها ومع السويد محالفة على

فرائسهم اتحد مع فرائساعلى هلانند. ثم خضع للندوة وبقى مضطربا الى ان مات وخلفه  
 اخوهم جيمس سنة ١٦٨٥ فزاد الامراتيا كما ن ايماردا لذهب الكاتوليكي الى ان خلع  
 ونودي باحد احرء هولانده ليزوجه بابنة ملك انسكلا تيره الاسيق ولقب بويلم الثالث سنة  
 ١٦٨٩ فاحيا اجراء القوانين واتبع اشارة الندوة وارتاح في نفسه حتى لقب بالصياد  
 لاشتهاله براحمته ووجهه الا فراد بما هنتت به السياسة وذاته والمملكة وزادت الندوة  
 احكاما في شروط القوانين منها ان لا يتولى الملك الامن كان على مذهب البرتيسة انت  
 واحتاجت الدولة الى اموال لاصلاح داخلتها في ايامه فاستقرضت من الاهالي دهرارول  
 دين على الدولة وتشكل لاجله بنك انسكلا تيره اى محل اجتماع الاموال من اناس كثيرين  
 لاجل التمرك في التجارة بذلك المال اولا لاجل ان يقرض المال على شروط و ذلك البنك هو  
 المعروف الى الآن وذلك سنة ١٦٩٤ وهو دليل على اجراء القوانين بعدم غصب الاموال  
 من الرعية وترقت المملكة في ايامه بالصنائع والمعارف بزيادة من هاجر اليها من فرائسا  
 لمثل ما وقع سابقا من الاضطهاد المذهبي ثم خلفه الملكة يوحنا سنة ١٧٠٢ وفي مدتها  
 استولت انسكلا تيره على جبل طارق من اسبانيا واشتدت الحرب مع فرائسا وكان معاضد  
 الفرائسا باخرة واسبانيا ولا انسكلا تيره النمسا وهولانده ثم انقضت العائلة له بموت تلك  
 الملكة اذ لم يكن فيها من تتوفر فيه الشروط فنادى الاهالي باحد قرابة العائلة وهو امير من  
 الهانوفر من المانيا ولقبه جورج الاول سنة ١٧١٤ وهو اصل العائلة الموجودة الآن  
 واستقر امره بعد حروب مع فرائسا لارادتها ان يملك ابن من العائلة السابقة كاتوليكي  
 وبعد اسداسه تقرار جورج المذكور لم يسكن في انسكلا تيره وانما لازم بلاده والتصرف  
 بيد الوزراء والندوة ثم خلفه ابنه جورج الثاني سنة ١٧٢٧ ونشأت في مدته عدة حروب  
 منها الداخية لاجل الملك من بقايا العائلة السابقة ولم ينجحوا (ومنها) الخارجية واعطاه  
 مع فرائسا حيث كانت الحرب قائمة بين ابروسيا والروسيا وانما لاجل الاستيلاء على  
 بولونيا وكانت فرائسا ضد البروسيا معاضدة لخصمها فالت انسكلا تيره بروسيا لاجل  
 زيادة اشغال فرائسا فاحتاجت فرائسا لجلب قوتها من مسدعها اتمها باماريكا لتقوية  
 نفسها في اوروبا وعند ذلك هجمت انسكلا تيره على مالفرائسا من امريكا وضمتها الى  
 تمامها حتى صار لها اذ ذلك جميع مالها الا ان في اماريكامع جميع المال المتحد  
 الا ان وذلك بعد حروب هائلة ثم خلفه ابنه جورج الثالث سنة ١٧٦٠ واستقلت في  
 مدته امريكا اعنى الدول المتحدة وذلك لان دولة الانكايبرسا امتدت املاكهم هناك



وتكاثر فيها الخلق المهاجرون اليها رغبة في الغنى لما فيها من الخصب واتساع الاراضي الجديدة سمعت الدولة تلك المماكلة الى ولايات وجعلت عليهم - مولاة انكليز بينهم احق باهم مستبدين في التصرف ففحش ظلمهم للاهالي فاشتكروا منهم الى الدولة وبيدوا لها اعمالهم فمزلتهم واولت ولاية عن الاهالي بانتخابهم غير ان الانتخاب لم يكن حقيقيا بالرضى ولذلك اختلف في هوية الولاة اثر اسلافهم فتمكن المحقد على الدولة ثم انها زادت عليهم الضرائب لمارات من غنائم فنغروا منها حتى منعوا بالجمع مع اظهار الالاسه تطرح ان تجرى فيهم ضريبة الورق المحتوم في صكوك الحجج فساعدتهم الدولة لكيهاحتاتهم غيرها فعقدوا جمعية معربة واعلنوا الحرب بالاستقلال تحت راية الجمهورية سنة ١٧٧٦ وعاطتهم - م فرانسا واسبانيا وهو ندمنا لهم على انكلا تيريه من الضغث البحرية - ودامت الحرب الى سنة ١٧٨٣ التي عقد فيها الصلح بباريس على ان ترجع انكلا تيريه الى فرانسا الراضى سابقا بافريقيا وترجع الى اسبانيا اقليم فلوريدا في امر يكا وعلى ان تستقل الممالك المتحدة بامريكا الشمالية وتكاثر الحروب في مدة جورج الثالث المذكور مع فرانسا واسبانيا مع نابليون الاول واشتهرت اذذاك انكلا تيريه بالقوة البحرية والمهارة في حروبها البحرية لما اظهره الاميرال نيلسون من البراعة والشجاعة في مواته المتجاوزة على المائة وثمف واقعة واشتهر هاجومه على حصون كوتهاك فاعسده الدانيمرك مع ان القسم الكبير من الاسطول لم يدخل معه الى المضائق وانفرد به وعن تحت امرته من الاسطول عند مار آه الاميرال الكبير فقد اذبح ربع من سفنه اشار اليه بالرجوع وكان هو اعور فلما اخطر بالاشارة جعل النظارة على عينه العوراء وقال اني لم ار شيئا مما تقولون وزاد في الهجوم الى ان غلب عدوه واجرى شروطه ما لم اراد ومع هذا الانتصار حكم عليه الجاس الحربى بالعقاب لثقلته الامر وقد مات ذلك الاميرال في حرب سنة ١٨٠٥ ضد فرانسا واسبانيا وكانت سفنها اربعين وسفنه سبعه وعشرين فاقتربت من سفينة سفينة فرانساوية وراقبوا لخصه الى ان اصابوه برصاصه نحر منها للترع وكان ينظر البشارة بالانتصار ويعد وثائبه قبل الموت فما دخل عليه الابهة فرب من ساعة مبدئيا بالنصر فقال كم غنمنا من السفن قال اظن اربع عشرة او خمس عشرة لاني لم اتالك عن القدرم اليك عند موت النصر قبل عدوها فقال ليكني كنت اشترط على نفسي ان تكون عشرين ثم قضى نحبته وقد دام الملك جورج الثالث في الملك ستين سنة لكن كان في اغامها لا يتصرف في شئ بل لا يدرك شيئا من مصالح الملك لا اختلاف في

عقله ولذلك جعل له ابنه ولي عهد نائباً عنه في حدود سنة ١٨٠٤ ثم توفي ذلك الملك سنة ١٨٢٠ ومع ما حصل في مدته من خروج الممالك والحروب فان انكلا تيره قد دامت فيها خطوة وسيرة في التمدن والاعتبار والقوة حتى وصلت الى الذروة القصوى فانها احدثت في ظرف أربعين سنة مائة وخمسة وستين ترعة وتكاثر فيها معامل القطن والصوف الفاخرة حتى راجت سائر ما على سائر ما في غيرها الرخيم واتقانها واكتشفت واستماكت اوستراليا وغيرها وتقدمت فيها المعارف والتأليف الى نحو ما هي عليه الآن واستفادت حكمها السياسية علمتها كيف تدير ممتلكاتها الواحدة في سائر أقطار العالم وحصلت على نخر النصر على نابليون وغيره واستمدت الادارة القانونية بتغير نزاع ولادسائس ولذلك صار يضرب المثل عندهم بان حرية الانكليز انما هي ما يها في مدة ملكهم المجهنون وخلفه ابنه جورج الرابع وفي أيامه وقع الغدر في أسطول الدولة العثمانية من اسطول انكلا تيره المنترس على اساطيل الدول في تظاهروهم على طاب تسليم الدولة العثمانية لليونان بالاستقلال فن غيبراع لان بالحرب لها تحولات الاساطيل ما بين اسطول المركب من سفنها وسفن مصر وطرابلس وقونس والجزائر وهم على اطمة ثمان السلم والامن واطلقت عليهم النيران دفعة واحدة بحيث لم يبق منهم باقية غدا ووشاعة لا تمنحى ومعهرة لا تزال على خصوص الانكليز لانهم هم الذين ييدهم امرة جميع الاساطيل الدولية وعندما سمعت الندوة الانكليزية بفضاعة الواقعة هاجروا وهاجروا واطلبوا كما رئيس الاساطيل وحكم عليه مجلس حربي بالقتل مع دفاع وزير البحرية بكل ما يمكن من الاعتذار وتلفيق دعوى بان احدى السفن العثمانية اطلقت النار عليهم ولم يجد كل ذلك شيئا وعندما تحقق الرئيس المحكم عليه بالقتل اسرالى وزير البحرية ان التذكرة التي بخطه في الامر باحراق الاسطول العثمانى قد نسى أن يحررها معه مثل ما أمر (وحينئذ) تحول المجلس الى جلسة مريية ثم اطاق الرئيس وسياى فى الكلام على الدولة العثمانية المباشرة على ذلك التعامل على المعلمين وما له الديانة وان سياسة الدول الكبيرة فى الخارج ليست كسياسةهم فى الداخلية ثم ورث الملك ويليم الرابع سنة ١٨٣٠ وزاد القانون فى أيامه تحسنا ونفوذا وأول سكة حديدية أنشئت فى أول سنة من ولايته وألزمته الدولة عتق العبيد فى الهند ووضعت أسماءهم بأثمانهم وكانت نحو عشرين مليوناً وناييره واحسبت انكلا تيره على عتق العبيد فى سائر الاقطار ترغيباً وترهيباً لاهلها ولا زالت على ذلك الى الآن ثم

ورثته الملكة فيكتوريا سنة ١٨٣٧ وهي الملكة الحالية وأعانت الدولة العثمانية على إخضاع مصر واسترجاع الشام منها وعلى حرب القريم فخارت روسيا وآلت الحرب إلى معاهدة باريس وحاربت الصين بالاتحاد مع فرنسا وأخضعت الهند من الثورة الهائلة بمعاونة أفغانستان وخرج الهندين وقتئذ من تحت الشركة التجارية إلى الحكومة السياسية كما مر في المقدمة وتنبقت بامبراطورة الهند ثم استولت على الأفغانستان ثم جعلتها مستقلة تحت نظارتها بعد أخذ أجزاء منها وحاربت الزلوس من بلاد الكفر بأوريقا ثم صارت تلك المملكة تحت نظارتها وتدخلت في حرب روسيا مع الدولة العثمانية عند عقد الصلح إلى أن أفضى إلى معاهدة برلين مع زيادة التقدم والغنى في داخلية المملكة الإنكليزية

\* بمطلب في السياسة الداخلية بانكلا تيره \* (اعلم) أن السياسة المستقرة الآن كان استنباطها سنة ١٨٣٣ وأما أصولها فقد عديت حسبما أشرنا إليه في التاريخ وهاته السياسية مبنية على اعتبار تسلط الملك ونفوذا لاعيان واحتساب الاواسط من الناس فكل من الساطات الثلاثة مرتبطة ببعضها وينتج منها ادارة المملكة مما يرضى الجميع ولا يتجاوز كل منهم حدوده مما يضر بغيره ولهذا كانت قوانين الإنكليزية على نوع مغاير لقيمة ادارات الاروبا وبين من حيث الاشتراك في السطة وعدم التساوي بين طبقات الرعية في الاعتبار ونيل الرتب مع انالة الرعية غاية الحرية والامن وتفصيل هاته الادارة ومحل ارتباطها وانفرادها قد تكفل به كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لمؤرخ الدين باشا التونسي بما يفيد عجائب أطوارهم واصطلاحهم فإرجع اليه من أراد البيان وانما تقتصر هنا على الامام بكليات الادارة (فئة قول أما القسم الاول) من ذوى السطة فهو الملك وله حدود مضبوطة بقوانين من أهمها ان الملك وارث في ذرية الملك الذي هو من عائلة الها فوفر من الكبرالى بكماله والاني حتى تستحق ذلك على شرط أن لا يوجد لها خذ كروالا فهو أحق بالتقديم وان كان أصغر منها (ومنها) التزام مذهب البرتيسانت (ومنها) اذا اقتضى هذا التورات ان حاز التاج الإنكليزي من له ملك أو أرض بمملكة أخرى فان الامة لا يلزمها الدفاع عن ذلك مثل ما يلزمها عما يرجع إلى انكلا تيره ما لم ترض بذلك الندوة (ومنها) ان رئاسة الديانة للملك بحيث يوظف مناصبها مثل ما يوظف المناصب السياسية (ومنها) رئاسة سائر القوات والصلح والحرب إلى غير ذلك مما مر في ملك ايطاليا (ومنها) تلقبه بملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند حتى يقول في

طالعة مكاتبه الرسمية ماصورته فلان بنعمة الله ملك المملكة المتحدة من بريطانيا العظمى وارلانده وامبراطور الهند مجاميعا عن العقيدة المخ والنقيب بامبراطور الهند حدث سنة ٢٩٢٢ بالتفاق المجلس وقوله مجاميعا عن العقيدة إشارة إلى رياسته الدينية (ومنها) ان اجراء كل حق للملك في التصرف انما يكون بواسطة رؤساء متوظيفيه وهم رؤساء الاساقفة والوزراء (وأما القسم الثاني) وهو سلطة الاعيان فهو لاء الاعيان هم الملقبون باللوردات وبالقرناء رسيأتى في مبحث العوائد خصصياتهم وامتيازاتهم والذي يتعاق بهم هنانا يتركب منهم مجلس اللوردات المشتمل (على) رؤساء الديانة (وعلى) عائلة الملك (وعلى) سائر لوردات انكلترا (وعلى) سبعة عشر لوردان لوردات اسكوتسيا (وعلى) أربعة لوردات من لوردات ارلانده ولوردات المملكة المتحدة الاخيرتين يتخبران من أمثالهم في أقاليمهم لذلك المجلس لمدة حياتهم وينالهم هذا المجلس سائر الاحتماب هل التصرفات وانشاء القوانين وتغيير العادات والحكم في المتوظفين بحيث لا يصدر عن الدولة شئ الا برضائه وليس لأعضائه هذا المجلس مرتب وهدم غير محضه ورأسه قد بلغون زهاء خمسة مائة ولاعضائه اعطاء الرأى فيه بالمباشرة أو برسالة مع أحد أمثالهم كتابة والوزراء ينتخبون من هذا المجلس ومن النواب والملك انما ينتخب رئيسهم فقط وهو ينتخب بقية الوزراء كما في بقية أروبا وعدد الوزراء تسعة الرئيس وهو وزير المال في الاغلب ووزير الخارجية ووزير الداخلية ووزير الهند ووزير المستعمرات ووزير رياة المجلس الخاص ووزير الحرب ولورد قاضى القضاة وهو رئيس مجلس اللوردات وموظف المحكام القانونية ولورد المحاسبان وهؤلاء الوزراء هم المباشرون اسائر أعمال الدولة بعد اذن الملك وليس له مخالفتهم الا اذا وافقته أغلبية الندوة فحينئذ يستبدلهم بغيرهم وهؤلاء الوزراء يضم اليهم الملك أعضاء من بقية اللوردات فيتشكل منهم مجلس الملك الخاص ورؤساء ادارات الوزارات ولا يزيد مرتب الوزير عن مائتين وخمسين ألفا فرنكا في السنة (ومتهم) من له خمس ذلك فقط ووظيفة هذا المجلس الخاص التدبير في اجراءات الاعمال كما ان من حقوق الاعيان ان يكونوا هم حكام الولايات كل ولاية حاكمها من لورداتها وليس للملك عزل أحد منهم من مرتبته اللردوية (ومتهم) أيضا أعضاء المجلس العياني في الولايات التي لها التصرف السكلى

وَأما القسم الثالث وهو سلطة الاواسط فهو بان انتخاب الاهالى منهم نوابا عنهم \*

لمجلس النواب للاحتساب على تصرفات الدولة وحماية حقوق السكان وما به - تقدر عليه رأيهم - ثم يجري اذا وافقهم مجلس اللوردات كما انه يسوغ للملك ان ينتخب من هذا المجلس رئيس الوزراء ولهذا انتخاب بعض الوزراء من بقية اعضاء هذا المجلس ومدة انتخابهم لاعضاء المجلس سبع - فنين وشرط العضوان يكون وجهما غير محكوم عليه بما يشين العرض ذ ادخل من املال في المعاملة غير منقولة يبالغ ما تين وتحسين فرتسكا اوصاحب معارف له اجازة فمها من المدارس العلمية واه - هذا اختص هذا الاحتساب باواسط الناس ولم يكن للاسافل فيه حظ وعداد اعضاء هذا المجلس بحساب واحد على العشرين الف نسمة من السكان فيكون عددهم - ثم يترد في زهاء سبعة مائة وجموع هذا المجلس مع مجلس الاعيان هو المسمى بالقمة مرة اى الندوة وعلما بمدارسنا الاعمال في الداخلية والخارجية ومن اصر لها ان ميزان المال ليس بمجدود على حالة واحدة دائما بمعنى انه اذا كان الدخل الموضوع يوفى بمصاريفها لسنة ويفضل منه يبقى الفاضل في الخزنة او يتتري به من ديون الدولة واذا كان لا يوفى يزداد في الضرائب الى ان يقع التسديد كما هو جار في الدرل الاخرى بل ان قاعدة الانكايز هي جعل الميزان في كل عام بحسبه فينظر الى مقدار اللازم من المصاريف وعلى مقتضاه يجعل الدخل بحيث لا يكون للدولة فاضلا ومن الاصول ايضا اعطاء المحررية لكل فرد وجماعة في مملكتهم بان يتكلموا في السياسة العامة والخاصة وتصرفات المتوطنين مطلقا وعلان آرائهم بالقدح او بالمدح في الصحف وفي مجامع الناس ولهم الاستدعاء الى الاجتماع ولو اجتمع ملايين من الخلق من غير ان يتعرض لهم احد بشئ ومن الاصول ايضا التي استقرت الا ان انها تنشأ في الامة حزبان (احدهما) يسمى حزب المحافظين يعني انه يريد التمسك على القوانين الموجودة والجرى عليها في الداخلية والمساعدة على كل ما يساعدها في الخارجية وان لا يتغير شئ الا ما تدعو اليه الضرورة (والحزب الثاني) يسمى بحزب الحرية يعني انه يريد زيادة اطلاق الحرية في الداخلية وفي كل الممالئ ويساعد على قطع عوائق الحرية في اى جهة كانت بما يقتضيه حال الانكايز والسكل من الحزبين زعماء مشهورون بما يقولون ويكتبون للاشهار وتشتمل عليهم الندوة ومهما مالت أكثر يتها لا فكار احد الحزبين وجب ان تكون الوزارة مركبة من اعضاء ذلك الحزب فلا تزال تتداول الدولة بينهم ومن لازمه انه كلما تغيرت الوزارة يتغير معها اسائر المأمورين الذين عليهم مدار الاعمال ولهم من علائق ذات الملك فان كاتب

سره وحواشيه لذين يخدومونه فيما يتعلق بتصرفات الدولة يلزم تبديلهم أيضا مع  
 الوزارة خشية من افشاء أسرارها الضدها ومن الوشاية أو التراخي من جهة ما يتعلق بالملك  
 مما يضر بالأجراء ونشأ عن هذا عدم ثبات السياسة الخارجية على طريق واحد. فأعني  
 في الأجراء لتبديل المنهج بتبديل الوزارة وإن كانت كل وزارة تولت تراعى أصل ما أسسته  
 سابقتها لكنهم اتفهم به معنى لا يلائمها فلا يحسن الاعتماد عليه من الخارج من الأصول \*  
 أيضا أن الخدمة العسكرية لا يدخل اليها بالانصب أو بالقرعة وانما هي بالاختيار بل إن  
 رغب فيها أولهذ تجد في مساكر الانكليز في الحرب كثير من الأجانب الراغبين في  
 المال الذي يبذل اليهم هذا اذا كانت الحرب خارج المملكة أما اذا هاجم العدو المملكة  
 فيجب على كل الأهالي الدخول في سلك العسكرية على قانون لهم في ذلك حتى ان النساء  
 أراد بعضهم الدخول في ذلك والفرن فرقا للتعلم وكذلك العساكر اللازمة لحراسة المملكة  
 يدخل اليها بالاختيار وهي عدا الضابطيه التي تلزم أهالي كل جهة ومن أهم أصولها  
 أن لا يفتجب اليها الا العفيف المرضي بالشهادة حتى يكون كلامه حجة على الجاني وذلك \*  
 من الأصول العامة في أوروبا وبها تيسر استقرار الراحة لان حراسة الضابطيه ورفوة ذمهم  
 من أهم الوسائل العامة التي هي أهم ما يعتنى به من أصول الانكليز أن لا يتولى \*  
 المراتب السامية في الدولة الا من كان على مذهب الكنيسة البرتديستانت فتأمل في هذا  
 مع ما يأتي ان شاء الله في أحوال تدانحهم في بلاد الاسلام بدعوى الحرية ومن جاداتهم  
 قبول جاء العلية منهم والاعيان في توظيف معارفهم وأقربا بهم اذا كان فيه شيء من  
 الأهلية مع اهـ حال غيره وان كان أحق من المقدم ومثل ذلك الرتب العسكرية لا تنال  
 الا للاعيان والعلية والافراد العسكريه لا يستحقون ذلك مهما فعلوا غير انه قد حل  
 منذ سنة ١٢٨٩ هـ ١٧٧١ م ابطال اشتراء الرتب العسكرية من ملازم الى أميرالاي  
 بامر من الملكة حيث أن أصل انشاء لك كان بامر من الملك لا بقانون وانما ظا لذلك  
 كثير من فديتهم لركن المصلحة قامت فصارت الرتب العسكرية مطابقة لالتسال  
 الا بالاشتقاق في المعرفه به. هذا التغيير العسكري به لم الملك من الساطة وان خالفه  
 الندوة بنسائه على حق قديم لهم مع مواثمة الوزارة اليه

بمبحث ادارة الولايات \* قد تقدم في صفة برنيطانيا انما تنقسم الى تسعة وثلاثين ولاية  
 فانه الولايات فيها مدن ذات خصصية بالامتياز بالشرف حسب عواطفه وندوة ومدن  
 كبيرة استخفت بكثرة سكانها ان تسمى عضوا أو أكثر في الندوة ومدن يسكنها طراز

من كبراهديانتهم ومـ دن وقوى خالية عن الامتيازات المذكورة (فاما) الانواع الثلاثة  
الاول فان لها ادارة خاصة لاتدخل في عموم الولايات التي هي بها (واما) النوع  
الرابع فهو مشمول بادارة عموم الولاية (والحاصل) في ادارة عموم الولاية هو انها راجعة  
الى الوالى العام على الولاية وهو احد لورداتها المحصل على عضوية الـ ندوة ينتخبه الملك  
لذلك وليس له مرتب على هاتى الوظيفة وهو ينتخب اثنين من اهل ولايته الاعيان  
ايضا لعائته ويوظفهم له الوزير الملقب بقاضى القضاة وليس لهم مرتب أيضا ومـ دار  
أعمالهم حفظ الراحة ورعاية العساكر المحافظة والنظر في الاعمال العسكرية  
ولهم أيضا مرجع الاحكام الشخصية والنظر في مصالح الولاية الادارية وحفظ  
الطرق وانشائها الى غير ذلك من المصالح كما تنفرد البلاد المماثلة من الاصناف الثلاثة  
المشار اليها سابقا (ومنها) مدينة لندن بان يكون لها شيخ وهو ورئيس المجلس  
البلدى الذى اعضاءه من الاهالى المنتخبين منهم والمجلس ينتخب رئيسه من أحد  
اعضائه كل سنة ولا مرتب له ولهاتى المجالس البلدية مرجع جميع المصالح المتعلقة  
بالبلد ومنها ادارة الضابطة ولادخل للدولة فيها شئ وعلى رؤساء هاتى المجالس ايضا  
الاحتماب على كيفية انتخاب اعضاء مجالس النواب فيما تحت نظرهم لكي يكون  
الانتخاب موافقا للاصول وهو الذى يرأس جمعية الانتخاب ويتصرف فى الاحكام  
الشخصية كتصرف قضاة الصلح الا سقى بيانهم ويوم توليه تـ رئيس هذا المجلس  
المسمى شيخ البلدى يكون فى لندن موكب حافل من أعظم المواكب وله من الاحترام  
والتوقير كما لاحد الملوك ثم ان موظفى الديانة فى كل الجهات هم مرجع عدد من يزداد  
أويوت وهم المكلفون بحفظ الكنائس والمقابر والفقراء والطرفات أيضا واعانة  
الضابطة عند الحاجة هذا (واما) الاحكام الشخصية فان لها ادارة مخصوصة  
رئيسها اللورد قاضى القضاة الذى هو رئيس ندوة اللوردات ثم نائبه ثم اللوردات قضاة  
المجالس العليا فى الجهات الكبرى ثم احكام مجالس الولايات ومجالس الضابطة وكل  
هؤلاء لهم مرتب وهناك احكام الصلح لكنهم لا مرتب لهم وكذلك احكام الجورى على نحو  
الممالك التى تقدم ذكرها غير ان الامر الذى انفردت به انكالاته بـ هو ان احكامها  
لا تستند الى قانون خاص فشرعيتها اصعب الفرائع لانها تستند الى مجموع أشياء وهى  
ما يوجد من القوانين فى بعض أوروميا وجـ فى احكام سابقة صدرت من مجالس  
الاحكام القديمة وما فى احكام الرومان وما يقع عليه اجتهاد اصحاب الاجتهاد وهم

للوردات أهل المجالس العالما وقاضى القضاة وقربناؤه وعلماء الاحكام وهم المسمون  
بالابوكاتبة فلذلك كان علماء الاحكام من أشهر الناس وأوجههم ومن غريب عادات  
العلماء انهم اذا وجدوا نازلة ووجد حكمها في احدى تلك الاصول لم يكن أصحاب  
اجتهادهم يظهر لهم ان المصلحة الوقتية قضت بخلاف تلك الاحكام لاختلاف الزمان  
فانهم يجرون اجتهادهم لكنهم لا يعملون ناسخا لاسابق بل يبقون السابق ويبقى المحدث  
حتى تكون الاصول متنافضة ويبقى لاهل الاختيار عندهم الخيار وبذلك يعلم مقدار  
التفوق والسيادة للطبقة العالما من الناس عندهم لانهم هم الذين يكون منهم أهل  
الاختيار كما يعلم به فساد اعتراض بعضهم على احكام المسلمين بانها مشتتة باختلاف  
الاقوال فى كتب الفقه مع خيار القاضى فى القضاء بها ويوجب لهم التكرره من  
الدخول تحتها لانها غير معلومة للمحكوم عليه لان ذلك الاعتراض على فرض  
تساويه كما هو وفوقه عندهم أعظم مما يعترضون به علينا ثم ان الاحكام المذكورة  
لم ترتب فى تحقيقها من مجالس وراه مجالس الحكم باعتبار الخفيف منها والاقيل وما  
يرجع الى المعاملات وما يرجع الى الجنائيات فالتخفيف لا يستحق التحقيق الا اذا حصل  
ظلم فيقع فيه الاحتساب العام وأما التقييل فينقل الى مجالس تحقيقه الى ان ينتهى  
الى المجلس الاعلى بالتمت رحمة كانت الحرية مطابقة والاحتساب فى رفع الظلم تقع الى  
كل احد يرفع الى مجالس الاحتساب ولو كان فى حق غيره مع اباحة نشر النوازل  
والافكار فى الصحف الخيرية وفى الاعلانات ومطبوعات تنشر متى ما اراد الناشر وفى مجامع  
عمومية علنية كان التعدي على الحقوق من اصعب الامور عندهم

بمبحث ادارة مستعمرات الانكليز يعلم ان الانكليز اغايمر لهم اتساع مستعمراتهم  
فى مشارق الارض وغاربها بشيئين (احدهما) نفس انتظامهم فى داخليةهم المنزلة  
المثيرة للقوة الحربية (وثانيهما) حسن الادارة السياسية لكونه عليه بالنسبة لغيرهم  
من الدول سيما بهد خروج امريكائهم واستفادتهم من ذلك للاسباب والبواعث  
الموجبة لانفرت منهم فاستقر امرهم فى كل جهة من المستعمرات يجعلون مركز  
الوجود قوة مركزية لهم ويجعلون فيها نائبا من ثقات اعيانهم مقيدا التصرف بالشورى  
مع اعضاء منهم ومن أهالى المستعمرو يرجع الى هذا النائب الذى هو المحاكم فى تلك  
الجهة الامور الكلية من الادارة السياسية وأما بقية الجزئيات والاحكام والسير فانها  
تفوض للاهالى يجرون على حسب عقائدهم وعاداتهم واحكامهم وكذلك الاداء المرتب



للحكومة وكيفية استخلاصه وتوزيعه الى غير ذلك من غير تدخل الانكليز معهم في شيء سوى انهم يشترطون عليهم ابطال المظالم والتعدي على بعضهم وابطال بعض العوائد القبيحة بالعقل الرجعة الى ظلم الغير كحرق الاحياء تبعاً لمن يموت من قرابتهم أو رؤسائهم وكنفريق الناس مثل ذلك أو ذبحهم مما يحرمه - بل الخلاص منه جهور الاهالي ويبقى الحاكم الانكليزي بمجاسه مراقب تلك السكيات ولما نفع الانكليز والاهالي حتى ان اعظم مستعمراتهم الاسن وهو الهند له حكومة مخصوصة كما تقدم في المقدمة واعظم الوظائف فيه هو الحاكم العام وهو انكليزي لكن ثاني رتبة منه وهو قاضي القضاة هو وسلم من العلماء الاعيان وجميع أحكام الهند راجعة اليه ومرتبته سنويًا أربعة وعشرون الف ليرة انكليزية وعلى ذلك الموال بقيمة الاله وورد دخل تلك الحكومة خاص بها الا تأخذ منه الدولة الانكليزية شيئاً ومصاريفها كلها راجعة الى حكومة الهند وربما اذا حدث حرب جوار الهند مع حكومتها اعانتها الدولة الانكليزية على مصروف الحرب لعود النفع اليها بواسطة بل ربما جعل أكثر المصروف عليها كما وقع من ذقرب في حرب الافغانستان كما ان انكليز تارة تستفيد من عساكر الهند بدخولهم في أمرها عند الحاجة اذا عادت حرب مع دولة أخرى وكنها يرا ما تبقى الممالك على حالتها بلوكها وامراتها وانما لها عليهم مجرد المراقبة والحماية وتلتزم المملوك باجراء العمد في محالهم واجراء الشورى وبذلك يحصل ميل العموم اليها (فان قيل) اذا كان الامر كما ذكرنا فائدة للانكليز في هاته المستعمرات سوى تشويش البال ونسائل الاموال في الحماية والثورات (فالجواب) ان فائدتهم عظيمة من وجوه (اولها) وهو لاهم رواج التجارة الانكليزية فان ما تني مليون من الخلق لا يبحولون الا في السلع والبضائع الانكليزية له من الاهمية ما لا يخفى وبضائع بقيمة الممالك امان تمنع عساك يوظف عليهم من عظيم القموق في تلك المستعمرات أو يدخل منها مالا وجود له عند الانكليز مما هو حاجي فاما البضائع الانكليزية فتدخل معقاة من الاداء فان تمور لهم بضاعة ولا تقبل لهم معامل فائنتجه ثلاثون مليوناً من الانكليز من الصنائع يكونون مطمئنين على رواجه في مستعمراتهم كل على قدر احتياجه از يادة عن الممالك الاجنبية وكفي بذلك غنى للامة الانكليزية وأي فائدة اعظم لهم من ذلك ردونك مثلاً الهند فان مستعمر الهند وحده كانت قيمة التجارة الصادرة والواردة اليه في سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م ثلاثة آلاف وخمسة مائة مليون فرنك يخص الانكليز وحدهم منها الفان اثنان مليوناً والباقي مع سائر الممالك وأغلبها

الصين فهذه مستعمر الهند وخدم راجت تجارتهم فيه بذلك المقدار وليقتس عليه غيره (وثاني الفوائد) أشغال معلمهم في الفنون والصنائع في تلك المستعمرات الواسعة الكثرية السكان بما يجدونه لآهالي على وجه الارشاد والتعظيم والتمتع دين عن طيب نفس منهم من المكاتب والمعاهد لوطرق المدينة يرغب بذلك (وثالث الفوائد) حوز الاراضي الخالية عن المالك والتعمير لها باهالي ان كلاً تيره الذي ضاقت بهم جزائرهم فصاروا مهاجرون منها الى كل الاقلاق التي تقسم لهم بالمعيشة والعمل فيها جرون الى مستعمراتهم اولي لهم حتى تنتشى منهم دولة جديدة كما وقع بالفعل في دول امريكا المقعدة اذ غالب آهالها اصاهم انكليز وكذلك ما هو حاصل الاكن في اسـتـراليا (ومن اعابهم فوؤدهم) القوة الحربية التي تتعرف فيها ان كلاً تيره من عساكر ذلك المستعمر مع ان المصاريف على العساكر من دخل المستعمر فاعظم بذلك من قوة الانكـالـية حتى ان عساكر الهند الذين تحت امرها اضعاف عساكرها المستديمة فهاته الفوائد اعظم وانفج لامة الانكـالـية من اخذهم ضريبة على سكان المستعمرات نحو جهم الى المحمد والثورة عليهم كما وقع في امريكا وأفيد لهم ايضا من جهة السياسة فان النفوذ والرهبة والوقار الحاصل للانكـالـية في جميع جهات المسكونة ليس بحاصل لاي دولة كانت اوروبانية وذلك أفيد للانكـالـية ان يفيدوا ألفاً وعشرة آلاف منهم بما يطلق التصرف في احد المستعمرات فيكون آهالها تحت قبضتهم ويديرون فيهم قانون الانكـالـية باندره ويوظفون فيهم من قضاتهم ويغيرون عوائدهم وشرايتهم بما يلزم لذلك من مصاريف تكبير القوات وكون المقد في المستعبد حتى ينتهزوا الفرصة لقتل قيودهم متى ما سئمت الفرصة وبمثل هاته السياسة ومجسارة الآهالي في مقاصدهم وعاداتهم واحكامهم وكبرياتهم ودياناتهم تيسر لها امتداد المستعمرات واتساعها وطول بقائها هانية بدون كثرة مصاريف فان الهند الذي هو اعظم المستعمرات وفيه من السكان ما يزيد عن مائة وستين مليوناً انما تضبطه دولة الانكـالـية بعشرين ألف عسكري انكليزي فقط وان كانت حكومة الهند لها نحو ثلاثمائة ألف من العساكر تحت السلاح لـكنهم كاهـم من الآهالي ما عدا العشرين ألفاً المذكورة وذلك ما نلاحظه من الملوك والامراء المستقلين بالادارة في الهند من العساكر والقوات وما ذالك الا مجسارة الآهالي بما لا ينفروهم مع اجراء العدل فيهم والزام امرائهم وملوكهم بذلك وحررتهم في سائر اطوارهم حتى انما اعظم لهم شعائرهم الدينية كما يعظمونها في انفسهم فاسـلـون مثلاً

تطابق لهم المذافع في أعيادهم - ثم وتعميمهم من الأشغال في المواسم وتعزف الموسيقى  
العسكرية في أعيادهم - وكذلك تفعل مع الجوس ونصرف على الجميع أموالا باهظة في  
المعابد وأهل الديانة من دخل الهند وفي عيد الفاء جوزالكو كوفي شهر الهند يحضر  
أهل الأمر والحكم من الإنكليز ويأخذون ذلك الجوز من أيدي الكهنة ويلقونه في  
النهر بجوار الأهل (وحيث أن) تفسر الآيات وتطلق المدافع من الأبراج والسفن - هذا  
فأهل البلاد التي تحت إدارتها أفضلا عن البلاد المستقلة بالادارة فالأهل يوازنون بينهما  
فإنهم من حالة الاستقلال وما هم عليه من المنافع التي لم تكن حاصلة إليهم مع موازنة  
المشقات والأهوال الخاصة من إعلان الثورة لأن الإنكليز أيضا قساة وقلوبهم مفضة  
غليظة عند الثورة يجازون بالقطن التي تفسر منها جلود الساميين ويقول القائل ابن  
التمذن ورجة الانسانية والشفقة التي تمنى صحفهم - بالتنبؤية بها وماهى الأسود على  
بياض يأمرونهم غيرهم ولا يبرون منها شيئا سيماسميا يستعملونه من الغدر بأغراء أقسام  
الأهل إلى الأقسام وبذل الأموال العظيمة في ذلك فإذا حصل الأقسام وقع الانتقام من  
الكل على التدرج وربما حصل من بعض الأقسام لبعض الأقسام - ثم يحصل من نفس  
الإنكليز فلذلك أهلى المستعمرات السكون والرضى بها وعلية - مستغنى  
ثمرة ذلك بقدر الامكان بل إن بعضهم حكمتهم دولة الإنكليز من الاستقلال وأعلنت لهم  
بذلك ورفضوا هم قبوله خوفا من تسلط غيرها عليهم أيضا فهم وربما يعاملهم المتسلط بما  
لم يعاملهم به الإنكليز يون مثل ما وقع في جهة من استراليا منذ نحو من خمس سنين ومع  
ما مر فقل ما يتخلو وقت عن حدوث ثورة في إحدى الجهات من المستعمرات المذكورة  
وفي الأغلب بعد حصول الراحة بالقوة أو بالان وهو الأغلب ترجيح الدولة البواعث على  
الثورة حتى تعدد المصايف من الأهل على وجه كأنه راسخ وإنما قلنا ان الذين هو الأغلب  
لأننا رأيناها لا تستعمل القوة لانه - دود الذين حتى انتهى في نفس حروبها مع  
الآخرين لا توجه عليهم - ثم قوة كبيرة من أول وهلة بل ترسل مقدار غير كاف لانجساد النار  
إذا كانت مستعمرة بهيجان قوى وكثيرا ما تنكسر قوتها أولا وثانيا والثالثا لكنها لا تنكسر  
على عقبها إلا بعد بلوغ أربها ما بعد اومة الحرب على النحو السابق مع تزيد القوة شيئا  
فشيئا إلى أن تغلب أو يوقوع الصلح على ما يرضيها وترضى به الثائر على نوع ما كان ذلك  
لعدم وجود قوة عسكرية تحت السلاح ولا حاضرة للدعوى متى أرادت الدولة لها من  
الإنكليز لا يدخلون العساكر الأبارضى وليس لهم الامتداد لحفظ الراحة فإذا ثارت

جهة تلزم الدولة احضار العساكر برضاها - وذلك لا يتأتى بما جلا مثل ما يأتى للدول المرتبة  
 العساكر وايضا بعد حضورهم تلزمهم قده التدريب ثم ان العساكر عندهم - تلزمهم  
 المصاريف اكثر من عساكر بقية الدول لان من قانونهم ان العسكري لا يستخدم شيئا سوى  
 الحركات الحربية فيلزمهم من الخدمة رجل الالة ما هو اضعاف عددهم ولا يخفى ما في  
 ذلك من المصاريف والكلفة الموجهة الى الوقت حتى ان عساكرها الذين وجهتهم على  
 الحيشة منذ نحو عشرين سنة لزمها ان تجعل لهم طريقا حديدية وقنوات لجلب الماء كلها  
 موفقة وكان خادما العسكري في حدود العساكر وهو كذلك اذ اتيها في حروبها بناء على  
 اتساع المستعمرات وافتراقها وبعدها عن مركز الدولة وكون الطرق اليها بحرية مع ان  
 نفس مركز المملكة جزير لزم ان تكون دولة الانكليز هي اقوى دولة في البحر من حيث  
 السفن الحربية ومن حيث كثرة السفن التجارية ووجود البواخر والعارفين بقن البحر  
 مطابقي في السياسة الخارجية للانكليز اعلم ان ما تقدم من الاحول العامة  
 في الخارجية للدول العظيمة مما تقدم ذكره في ايطاليا وفرنسا وهو ايضا جار  
 في انكلترا مثل وجود السفراء والمراقبة لجهات المنافع الخ فالذي يخص انكلترا  
 هنا هو بيان محلات اهتمامها في الخارج وحيث قد تقدم ان لها مستعمرات في جميع  
 اقسام الكرة المعروفة كانت عنانيتها في الخارج اوسع من غيرها من بقية دول اوروبا  
 لكن ليست الجهات كلها سواء في الرتبة بل هي تتدرج في اوروبا ليس لها من النفوذ  
 في داخلة دولها شيء سواء كانت الدول كبيرة او صغيرة لا يتساهل ادارتهم على قواعد  
 واحدة مسلمة بين جميعهم مقرر بجمها - ذات فلان ترى كما ان انكلترا اذا سلطت في برلين  
 قاعدة المانيا ولا في مونسكو التي هي دولة مستقلة في بلدة محاطة بايطاليا عدد سكانها نحو  
 اربعة آلاف نسمة والسكل في الدخول تحت احكامهم - من رعية الانكليز سواء وانما  
 نواب الدولة يراقبون الاحوال السياسية لا الاحكام الشخصية نعم لدولة الانكليز زيادة  
 اعتبار في خصوص مملكة البلبنيك اساقفتها معاهدة سنة ١٨١٥ من استقلال  
 هاته المملكة عند سقوط نابليون الاول وجهها تحت حماية كبار الدول غير ان المراقب  
 لذلك الخباية هي دولة الانكليز فهذا هو وجه زيادة اعتبارها هناك ومن ثل ذلك حاصل  
 في دولة البرتغال لما تسبب عن حروبها مع اسبانيا وفرنسا (واما) بقية الدول فلا  
 فضل عندهم لانكلترا على مونسكو في احوالهم سوى ما يتجرب اليه السياسة الاتي  
 ايضاها (واما) امريكا فهي ايضا على ذلك المنوال (واما) اسبانيا وفرنسية فعلى وجه

انبرع دولها من حيثين (الاولى) - وهى المعاهدات القديمة معهم التى لم يراع فيها  
 الإنصاف الراهنة اذ ذلك مع عدم تقييد المعاهدات بمدة محددة فتغير الزمان وتغيرت  
 الحالات وبقيت احكام المعاهدات على ما هى عليه فذلزم منها ان تكون لدولة الانكاييز  
 شبه دولة مستقلة فى كل من هاتى الممالك بحيث ان رعاياها غير داخلين تحت الاحكام  
 مثل الاهالى بل يحكم فى الشخصيات قسماهم وحدهم أو بحضورهم أو حضور أحد  
 من سفارتهم مع حاكم البلدولة الاعتراض على الحاكم فى الحكم وفى بعض الممالك اذ كان  
 الحكم فى جنسية فانما ينفذ فى احدى ممالك الانكاييز الى غير ذلك مما يتسرع لادلاها الى الوصول  
 الى الحق ويحصل منه شبه حكومة مستقلة فى وسط المملكتة وليس ذلك بخفى ص بالانكاييز  
 بل عام فى جميع دول اوروبامع تلك الممالك وغاية الخلف هو زيادة التظاهر وانتظام من  
 احكام البلاد من الدول القوية ذات الغرض فى النفوذ فى تلك المملكتة وفقه ذلك بمن  
 ليس له قوة وليس له غرض (وثانية) الجينيتين هو ان مستعمرات الانكاييز فى دمران  
 اهمها هو الهند فكانت مدة قطة خاصة من كل ما يوهن قوتها فيه اما بواسطة أو قصاد حتى  
 صارت تحافظ على الطرق الموصلة اليه فكانت قبل فتح خليج السويس تتوصل اليه  
 من المحيط الجنوبي وراه افر بقية فاستقامت عدة مرات فى افر بقية الغربية  
 والجنوبية والشرقية مع عدن فى آسيا كل ذلك لتكون لها قوات ومرآ كرتلجها اليها عند  
 الحاجة وبه يعلم ان ثمره المستعمرات ليست خاصة بالوجه التى اشرنا اليها بل منها أيضا  
 أهمية المستعمر من جهة كونه مركزا حريا فقط وذلك مثل جبل الطارق ومثل مالطة  
 وغير ذلك فبناء على ما شرحناه صارت سياستها الخارجية مع كل الدول القريبة من الهند  
 التى هى فى طريقه والتى لها مصالح أو مطمع نظر اليه على نوع آخر من المشاهدة مع  
 القوى والنفوذ مع الضعيف وتستعمل لذلك كلام الترغيب والترهيب فالدول التى  
 لها همهم دائما زيادة محاورات سياسية هى دولة روسيا من حيث انها امتدت فى دوائر  
 آسيا حتى اقتربت من الافغانستان الذى هو فى حدود الهند ومن حيث طموح نظرها  
 الى الاستيلاء على الممالك العثمانية التى يرمها بقاؤها كما يأتى ايضا حه والدولة الثانية  
 التى لها معها زيادة عناية سياسية هى الدولة العثمانية وذلك من وجهين (اولهما) انها  
 لا تريد زيادة نفوذها وقوتها خوفا من امتدادها الى المشرق وارتباط المسلمين هناك  
 بها حتى ياتهم بها المسلمو الهندو يعود الهند لما كان عليه من اللحاق بالخلافة  
 الاصلية (وثانيهما) الخوف عليها من الضعف المفرط حتى تانقمها الدول المجاورة لها

فيكون ان يعوز موقعا الجغرافي النفوذ والسطوة التي تخشى منها انكلا تير، على فقد قوتها واعتبارها المادي والمعنوي وبناء على هذا صار لها تدخل كلي في سياسة الدولة العثمانية الخارجية ووجهاتها على ذلك التداخل مع بقية الدول الكبيرة الستة لمالهم من المساس بتلك السياسة سواء كانت قصداً أو بواسطة واضطر ذلك انكلا تير الى جلب ملاينة فرانس الانحدولة بحرية قوية فبما انها موالاتها اولى لها بمقاصدها سيما مع ابتداء سياستها على محانية الحرب معها لم يكن كما تقدم ذلك تستعمله حتى في الحرب مع الخارج حتى تستعين بكل الوسائل لقطع اسبابه مع القمقظ على حقوقها كما وقع منها اخيراً سنة ١٢٩٤ من النوسل بالسلطان العثماني لامير افغانستانان بارساله له رسولا لكي يلاين انكلا تير ويقطع معها المشاحنة الداعية للحرب من عدم قبوله لسفير مقيم عنده في كابل وغير ذلك مما بهت عليه اغراء الروسياد لم يقبل التوسط حتى وقع في الحرب كما تقدمت الاشارة اليه في محله فذلك الباعث دعاها الى ملاينة فرانس كما تقدم في سياستها الخارجية طمعا في التسليم لها في السطوة على مصر ارفى الاقل على تعاضدها معا على ازيد نفوذهما في مصر حتى تسخ الفرصة لانكلا تير في الحاقها بما حيث كانت الاكن هي اقرب الطرق الى الهنود بعد فتح خليج السويس مع ما في ذات مصر من الاهمية الكبرى فتمين (حينئذ) وجه زيادة اشتغال انكلا تير باحوال الدولة العثمانية وعلى الخصوص احوال مصر وما يجرحها من ذلك الى بقية الدول الكبيرة ومع بقية الدول التي تجاوزت حدودها على حسابها في القوة والضعف ثم اعلم ان سياسة الانكليز لما كانت مبهمة في التصرف على مذهب الحزبين اللذين مرزكوهما في السياسة الداخلية وهما حزب المحافظة وحزب الملاق الحزبية كانت تخالف في الخارج على حسب مقاصد الحرب الذي يتولى ادارة المملكة فيمؤثر ذلك في السياسة الخارجية أيضا تأثيرا بينا فترى تغير السياسة يتعاقب على نوال الحزبين حتى يكاد ان لا تثق دولة بالاعتماد على سياسة الانكليز في والاتها لانه يتعاقب يكون حزب المحافظة جاثلا في الاحتراس على المملكة يومهم بقاؤها وتتمهدهى على معاضدتهم واذا بهزب الاطلاق قد جلب افكار العامة اليه فيصعد الى قمم الادارة وينقض غزل سابقه ويخذل من اعتمده عليه وسياسة كل من الحزبين وان لم تكن مياينة دفعة واحدة لسياسة الآخر حتى لا يتسرله ابطال حرب مودة او نقض صلح ابرم لكنه يسهى بقدر الطاقة في انهاء كل ما وجدته وعدم اتمامه حتى يبرهن الخارج على فساد ما سعى فيه

سأفهم من غير أن يثبت عليه أنه هو الذي كان سببا في الفساد ولهذا صار كل من الخبز بين  
 يجهده مستطاعة في عدم الدخول في حرب موحدة لكي لا يجرد صده بابا للتشديد به عليه لأن  
 عاقبة الحرب مع الدول الكبيرة مجهولة وانبغي على هذا وهم دولة الانكليز من سائر الامم  
 المستقلة أنهم سادرة تجارية انما تبحث على زيادة غنى أهلها من غير بحث عن الشرف  
 والجاه لدى الامم الكبيرة القوية وعند دعوى الى انكلا تبهرو جدا دست رئيس الوزارة  
 هو ورئيس حزب المحافظين وهو اللورد بكنسفيلد وانما حظ ذلك اللقب منده معاهدة براين  
 سنة ١٢٩٥ حيث فصح سعيه في تعيينه مندها - ده صان استيفانوس بتلك المعاهدة  
 واستولت انكلا تبهرو على قبرس وكان هذا الرجل من نسل اليهود المأثر في السياسة  
 غير دينه له دين الدولة حتى يمكن له الترقى للناصب العالمية واشتهر بتأليفه وأفكاره  
 وخطبه حتى سلمت له رئاسة حزب المحافظين وولى الوزارة مرارا (وأما رئيس حزب  
 الاطلاق) حينئذ فهو مسترا كالدستون وليس له لقب شرف لكنه باتساع معارفه  
 حاز تلك الرتبة واستولى الوزارة مرارا

فصل في بعض عوائد الانكليز وصفاتهم \* اعلم ان كتاب كشف الخبايا عن فنون أوروبا  
 للبلبيغ اللغوي أحمد فارس قد اشتمل على تفاصيل في عوائد القوم بعز وجودها في غيره فن  
 رام الاطلاع على جزئياتهم فليرجع اليه وانما لم هنا بشئ كاف في التعرف بذلك  
 (وحاصله) أن أصل الاهالي كما تقدم من قبيلة من قدماء الفرانسييس اختلطت مع قوم  
 قدماء في الشمال وتماثل منهم هذا الجيل وهم اقوياء يبيض نصع حمر من الدم يغلب  
 فيهم الطول وشقورة الشعر نساؤهم جميلات - ابناءهم رزينة فمع الاطلاق الحرية فيهم - م  
 لا يطيشون عن حدود الاستقامة والانقياد الى الحكم حتى اذا اتجمع منهم الجهم الغضير البالغ  
 لعدة مئات من الالوف وتكلموا في السياسة وهاجوا واضطربوا وتبع بينهم خلاف  
 في تلك الجماع احوجت الى الخروج من القول الى الفعل فها هو الآن يصعد حاكم ذلك  
 الصقع على مكان مرتفع ويقول سيدنا وحاكنا الملك يا امر كل فرد منكم أيها المجتمعون  
 بالتفرق حالا وان يدخل كل منكم مسكنه أو مهمل صناعته تحت قيد الحكم الصادر في أول  
 سنة في دولة الملك جورج في قطاع المروج والغوغا والله يحرس الملك فيمنع ذلك يتفرق  
 الجمع الا ما ندر فيحتاج الى اعمال القوة من الضابطة والحرس والعساكر بل وعلى كل مار  
 اعانة الحرس الا أصحاب رتبة اللورد فانهم غير مكافين بذلك ومن النادر القليل وجود  
 حالة مثل تلك بل الافراد الجناة يخضعون للحكم ويتقادون الى أمر احوان الحكم بمجرد

- القول وعلى فرض الامتناع فيخرج له العون عصبية على رأسها صورة تاج الملك فيطاطبى  
 رأسه ويثمة نادوان لم يفعل وجب على كل من رآه اعانة العون على جبهه فاعانتها تيك  
 الخلة على اطلاق الحرية واطمئنتان الدولة من المخرج وقد تقدم ان عدد السكان نحو  
 اثنين وثلاثين مليوناً ودايتهم الغالبة بز تينسنا ت وقليل من السكان اوليك ثم اليهود ثم  
 الدهرية ثم الموحدين أى الذين يوحون الله ويعترفون بالرسالة والعبودية والبشرية  
 لعيسى ويصدقون بالكتب فهم اقرب الى الاسلام ولا زال يكثر ددهم سيما في اسانيا  
 وأما ريكا كما يوجد الفناد من المسلمين ثم ان عوائد الاهالى لا يمكن اطلاقها على الجميع  
 سواء بل ينطبقاتهم البون اليعيد فهم على خمسة اصناف (الاولى) العلية ولهم امتيازات  
 تقدم بعضها في السياسة ومن خاصيتهم ان لا يدخلوا في الاعمال البدنية التي تجب  
 على العموم ويتزهون عن مخالطة غيرهم بحيث يكون كل منهم في داره عنده سائر  
 ما يحتاج اليه ولا يحتاج في الخارج الا مجرد المشى في الطريق لا كان نزته أو صاحب  
 الذي هو من نوعه وعلى نحوهم نسائهم وهؤلاء هم اصحاب لقب اللورد وغيره من القاب  
 الشرف كالمركيز والسبر وغيره من القاب الوراثية والتي يعطيها الملك بموافقة مجلسه  
 الخاص ومثل هؤلاء الامراء والوزراء واصحاب المناصب السامية والاساقفة والكار  
 (الثانية) هم الاعيان الذين لهم املاك تمنهم عن معاطاة شغل أو حرفة مع تنعم العيش  
 والرفاهية والاسراف لكنهم ليس لهم لقب مثل الاولى (الثالثة) العلماء والمثقفون  
 والقسوس والتجار والكار (الرابعة) التجار واصحاب العمل النديه مثل الكتبة  
 (الخامسة) بقية الناس المتعيشين من كد ابدانهم فالاولى والاخيرة بينهما ما التباين  
 والثلاثة الباقية لكل منها جهة تناسبها من فوقها ووجه تناسبها من تحتها ويمكن  
 على حسب التقريب ان يقال ان الثلاثة الوسطى في عاداتهم واطوارهم على نحو ما تقدم  
 في فرانسوا واطاليا وأما الطبقة العلية فليس لها مثيل في تينك الممالك ومن يحصل حالهم  
 انهم على نوع من صفات ملوك الاسستبداد في العناية والكبرياء والفخر والمباهاة بالعب  
 والهوا والتكاثر في الاموال والارلا والقناطر بالمقنطرة من الذهب والفضة والحيل  
 المسومة والازعام والحرف فترى للواحد من ملك الارض سيرة يوم للراجل ويملك الفرس  
 باربع مائة الف فرنك ويعد دخله بالدقيقة فيكون له في الدقيقة الف ايرة أو ليرة  
 أو نحو ذلك ويفرش بيته بمناقع أهل المشرق والمغرب والمسوجات التي قيمة ذراعها  
 يحمه مائة فرنك ونحوها الى غير ذلك من الاموار التي لا يعجزها الا هو وعائلته أو من



كان من طبعه وبينهم مودة أو من يتفضلون عليه بالمعرفة وهي انما تحصل للغريب  
 اذا كانت له وصاية من أحد قرابة أو وليك له عليه قد تعرف به في أحد الاقاليم  
 \* وحينئذ يدري من اكرامهم وتنعيمهم له باشته تراكهم معهم فيما هم عليه ما يقربه  
 عيناً من القنص والاهو واللعب والمرائب والمساك كل والمشارب والمنازة حتى يكون  
 لبعض هؤلاء العلية مراكب خاصة في طريق الحديد محتوية على سائر اللوازم يسـ برون  
 بها الى حيث اراد او يولونه أى الضيف من ملاطفة نسايتهم واكرامهم له باعطاء قدح  
 الشاي من يد كبيرتهم ما يكون به على يقين من الصداقة لان ذلك من غاية الاكرام  
 وازلزم الضيف من العناء ما هو عنه في غناه من المحافظة على الآداب والقواعد المعروفة  
 لديهم كعدم التهور ولا حـ جهـ من يده ولا التدخين ومن عجيب أطوارهم فيه  
 التفاضل القائم في بعض نوتهم يكرهون شم أثره على الثياب وبعضهم يدخن كالرجال  
 وان ترمى من واحد من هؤلاء ذوى الملايين او آلاف الملايين يتكرم بشئ ذي قيمة  
 ونهاية النوادر بالمـ دية هي صورته أو ماشا كاهـ بما قيمته اذا تماهت بمبلغ ألف فرنك  
 بل كاد ان لا يوجد من يتصدق منهم على الفقراء الا ان يكون لرباء أو عدة قلوبم أحدهم  
 \* على فقير يتزوج جوعا لما رأى له من داع الى مرجته حيث انه يعلم انه يعطى سنويا  
 الى ديار الفقراء مـ دارا من المال فلا يجهه ان يكون ذلك الفقير الذي يراه في حالة النزح  
 من البرد أو الحر أو الجوع انه لم يمكن له الوصول الى تلك الدار أو انما لم يكن فيها مـ  
 لقبوله وأقول ان هاته الخلة كادت ان تكون عامة في أوروبا لا فـ لامتهم فانهم يجرون  
 على حسب مكارم الاخلاق وأما أطوار الطبقة السفلى فهي أشنع مما مر ذكره في هجج  
 \* الفرنسيس سواء كان من جهة الاعتقاد أو من جهة السيرة والحركات في تطهرون  
 من أشياء كادت ان لاتحصى وينقادون الى الصحرة والدجالين بما يخرج عن  
 حد المذموم وكاد التعلـ ان يكون عندهم مجهول لاسم فضلاء المسمى سوى ما يربطن  
 لهم القيسوس في الكنائس ومن هـ ذا القبول اعتقاد عامة أهل ارا لانه ان انقطاع  
 الحيات من جزيرتهم بسبب قسيس مع انها افقدها الثلج والبرد مع عدم الاتصال بالآقارة  
 حتى يخافها غـ يرها ولهم في ذلك غرافات والحاصل ان صفة الانكسار على الأجال هي  
 السكون والزناة والتجاني عن الغريب الا بواسطة في التعرف حتى لو بقي بين أظهرهم  
 سنين لا يكاد ان يقول له واحد أسعد الله صباحك كما ان من طبعهم الاقبال على الشغل  
 والمجد فيه وعدم الايمان بالقدر حتى اذا يئس أحدهم من المال قتل نفسه فكثيرا

- ما تسع بذلك وبقتل الآباء والأولادهم وكذلك الأمهات والعكس وما يحصل عندهم  
 من الوقاحة أحياناً من ضاحجة الأب ابنته والاخته لكنه لم يسمع بمضاحجة الابن أمه  
 ومنها أيضاً بيع الزوج زوجته لمن يحبها ويمضي لهم الحكم ذلك فالحجب لقوم يحتسبون  
 على بيع الرقيق في الاتفاق ويحكمون ببيعته مع الزوجه بفاس أو فاسين لان الطلاق  
 عندهم له شروط وهي ثبوت الفاحشة من الزوجة لدى الحكم ومن غريب الوقائع في هذا  
 الصدد ما وقع منذ عهد قريب ونشر في سائر صحفهم وغيرها من ان زوجة أحد المداور  
 ولدت وعند ما بشرت بانها ولدت ذكراً قالت من الفرح هو ابن ولي العهد وكانت قرابة  
 زوجها يسع من ذلك فثار حجاج الناظرين الى أن رفعت لدى مجلس الحكم لكي يستطوع  
 الرجل طلاقها وادعى وكيداً انها اعترافاً اجنود من النفاس حتى صارت تقول ما لأصل  
 له وادعى وكيداً ان الحياطة حاصلة من قبله مع ولي العهد وكذا يتراوون  
 ويطعون نزهون معاقضى الحال باسناد دعاء الشهود منهم ولي العهد وعند حضورهم في  
 المجلس الذي هو عاني وحاضر فيه كتاب الاخبار وغيرهم قال القاضي عائناً ينبغي ان  
 لا يسئل الانسان عما يستهجن أو يشين العرض وينبغي للشاهد ان لا يجيب اذا سئل عما  
 يشين عرضه ثم دعى بولي العهد فسأله عن معرفة المرأة فاجاب بمعرفة ثم سئل عن  
 اجتهادها فاجاب الى ان قال انه ما اجتمع ما في منزل من المنتزهات للطعام فشرى بها  
 وبما حصة بعد الاكل في محل خاص ثم رجع كل منهما الى عمله بعد قضاء التزهر فقال  
 له القاضي الذي نبيه بما سمعته أسألك هل وقعت هاتاه المرأة عند الخلو فرفع ولي العهد  
 صوته قائلاً لا فضح المجلس له بالتصفيق وحكم القاضي ببراءة المرأة وبقائه الزوجية وانما  
 الاعيان يتحاشون عن بيع الزوجات لكنه شائع في السوق وصحفهم تنشر منه شيئاً كثيراً  
 ومن عادتهم اللكام وهو انه كلما عرض لاحدهم حيق على صاحبه الاتبادر بضرب جمع  
 الكف وعند ما يغاب أحدهما كثيراً ما يصاح صاحبه ويتراضى بالاحكام في ذلك  
 ولا يحصل هذا بين الاعيان وانما يتعاوضون عنه بالمقاتلة كما هو جار في المال الاخرى  
 من أوروبا وهي انه اذا اشتد الغضب بين اثنين على شرط التكافى في العرض يرمى أحدهما  
 اصحابه بقازية أو شيء من متاعه ثم يرسل له شاهدين يطالب منه التقاتل فيعين الآخر  
 شاهدين ويتفق الشهود على آلة التقاتل ومكانه وزمانه بعد أعمال ووجوه للتراضى  
 واستقاط الطالب فان لم يجداً حضر وطبيباً وحضر المتقاتلان والشهود والطبيب وتقاتلوا  
 على الصفة المتفق بها فاما ان يموت أحدهما أو يسلب أو يحصل عطب فيعالجها الطبيب

ويقتصر الامر فان لم يجب احدهما لاقتتال صاوي الايام امام الناس وصحة حبه وقدر صاحبه  
 مهم الاقاه ان يمينه عباد الله وهذا التماثل وان لم يكن مباحا بالاحكام لكن الحكومات  
 خاصة النظر عنه بمعنى ان لا يتحسب عليه وان اضاع واحدا شرفه بالشكايه فيه حكم له  
 لكنه يمان فهو وان كان فيه ما ينبي عن علو الهمة والشجاعة غير انه من أعمال الهجج  
 لان الحكومات انما اقيمت لدفع النعم والعياب والغناء الاغراض الشخصية المضرة بالغير  
 فبها يلقاه هاته العادة في اوروبا وبالجهب من ازديادها تدريجا ومن عادة الانكاز  
 التطير بأشياء كثيرة منها صباح المرأة المحلوه ما لم تنكحهم ومن الجهل العام لاسيما في  
 عامتهم الى اقوال المتكبرين واصحاب الحدثنان واتزاعهم من اخبارهم حتى يقتلون  
 انفسهم وكثيرا ما يقتلون انفسهم وأولادهم خشية الاملاق وكثيرا ما تلد المرأة اربعة اولاد  
 في بطن واحد وتكثر الخلق عندهم في ازدياد حتى لا يجدون شغلا في بلادهم فترى مئات  
 الالف يهاجرون سنويا الى الآفاق لتحصيل الكسب ومع ذلك فقد دهمهم في امكنتهم  
 لازل يزداد ودونك برهانا على ذلك في اقرب وقت وهو ان عدد اهل انكلا تيره اى  
 المملكة الاصلية من الجزيرة الكبيرة وحدها كان في سنة ١٨٥١ لا يصل الى سبعة  
 عشر مليون ونصف والآن هو سنة ١٨٨٢ أعنى في ثلاثين سنة تصاعد عددهم يناهز  
 ثلاثة وعشرين مليوناً فازدادوا خمسة ملايين أو تزيد مع كثرة من هاجر منهم الى ممالك  
 أخرى يقرب من ذلك العدد ولجموعهم تقال في عقائدهم فمن ذلك محافظتهم على يوم  
 الاحد بحيث لا يفتح فيه محل عمل سوى الاكل والشرب ومن فتح حانوته عوقب ولو لم يكن  
 من مذهبهم وهو غاية التناقض مع ما يطبقونه من الحرية والمكتم المحالية زيادة توغل  
 في ذلك حتى - كى عنها الشيخ آج - د فارس انها عرض عليهم احدثوا زراعتها اوراقا همة  
 للاهضاء في ليلة الاحد لكنه تالف لها بما كان تأخيرها لاصباح فقالت كيف وهو  
 يوم الاحد فقال هي همة للكم فقالت اذا بعد الكنيسة فقال نعم ولما رجعت من  
 الكنيسة وكان الوزير مصاحبها اهلته بأن الخطبة التي ايجته هي بايامازها الى  
 القسيس في المحافظة على يوم الاحد وبناء على ذلك فلما تم اصيحية يوم الاثنين ولوفى  
 الساعة الثالثة قبل الظهر لتهضى له اوراقه وتلك الساعة عندهم من الجيب مباشرة  
 الاشغال فيها لانها مبكرة جدا حسب عواندهم ومن عادتهم الترحاق على الجليل ولهم  
 مهارة في ذلك وقد دهمهم الفرانسيس وكثيرا ما يحصل العطب بانفسار الجليل وتغرق  
 من عليه في النهر أو البركة أو البحر أو المحاصل ان اخلاق الانكاز عروسه ولا يتحتمون

بالاجنبي مثل ما يقع من الفرانسييس غير انهم اذا واد احداهم احد اسماء من عيلتهم فانه يحافظ عهد و يدوم على ولائه ويحمون ذماره ولهم ولوع بالخيل وترتيبها وتسميتها وغنائمهم بالنسبة لاطليان والفرانسييس ردى لتقطع اصواتهم وحصرها وبقية الصفات هم فيها مثل من تقدم ذكره من الممالك ثم يوجد في انكلا تيره نوع من البشر يسمى عندهم اهل تونس بالزمازية وفي الاسنانة جينة كاله وبالفرنساوى بالبوهمية وهم في الحقيقة موجودون في اغلب الاقطار شراذم وفي ككل جهة محافظون على عوائدهم واهمها الجهول وعدم مخالطة الذلل وتعاطى علم الغيب وسكنى الخيام وتعبا على الصنائع البسيطة الرذيلة مع الفقر ولهم لغة تخصهم ومن عادات او اساط الانكاييز وعيلتهم حسن تربية الام والولادها بحيث ينشون على التثذيب والتفطن الى التعليم من غير تعب حتى انهم كثيرا ما يتعلمون الاحرف ومبادئ القراءة لجرد التريبة فيما تدبجه الام او المريية للصغير مع النظافة والابعاد عن الانعلاق الذميمة وكل ارباع على هذا النحو والمهم في النساء من التعليم الحسن

- بطلب في التجارة بانكلا تيره اعلم ان الاصول المتجربة التي مر ذكرها في الممالك السابقة هي جارية كذلك في انكلا تيره. لكن لهؤلاء زيادة بسطة ونفي على سائر الممالك بما برز من تجارتهم في مستعمراتهم وغيرها حتى اصبحت سنة ١٢٩٨ ١٨٨١ م ملك الانكاييز من المنقولات التي لها دخل مثل اسهام سكك الحديد وديون الدول وغيرها فكان سبعة وثمانين مليار فرنك والمليارد الف مليون ودرج ذلك في السنة اربعة مليارات فلو قسم على نسبة عدد انفسهم اصح لكل انكاييزى (١٠٠) فرنك منها ٥٠ من خارج الممالك وذلك كاف في بيان مقدار رفى هؤلاء القوم وحرارة تجارتهم فان بر يدهم يصل الى جميع جهات السكونة ويوانحهم مائة للبحر واعظم البضائع الخارجة من ممالكهم هو الفحم الجرى فقد اخرج من مقاطعة سنة ١٨٦٦ ما يزيد على الفى مليون قنطارا والمقاطع الموجودة في انكلا تيره من هذا الفحم ثلاثة آلاف ومائتان واحد وثلثون مقطعا وهو بسبب عظيم اثر وتم من حيث البيع منه للخارج واستعماله في الداخل ومن حيث توقف الاشغال الصناعية عليه لكثرة المعامل التجارية ولذلك اشتدت عنايتهم به حتى انه كان كثير من علماء الاقتصاد عندهم يبحث عن احوال فراغ ذلك المعدن وما يتسبب عنه من الزيادة للانكاييزى سنة ١٢٨٨ ١٨٧١ م اشتد البحث في هذا الامر وعينت الدولة لجنة للتحقيق الامر وبهدمته وابحاث استقر رأيهم على

انه يمكن بقائه هذا المعدن عندهم الى مدة ثلاثمائة وخمسين سنة ثم يفرغ نظرا الى كمية ما يستخرج منه سنويا ونظرا لصعوبة استخراجة فيما سفل من طبقات الارض وكثرة المصادر ينف عليه حينئذ من تلك السنة ارتفع ثمنه نظرا للاقتصاد في استخراجة ولازال البحث عما يوضع عنده من القوت اوروبا وفيه يرون في استعمالهم ومن موارد تجارتهم الواسعة ايضا ما يخرج منهم من الحديد واغاب الجلوب لهم المحبوب لان ما يخرج منها عندهم غير كاف لهم وتجد في افراد الانكليز الغنى الذي لا يوجد في غيرهم كما يوجد فيهم الفقر المدقع بكثيره وقد انه قدت في خصوص لندرد شركت للتجارة وازارعة ٢١٢٥ شركة افسس منها ٤١٢ شركة رأس مالها ٥٠٠ مليون فرنك وذلك في خصوص سنة واحدة وهي سنة ١٨٨١

مطلب في الاحكام بانكلا تيرينج قد مرت اصول الاحكام الشخصية عندهم في مهت السياسة الداخلية وانما نقول هنا ان قضاة الانكليز يضرب بهم المثل في اوروبا وفي العفة وعدم الميل الى الاعراض وفي متعلقات دولتهم وهناك مدن يقيم فيها القاضى ومدن تذهب اليها القضاة في اوقات معلومة من السنة فتعرض دايهم النوازل المهمة لهم من احكام الجهات والاحكام التي تليها انما تصدر من القضاة بحضور الجورى وقد تقدم الكلام عليه غير ان جورى الانكليز يختص بانه على قسمة فالاحكام الخطيرة جوريا يتألف من قضاة منهم واعيانهم وكل منهم ليرة على كل نازلة والاحكام الخفيفة جوريا من السوقة واصحاب الحرف مثل فرانسا ويزيد جورى الانكليز يجورون عظيم على نفس الجورى فان للقاضى ترفيقهم في محمل منفرد بكان المحكم حتى يقع اجراءهم على رأى واحد من غير اكل ولا شرب واذا وجد مع احدهم شيئا من مواد المعاش غرم ما لا وهذا من عتائب الاحكام اذ كيف يلزم اتفاق آراء عديدة على قول واحد انما او يعضون على ذلك فموضبا ان يكون ذلك وسيلة للعدل ربما كان واسطة للجور كما انهم صاروا يهتمون بتعويض المحكم بالاعمال الشاقة عن القتل مهما امكن وذلك جالب لزيادة الشرك كما صرحت به صحفهم المنصفه وكذلك صاروا لا يهتمون بمدن والمدن وانما على الدائنين اثبات مال له والمحكم يوص له به ومن احكامهم المبني على العادات القديمة تفريقهم لاوطى في دعاه من العذرة الى ان يموت وهو من اشد الشناعات عندهم ومع ذلك فهو وكاش في كثير منهم سرا سيما العساكر البحرية وقد وقع عندهم منذ عهد قريب ان احدا الملهى وجد فيه لاعبات جيلات جدا فدعا هن مترفوهن واختلوا بهن وبعده

مدة مديدة اكتشفت الحرس على أنهم في الواقع غلمان، بشدة البحث عن حالهم \* فوجدوا محكم الأطباء أنهم مفعول بهم كثير، لكن حكم فيهم أشد حكم ولم تقب مع الجزئيات لكي لا يقع الافتضاح لبعض العلية وقد بقي على عدم حصر أحكامهم في مرجع واحد طول مدة الحكم وكثرة المصاريف عليها أزيد مما يوحد من الطول في محاكم أوروبا التي تطول فيها النوازل جداً ومن أحكامهم اباحة زنى بالتراضي مثل ما في غيرهم، لكن يمكن أن يذال نساء عليهم أعف من غيرهن في الممالك الأخرى ونساء أواسط انفرانيس على ذلك النحور ما عدا هؤلاء، فلا ترد أحدهن تعريضاً لأمثال بل ورجافاً تحت هي الرجل

\* **مطلب في المعارف بانسكلا تيره** لا يخفاء أن امتداد الثروة مبني على كل من العدل والعلم فعمل قدرات تفساه ذلك نمو الثروة وما تقدم من اجمال حال ثروتهم - م دال على حالة المعارف عندهم وأصول المعارف هي الوجود بغيرها من الممالك السابقة وتقسيم تعاليمها إلى التقاسيم الوجودية في فرانس وأعظم المدن التي توجد اليها من جزيات الارتال لاقامة التلامذة بمدارسها هي مدينة كبريج واكسفورد وأكبر أبناء الاغنياء يقومون بهاته المدارس ولهذا كان كل من البلدين غالي الاسعار اذا غلب التلامذة يرضون أوقاتهم في التلهي والتفاخر والوسيلة لهم التعلم وقيل ما يبرع أبناء الاغنياء في العلوم لكن على كل حال لا يوجد فيهم الجهل المطبق ومما اختلفت به انسكلا تيره وجود جمعية دينية لنشر مذهبهم البريتستانتي واتفاق النفقات الباهظة على ارسال الرسل لتنصيب الناس في أقسام الارض وحمايتهم ورايتهم فيغرون الناس بالمال وبالبحاثات الدينية ويقض المدارس لتعليم العلوم ودرس العقائد فيها وقد بذلوا مستطاعهم في الهند لتعديل عقائد أهلها وحصلت مع المسلمين مباحثات شهيرة وكان الانتصار فيها والله الحمد للمسلمين حتى انه أسلم بسببها كثير من الجوس بل في هاته المدة أسلم أربعة قسوس من الذين تصدوا للتراث والمجدل بسبب صدق الديانة الاسلامية ورسوخ العلماء هناك وتبهرهم في العلوم ثم ان أسباب نيسير نشر المعارف في انسكلا تيره كثيرة سهولة المناولة فقد حرروا في سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م انه يوجد بلندره وحدها ٨٧١ مطبعة و ١٦ معمل لصنع المكابس التي تشغلها الايدي فضلا عن معامل مكابس البخار (وتسعة) معامل لآلات اعطاء الخبز للروف و ٢٣ معمل لصنع مكابس المطابع الحجرية و ٢٣ معمل لسبك الاحرف ولوانها وكل مدينة فيهم امن المطابع والمكاتب

ما يناسبها وعدد المكتبات التي بائنا كلاتيره ٢٠٠ مكتبة فهم من المكتب المطبوعة  
 ٢٨٧١٤٨٣ ومن المكتب التي بالخط ٢٦٠٠٠ وأعظم هاته المكتب مكتبة لندرة  
 الكبرى وهي ثانية لمكتبة الامة في باريس ومن أهم وسائل المعارف والتجارة والمحربية  
 عندهم الصحف الخبرية وهي على أنواع في الموضوع فمنها الخاص ببعض فنون علمية  
 كالطب والكيمياء وغيرها والآخر عام في الفنون والبعض جامع للعلوم والعلوم  
 والتجارة وأهم صحيفة من هذا النوع صحيفة التيمس وكان أول انتشارها سنة ١٢٠٣ م  
 وكانت لرجل خاص ثم صارت ذاتهم للشركيين ولم ينزل حفيد منشئها له حصص منها  
 وصارت لها آلة تطبع مناسبتين ألف نسخة في الساعة الواحدة مع طبع المساء  
 لي نحو كتاب ذي ثمان صفحات أو ستة عشر صفحة والورق الذي تطبع عليه يوفى  
 به بالمرافعة على نحو اسطوانة فتتم الآلة وتخرج مطبوعا مطويا واول كل  
 قطعة من الكاغذ قدر ثلاثة أميال انكليزية ويوضع لها من تلك القطع من  
 الثلاثين الى الاربعين قطعة بحيث لو وصلت ببعضها مائة متباع مسافة  
 مائة وعشرين ميلا هذا في طبعة الصباح وحدها وتارة تطبع ثانيا وثالثا ورابعا  
 اذا تكاثرت الاخبار ولها خدمة للطبع والانشاء وغيره اربعمائة عامل نصفهم  
 لخدمة النهار والنصف لخدمة الليل ورئيس المنشئين مرتبه مائة ألف فرنك في السنة  
 وزيادة على المنشئين الرسميين بالمرتبات كل من أتى بمقالة في أي موضوع كان  
 وحسنت عند المدير فانه يعطى صاحبها اجرا عليها يبلغ الى الالف فرنك على المغالة الواحدة  
 وله في سائر الاقطار كاتبون بمرتبات وافرة ولهم أعوان وكاتب وادارة مثل سفارة  
 لدولة من الدول ولهم اذن في صرف كل ما يلزمهم لاخذ الاخبار واصحابها  
 الادارة زيادة على مصاريفهم الخاصة فيصرفون احيانا على محررين  
 واحد يسلك اليك مائة الف فرنك وازيد بل ويرشون من يرتقى من متوظفي  
 الدار لا عطايتهم الاخبار السريية وقد حصلوا في بعض الدول المهملة على  
 لوائح رسمية قبل وصولها الى السفراء برشوة آلاف من الفرنك وهؤلاء  
 المكاتبون يتقبلون الوزراء والامراء مثل متوظفين ويحاورونهم في المواد  
 السياسية وعند وقوع حرب فلادارة المحيطة مكاتبون حاضرون ترسلهم الى  
 ميادين الحرب في المسكرين حتى يخبروا بما يكون وتقبلهم رؤساء الحرب  
 بالحب غير انهم يشترطون عليهم ان لا يخبروا الا بما يوافقهم فيحصل  
 من الاخبار من الشقين ما يستنتج منه جهة الخبر وينال هؤلاء المكاتبين  
 من الاخطار ما هو معلوم في الحرب غير انهم يتقاعدون عن مواقع

الرحى وكثيرا ما يكونون بقرب رئيس المعسكر وعن المعلوم ان لا يخاطر احد منهم بذلك الا  
 لسكينة المال فادارة التيمس لها من الدخل والخرج السنوى ما يضاهاى دولة من  
 الدول الثانوية مع ان كل نسخة منه لا تباع الا بثلاثين صانين ماى ثلاثين من مائة من  
 الفرنك الواحد ولو اشترى الورق وحده أيضا لكان أعلى من ذلك لان ورقه هو من  
 معمل خاص به فالربح العظيم انما هو من كثرة الخرج مع كثرة الاعلانات وعدد نسخ كل  
 دفعة فهو من السبعين ألف نسخة وعلى نحو منه فى أصول الادارة صحف أوروبا الشهيرة  
 صكها

مطلب فى الصنائع فى انكلا تيره كجما الفلاحة فهى مترقية للغاية وأكثر ما استندت  
 هو القمح والشعير والبطاطاس وشجرة الدينار التى تستعمل منها السكر ككفة أى البيرة وكل  
 المستنبتات لا تنكفى حاجة الاهالى فيجلبون من الخارج كثير الا لشجرة الدينار وبقيصة  
 الصنائع فاعظمها عمل آلات الحديد بانواعها والسفن والمنسوجات القطنية ولهـم فيها  
 مهارة على سائر الممالك حتى صارت أرخص عندهم من غيرهم ثم المنسوجات الصوفية  
 لاسيما المستخرجة من صوفهم الرقيق المشابهة للحرير وبقيصة الصنائع هى دون ما فى  
 فرنسا فى الحسن والرواق لكن جميع مصنوعاتهم متينة

مطلب فى هيئة المساكن فى انكلا تيره كجما المساكن فى انكلا تيره على خلاف الممالك  
 المتقدم ذكرها فان هيئة البناء من خارج على نحو ما فى الاسنانة من خروج جهات من  
 الدار ودخول أخرى وكذلك الطواقي تنفتح أبوابها بالرفع الى فوق مع كونها مبركة بيرة  
 مثل ما فى بقية أوروبا وكذلك الديار كل منها لا يسكن الا عائلة واحدة ولا تترى طبقاتها  
 على ثلاث والبناء كله من الآجر والسقوف والدرج من خشب متقن الصنعة والا لصاق  
 بيضه ومن أحسن ما عندهم هيئة الكنف واتساعها ونظافتها وان كانوا يحسبون  
 عالم اجلوسا فما تقدم فى الابنية هو الغالب والقبيل مثل بقية انديسة الممالك السابقة تم  
 ان منازل المسافرين هى أيضا مثل الممالك السابقة غير ان أكثر الواردين انما يسكنون  
 فى ديار منفردة يجدها الانسان حاضرة بجميع لوازمها وينفق فى أكله على حسب  
 ارادته والذي يقوم له بلوازمه هو صاحب المحل فيسأله عن مقدار ما يريد صرف يوميا  
 وعن اجمال رقت أكله وما هو مشتهاه منه فيصرف له على نحو ما يريد وتقدمه خوادم  
 المحل الذين هم فى الأغلب من البنات الجميلات ومن أراد كراء بيت واحد له ذلك وهذا  
 الطريق أرقي بكثير من السكنى فى منازل المسافرين لانها فى انكلا تيره غاية جدا كأنها



معدة لارباب التعرف خاصة ثم ان حارات السكنى لا تجد فيها حوانيت للساع او غيرها من  
اللاوازم بل ذلك من عيب المسكن عندهم والطرق التي بها الاسواق وحوانيت البياعة  
لا تسكن الا لاراذل بحيث يصح ان يقال ان عاداتهم في المسكن قريبة كغيرهم من عادات  
المسلمين في انفراد العائلات وحمايه الديار من التطرق برشدة النظافة في داخل الديار  
تنظيمها كل على قدر سعته اما الفرش والاثاث فهو على نحو ما تقدم في الممالك السابقة  
من اوروبا وواقف الانكليز في البيوت اتقن من غيرهم وتلزمهم نفقة تضاهي نفقات  
المعيشة لشدة البرد وطول مدته ولما رأيت ان بلدانهم كادت ان تكون كلها من الاثر  
زال يهيجي ما رأيتهم من كثرة معامله في الطريق (أما الطريق) في انكلا تيره فهي  
دون غيرها من الممالك اوروبة المتقدمة في الذكر من جهة النظافة والاعتناء بتنظيمها  
حتى اني رأيت في ذات لندره طور يقال يسع الا بمحلة واحدة لا تكاد المحلة تتحرك فيه من  
كثرة ما فيه من الوحل والطين مع كونه كثير المرور فيه (وهكذا) سائر الطرق كثيرة  
الوحل قليلة النظافة سيما وقت نزول المطر الذي لا يكاد ينقطع ولهذا شرعوا في عمل  
تياط الطرق بقطع الخشب لانها انطب (وأما تنوير الطرق) فهو على نحو ما في سائر اوروبا  
لكن القرى الصغيرة في بلاد الانكليز هي اسوأ حالاً من غيرها اذ كثير منهم لا يتجدد  
فيه حانوتا لبيع شئ الا ما ندر من يبيع ما لا يسد من عوزة كفي بما ذكره الشيخ أحمد  
فارس في صفتهم في هذا الصدد حتى يكادوا يلحقوا بالوحشين نعم ان طريق  
الحديد والترع والسفن هي هنا اكثر وأمن من غيرها ومن الابنية المعتمنة  
بها السجين فهو عندهم بل وعند سائر اوروبا قسم على أنواع على حسب الجناسيات  
وحسب الايقاف والحكم فعمل الايقاف للتمتع حتى يثبت عليه الحكم أشبه بمنزله منه  
بسجين ثم يدرج الامر الى الجناسيات الشديدة فيهبس الجاني في بيت منفرد يدخل له  
الضوء من أعلى ويتجدد به الهواء ويعطى شغلا عمليا وفرشا نظيفا يدفع الحر والبرد وكلا  
سليمان طعام واحد ويخرج في وقت معلوم للتمشي في البستان الذي حول السجن  
لكنه يمنع من الكلام مع غيره مطاقا فان خالف الاوامر سجن في محل مظلم بطل

واذا مرض عولج بالطبيب والدواء فحجرتهم سجين لا مقتل

مطلب في اللبس في انكلا تيره لبس الانكليز من لبس الفرنسي بل  
والشائيات المترفات عيال في التقايد على الفرنسيات وهم يؤثرون مصنوعات  
الفرنساويين عن مصنوعاتهم في اللبس ولبس العساكر أحسن من لبس عساكر غيرهم

نظافة وشكلا وان كان على نحو واحد وما كانت الابخرة والدخان والغبار  
في انكلا تيره ينكأثر جدا كانت الثباب البيض كالمحصان تحتاج الى التغير بكثرة  
تحفظ على النظافة فاحنا جوا الى جعل رقبة القميص ورؤس يديه وصدره مفصولة عن  
القميص وتسلك به بواسطة زرر حتى لا يلزم تبه - برجبع القميص لجرود وبع ما يظهر  
منه عدة حرار في اليوم وهذ اوان كان موجودا في سائر ارباع السواء عندها واسط  
الناس لا يمكن الذي خصت به انكلا تيره هو جعل تلك القطع مع ورق مخين ابيض  
حيث وجدوا ثمنه وان كان لا يصلح لازيد من لبسة واحدة ارفق من ثمن الكمان مع  
دوامها يحتاج اليه من كثرة غسل الصابون والنشاء والتمليس بالحديد الحمي \*  
مطاب في الاكل في انكلا تيره الانكليزا كثيرا كالات من غيرهم حتى ان المقل  
منهم لعددها يا كل اربع مرات في اليوم صباحا وقبل الظهر وفي الساعة السادسة بعد  
الظهر وقبل النوم والاخيرة هي الخسالية عن المطبوخ ومنهم من يا كل ثمان مرات  
في اليوم وأكلهم على العوم بسيط اذهو شوربة ولحم خالص مقلي او مشوي او مسلق  
وطاط مسلوقة في الماء ليس الا ولا يضمون في الطعام شيئا من التوابل بل ياتون  
به في اواني امام الاكل ياخذونها غضة بدون طبخ بل حتى الملح كذلك عند بعضهم ومن  
هنا التوابل الحريفة كثيرا كالفلفل وغيره مما يستعمله الهنود وياتون الى مواثهم  
بقطع كبيرة من الجبن وهو الذجن رايته كما ان اللحم ايضا ياتون به قطعاً كبيرة جدا  
بصيت ياتون بفخذ بقرة صغيرة كله قطعة واحدة كما انهم اكلوا كلالا لتزير من غيرهم  
من رايته والمترفون منهم والمطاعم الشهيرة العامة ياتون بطباخين فرانسوايين وقد  
رايت باحدى المطاعم باندره (قسما) لا كل الانكليز (وقسما) لا كل المشرقين \*  
(وقسما) لا كل الفرنساويين فيختار الاكل الجهة التي يريدوها وكان الداعي بساطة  
أكلهم ولوعند الاغنياء كثرة الغش في الماء كولات بحيث لا تكاد نجد خبزاً من دقيق  
المحنة حقيقة بل هو فيه انواع شتى تركب باقتان حتى لا يفرق بينهما وبين الاصل الا  
بعمليات كيميائية وكذلك الزبدة فما هي الا شحم حيوانات تركب مع اجزاء بأعمال  
كيميائية حتى تصير مثل الزبدة (وهكذا) سائر الاشياء الا اللحم وقد ذكر في كشف الخبا  
ما يتعجب منه من خطاط الماء كولات وغشها وحوول العوم بانواع الطبخ وهم كثير والشرب  
للسكرات الروحية وكذلك السكر كذا أي البيرة الشدة البردولة الخمر وفلان حيث  
لا يثبت بأرضهم العنب ويخطون البيرة بورق التبغ حتى تصير شديدة التآثر ويكثرون

منها حتى يغمى عليهم بل ان أيام الاحد ترمى النساء والرجال سكرى على الطرق ماقون  
 ويتفوهون بالفحش وبعضهم أحيا نائمون من كثرة السكر وأهل اليسار يشربون  
 الشاي بكثرة سيما في السمريل بلا يريدوا الاحبة بعضهم اليه ويختلفون لشربه ويجعلون  
 في أقذاح الشرب قطعا من الليمون الحامض أو يخلطونه بشيء من اللبن ويأكلون معه  
 شيئا من الخبز والزبدة وغير ذلك من المماثل الخفيفة لكنهم لا يضعون فيه العنبر أو غيره  
 مما تصنعه المغاربة والمشاركة أكثر طبخهم في الاواني من الحديد لا النحاس لانه اذا لم  
 يبيض دائما ينشأ منه الصدأ والذصار أعاب أروبا انما يطبخ في أواني الحديد  
 أو النحاس التي يجعل داخلها مطلاة بنوع من الخنزف بحيث لا يمس النحاس الطعام ومن  
 عادتهم في الاكل أكل اللحم النتن سيما في بعض الطيور حتى يصير الطير يكاد يتحرك  
 من الدود الذي نشأ فيه واذا أدخل الى بيت الاكل زكت أنوف حتى الكلاب من قبح  
 نثر رائحته وهم يستأذونه على ذلك مثل سودان افر بقيمة ومن القواعد الجارية في عموم  
 أروبا ان لحم البقر لا يؤكل الا بعد يوم من ذبحه في الاقل ومثله الطيور ولعمري ان هذا  
 من من جهة تليين اللحم وقابليته للطبخ واللذة سيما في البلاد الباردة لكن لا يصل  
 الحد به الى حدوث أذى في رائحته به فان هذا مضر بالصحة فضلا عن استنقذه (أما لحم الغنم)  
 وما شاكله فيؤكل في يومه وهو لذيد لكنهم ممنوعون من لذة أكل الخروف الصغير  
 اذا لم يكن يمنع ذبح الشاة دون سن العامين لاجل الاقتصاد بكثرة اللحم لان الشاة اذا كبر  
 حجمها كفت أضعاف أضعاؤها وهي صغيرة نعم من أراد ذلك فله ذبح خروف مخصوصه  
 ويؤدى عليه أداء زائد للحكومة بحيث لا يوجد الا بالاعتناء

مطاب في المواكب في انسكالاته في المواكب عند الانسكالات هي رأس السنة  
 والاعياد الدينية واجمالها مثل ما تقدم في غيرهم غير انهم عند تنقذتهم للملكة يلبس  
 الكبراء ذلك الشعر الابيض العارية ويقبلون يدها على طهر الكف ومتمم من يقعد  
 عند ذلك على ركبة ورجل وتقبل يدا الملكات جار عند ذبحهم أيضا وزوجة الملك  
 تعامل معاملة الملكة في ذلك بل وبعض الممالك مثل المانيا العسا كرقمها يقبلون يد  
 الملك أيضا ومن المواكب الشهيرة في اندر يوم دخول صاحب الملك المدينة ترسها  
 متوجهة الكنيسة ماربولس متشكر على ظفر أو لاقتتاح بناء مهم طام فحينئذ  
 يأتي راجا الى البلاد ولا يدخل الامن باب تنبل باروهو في أول طريق السبت الشهير  
 فينطلق الجباب في وجهه شيخ المدينة فيقدم الملك الى أن يصل للباب فينفتح أحد كبراء

أبناءه في بوق ويدق آخر الباب وتقع مخاطبة بينه وبين شيخ المدينة ثم يفتح الشيخ الباب ويقدم للملك سيف البلاد فيأخذ منه ثم يرجعه عليه ثم يسير الشيخ في ركابه إلى أن يصل إلى مقصده مع الاحتفال التمام وكال الأزد حام ومن المواكب المشهورة يوم تولية شيخ المدينة في كل سنة في شهر تشرين ثاني فإنه يجعل في الطرق حواجز منع مرور الجمالات وتنص الطرق بالمخاق فيخرج الشيخ من قصر كدهال في موكب حافل ويركب بحملة مؤنفة ذات قيمة بلبنة شجرها أفراس ويركب معه قاضي القضاة والكل باللباس الرسمي وتوضع أمامه آلات الحرب على بحملة مزينة بما تنبت به الأرض وعلى بحملة أخرى سفينة ذات شراع تجرها سائمة أفراس أيضا وتتشرف في الطرق الشرط وتسمى أمامه وتقف حول طريقه فرق عديدة منهم بعضها يعزف بالآلات الطرب وبعضها ينفخ في ابواق وبعضها يحمل رايات مختلفة الألوان وبضهم مندرج بالدروع العتيقة وفي موكبه جميع أصحاب الرتب العالية وشيخ المدينة العزول ويلاقيه في الطريق وزراء الدولة وأعضاء المجالس والندوة وسفراء الدول وعند استقراره بالقصر الخاص به يدهو جميع الأعيان لوليمة فاخرة تستعمل على ٢٦٣٧ صحن مع زينة المائدة بأواني الذهب والفضة ويحجمل أمامه صحن به ٤٤٤ صحن غير من سمك نهر التيمس ويكون ذلك اليوم يوما مشهودا وذلك الشيخ من أعظم رجال الدولة مع أنه يمكن أن يكون سوقيا أو فراعسا كبريا على حسب ما ينتخبه المجلس البلدي وبقاؤه سنة فقط ومرتبته نحو عشرة آلاف ليرة لا يستمتع منها لذاته بشئ إذ كلها تصرف في أهبة المنصب وولائمه

مطلب في اللغة في إنكلا تيره في اللغة الإنكليزية مستحدثة متولدة من اللسان التودسي القديم وهي لغة ضيقة سهلة التعلم يودون المعاني كلها بالتركيب وقد اشتهرت جدا في أمريكا والهند حتى صار عدد من يتكلم بها ثمانون مليوناً على ما من يعرفها وليس يستعمل لها لغة له وكانها لغة حلقية لأن أغلب أحرفها حلقية ولا تساعده على انشاد الشعر والغناء بالكافة كبيرة

(٧٠)

﴿ مطالب في القوة الحربية والبحرية والمالية والتجارية ﴾

ف---رنك

دخل الدولة الانكليزية عدا حكومة الهند والمخرج معمله سنة ١٨٨١ نحو	٢	٧٥٠	٠٠٠	٠٠٠
دخل حكومة الهند والمخرج معمله	١	٦٣٠	٠٠٠	٠٠
عسا كبرية تحت السلاح		٠	١٦٠	٠٠٠
عسا كرا الهند تحت السلاح		٠	٣٥٠	٠٠٠
عسا كبرية وليس لها من مائها في وقت الحرب في المخرج فحضر بالاجرة كما ترى يد وعند الهجوم عليها فاهلها كلهم محاربون		٠	٠٦	٠٦٥
قوة التجارة المالية نحو	١٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠
عدد السفن التجارية الحاملة للراية الانكليزية		٠٢٠	٠٢٨	
مدد البواخر الحاملة للراية الانكليزية		٠٠٥	٠٢٧	
عدد الامم ذات الات لسائر المصنوعات في بريطانيا		٠٠٧	٢٩٤	
امتداد مسكن الحديد بدم الاجات من الركاب في سنة واحدة ستة ملايين		٠١٨	٠٠٠	
عدد البواخر المدرعة العاملة والاحتياطية		٠٠٠	٠٦١	
جواتها طوفولانه وكل طوفولانه عشرون قنطارا ومدافعها على حساب المعدل الواحد طوفولانه ٣٧		٢٦٠	٠٠٠	

## ال باب ال س ا ب ع ﴿ في جزى رة م ال طه

﴿ الفصل الاول في سفرى اليها ﴾

لمار جعت من فرانس الى تونس في اواسط رمضان سنة ١٢٩٦ ووجدت انقلاب الاحوال فيها باستيلاء فرانس عليها وقد نشم ولم تغد نصا شحى الى وزير تونس مصطفى بن امساعيل بل رأيته اضر على الثمر حتى اوعز الى بعض الصادقين بعزمه على البطش بي ولوا فاضى الى القتل مع تضاد برستان فنزل فرانس اذ الخشية من فشو ما طلعت عليه من عزمهم وحصول التعطيل لهم حسب ما سبق في الاشارة الى طرف من منه في ذيل نساط فرانس على تونس وفي اسباب سفرى ولم نجد محاصر الا الا التخصيص برأسى وطابت من ذلك

الوزير

الوزير كتابة اعفاني من الوثايف من عمل البحالة بندي فاجابني كتابا بالانع فطابت الاذن بالتوجه الى الحج فنعمني اولافا سيجرت اليه بن لم يسعه الا قبول جاهه فاذن لي قانعا بالاستراحة مني وشافهني الوالي عنه ودواعه بما يشف عن غيظه الذي ملاه به وزيره صدمه فانه قد نال الله من شرهم واخذت ورقة الحجواز وسافرت اواسط شوال من تلك السنة الى الحج على طريق مالطة بجزر فوصدت اليها بعد سير اليهاخرة البريدية ونحوها من يوم فاذهي جبال فعمله ترى فيها حيطان من الحجر مرصوفات منتشرة على تلك الجبال ومرساها من اعظم مرامي البحر الابيض اذقانا وصناعة وتخصينا واقعه على الجهة الشرقية من شاطئ البلاد فالبينة التي هي قاعد الجزيرة فصعد الى الباخرة السيامية لئلا ينزل المسافرين واتقتت مع سوار المنزل المسمى اوتيل دي باريس على ان يكون سعر اليوم والليله فيه عشرة فرنكات سكتاوا كلالي ولتايبى والسكنى في حجرتين والاكل مرتين لانهم يسألون عن كمية الاكلات لما تأنسون وابه من كثرة الاكلات انكابت فدخلنا الى البلاد ولم يطلب الكرك الا الاداء على الماء كولات وذلك لان السفر الى المرمين يلزم فيه قطع برارى ايس فيها مرافق فاحضرت معي من الماء كولات التي تدعوها بالبحده في البلدان التي غر عليها ومع ذلك كنت خفت بما استطعت ولم نعمل باشارة بعض الاحباء من حمل كثير من اللوازم ظنا مني اني اجد هاتي البلدان التريبة ههناك وكان الامر على ما قالوا كما سياتي في عمله ان شاء الله ولما كانت مالطة مرمى حرة لم ياتي في سياستها لم يكن فيها اداء على شئ سوى الماء كولات التي تؤدى الى الجاس البليدى لصالح البلاد وحيث كنت لا احتاج الى تلك الاشياء في مالطة ابقىتها مرمومة في الكمرك واخذت فيها حجة لكي لا تؤدى عليها اشياء بعد الاستراحة بالمنزل نظرت فاذا بالطبقة السفلى ملائكة يصناديق مكسوة بالجودا الجميل وساهير الفعاس ومعها بعض خدام وحشم والطبقة العليا فيها عائله من المسلمين ومعهم رجل من اتخذ السخريه همناعه له فقدم الى وحادثة بنى بكلمات بعضها عربي وبعضها تركي ولم اكن اذ ذلك افهم التركي فاعلمت به بانى لم افهم فهدى الى اللعربى واعلمنى انه من حاشية احد المكتبة بطرابلس الغرب من متوظفي الترك وانه ارسل الى الايمان بعائلته من الاستانة ففهمها هو مع بقية الخدم وذكر في حديثه مقدار مرتب متبوعه فظانته انه هازل فحقق لي المقصد اذ اذاهوليا يبلغ ما تمنى فورتك في الشهر ففهمت من الامر كيف يكون صاحب تلك البدنة مكتفيا بذلك المرتب ويتعب لاجله من الاستانة الى طرابلس الغرب مع شدة التعبان في الهوايا بحر والبردم خلو الوظيفة عن مقام حال حتى يقبل لصاحبها برغبته في

الصيت فدل على وجود ربح آخر على غير الوجه الرسمي مما يضر بالملك والله لطيف  
 حفيظ (وهاته) البلاد أعنى فاليتقاعد مالطة متمصاعدة في جبل حتى ان أظاب طرفها  
 يصعد فيها بدرج وبها طرق رحبية للبعثات أحسنها واحد من الشمال الى الجنوب  
 خارق البلاد الى طرفها وبعضه مباط بالخشب لمجرد تقليد بلاد لندره والافلاياث عايشه  
 لان جهة الوسخ المتسبب عن عدم انقطاع الامطار ولا من جهة قرقعة البعثات  
 المتكاثرة ولا من جهة رخص الاخشاب اذا مالطة على خلاف ذلك كله وهى على نوع  
 البلاد الاروية المتوسطة في الكبر والحسن غير انها متقنة نظافة الطرقات وان كان  
 أهواها يبولون ليلاني الطرقات لكنهم يغسلون محلات البول كل يوم وبها قصر المحاكم  
 وفيه آثار عتيقة على قدر حالة البلاد وليس منها ما يذكر الامدافع من أول نوع اخترع  
 وهى ورقات من نحاس معصبة بحبال ثم ملقوف عليها جلد غليظ مطلى بالقطران طول  
 كل مدفع ثمانية أشبار وقنار داخله سميع عقيدو بقيمة ما في البلاد ليس منه ما يفرد بالذكو  
 غير انها حاروية لانموزج ما في المدن الحسنة مما يرجع الى التحسين على نحو ما في أوروبا  
 فلا تضيق لباعدته (أما في التحصين) فهى من أول أقسام المراسى والبلاد ان الحصينة  
 بها حولها من الحصون المعمرة بالمدافع الضخام جدا مع الكثيره وجعلها طبة فوق  
 أخرى لتساعد على ذلك من الجبل فهى حصون منحوتة فيه لا تخربها القنابر ولون  
 أعظم المدافع بحيث يصح أن يقال انها لا يمكن للهجوم اقتحامها أو أخذها الا بالحصار  
 لاحتياجها الى القوت من خارج نعم يلزم طول مدة الحصار لانها مركز متوسط في البحر  
 الابيض فتجئ اليها التجارة من البحر الاسود وغيره ويخزن فيها من الحبوب وغيرها ما يكفى  
 أهواها عدت سنين كما انها تشغل مرساها على معمل مهم للسفن واصلاحها محتوية خزائن  
 على كل المواد اللازمة لها وبها مرسى أخرى تسمى مرسى موشيطو كنها مرفقة عن مرسى  
 الشط وهى مرسى الكرنيتينة أى مكان اقامة الواردين من البلاد المصابة بالامراض  
 المستوبية وهى دون الاولى وحولها مساكن مقسمة على أقسام على وجه يمكن به  
 الاحتراس من مخالطة السكان بعضهم ببعض وهى مساكن لا يباس بها كبايو جند خارج  
 البلاد مقبرة اسلامية متحولة بسورها باب مغلق مفتاحه عند امام الجامع وهو جامع  
 ظريف والامام يقيم هناك والقائم بالجميع الدولة العثمانية له اكثره ورود المسلمين الى  
 هناك حجاجا وتجارا من المشرق والمغرب فاقم ذلك الامام للصلاة بالجامع وعلى من يموت  
 لركنه عوضا عن سلوكة مسلك الديانة كان مقبلا على الجنان والجامع معطل ولله عافية

الامور وعند مروري على حوائطها وجدت بها أسرة من حديد صغيرة خفيفة - تتفاح حتى  
يصير الواحد في طول ذراع وخط سبع عة - وياف في المكان التخزين الذي يفرش على  
ظهره للنوم عليه فاخذت منها اثنين للرحلة في الحجاز وفتشت على معمل صغير يمكن عمله  
بسهولة للتلج فلم أجده هناك ولا وجدت شيئا يحتمل أني لأجده في غيرها فاكتفيت  
بذلك وسافرت منها بعد الإقامة فيها ثلاثة أيام راكبا بخبرة تجارية انكليزية متوجهة الى  
اسكندرية

## الفصل الثاني

### في التمر يف بمالطة

مسمى هـ - ذا الاسم ثلاث جزر واقعة في البحر الابيض على دقبة ٤٥ درجة ٢٥ من  
العرض الشمالي دقبة ٤٤ درجة ٢٢ من الطول الشرقي الجزيرة الارضية تسمى  
فالينا وهي الخامسة عشر قرية أكبرها فاليتا التي هي القاعة - والجزيرة الثانية  
تسمى (أدوج) بها ستة عشر قرية والجزيرة الثالثة تسمى كونه ويقربها أخرى  
تسمى فلغلة صغرى - يرتان ليس بها سكان وانما يقدم اليها أهل الجزيرتين الاخرين  
للفلاحة بهما واختلف الجغرافيون في الحاق مالطة بهم من جماعها من أفريقيا ومنهم  
من جماعها من اوروبا القرب بها الكمل منها (وكل هاتين) الجزائر جبال صخرية غيران بحرها  
لين سهل النعت فاذا جف بالشمس تصاب نوحا ما فارضها غير جيدة لكن اشدة العمل  
والمعالجة صارت صالحة لزراعة كل النباتات التي بالبلاد الحارة (واما جبالها) فليست  
بمرتفعة وليس بها بالكافي وليس بها خرا لا ما يحدث عن - المطر من السيمول وليس بها  
بحيرة (واما عينونها) فتوجد بها عينان ضميمتان (احدهما) بالجزيرة الاولى  
(والثانية) بالثانية ماؤها عذب مشوب بشئ يسير من الملوحة واكثر شرب أهلها من  
ماء المطر الخزون في دها اليزوجرار (واما هواؤها) فهو أميل للحر اقربها من المنطقة الحارة  
وتحدث في الاسحبة فجأة بامطار كافوا القرب مع رعود وبروق هائلة تمتد كشمس بسرعة  
ويحدث ذلك بها ولو صيفا لانه ينقله فيه وأمافي الخريف والشتاء فهو كثير الهواء حريف  
مضر بالصدر كثير الندی حتى يفسد الماء كولات وغيرها الخزونة في أماكن قليلة تتغير الهواء  
(واما نباتاتها) فينبت بها اسائر البقول وهي جيدة والقمح والشعير وغييرهما من  
الحبوب ويحصل فيها خصب متوسط كما يندبت بها القطن والعنب والرمان والايون وغير



ذلك من الاشجار التي تحمل الحر ولا تحتاج الى كثرة الماء ولذلك لم يكن بها غابات وما ينبت فيها من الشجر لا يرتفع على وجه الارض الا يسيرا فنرى الخرنوب الذي يكون في تونس الواحدة منه مثل قبضة شاهقة هوفى ما لطة لاصق بالارض لا يكاد يبين (وهكذا) سائر الاشجار وبمعظمها الصبار جدا (واما حيواناتها) ففيها المميز الحسن كثير الحلب وبقية النعم يجاب لها من خارج ويعاف علفا قليلا من الرعي لعدم المرعى وبها الحبر بكثرة والبغال والخيل بقلة (أما الحيوانات) الوحشية فليس بها الا الارانب ومنها نوع انسى يعظم ويربى والسباع منقطعة والطيور الانسية كلها امر باة عندهم ويوجد بكثرة العصفور الاصفق الحسن الصوت المسمى بالكافور والبرية قليلة الابعض الرحالة كالسهمان (واما المعادن) فليس بها الا الحجر ويصنعون الملح عند شاطئ البحر بمحلة صناعية (واما مدنها) فهي قاعدتها المسماة بفاليتا والبقية قرى مجوعها إحدى وثلاثون قرية اهم ما فيها الكنائس (واما مراسيها) فقد تقدم ان بها مرستين عظيمتين جدا واما عداها فاما هو مراسى طبيعية حول القرى للقوارب وماشا كلها (واما اهلها) فعدددهم مائة وخمسون الفا كلهم مالطيون وبيتهم قليل من لاطليان تجارا ومن الانكليز عسكرا وبعض متوظفين ومن العرب افرادا تجارا ومجتازين وأصل الاهالى على غالب الظن من بربر تونس وديانتهم نصرانية على مذهب الكاثوليك ولهم غلو شديد وانتم الذي في اعتقاد نوافات

## الفصل \* الثالث

﴿ في تاريخ مالطة ﴾

﴿ طلب في التاريخ القديم ﴾ أول من سكنها الجزيرة الفينيقيون وسماها جاجية ثم عمرها البنافيون وسماها مالينة واشتهرت بذلك من قبل التاريخ المسيحي سنة ٨٢٢ ولم تزل ولايات المسـتولين على ايطاليا تنزالي عليها ثم سلوها للقرطاجيين ثم رجعت للرومان ثم ألحقت بالدولة الشرقية رما ظلموا الاهالى واشتهرت وطأهم استغاثوا بالمسلمين فافتتحها المسلمون ببورهم البصر من تونس اليها والى صقلية في المائة الثالثة هجرية ولاقوا من اهلها احبسا ثورات شديدة الى ان تم الاستيلاء عليها ونقلوا اسمها الى مالطة المعروف الآن وكانه مصحف من الاسم اليوناني السابق وبقيت بأيدى المسلمين نينا وماتى سنة ثم لحقت بصقلية تحت تلك عائلة النورمان ثم التحقت بمملكة

النهضة الملقبة اذ ذلك امبراطورية جرمانيا ثم المحقت بفرانسا ثم بنا بلى ثم اس-تولى عليها نابليون الاول والحقا بفرانسا ثم عند حرب الدولة العثمانية لفرانسا في مصر وتجزب انكلا تيره لدولة العثمانية استولت انكلا تيره على مالطة

● **مطلب في تاريخ مالطة الح-ديدي** لما اساء الفرنسيون الى اهل الجزيرة بانتهاك عوائدهم وكنائسهم نار واعلمهم ثورة ش-ديدة واستعجد والال انكلا تير فاعانوه-م وساموا الحكم اليهم وكان ذلك في سنة ١٨٠٠ ولم تنزل حكومة الانكلا تير مستقرة هناك واغاب الاهالي ما ملون اليهم عن طيب نفس

● **مطلب في سياسة مالطة الداخلية** الحكومة انكلا تيرية بمعنى ان الحصون والقشل يدهسا كرا انكلا تيرية والحاكم العام انكلا تيري مراغ للاهالي وعوائدهم حتى انه يتحري لهم احيانا ويرسل لهم حاكما على مذهب الكاتوليك من اهالي ارلانده وقد وقع ذلك مرة عندما تعرض احد الحكام البريتسنتات لمادة لم-م في احد اعيادهم-م فاشتهكروا منه-م وعزلته دولة انكلا تيره حالا وعوضته بكاتوليكى ولا تزال تراعى لم-م ذلك وهو عنددها احدى الكبر لمسا مرتب من قانوههم وعوائدهم حتى في التعصب لمذهب البريتسنتات وذلك الحاكم يبقى في وظيفة خمس سنين ثم يبدل بغيره الا ان تطلب الاهالي ابقائه ثم ان تصرفه مقيد بمشورة عشرة من اعيان المالطين في كل ما يعود على مصالحهم وحالة بلادهم وكل المتوطنين في السياسة والحكام هم من اهل مالطة الا ان الكاتب الاول للحاكم العام وجميع دخل الحكومة لا تأخذ منه دولة الانكلا تير ولادانقا واحدا بل كله يصرف في مصالح الاهالي وعسا كرا الدولة تصرف عليهم من خزينة الامن دخول مالطة والاحكام الجارية هي اصول القانون الانكلا تيري متمزجا بما يصلح بالاهالي ومطابقة الاماداتهم حتى ان احترام يوم الاحد الذي يلزم في انكلا تيره غاق جميع الدكاكين فيه لا ترى منه في مالطة شيئا فتلخص ان الحكومة تشورية قانونية والاحكام الشخصية منفردة عن الادارة العرفية واسم الحكومة انكلا تيرية وحقيقتها اهلوية غير ان اكثر الواردين من الانكلا تير سواء كانوا موظفين او غيرهم-م يتكبرون كبر اعظم اعلى الاهالي لاس-تحقار عاداتهم وبادهم فأورث لك كره راع الاهالي لهم وان لم يقدر واحد من الانكلا تير على ظلم احقر الاهالي

● **مطلب في السياسة الخارجية بمالطة** ليس في مالطة من سياسة خارجية تعبير اذ هي لاحقة بانكلا تيره وانما في قاعدتها فاسل لكل الدول الكبرية مراعاة لكونها

ماوى متوسط بين المشرق والمغرب فتأوى اليها السفن المسارة لكلا الطرفين وليس  
 لأولئك القناس من شئ سوى قضاء ما يحتاج اليه اتباع دولهم اذا حكم في البلاد جار على  
 الجميع سواء من دون دخل لقنسل فالقناسل أشبه بوكلاء تجارية نعم لهم فائدة في الاعلام  
 بالحوادث السياسية ان حصلت هناك ولذلك كانت أغاب القناسل هناك أصحاب  
 وظائف شرف لا وظائف عمل فكثيرهم لا مرتب له وانما يكون من ذوى الثروة يقنع  
 برسم اشارة الحكومة لمنسوب اليها على باب داره بمجرد الفخر اذا لافرنج مطاوعا وه كاقوا  
 من أهل ماطة أم من غيرهم لهم ولوع زائد بسبب الفخر فتراهم يتهاقرون على نباشين  
 الافتخار وعلامات الامتياز ولون دولة صان مارنيو التي هي عبارة عن أربعة آلاف  
 نسمة ايزينواها صمدورهم في المواكب أو يثبتوا في ستراتيم غرات على شكل الوردة  
 ذات ألوان مشيرة الى ماعندهم من علامات الامتياز فاذا دخل الزائر مقادير تلك الوردة  
 قال من المزور زيادة المراجعة ولون جبهة لندره وطغاة باريس ومن سخافة عقول  
 بعضهم أن يتخذ تلك الاشارات وسيلة للتعجيل على النساء حتى تعشقه للزواج أو غيره  
 بناء على انه من علية الناس وقد نشأ عن هاته الرغبة في النباشين ان بعض الدول صار  
 لا يعطيهم الا بشمن لذات النيشان الذي هو أزيد من قيمته وزيادة على ذلك صار بعض  
 الدول يعين لسفرائه في الخارج عددا مخصوصا من كل طبقة من النيشان ليعينه  
 ويستعوض بشمنه عن أخذ مرتب له من دولته وكذلك مرتب اتباع السفارة مع ما يحصل  
 له من رعيته اذا كان مقيما في مملكة يسوغ فيها تداخل السفراء والقناسل في الاحكام  
 مطالب في بقية عادات المسالطين وأحوالهم لما تقدم لنا الحكام في الممالك  
 السابقة على بيان أطوار الاروبا وبين وعاداتهم فلا داعي الى الاطالة بالاعادة على غير  
 فائدة لان مالمطة قطعة من ملحقات أروبا واجمال أطوار أهلها على العموم مثل أطوار  
 سفلة الطالمان والاعيان منهم مثل أعيان أروبا سوى انهم يزدون عليها بـ ~~كثرة~~ كثره ليس  
 الخواتيم في الاصابع ونساؤهم جميعا اذا خرجن في الطرق يجعان على رؤسهن  
 رداء أسود مدلى جهة اليسار ويمسكن طرفه الايمن بايديهن  
 وكذلك لغتهم مخالفة لغيرها لانها اعربية محرفة  
 جدا مدخول فيها كثير من الالفاظ  
 والاصطلاحات  
 الالمانية

## الباب الثالث من في ال ا ق ط ا ر ال م ص ر ي ه

### الفصل الاول في سفرى البراء

✽

بعد ان اقامت بالطه ثلاثة ايام نذتظر سفر باخرة توالى الاسكندرية حيث لم يكن بينهما  
بواخر بريدية توالى واعمال البريديسافر الى ايطاليا وغيرها من جهات المشرق ثم يذهب  
الى الاسكندرية ويلزم طول مدة السفر فلذلك اتيت باخرة تجارية من بواخر الانكليز  
التي تتوجه الى هنالك بكثرة فوجدنا واحدة مشهورة بالفحم الحجري انزات منه ما انزات  
في ما اطه وجات الباقى الى الاسكندرية والمكراة فيها وفي أمثالها أرخص من بواخر  
البريد لانه راجع الى السفن حيث ان اصحابها ليس لهم الامحولات التجارية التي هي  
موضوع تشغيل السفينة فلم يكن بها الا الطبقة العليا والاخيرة للركاب وليس بها  
المتوسطة وهما مثل طبقات البريد فركبنا الى لان الباخرة عند تمام افراغ شحنتها تسافر  
من غير تاخير ولكنها لم تسافر الا اصباجا بعد الشروق وأسفت من ركوبها المارأت بها  
من الوسخ سوى داخل البيت الكبير برفاهة نظيف ومثله حجرات النوم ومن المعلوم ان  
الجلوس به دائما مفاق لكنه ماضى من وقت السفر أربع ساعات الا وقد غسل ظاهر  
الباخرة غسلًا كاملاً ونشف فصار من أنظف البواخر والمحق أن يقال ان بواخر الانكليز  
مطابقة أشد نظافة مما هي ائلهما من غيرها أعنى كل نوع بالنسبة الى نوعه وذلك الى كنت  
رأيت بواخرهم الحربية محجة مع غيرها من البواخر الحربية للدول الكبيرة عند قدومها  
الى تونس سنة ١٢٨٠ في الثورة العامة فاذا بواخر الانكليز اتقنتها نظافة وكذلك  
البريدية والتجارية ويأبهم في ذلك الفرائسايون ثم استمر السير والبحر في غاية السكون  
وكان معنمان الركاب في الطبقة الاولى انسان انكليزيان لهما معرفة بالتصوير فكانا  
ان لا نرى بشي الا وصوراه من طير أو صهاب أو سفينة بل وكل من في الباخرة حتى كان فيها  
في الطبقة الاخيرة على ظهر السفينة أناس من المغرب وآخرون من صفاقس كلهم  
متوجهون الى الحج وفي كل يوم عند ارادة غسل ظاهر الباخرة يؤمرون بالانتقال من مكان  
الى آخر مع حمل رحالهم فيكونون في أشد التعب مع الدور والحاصل لبعضهم عرض  
البحر فصوروه على تلك المشقة والجهد الجهد وما نظرت الى حاله هؤلاء المحجاج  
شاهدت مصداق قول الفقهاء بعدم وجوب الحج على تلك الصورة لانهم لا يصلون وصلوة  
واحدة مثل فريضة الحج وتركهم للصلاة يأتي من نجاسة أبدانهم من تعوطهم بلا

✽

استنجاه ومن المياه المتقاة عليهم بغسل السفينة ومن عدم وجود مكان للصلاة لانهم يمنعون  
من تجاوزه مكان جلوسهم ومع ذلك يهابون بهام لمة الحيوانات الجهم من الخريتين  
بالاهانة والسب الى غير ذلك وايضا يعترى بعضهم الدوار البحري فينقبأ في مكانه بل  
منهم من يتغوط ويبول فيه وتصل نجاسته لمن يجنبه فلما رأيتهم في سوء تلك الحالة  
ذهبت اليهم وأعلمتهم بالحكم الشرعي في وجوب الحج وشروط الاستطاعة فيه وسألتهم  
لماذا يعدلون عن ركوب الطبقة الوسطى في بواخر البريد وفي العاياتة المتعمق اليست  
بغالبية وبعضهم تظهر عليه آثار الثروة فأجابوا بان ذلك العذاب لاضير فيه لانه مدخول  
عليه في السفر الى بيت الله بل مهمما زاد كان ثوابه أكثر وأصر واعي ذلك منكرين  
على قولي فعدلت عن ذلك ولا طفتهم في المحافظة على الصلاة فقالوا كيف نصلي ونحن على  
هاتية الحالة وأين نصلي فقلت لهم انكم مالكم كعبه ومذبحكم يرى صحة الصلاة ولو على ما أنتم  
عليه لان ازالة النجاسة تحب وقيل تستحب فقط مع القدرة والتذكري فقال لي واحد منهم  
انني أصلي كما رأيتني قلت نعم رأيتك تصلي والآخرين قالوا لو نجد مكانا يتبركونا ننظر  
فاننا نصلي فاطفت لرئيس البانحة الى أن أذن لهم في التمسح واستعمال الماء في  
المرحاض فقط ليكن أغابهم مع ذلك لم يصل وقد سألتهم أيضا عن موجب كثرة رحالهم  
حتى ان بعضهم را فمجرة كبرى مرفوفة بشرطان الحفاة للماء وقرية منها اللادام والتديد  
الى غير ذلك فقالوا ذلك لقوتنا فقات انكم متوجهون الى مدن ان لم تكن أكرم من  
مدنكم فهي فحوها ولا بد أن يكون لهاها ما يكفيهم فهل وسعكم ما وسعهم وزاد الطريق  
في البراري يؤخذ من أقرب مدينة اليه فقالوا يلزم لذلك الثمن وهذا الذي عندنا انما هو  
من بيوتنا فقات لوبعتم هذا وأضفتهم عليه كراهة حله بحرا وبرالكان أرخص عليهم من  
شراء الزاد من الاماكن اللازمة فقالوا تلك البلاد لا تعرف أحوالها والاولى التزو ومن  
أما كنا وهكذا اجرت العادة فعلمت ان تأخير العوائد أمر صعب جدا وفي غروب اليوم الرابع  
وصلنا الى الاسكندرية ولم يظهر لنا من اثنى لان أرضها منخفضة ولا جبال بها حتى يمكن  
رؤيتها من بعد وحيث كان وصولنا بعد الغروب ومن الرسوم ان لا تدخل السفن اليها  
الا بعد مديها الطريق حيث كان قرب مرساها صخرات لا تبين من البحر وتضر بالسفن  
اذا صادتها تالزم حضور أولئك الهداة ليدلوا السفن على الطريق ولهم على ذلك أداء  
مدين فلزم البانحة ان تكون طول الليل غادية راجحة في نحو مياين ولم يظهر لنا من البلد  
سوى منارة هداية السفن وقرب الشروق ظهر الهادي في قارب قادم بالبانحة فاعرض

عنه السفن محترقة له وابتدأت مشاهدتي لتماظم الافرجح على المصيرين وتبين ان السفن  
كان عالما بالاط - ربق لكنه انما توقف عن الدخول لمجرد الرسم فدخلنا المرسى فاذا هي  
ذات مأمون ودات مرسي صناعية فيهما من بواخر الحكومة المتحيزة الى جهة خاصة ثم اذينة  
بواخر كبار كلها خشب وفيها من البواخر التجارية الاجنبية ازيد من عشرين وفيها  
باخرة حربية - اجنبية وبها دعام الارساء واخذ الاجازة للباخرة من مأموري المصلحة في  
انزال سلعها وركابها بالانزول وذلك لان من القواني العامة ان كل سفينة  
تسافر من مكان يلزمها ان تأخذ من مأموري المصلحة به الذين لهم ديوان خاص صكا  
منصوصا به حالة البلاد التي سافرت منها من جهة الامراض العامة ومقدار ما في السفينة  
من الركاب وأنواع البضاعة التي بها فاذا وصلت الى مرسي مقصودة لها اول ما يتلاقها  
مأمورو المصلحة فيطالعون ذلك الصك ويبحثون عن صحة الركاب وعددهم فان لم يوجد  
بها شيء مضر اذنت بافراغ ما تريد في تلك المرسي فاحاطت بالباخرة القوارب الغضبية وثار  
عجاج الصياح من اصحاب الخناطين من اهالي واقرنج في النزاع على حمل الاثقال  
والركاب ولما رأيت الامر متفاقما ضم لي خريتي والباخرة صندوق رحلي وبعثت  
حارسا لها في زاوية لان اصحاب القوارب كادوا يحتطفون ارحال شاه صاحب المأمون  
من غير مسارمة للاجور تلك خلة فيهم في أي بلد كانوا ثم بعد الوصول يطلبون الاجراضا  
مضاعفة ولما نزل جميع الركاب مع رحلتهم ولم يبق حول الباخرة الا قوارب السلم التي  
عهدت لها على القموق دعوت قاريها واتفقت معي على اجرة من واعانني على ذلك ابن  
وكيل حكومة تونس الحاج علي الفيزاني رحمه الله حيث تلقاني في الباخرة بعد ان ورد  
تابعه سائلا عنى وظن انه احد اولئك القاريين فلقط خبري لان حركته لا تقين عنهم ثم  
لما وصلنا الى القموق طلبوا ورقة الجواز وكادت ان تحصل لنا اتعاب يمنع الدخول الى  
الاسكندرية حيث كانوا ينعون دخول من يريد الحج وانما اجعلوا لهم خارج البلاد مكانا  
محاذا بالعمسا كبر بحيث لا يسوغ للوارد الا الى كوبر في البحر او طريق الحدديد تقرا الى  
السويس وكان سبب ذلك كثرة من كان يرد من الاقطار الغربية للحج بالمال ولا زاد  
قيته كانوا يصر ويحملون حكومتها وانما لها اعباء ثمة لتمام الاداعي اليه لا شرعا  
ولا عقلا لان اصل فرض الحج معاق على الاستطاعة بنص القرآن الكريم فلا يسوغ  
الاقدام على السفن بدون شروطه نعم اذا وقع لعارض فقدم المسافر المال ويقوم به في  
الرجوع لو علمه أو لجل ماله أو واقامته ففي بيت مال المسلمين قسم معين بنص الكتاب لابناء

السيد بل فيعطون حاجتهم الى بلوغ مكانهم ولو كان ابن السيد بل غنيا لكانه في ذلك الطريق لا مال له فتمداركنا الله باطفه واذننا لكاف بالدخول للبلد فنظروا الى رحالنا وأرادوا التشديد في تفتيشها وقاب عاليا على ساقها مة طلبين الاحسان اليهم فلم يسمعني الا التخاص من الظلم بدفع شيء من المال ارنكا بالاحف الضمير من الخوف من تشيت رحلي والسرفة منه مع التعب ثم قصدت منزل المسافرين الا فرنجي المسمى أوتيل دي روب في أكبر طحاء البلاد بعد مشقة في التخاص من التزل عند وكيل تونس الذي لاداعي اليه سوى تحجيمه الكافة بالضيف والمصرف عليه مع تكليف بلزوم مراعاة احواله وعاداته معاه لا يوافق حالي وعاداني اذ لم تكن لي معرفة به قط مع ما ناعا به من المرض الملازم الذي اشتد منذ رجوعي الى تونس بسبب الانفعالات النفسانية فيلزمني المساعدة لزامي في الاكل والنوم وغير ذلك مما يحمل مضيقا في مشقات أو يضربني تركه فاكترت في ذلك المنزل بينا واسترحت به على ما ساعدني وافقتات في جامه وأكالت وغنت ثم اكترت بجله وقصدت أخى في الله الصفة الخيرية على الاخلاق والاعراق

سيدى ابراهيم السنوسى الحسينى وهو المحدث البليغ المنفخ في علوم المنقول والمعقول والسياسة صاحب الاخلاق المطابقة لانتسابه العالى نشأ من بيته الاصيل بمدينة فاس البيضاء قاعدتها مكة المغرب وحصل من العلوم ما استكمل به سفره ثم رحل الى تونس وأقام بها بضع سنين وامتزجت به أفاضلها وأعيانها متأسين به له وأدبه وكاد أن يتخذها قرانا لولا الخنة التي وقعت بها من سنة ١٢٨٠ الى سنة ١٢٨٦ فارتحل عنها على ما دعت اليه مة مضيات الاحوال من فساد الحكومة واستتقربا لاسكندرية مشتملا على كماله وفضله وعفافه واتسعت نعم الله عليه لازل أهلاله كل فضيلة فلاقيته في الطريق والزمني بالاستقرار في مقره وحيث كانت الاسباب المشار اليها آذنا في التخاص من الضيافة مفقودة مع أخى الفاضل الموحى اليه لامن جهتي ولا جهة ساعدت مراده وأوقت عنده

سبعة أيام ولاقيت أيضا أخى في الله التقي النقي الكامل رسم باشا التونسى وهو الفاضل العفيف النصب ووح المؤمن نشأ في بلاد الجرا كسة من جبال القوقاس ووفد على تونس دون سن العشر فأدخل الى مكتب الحرب وحصل على القرآن العظيم ونصيب كاف من العقائد والعبادات والتجويد والنحو والحساب والهندسة ووفيرها من الفنون الرياضية والحربية مع تحصيل اللغة الفرنسية و معرفة اللغة التركية ونافن علم التصوف ثم تقاد الرنائب السامية في حكومة تونس فولى أمير لواحراسة الامير ثم مستشار الادخلية

ثم وزير فيها وعضوا في المجلس الخاص والمجلس الاكبر وكان من أشد المحاميين عن العدل والشورى ولما وقعت النكبة العامة لتونس سنة ١٢٨٠ وما أشأ عليهم من المظالم سافر المشار اليه الى أوروبا ثم رحع الى تونس سنة ١٢٨٦ باستدعاء الحكومة وقلد وزارة الحرب مع توظيفه في كل من المدينين بولايته عاملا على أعمال نيابة بكرة والاعراض وغيرها وسافر مرارا اميرا على المعسكرات لاقرار الراحة والامن في الولاية وفي كل ما تقدم به كان مستقيما السيرة والسيرة مثنى عليه بالنخاص والعام ولما ابتدأت النكبة الكبرى الاخيرة لتونس ورأى مباديها ترخص من الوالي السفر للعداوى فأقام في أوروبا مدة ثم أقام بالاسكندرية فلاقبته بها في احدى المنازة الكائنة بالرملة وانتهت من الكل الدموع لما توقعنا للويعان العزيز ولا حول ولا قوة الا بالله وهاته البلاد اعنى اسكندرية هي ثاني مدينة في القطر المصري وهي مناخ تجارته مع سائر الممالك التي على البحر الابيض والمحيط الغربي وبها حصون حصينة وقشلات للعساكر ومكاتب عديدة لسائر القنون وقصر للتحديد يوقى بقرب المرسى اذيق فاخر ومتره عام خارجها بالمكان المسمى بالمه ودية وهو منزه تزييه جدا تذا تابه الموسيقى الرسمية في الشبية واكن اكثر من برد اليه انما هم الاجانب وفي المه ودية طريق وسبع صنعاى حوله الاشجار العظيمة يتماشى فيه المترفون بجمالاتهم وبقربه فرع من النبل وعليه آلات بخارية لرفع الماء وتصفيته وتقسيمه صافيا على البلاد في قنوات وأغلب طرق البلاد مبطاة بالبجارة حسنة المنظر سيما حارات الافرخ التي بوسطها البطحاء الكبرى ذات الجنيحة والفوارات وحولها القصور الشاهقة ومن تحتها الحوانيت المزخرفة وبوسطها صورة محمد على باشا بحسنة ضخمة سكانه راكب جواده وأغلب طرق البلاد في حارات المسلمين ضيق وما عداها فهو متسع وبها من الجوامع الشهيرة جامع الامام البصري رجه الله وهاته المدينة بناها السكندر المقدوني وهو الرومى اليونانى الذى نشأ في مقدونية المعروفة الآن باروميلى في بلاد فيلبس وهو لم يذ ارسطو الذى أشار عليه بتفريق ممالك الفرس عند تغلبه عليها سنة ٩٣٥ قبل الهجرة وقال له الحكمة الماثورة الى الالسن وهي اقسام تحكيم قال في الاقيانوس وليس اسكندر هذا بانى سديا جوج فان ذلك من الملوك المعروفين بالاذوامن قبائل حيريه بلاد اليمن واهمها الصعب ولقبه ذو القرنين ولقى ابراهيم الخليل وعانقه كما في الصحيفين واطال في ذلك فليرجع اليه من اراده وهذا مما يؤيد ما قلناه في الكلام على سور الصين في المقدمة والله



المحمدية قد سماها الاسكندرية الهادئة بالاسكندرية باسمه وكانت هي قاعدة الاقطار  
 المصرية الى الفتح الاسلامي وكان تحياها جزيرة يقال لها جزيرة فارس فانصلت بالبر  
 بصيف بنادب بطليموس وهي الآن جهة رأس التين وفي الشمال الشرقي منها بنى المذكور  
 منارة الاسكندرية الشهيرة وكان ارتفاعها أكثر من ١٥٠ قامة وأحد جوانبها يزيد  
 عن ٥٠ ذراعاً وكان أنشأ عليها أحد ابن طولون قبلة من خشب فأخذت الرياح ثم  
 أصلح المنارة لتداع بها الملك الظاهر بيبرس وبني عليها مسجد الهندم بزلزلة ثم جدد ثم  
 اندم الجميع وبني مجعلها الفناير الموجودة الآن من آثار محمد علي باشا وقد كان أسس  
 بها بطليموس الاول خزنة كتب بعد ذلك من بحساب الزمان تحتوي على ٧٠٠٠٠٠  
 مجلداً وزعم بعض المفتين من المؤرخين ان أمير المؤمنين سيدنا عمر أمر بحرقها مع انها  
 احترقت قبل الاسلام بمدة مديدة لان الذي أحرقها هو بولس قيصر الرومان عندما كان  
 محاصراً بالاسكندرية ورامت أعداؤه الاستيلاء على سفنه فأضرم فيها النار وكانت  
 بقرب من النصر المسمى المحتوى على الخزنة المذكورة فاحترق الجميع كذلك في جغرافية  
 مصر لفر كبرى قال ومن المحقق انه بعد مائة من الزمن كان انطوان الروماني أهدي  
 الى الملكة كيبوطرة من كتب خاتمة بروجام ٣٠٠ ألف او ٤٠٠ ألف كتاب فتجدد  
 بذلك خزنة كتب عظيمة وان كانت دون الاولى فأصابها الحريق مرتين ثم دمرت  
 بالتمام بواسطة المتهصبين للديانة النصرانية لازالة أبقار عمدة الاوثان في مدة حكم  
 ثيودوس قبل الاسلام اه باختصار سكان هاته المدينة الآن نحو من ٣٠٠ ألف نسمة  
 وبها أزيد من ٣٠ ألف محل ما بين كبير وصغير وتشتمل على مهمل فاحر للسفن واصلاحها  
 ومن غرائب البادية المسئلة الواقعة قرب محطة سكة الحديد الموصلة للرملة وهاته  
 المسئلة على نحو المسئلة التي ذكرناها في باريس ولندره اذا الجميع ينقل من مكة مصر ولم  
 يبق بها الا هاته فقط وطولها ٦٤ قدماً في قطعة واحدة من حجر عليها كتابة قديمة  
 عمات مدة الملك موريس المتعلا سنة ١٧٣٦ قبل الميلاد ومثلها غرابية عمود السوارى  
 الشهير الواقع جهة مينة البصل وهو عمود على قاعدة عظيمة فوق تل عال ارتفاعه مع  
 تاجه أكثر من ٣٠ ميتر ويحيطه نحو ٢٨ قدماً يقال انه عمل مدة قيصرية الروم وبعد  
 اقامته بهاته البلدة سبعة أيام وتزودى منها ما يلزم لطريق المجاز غير الخيام والقرب فاني  
 أخذتها من مصر لانها هناك أرخص ثمنا وارسل الى جميع ذلك الى السويس وتوامع الطباخ  
 والمحادم الذين استأجرتهم من الاسكندرية توجهت حينئذ الى مصر القاهرة راكبا حافلة

طريق الحديد ولم نجد بها محجداً خاصاً إذ فرش ومرافق مثل ما يوجد في أوروبا وكان ركوبها بعد العصر في سائر التل سيراً وطولاً لم يقف الايمض بلدان كبيرة كان منظر الارض قرب اسكندرية ليس بهيماً وانما توجد براحات وسبعة بها المسار كدار مزروع بها الازبال. لكن تغير المنظر بحسن النباتات والزراعة بعد حصة ولم يطل بنا ذلك المنظر الجميل لارخاء الظلام - ودوله فوصلنا الى القاهرة بعد سير أربع ساعات ونصف فتلقاني في الموقف النجيب الوجيه الحاج على الشماسي وكيل تونس واعتذرت اليه عن الاقامة بمنزله بما مرونا في منزل المسافرين المسمى الحمارة الكبيرة مواجه للوضحة الازبكية واسعارهاته المنازل نحو من اسعار أوروبا

## الفصل \* الثاني

﴿ في صفة مدينة مصر القاهرة ﴾

هاته المدينة هي قاعدة الاقاليم المصرية منذ الفتح الاسلامي غير انها اختلفت اسمائها وبقاعها على حسب اختلاف الدول والاعصار وان كان مركز جميعها واحداً فبعضها محاذ لبعض قاول ما اختطه الصحابة رضوان الله عليهم مدينة الفسطاط حيث ضرب سيدنا عمرو بن العاص فسطاطه في الفتح وعند ارادته للتقدم جهة الاسكندرية التي هي القاعدة اذ ذاك وجد في ما قد فرخ على عمود فسطاطه فاجاره وأبقى الفسطاط الى أن رجع الجيش بعد الفتح واخطت المدينة حول الفسطاط فسميت به ثم لما تغلب الميرزا الفاطمي على مصر على يد قائده جوهر واخطت القاهرة وصارت هي دار الامارة وهي مدينة رحبية يمر النيل بجحاذتها وعليه آلات بخارية لرفع الماء وتصفيته وارساله في قنوات تفرق على جميع المدينة وعليه جسر حديد طويله ميتر ٥٠٠ وعرضه يمر عليه ستة عجالات وعلى حافته طريقان للشاة وقد صنع سنة ١٢٧١ رهلى حدودها جبل شاهق عليه قلعة حصنها وكانت سنة قرا الامراء وهي ذات حصون مقيمة صناعية مشهورة بالمدافع من الطرز الجديد الضخم زبادة على تحصينها الطبيعي وتتلهم منها اسائر المدينة وأربانها فتري عظم اتساعها وجاهة القلعة جامع ضخم ذوقية شاهقة جدا واما نثر جميلة مرتفعة وبه اسطوانات من المرمر الملون ذات بهجة وارتفاع عظيم وبهذه الرحبة متوضاً أنيق جبل وبني هذا الجامع محمد علي باشا كما انه اتقن قصر الحكم بهار هو ذو بيوت وسبعة وأوارين رحبية مشتمل على جميع الفرش ولا زال هو القصر الرسمي للواكب المهمة

وان لم يكن فاحرام مثل القصور المحدثه التي يقيم بها الخديوى وبالقلعة ايضا مسكرو ديوان  
 نظارة الحرب وبها بئر عتيق جدا يدعى الجهال انه جب يوسف عليه السلام وكان الحامل  
 لهم على ذلك غرابه وجود بئر في ذلك الارتفاع فعدوه محجزة وبانفا هرة أسوان  
 كثيرة جدا بل انى لم اربدا أكثر من احوالنا في سائر الجهات وأهم طرقها القديمة  
 هو الطريق الموصل من الاز بكية الى جامع سيدنا الحسين ويسمى بالموسكى فهو متسع في  
 بعض جهاته نحو عثمانية أو دشمة أمتار وفي بعضها فتح والخمة أمتار وأما بقية الطرق  
 القديمة فأكثرها لا تمر به البهلات وبعضها تمر به بحلة واحدة نعم ان الطرق الجديدة  
 التي افتتحتها اسماعيل باشا في عشرة الثمانين والمائتين وألف في الحارة المنسوبة اليه  
 المسماة بالاسماعيلية هي على نحو الطرق الأوروبية تماما واستقامة وهاته الحارة  
 كلها محدثة مملوكة بمصر ومن محاسن القاهرة حديثة الاز بكية الجميلة الانيقة المحاطة  
 بسياح من قضبان الحديد الجميلة وبها أبواب من صك الجهات على الطرقات المحاطة  
 بها وهي ذات عماش ورياض وأشجار وانوار وقعا عد وقهاوى تنهاها الموسيقى  
 الرسمية كل يوم عشية لكنها لا يحضرها غالبا الا الافرنج وقصور الخديوى وأقاربه  
 وحواشيه مائة الحارات الجديدة مبهجة لها برونقها وأهمها قصر عابدين أما القصور  
 التي له حول القاهرة فهي كثيرة مضاهاية أوفائفة على قصور ملوك أوروبا وجمعت بين  
 ماللا وروباو بين من التحسين والملائمة من التزيين والاسراف لكل منها حدائق  
 وعيون وحيوانات غريبة ومن هاته بستان شوبرة وقصر ذوالبركة الرحيمية الذي  
 أنشأه محمد على بعد مداعن القاهرة نحو ثلاثة أميال وله طريق جميل هو مقامة لدى أهل  
 النعمى والتزنجى لاتهم وخيالهم اماله من البهجة بالاشجار العظيمة ومن ورثها  
 البساتين والقصور المونقة لاهل الترف والمذخنة من الاروباو بين الامراء والوزراء وعلى  
 جاذبه ترعة من النيل وهكذا حارات الافرنج والحارات الجديدة في تانبق البناء والقصور  
 وبهرجتها من الظاهر فضلا عن الداخل لكن ديار الاهالى ايس منظرها من الخارج  
 ما يستر النظر أما ما اشتمت عليه القاهرة من المقامات والاماكن العظيمة فالها مقام سيدنا  
 الحسين رضى الله عنه وارضاه وذلك انه بعد الشيعة الشنعا بكر بلاه أيام يزيد سنة ٦١  
 حمل الرأس الشريف المكرم ويقال انه دفن بعسقلان الى ان نقله الملك الصالح ملائع بن  
 رزبك وزير القاهمة سنة ٥٤٨ الى القاهرة في موكب عظيم ودفن بالمقام المشار اليه ثم  
 عمات عليه المقصورة من الخحاس الموجودة الآن سنة ١١٧٥ وبني حوله المسجود

- الرحيب وقد تشرفت بزيارة هذا المقام الشريف واصلت الجمعة وغيرها في مسجده والله الحمد وقد صلى الخديوي محمد توفيق تلك الجمعة ههنا فلم يكن له من الأهمية والاضخامة الكبرياء ما يذكروا إنما معه بعض خدم وأعدان ومن المشاهد أيضا مشهد سيدتنا زينب شقيقة السبطين رضي الله تعالى عنهم ومشهد سيدتنا رقية ابنة سيدنا علي بن أبي طالب ومشهد سيدتنا سكينه بنت الحسين السبط ومشهد سيدتنا نفيسة الطاهرة من ذرية سيدنا الحسن الشهيرة بالزهد والصلاح، المناقب الماثورة ومشهد الامام الشافعي خارج القاهرة في القرافة وغير ذلك من المشاهد والمقامات التي لا تكاد تحصى رضي الله تعالى عنهم أجمعين وذلك لان مصر محط رجال الصحابة والتابعين والعلماء والمصنفين رحمهم الله أجمعين وكذلك الجوامع التي بها تكاد تفوق العدو أول مسجد بني بها هو الجامع العتيق ويسمى الآن جامع عمر وأسس سنة ٢١٠ عند الفتح الاسلامي ثم زاد فيه مسلمة بن مخاض الانصاري سنة ٥٣ وروقه وقيل انه بنى به اربع منائر باركانه الاربع بأمر سيدنا معاوية وهو أول اختراع في ذلك وفيها بقول عابدين هشام الازدي
- وكم لك من مناقب صالحات \* واجد در بالصوامع للاذان  
كان تجاوب الاصوات فيها \* اذا ما ليل التي بالجيران  
كصوت الرعد خالطه دوى \* وأرعب كل محنة ظن الجنان
- ثم الجامع الازهر وهو أول جامع أسس بالقاهرة بعد الفسطاط أسسه جوهر القائد سنة ٣٦١ وجدد اتساعه مرارا وهو ينقسم الى بيت وسبع ذى تقاسيم مرفوع سقفه على أعمدة والى صحن وسبع محاط به اربعة يقيم بها اجتماعات من الطلبة الجوارين لاخذ العلم وهذا الجامع هو مدرسة العلم الجامعة في الاقطار الشرقية وفي القاهرة جوامع أخرى عديدة ذات بناآت ضخمة أشهرها بناية الينما وضخامته وارتفاعه واتقانه جامع السلطان حسن بن قلاوون ابتداء في عمارته سنة ٧٥٧ وأتمه في ثلاث سنين ومقدار ما صرف عليه بمسكة ألوقت نحو ثلثة عشر مليونا فرنكا فهذه هي أشهر الاماكن بقاهرة مصر ومنها مدارس العلوم الرياضية وقد جمعها خراش الكتب التي كانت متفرقة وتتمثل على نحو مائة الف مجلد منها ثلاثون الف مجلد بخط اليد وفيها من نفائس الكتب تأليفها وخطها ما لا يوجد غيرها ومنها مصحف كريم يقال انه بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ومصاحف أخرى عديدة عظيمة الحجم مزوقة بالذهب الى غير ذلك من الكتب العتيقة والنفيسة وذلك بقية ما فات الفرانيس من الكتب التي نقلها الى باريس عندها ثلثة

على مصر مدة ثمانين يوماً بارقي وكذلك المارسات أي المعتمدين الجامعة للتداوي  
وتعليم فنون الطب وقد شاهدت أحدها فإزاهو جامع اسائر أدوت الكيمياء والطب معيات  
والاجسام المصبرة والمشرحة من بني آدم وغيره غيراني كانت مشاهدتي لها هاته الأثار وهي  
على شفا جرف من الاضجلال المساس أي خبره مما اعترى مصر أو اخره مدة ثمانين يوماً  
اسماعيل باشا ومن مهمات ما يذكر في القاهرة الالهرام التي بقرها في المكان المسمى  
بالجيزة وقد ذهبت اليها راكباً جارا لان الجهلات لا تصل اليها الا بكافة حيث ان الارض  
حولها مرملية ولم تنصل الطرق الصناعية بها والاهرام بارض مصر كثيرة جداً منها ما هو باق  
الى الآن وعددها بعضهم فقال انها ٢٧ هرام ومنها ما اندثر بالهدم وصروف الايام  
وأكبرها وجودها الهرام الجيزة المذكورة وهي ثلاثة اهرام أكبرها أو سطها ويعرف  
بابي هر ميس وأشهر الاقوال في بانيه هو فرعون كيبوس أحد فراعنة العائلة الرابعة  
من فراعنة مصر وعلى ما حره المؤرخون ان تلك العائلة لها الآن نحو ستة آلاف سنة  
وكانت مدة ذلك الملك في الملك ٥٠ سنة وتم بناء هر مه في ٢٠ سنة وكان المشتغلون  
في بانيه ٣٦٦ الف نفس كل تلك المدة كانه جعل بحسب كل يوم من السنة الف نسمة  
للشغل وسلك في بانيه طريقاً عجيباً حتى صبر على تقاليد الزمن فقد وضع على شكل  
مخروط قاعدته مربعة وينتهي بنقطة ومن خواصه أنه يتساقط على نفسه اذ مركزه ثقيل في  
وسطه ويتحمل على نفسه وليس له ما يتساقط عليه وقويات زوايا جهاب الرياح كي  
لا تؤثر فيه لانها تنكسر سورتها بصدمة الزاوية بخلاف ما لو لاقط السطح وفي داخل هذا  
الهرم عدة محلات يدخل اليها المتفرجون وان كنت في نفسي لم أستطع الدخول اليه  
لان المدخل ضيق مظلم يدخله الانسان حبوا ويدخل امامه أحد البسكان هناك  
بنور شعبة وأنا قائم في ذلك المرض الذي يصعبه ضيق الصدر فلم أدخله ونقلت الكلام  
فيه من جغرافيه مصر للفاضل محمد أمين فذكرى وكذلك نقات منها جملة مهمات تتعلق  
بالاقطار المصرية فلم جرى انه كتاب جامع الفوائد قاما توجد بغيره بمجموعة مع حسن  
السبك والافادة والاختصار ومما قال في هذا الهرم ان بوسعه جيرة تسمى جيرة ملك فيها  
حوض بديع الصلحة من قطعة واحدة وأخرى تعرف بجيرة الملكة ويرى الناظر في  
داخله ما يعبر العقل من كمال احكام تركيب تلك الاجسام الهائلة حتى قيل ان مقدر  
الواحدة منها ما ثمان مائة مكعب وجميعها يرى كأنه قطعة واحدة وينتهي أعلاه من داخل  
بسطح نحو عشرة أمتار يقال انه سقطت منه جيرة وارتفاع أعلى الهرم على سطح أرضه

١٤٦ أما طول سطح أحد جهاته فهو ١٨٤ وطول كل ضلع من قاعدته ٢٣٠ ميتر  
والاهرام الانر أصغر من هـ هذا وقد اختلفت الأقوال في الغرض من بناء الاهرام  
حتى قال عثمان اليميني

تنزه طرفي في بديع بنائها \* ولم يتنزه في المراد بها ما ذكرى

اه باقنصار وأظهر الأقوال انها قبور لأصحابها وبقرابها الهرام صورة أسد جاثم  
فختم في الحجارة رأسه رأس آدمي مسدول الشعر وهي أضخم ما يكون من الصور وأصله  
من أعمال الفراعنة الأقدمين يسمى أبا الهول وبقرابها اطلال بنايات هائلة  
سطحها على الرمل ثم كشفت منها بيوت حائط كل بيت منها في قطعة واحدة من الحجر  
وسقفها كذلك حجرة واحدة ينذهل الرائي منها وكيف أمكن نقلها ووضعها  
بمحلها وحول هاته الجهات أناس سكان كأنهم لاصناعة لهم سوى التفتيش على الاشياء  
العتيقة من تحت الارض وبيعها للسواح والتطوف بهم لارائتهم غرائب تلك الآثار  
القديمة مع ان الحكومة المصرية اعتدت كثيرًا بجمع الآثار العتيقة التي يمكن نقلها وحفظها  
في محل خاص بها هو من أهم أمثاله في الدنيا مباح لكل قاصد دسما أن يتركها  
وفي سائر الجهات المصرية عجائب من صنائع الأقدمين مما يدل على تقدمهم  
التسام في المعارف والصنائع ومنها ما اندثر علمه الآن مثل الاقتدار على جر  
الانقال وحفظ أجسام الاموات على حالها المنعامة بالمومية المصرية التي نقل منها  
اسائر أقطار التمدن ونوع المنسوجات من مواد حجرية لمسهمة

وغير ذلك وأعاب ما يوجد من أمثال هاته الاشياء في أقاليم الصعيد حيث كانت مقر  
تخزين عمال الفراعنة وبعض اليونان والحاصل انه يوجد بمصر من غرائب الأثام  
القديمة ما لا يوجد غيرها وكل ما يمكن أن ينقل ولم تمتدعاية أيدي الدول الأجنبية  
فقد جمع في القاهرة في ديوان الآثار والغرائب حتى ذكر ان بعض دول أوروبا رضيت  
بشراء جميع ما في ذلك الديوان بما على الحكومة المصرية من الديون وعلى تقدير عدم  
صحة ذلك القول فإنه ينبغي عمال الآثار من الغرابة والعناية حتى صح أن يقال قيمها  
مثل ما ذكر وقد اجتمعت في القاهرة باجلاء من فضلائها وأعيانها فقد زرت العلامة  
النصر ير شيخ المشايخ الشيخ ابراهيم السمتا وهو طريح الفراش بمرض الفالج الذي لم  
يبق له من حراك سوى الكلام والنظر وثبات العقل وهو على جلالة علمه وفضله  
والتكدر من ألمه على جانب عظيم من التواضع واين الجاناب وحسن الاخلاق فاجتهد في

انه من تلامذة الشيخ سيدى ابراهيم الياحى التونسي وأنه أخذ عليه واجازة عند  
اجتياز به مصر للشيخ وسألنى عن ذريته ودعاهم بخير وأعجبه الذوق من التبغ التونسي  
ودعا الى وللاسلامين بما نرجو من الله قبوله وأظن ان سنة نحو الثمانين سنة وكذلك  
\* حضرت تبركا بدرس الالامة التحرير الشيخ محمد عايش صاحب التاكليف الشهيرة  
ووجدته يقرأ فى شرحه على مختصر خيال فى الفقه المالكي اثناء كتاب العتاق بمسجد  
قرب جامع سيدنا الحسين رضى الله عنه لانه لم يستطع الاقراء بالجامع حيث تكثرت فيه  
الاصوات من المدرسين وهو اكبر سنة البالغ نحو الثمانين وضمف بدنه كان يخفض  
الصوت حتى لم أتمكن من سماع تقريره كما يذفى لانخفاض صوته مع مزيد  
السكون فى المسجد ومع ذلك قد أطلال الدرس حسب معتاد المصريين فكانت فيه  
ساعة ونصف وانصرفت وهو لازل بصدد الاقراء وعليه من مهابة العلم والصلاح  
\* ما يؤيد صيته الشهير وكذلك اجتمعت بالفاضل الصفة الخيرة سيدى عمر السنوسى  
أخى صديق سيدى ابراهيم السنوسى المتقدم ذكره فى الاسكندرية وهو  
ذو اخلاق مطابقة لماله من مجد الاعراق وغيره هؤلاء من بعض الاعيان من الاهالى  
\* والمستوطنين من أهالى الاقاليم الاسلامية كالفاضل الحبيب محمد الاحبابى من أعيان  
تجار أهل المغرب ذوى الثروة وكاشمهم الهوام الزبير باشا الذى كان ما كاعلى قسم من مملكة  
دارفور من السودان ودخل طرعا تحت الخديوية المصرية بترغبة فى اتحاد كلمة الاسلام  
ثم عزله اسماعيل باشا وبقى مقيما بالقاهرة وهو رجل ذو فضائل جمة يتعجب مجالسه من  
كلامه مع انه من أهالى السودان وان كان أصله من نسل العرب الكرام فهو ومهذب  
الاخلاق عارف بالسياسة والحروب وبيجغرافية دواخل افرى بقة وشطوطها الشمالية  
غيبور على الملة كثر الله من أمثاله وقد دعيت المقننات الى الاجتماع بحضرة الخديوى  
\* محمد توفيق باشا توجهت اليه واحضرت أسياننا فضمنت تاريخى ولايته اذ كان اذالك قد  
ولى منذ بضعة أشهر وتلقاها منى بسرور فميت التاريخ الهجرى هو قولى

فى عام الملك ابراهيم \* لاح توفيق الخديوى

١٢٩٦

ويبت التاريخ الميلادى هو قولى

فانشد التاريخ صاح \* قرنة تويج الخديوى

١٨٧٩

والصاحب مدته من لان ذلك هو حساب المشاركة فيها وأما المغاربة فهى عندهم بستين

وذلك

وذلك لان حروف أيجد بحساب الجمل وقع في اعداد بعضها اخلاف بين المشاركة والمغاربة وهاتاه الحروف نذكرها هنا تتهمة مال الفائدة حيث رأيت كتبهم من أهالي القطرين يجهلون ما عند اخوانهم حتى انهم ربما جعلوهم على الخطأ في العدد مع ان ذلك مبنى على الاصطلاح الذي لا مشاحة فيه ودونك حساب الاحرف والذي فيه الخلاف نضع حساب الشرق عن يمينه والغرب عن شماله وباقيها نضع له عدد واحد ا ب ج ٣ ج ٣ ع ٥٥ و ٦٧ ح ٨ ط ٩ ي ١٠ ك ٢٠ ل ٣٠ م ٤٠ ن ٩٠٥٠ ص ٦٠ ع ٧٠ ف ٨٠٠ ٨٠٠ ض ٩٠ ق ١٠٠ ر ٦٠٢٠٠٠ س ٣٠٠ ت ٤٠٠ ث ٥٠٠ خ ٦٠٠ ذ ٧٠٠ ٧٠٠ ظ ٨٠٠ ٨٠٠ غ ٩٠٠ ٩٠٠ ش ١٠٠٠ وحيث كنت قائلًا للايات في المشرق راعيت قاعدتهم فاجتمعت بالحدوي في قصر طابدين ولم يكن معنا احد وهو متواضع دين متعنين متبصرين بعد اقامتي بالقاهرة بضع ايام واشتراني منها القرب لمحل المياه في الطريق واشترى الحجام الازمة لذلك سافرت الى بلدة السويس في طريق الحدديد وكان العمران قرب القاهرة جبالا كنا ما نتجمن عن خط النيل الا وكانت الارض صحراء خاوية لانبات بها ولا أنيس سوى بعض شجر القصب على حافتي الترع الذاهبة الى السويس وبها أفراد من القوارب الصغيرة المحملة كل منها الانسان أو اثنين مع بعض بضائع فوصلنا الى السويس بعد الغروب وكان السير من القاهرة اليها نحو ثمان ساعات فلقنا الخبير العفيف وكييل المغاربة بتلك البلدة ونزلنا بأحد منازل المسافرين على نحو ما في غيرها فاذا هي قرية بها بعض الاجانب وبها حاكم يلقب بالمهافظ وضابطية وعساكر وهم ما فيها امرساها الصناعية وتو بقربها من المشرق فوهة الخليج الجسامع بين البحرين الابيض والاحمر وحول المرسى محل للتحفظ المسمى بالكرنقينة وعليه عساكر محفظون وفي البلاد شجرات وشبه جنينات حول ديار بعض الافرنج وما وراء ذلك فهو صحراء خالية وان كانت الارض قابلة للاصلاح لكن تشديد الحكومة في اعلامها أبقاها خرابا وجميع المنازل التي تخدمه خليج السويس لها بعض تحبين ومياه النيل واصله اليها

## الفصل الثالث

\* (في التعريف بمصر) \*

هاته الجمالكة صارت هاتمة من عدة عمالك عظيمة في افريقية فبهدا شمالي البحر



الايض ويبتدى الحد الشرقي منه مارا على خط موهوم بين الشام ومصر ثم على شاطئ البحر الاجر الغربي شامل بلاد النوبة الى أن يصل لمملكة الحبش التي يفصل بينهما جبال هناك فينعطف الحد معها شرقا محيطا بها امارا للجنوب مارا مع البحر الاجر فيمر ايضا معه الى أن يجاوز باب المندب ومملكة الحبش حيث يدخل في الحد لكانها لا تصل للبحر لانه مملكة مصر من شواطئه ثم يمد مع البحر ويشمل مملكة عادل المسماة بزبلع فيمر على شاطئ افريقية الشرقية على المحيط الشرقي الى أن يصل الى حدود مملكة زنجبار ثم يبتدى الحد الجنوبي فيمر من الشاطئ مغربا الى دواخل افريقية السودانية وينطف الى الجنوب حتى يصل الى حد الدرجة الثالثة جنوبا ويراه خط الاستواء ويشمل مملكة دارفور ويصل الى حدود مملكة وداي ويمتد الحد الغربي مع مملكة وداي الى أن يصل الى الصحراء الكبيرة فينعطف معها ذاهبا الى الشمال من غير تعيين لخط معين حيث ان الامر هو هل فلا حصر فيه وهو ذاق الجهات السودانية الى أن يصل الى داراباس ويمر معها الى أن يصل الى البحر الابيض حيث ابتداء النخيد وحيث كانت على ما علمت من الاتساع والكبر لا جرم ان كانت صفة أرضها مختلفة جدا (فأما مصر) الاصلية فالمعهور منها هو عبارة عن وادي بين ساسلتين من الجبال مارة من الجنوب الى الشمال يضيق نارة الى ثلاثة أميال ويتسع أخرى الى نصف وعشرين ميلا كلها يسقيها نهر النيل وذلك كله في غاية الخصب والنضارة تعتقد أرضه سنويا بفيضان النيل ويخرج الله منها بركتها ما جعل به مصر غنية عامرة وما عدا هذا الوادي فهو عبارة عن جبال تعلة لانبات بها أو أراضي بايسة مرملة لا ترى فيها الا الحما (وأما بلاد النوبة الداخلة في مملكة مصر وهي الحما لسان الجنوب فهي ذات صحاري وجمال خصبة وأراضي خصبة وبقية الممالك وهي وداي ودارفور وزبلع وغيرها فكلها ذات جبال وآجام وخصب (وأما جبال) ممالك مصر فهي كثيرة ليس منها جبل بر كافي ولا منها الزائد في الارتفاع وأعلاها هو الفاصل بينها وبين الحبشة (وأما أنهرها) فأولها نهر النيل وما أدراك ما النيل وهو نهر يحمل السفن الصغيرة الى أول شلالته به عندها الخرطوم وهو عندهم ينقسم الى ثلاثة أقسام (أحدها) يسمى نيل السودان وذلك من منبعه الى الخرطوم (الثاني) منها الى قبلة وهي خيرية في وسطه قرب مدينة اسوان (الثالث) منها الى البحر الابيض فالقسم الاول يتكون من نهرين يسمى أحدهما البحر الابيض والاخر البحر الازرق عبارة عن عظامها حتى الحقا بالبحر والبحر الابيض كأنه هو الاصل للنيل وهو يتجمع من عدة أنهر في اواسط افريقية

وهو أعظمها وأبعدها منبعا لانه منبعت من بحيرة أو كبير بئى المعروفه بغيره كمنوريا  
على ظن آخر الجغرافيين الآن وان كان التحقيق انه مجهول حيث تبين ان تلك البحيرة  
تستمد من بحيرة أخرى ولا يمكن الوصول الى اكتشافها صعب ولعله تحدثت أسباب  
لذلك وطوله الى حيث يجتمع بأخيه قرب الخرطوم ٢٣٠٠ كيلومتر أو نحو  
التي ميل (وأما) الازرق فجمعه نحو الثلث من السابق ومنبعه من بحيرة ديمية في بلاد  
الجبشة ويمر على عدة شلالات ثم يجتمع بأخيه ويصير حينئذ القسم الاوسط فتنصب  
فيه عدة أنهار غير معتبرة وذلك في بلاد النوبة فاذا وصل الى أصوان حدثت منه الشلالة  
الاخيرة التي تمنع زيادة صعود السفن عنها لانها مكوونة من ارتفاع الارض في الجوى  
الاعلى وانخفاضها في الجوى الاسفل مع صخور مرتفعة فيكون له تحرير كالغد القاصف  
يسمع من بعد بعد فاذا وصل النيل الى أسفل القاهرة انقسم الى فرعين شرقي وغربي  
فالشرقي يصب في البحر الابيض عند دمياط والغربي يصب في البحر المذكور عند  
رشيد وواحدة من النيل ترع - عديدة حتى صار يصب في البحر الاحمر وخليج  
السويس والاسكندرية وغير ذلك وصناعة الترعى في مصر كانت معروفة في مصر باحسن  
مما هي عليه الآن حتى كانت تروى سائر رباهابل وجبالها أيضا ويرشد الى ذلك  
قوله تعالى حكاية عن فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي فكانت أرض مصر كلها  
طارة بالانهار وهاته الترعى تحمل القوارب وتقع بها المواصلات وتبين مما مر ان في مصر  
أنهارا عديدة عظيمة سيمى في السودان ويجمع الجميع في النيل ولولا عظمة المياه  
لنلاشت في الصحارى التي ترعها ومن غرائب النيل انه يفيض في وقت معين من كل  
سنة وهو وقت الانقلاب الصيفي ويستمر على ذلك الى الاعتدال الحري فيبدأ حينئذ  
النقصان الى الانقلاب الشتوى فيتم في مجراه الى السنة القابلة ويختلف فيضانه  
بالزيادة والنقصان واعتداله المطلوب للسكان هو ان يرتفع على الجوى الاعتيادى شبعة  
أمتار فان زاد هلك بالفرق وان نقص أجنف الناس بالقمط ولهذا الفيضان كانت  
مصر الاصلية لها مناظر عجيبه ففي الربيع الذى هو شباب الزمان في سائر البقاع  
تكون مصر عروما أقل يوحه من نفسها في وقت آخر وفي الصيف الذى تجف فيه المياه  
في المعروف تكون مصر بحر من الماء العذب راسية فيه قرى ومدن وأصهار يسلك  
من بعضها البعض في القوارب وفي الخريف الذى يبدئ فيه في غيرها ذبول النباتات  
تكون هي قد شب نباتها وازدخرت وربت وفي الشتاء تنثمر أزهارها وتقرط أطيارها

ويحصد زرعها وتدخر أقواتها وتفيض على العالم محصولاتها فانفردت بذلك عن غيرها  
وانيس هناك ما يشبهها الانهر السند المار على بلوچستان فانه يقرب من ذلك من حيث  
فيضانه في الصيف وما أحدثت الآلات البخارية لرفع الماء من النيل زمن نزوله قل  
ضرره من القحط اذ لم يعد انه جف ماؤه الاسنة ١٢٧٨ وكان كرهها شديدا (أما ضرر) تفاقم  
فيضانه فقد اذاع على تخفيفه الاخبار بالسلاك الكهربية حيث يأتي الخبر بتفاقمه  
سرعيا من السودان ومصر العليا ففتح له أفواه الخلدان وترفع الناس عن الاراضي  
المنخفضة ومع ذلك يحصل منه ضرر عظيم أحيانا وقد اختلفت الاقوال في أسباب فيضانه  
وأظهرها انه مترسب من شديتين أحدهما ذوبان الثلج المتراكم على جبال  
الجبسة الشاهقة وعلى جبال أواسط افرريقية بجزر أو اخرالبيح فتسيل مياهها ويطمأ  
بها النهر الازرق وغيره واطول امتداد الانهر ما يصل ماؤها الى مصر الا في الانقلاب الصيفي  
(وثانيهما) ان جنوب خط الاستواء فصوله على عكس فصول شماله فالربيع عندنا هو  
الخريف عندهم والصيف عندنا هو الشتاء عندهم وقد علمنا ان النهر الابيض منبعث من  
جنوب خط الاستواء بعدة درجات وان الامطار في الاقاليم المحيطة تتراكم دفعية سيما  
وقت الخريف والخريف في الجنوب هو ربيع في الشمال فياصل ماؤه الا في الصيف  
في الشمال فيجسد من ذلك طمو النهر الابيض أيضا ويانقى بانخسه وهما طاميان  
فيجدت فيضان النيل زمن الصيف في مصر (أما) بقية الأنهر في شمال مصر وفي النوبة  
والسودان كتب من الاتهار والجداول منها ما يصب في النيل ومنها ما يصب في الصحاري  
وليس منها ما يصب في البحر الا يوجد نهر أصلي سوى النيل لكن أحدثت منه أنهار عديدة عظيمة  
تسمى بالترع حتى صارت أغلب الاراضي المصرية مخرقة بتلك الأنهر الصناعية ومنها  
الكبير الذي يحمل السفن النهرية ومنها الصغير ومنها الدائم الامتلاء بالمياه ومنها ما يجف  
عند انقضاء انخفاض النيل والموجود الآن من هاته الترع يزيد عن السهائة وأحد  
عشر نهر أطولها الابراهيمية فانها تقرب من مائتي ميل ولا زال الاعتناء به كثيرا لترع  
المستلزم لتكثير اراضي الزراعة حتى بلغت الآن الى ما يقرب من خمسة ملايين فدانا  
مستقيمة مزروعة والقدان عبارة عن مساحة ٥٩٢٩ ميتر مربع وهذا المقدار وان  
كان كثيرا في ذاته لكنه لم يبلغ الى ما كانت عليه الترع في مصر قديما حيث كانت زمن  
الفراعة تصعد مياه النيل الى أطالرباها وجبالها وتسقي جميع أراضيها حسب ما نص

عابه في التاريخ ويشهد له قوله تعالى حكايته عن فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي فجمع الأنهار والافتخار بما ابل والتعظيم الى حد دعوى الألوهية فاقض بانها كمنيرة جدا وبالغة الى حد خارج عن المعتاد في الكيفية. كصعودها الى الاعلى \*  
 والواسطة في ذلك اما ان تكون بواسطة آلات تحمل الماء من أسفلى الى أعلى بكمثرية حتى يجري في الأنهار ثم من هاتين تحمل كذلك الى ما فوقها الى أن تجري ومن هذه أيضا الى ما فوقها وهكذا الى نهاية الارتفاع والالآت اما ان يديرها الماء نفسه أوقوة أخرى جهات الاكن فيما اندثر من علوم القدمين أو تكون الوساطة هي تفرع الترع من أعلى النيل قبل الوصول الى الشالالات بان يوتى لاول شلاله قبل انحدار الماء منها فتفتح له فروع ذاهبة مع ارتفاع الاراضى بكيفية هندسية وبناء قناطر وحنايا لمرور الماء من الاعلى الى الاعلى ثم من شلاله أخرى بفعل هكذا وح تجري الأنهار في الارتفاعات كما تجري في الانخفاضات ويحصل منها النباتات الجميلة ومنها ظواهر البهيمجة (وأما) بحيرات مصر فهي عشرة أربعة كبيرة وبقية صغيرة ومنها بحيرة المنزلة ومحيطها نحو من مائتين وخمسة عشر ميلا وتسير بها السفن الصغيرة وبها السمك دائما وموقعها ثم في مدينة دمياط ويخترقها الخليج السويس والبقية أغلبها ايضا مع الخليج وليس لها فائدة معتبرة سوى استخراج الملح من بعضها عند جفاف حافظه صيفا وبعضها يحف تماما أما مالكا السودان ففيها بحيرات مهمة مثل بحيرات منبع النيل وغيرها ولكنها اقلية الجدوى بالنسبة للنافع مثل بقية ذخائر السودان (وأما) هوام مصر وما يتبعها فهو على العموم حار وغاية الفرق ان الجهات الشمالية على شاطئ البحر الابيض ياطف حرها صيفا سيما عند ازيد باد النيل (وأما) الجنوب وساير السودان فهو حار جدا حتى انى كنت في مدينة مصر في شهر رجب بعد فيضان النيل ولم أكن أستطيع النوم بالغطاء بالعساف السكنان ولكنى أستطيع أيضا فتح الطيقان لكثرة الندى الضرب رأيت مثل ذلك في اسكندرية أيضا التي هي مهرب السكان من الحر مع انى كنت بهما في ذلك الشهر وأيضا (أما) السويس والصعيد فلا تسأل عن شدة حرها نعم هي بعد الانقلاب الشتوى يحصل بها البرد الى درجة طالب التدبير والتدفي فيكون الهواء عموما معتدلا مع ابتهاج الارض بالنبات (وأما) نباتاتها مع سودانها وجمالها فيصح أن يقال ان فيها كلما يوجد من نبات الدنيا الاماندر حتى الأشجار التي تكون في الاراضى الباردة فانها توجد في الجبال الشاهقة في دواخل السودان ذات الثلج الدائم وفي السودان غابات عظيمة صالحة \*

أخشام البناء لسفن والديار وللأعمال الجيدة أيضا مثل الابدوس وغيره لا تكن أرض  
 مصر الأصلية ليس بها من غابات طبيعية وظاية ماله بها منظر الغابات هو الخيزل فالأصل  
 ان عمالكم يشغلون على كل ما يحتاج اليه من الزروعات الحبوبية والاشجار ذات الثمار  
 وغيرها (وأما حيواناتها) ففيها الخيزل بقلة بالنسبة لذاتها لكن يوجد في السودان نوع  
 منها جليل يعرف بالكعيل والبقال قليلة والحجر كثيرة ويركها حتى الاعيان ولها اعتبار  
 ويحلقون شعرها وتصبر بالتربية تفهم قسما لصاحبها حتى اذا قال المحارم بحجره صخرة  
 ظلمت وصارت تمشي على ثلاث اقدام الشرطى ينظر اليها خوفا من تخدعها للحكومة  
 بلاجر والابل كثيرة جدا ومنها نوع الهج بين وهو نوعان في السمر أحداهما تعب  
 لراكبه وهو الذى اذا سار رفع رأسه وعنقه والثاني لين لراكبه وهو الذى اذا سار دلى  
 رأسه الى الارض ومد عنقه الى أمام وكلاهما من الابل المعتادة غير ان أصحابها يخشون  
 الجيد الاطراف الخفيفى الحركة ثم يمر نونه من الصغر على مداومة سرعة السير فيترقى  
 عليها ويبقى ناعلا فيكون عدة لا يحسبه لا الوصول الى الامد البعيد في الزمن القريب  
 وكان عند الاقدمين عرضا عن طريق الحديد الا ان غير انه لا يحمل الاتقال الكثيرة  
 ولقد رأيت من مميزات نينا صلى الله عليه وسلم ما يزيد القلب ايمانا وذلك في الحديث  
 الذى رواه الامام مسلم في صحيحه في الكلام على سيدنا عيسى عليه السلام وانه يترك  
 القلاص أى الابل بمعنى انه لا يستعملها وخاصت الثمراخ في تطبيق ذلك والحق ما يدبته  
 المشاهدة من الاستغناء عنها بالرتل وطريق الحديد والله أعلم انه سيعم جزيرة العرب  
 ويصل الى مكة والمدينة حيث ان سيدنا عيسى عليه السلام ينزل هناك والله أعلم والبقرة  
 قليل وهو نوع ضخم والجاموس كثير والفلاح من العامة الذى له بقرة منه تغنيه عن كثير  
 من الاشياء فيشرب ويبيع من لبنها رياتا يقدم ويبيع من سمها ويحدرث عليها ويوقد  
 بخثها ويستخرج اولادها ولذلك صارت البقرة عنده أعز شئ عليه في الدنيا (وأما الغنم  
 فهى كثيرة في السودان والحيوانات الوحشية يوجد منها في السودان كل الانواع التى  
 تألف البلاد الحارة كالاسد والنمر والفيال والزرافة وغيرها (وأما الطيور فيوجد سائر  
 الطيور الاليفة (وأما الوحشية فائما يوجد منها بعض الرحالة كالسمان والخظاف  
 والمخدة كتميرة وكذلك الغراب ولقد شاهدت منه نوعا غريبا لانه ابلق وعليه  
 فتكون الصفة في قوله تعالى وغرابا يبيع صفة كاشفة لا مؤكدة حيث يوجد في  
 الغراب الاسود والابلق بعضه اسود وبعضه ابيض كما يوجد في السودان أنواع شتى من

الطير والغريبة كالبيعا ذات الالوان البهية المذهبة والمفضضة وغير ذلك من أنواع الطيور  
(وأما) معادن مضر ففهي أكثر أنواع المعادن المعروفة فالذهب يوجد بكثرة في عدة أماكن \*  
من السودان فقه ماهو في مدنه ومنه التبر الذي يوجد في الرمال من سيول المياه وأشهر  
معادنه في سنار حتى يعرف بالذهب السنارى وكذلك يوجد الفهم الحجرى الغنى في بلاد  
النوبة ويوجد أنواع المرمر والرخام الأبيض والأزرق في جهات من الصعيد وكذلك  
المخ في عدة سماخ والجص والسيمان والرصاص في موضعين حوالى شط البحر الأحمر  
والنحاس في عدة أماكن والحديد بكثرة في عدة جهات والكبريت حتى انه يوجد جميل  
يسمى به (وأما) الفضة فهي قليلة وتوجد أحجار ثمينة وأهمها الزمرد لكنه قليل ويوجد  
الفيروزج والعقيق والذي يحق به الاعتناء هو حجر البلور اذ هو كثير ونقى بضاهى ما في  
بوهيمية النمساوية كثيرة وصفاه وأكثرتها المعادن متروكة اما لعدم العناية به  
أولصعوبة نقله حتى رأيتهم يأتون بالحجارة لبلاط الطرق في الاسكندرية من بلد ترست  
في مملكة النمسا مع ما في البلاد من الحجارة التي صنع منها القديما تلك الأهرام والهياكل  
والعواميد التي تنقل ذخائر في قواع الدنيا ولا شك ان العناية لو توجهت الى استخراج  
مناجم السودان لسهل نقل تلك الحجارة وسائر المعادن بأخذ الفحم الحجرى للطرق  
الحديدية التي تسهل اتصال الاتصال ومواصله الاقطار اذ في السودان كنوز لا يحصى  
الاحاطة بها واعظم بكثير غاباتها وأخشابها المرغوبة كالشمشير والابنوس وغيرها حتى  
لا يحتاجون لحطب أخشاب البنا وغيره من خارج المملكة فانهم يأتون حتى يحطب الوقود  
ونخمه من الخارج وذلك ضعف للبلاد (وأما) مدن مصر ففي مصر من القرى والمدن \*  
ما يتجاوز الثلاثة آلاف بلدة وأشهرها قاعدتها وقد تدمت صفتها اسم الاسكندرية  
وفرزكرها ثم طنطا ورشيد ودسوق وأشمون والأبيض على وزن محمد قاعة كرفان  
وأبو حازو وتندتى قاعة دارفور سابقا وتسمى فاشم وغير ذلك وقد كانت بها مدن هائلة  
في الصعيد تسمى على بناآت عجيبه وصناعات غريبة وقد دمرت تلك المدن ولم يبق لها  
من اعتبار سوى ان بعض اصار يجعله قريات ليست بذات أهمية وتلك الهياكل القديمة  
قد اكتشف عنها وتسمى بالبرابي وتقصدها السواح للاطلاع على ما تحت  
عليه من الاضاجيب والصناعات المندثرة ومن هاته البرابي واحدة في بلاد فو التابعة  
لمديرية اسنى أخبرني الرحالة محمد برادة أنه رأى به ايوانا كبيرا منقوشا في الصخر على  
حيطانه صور جميع المصنوعات المألوفة اذ ذلك وأنه رأى فيه بهين رأسه صورة طريق

الحمد يدب قضبان ممتدة وعليها حوافل ذات عجلات لكنها بدون مزجبة أعنى الآلة التجارة  
 كما رأى فيه صورة السلك الكهربي التي يعنى صورة أعمدة عليها سلك ممتد منتهى الى  
 آلة ورأى صورة سفينة ذات عجلات وصاعده من مدخنتها صورة الدخان وسعدت  
 من خيره أنه يوجد في جملة البرابي بيتان عظيمان أحدهما يحتوي على صور جميع  
 الحيوانات والآدمية على صور جميع المصنوعات وان منها ما تقدم وكاه نقش في الحجر  
 ورأيت في جغرافية فكري ذلك البرابي واحتوائها على النقوش والصور  
 لكنها لم يذكر خصوص ما تقدم ذكره (وأما) هراسى مصر فأولها الاسكندرية ثم  
 برت سعيه ودومياط ورشيد في البحر الأبيض والاسماعيلية والسويس في الخليج  
 ومصوع والقصر وسواكن في البحر الأحمر وبلغ وغيرها في المحيط الشرقي وأما أهلها  
 فهم على قسمين الاول أهلها إلى مصر وهم نحو ستة ملايين بعضهم من ذرية القبط أبناء  
 المصريين القدماء وبعضهم أبناء العرب الفاتحين واختلط نسل من أسلم من القدماء  
 بالثاني وصاروا جميعا مصريين ونسكان عددهم في هذا القرن أعنى حيث كانوا في  
 أول دولة محمد على باشا لا يبلغون الا أربعة ملايين ولما امتد فيهم التهميد والتحفظ  
 على الصحة بتحصين الهواء والعلاج عاقبهم الله من مصيبة الوباء والجدرى اللذين  
 كانا ثمين فيهم فبلغ عددهم الآن الى ما ذكرنا والقسم الثاني منهم هم السردان وهم  
 أبيضاء على قسمين الاول أهلها إلى النوبة وكانت قاعدتهم سنار وهم من الرضخ وذرية  
 الكوش من العرب ثم تساطت عليهم من قبيلة الفنج ودخلت في الاسلام وبقيت هي  
 المحسنة الى أن افتتحها محمد على سنة ١٢٣٦ وثاني أقسامها هو قسم دارفور وعدد  
 سكانه خمسة ملايين وهم من نوع سوداني يسمى فوروسميت البلادهم وديانتهم الاسلام  
 ومعهم نوع يسمى المسبعات وله كثرة اختلاط الجميع بالعرب ودخول قبائل منهم فيهم  
 حتى كانت عائلة الملك العربية صاروا جميعا بتكاملون بالعربية وللخص مما مر أن الأهالي  
 على العموم أكثرهم عرب واللغة الغالبة والرسمية عربية وتوجد لغات أخرى سودانية  
 وعدد الجميع بالمضافات ستة عشر مليونا والديانة الغالبة هي الاسلام وتوجد النصرانية  
 على مذاهب شتى ومنها الختاطة بشي من شعاراها ودوشي من شعاراها الوثنيين كما يوجد كل  
 من ذينك الديانتين (وأما) صفتهم على العموم فأهل المدن الكبيرة يكثر فيهم النبهاء  
 والعارفون بالمصالح العامة المشتركة والباقى على الاطلاق هم على السذاجة والجهل  
 بالمنافع الخاصة فضلا عن المشتركة واللون الغالب أسمر أو أسود وأهل السودان والعرب

من أصل المصربين شجيمان (وأما) فلاحومصر فلما طال عليهم الاستيلاء الاستبدادى  
ضعفت فيهم الشجاعة بالمرّة وكادوا أن يفقدوا الغيرة كما حكاها المقرئ بزي

## الفصل \* الرابع

﴿ في اجمال تاريخ مصر وملكاتها ﴾

﴿ مطالب في تاريخها القديم ﴾ اعلم أن مصر أشهر بقاع العالم بعرفه أصول تاريخها  
القديم لئلا يكتفى في الواقع غير محرر ولا موثوق به وقد أظن العلماء الاسلاميون وغيرهم  
في تواريخ مصر وعلومها وتدنيها فغاية ما نستطيع هنا انما هو الاشارة الى  
أنموذج ذلك معرضين عما لبعضهم من المبالغات والخرافات ويدعي بعض المتأخرين  
ان المحقق عندهم في علم مبدأ التاريخ فيها المحقق هو قبل الميلاد بالفى ومائتى سنة والحق  
أنه غير محرر لان استنادهم في ذلك انما هو لآراء التي بين أيديهم وهي كما علمت سابقا  
غير صحيحة سيما في محل التاريخ وقد أقر بعض متديبنهم بالغلط الفاحش في ذلك المحل  
سيما فيما يرجع الى التاريخ العام وانه مخالف للوجود من الكتابات المنقوشة على  
الاحجار العتيقة جدا وغيره من القرائن الواضحة وتعال في تصحيح التوراة بان موسى  
عليه السلام لم يقصد تاريخا وميا للخليفة وانما قصده ذكر عموديه ولا يخفى  
ان هذا غاية معقول اذ كيف يذ كر عموديه في تواريخ مخالفة لنفس الامر لانه يلزم  
ان يكون قائما لابان فلانما لا بعد الطوفان بكذا ثم فلان بعده بكذا وفي زمن  
الملك الفلاني المتسلسل في تاريخ كذا مع ان ذلك الوقت ليس مطابقا لذلك التاريخ  
فما هو الا عين الكذب أو الغلط المتزه عنه كلام البارئ تعالى والمعصوم منه الرسول  
فلا يحصى عن القول بالتحريف في التوراة التي بين أيديهم وماذا أضفت الى ذلك  
الميزان المعقول في حساب العمران وكمية التناسل من الدهر بعد الطوفان ولعل على  
القول بعدم عمومته في سائر الكورة ونظرت الى المدة التي ذكر ان ابراهيم عليه السلام  
أرسى فيها وما كان عامرا من الجهات التي لا نزاع ان الطوفان عمها وهي محل إقامة  
ابراهيم عليه السلام وقومه ومن كان معاصرا له من الامم الذين طغوا في البلاد وتجبروا  
بها لهم من القوة والعدد والعلوم لاشك انه يستحيل عندك انهم كلهم نشؤا  
في مدة مائتى سنة من نسل أربعة من أولاد نوح عليه السلام وأيضا يستحيل ان تنسب  
وتندثر مهجرة الطوفان الهائلة من عقول أمّة في قرنين اذ يمكن ان يكون بعضهم من



أدركه من أدركها لم يزل بقيد الحياة فكيف مع ذلك ينسى توحيد الله ويعبداله غيره ولا يتأني ذلك إلا بطول الزمان ونسيان المبهزات وانقراض العلماء ومن عاصرهم في مدة مديدة ولذلك لا نعتمد حينئذ على تعيين أوقات مائة تعرض له من الدول القديمة وإنما نقول ان مصر قبل بعثة موسى عليه السلام كانت قامت فيها دول عظيمة ذات شان وقوة وعمران وملوكها يسمون بالفراعنة - جمع فرعون وهي عبارة مصرية معناها نور الشمس وأول من يعرف الآن من فراعنتها هو منتر (أو) مصر ايم الذي حول بحرى النيل وبنى مدينته من قديس ثم زادها خلفاؤه بهجة واتقان حتى كانت أعظم مدن الدنيا واتخذتها الفراعنة تختا لهم ولو بعد انقراض عائلة فرعون المذكور وفي مدة أحقاد المشار اليه نشأت دول اخرى صغيرة في أراضي مصر وانقسمت على ثلاثة أقسام بقي أحدها تحت العائلة المذكورة والاخران تحت عائلتين أخريين الى ان تغلبت على الجميع العائلة الرابعة من الفراعنة ومنها فرعون المباني للهرم الكبير الذي بالجيزة ومرزكوه ثم انقسمت الى عدة أقسام كان منها العائلة الخامسة وتولى منها عدة ملوك أحدهم بائي الهرم الثاني بالجيزة أيضا وكذلك العائلة السادسة وغيرها الى الثانية عشر كلهم متفرقون على جهات من مصر الى ان قهر الجميع تحت حكم فرعون أوس - برطاسن (أو) سينوس تريس ثالث ملوك العائلة الثانية عشر وضم الى ممالكه بلاد الحبشة وغيرها من السودان وانقضت عائلته بعده بقايل وغايبه ما يعلم انه تداول مصر بعد ذلك عائلتان وهما الثالثة عشر والرابعة عشر وكان حوادثهما ليست مهمة فلم يوجد لهما وقائع شهيرة (وأما) الخامسة عشر والسادسة عشر فلهما أخبار من جهة قوة الملك والترقي في الصنائع والمعارف وفي آخر الاخير ابتداء تسلط الملوك الرعاة على مصر وتم استيلاؤهم على قسم عظيم منها أرواعيا كلها لكن بقي للاهلبيين جهة من أطالي الصعيد ملكوا واعلمها العائلة السابعة عشر من الفراعنة ولم يكن لها اهمية في جنب مملكة الرعاة وهؤلاء الرعاة يغلب على ظن محققى المؤرخين انهم من العرب اجتازوا الى مصر وبقوا فيها مدة طويلة ذوى شأن وساطان مهيب قوى وقال بعض الاخباريين ان دخول يوسف الى مصر كان في دولة هؤلاء الرعاة ولما قضى على تلك الدولة بالانقراض كان الذي باشر قهرها فرعون أموسيس وانتشأت العائلة الثامنة عشر ولها عدة آثار باقية الى الآن من المباني والصور والدلة على قوة الملك والتمدن كالمستقين الموجودتين بالاسكندرية والقسمانظية وكذلك الموجودة برومه

وقال

وقال بعض المؤرخين ان دخول يوسف عليه السلام انما كان في هاتاه الدولة ويستدل  
من الاثار ان عبادة الاصنام تفاحشت في مدة تلك العائلة ثم استوت العائلة  
التاسعة عشر من الفراعنة وكان منها فرعون سيزوستريس المشهور عند اليونان  
بذلك الاسم وامتدت ملكته من نهر الطونة في اوروبا الى نهر الكنتك في الهند  
وانشأ في كل ملكة افتتحها آثارا تدل عليه وارتقت مصر في مسدته الى غاية  
كبرى من المعارف والغنى حتى قيل انه اول من رسم خريطة لصورة المملكة الواسعة  
وزادت ارتقاه ونفرا وانتهت في معارف الطبيعيات والهندسة والسحر في مدة حفيده  
فرعون زمن موسى عليه السلام حتى ادعى ملكه ومعرفته الالهية وكان من قصته  
ما هو مذكور في القرآن العظيم ومن غريب ما يستحق الذكر ان مؤرخي مصر القداماء  
لم يذكر واحدة غرق فرعون ونجاة موسى عليه السلام ببني اسرائيل بانفلاق البحر  
مع انها حادثة كبرى وبناء على اهم المصائب ذكرها من لادين له من متشدق هذا العصر  
وأضافوا الى ذلك في الاستدلال ان قبر فرعون المذكور واسمه منقط الثاني موجود  
بين قبور الفراعنة في الصعيد بالمكان المعروف بباب الملوك فلو كان غرق لما كان له  
قبر وأجاب عن هذا بعض النصارى بان وجود القبر لا يدل على وجود المقبر كما ان وجوده  
يمكن ان يكون قبل موت فرعون على عادة أسلافه من احضار قبورهم مضمخة من خرقة  
وهو قد هيا ذلك وان لم يدفن فيه ويحتمل ان يكون ايجاد القبر تعصبا من المصريين وعنادا  
في اخفاء الامر الذي احاط بهم دفعا للعار عنهم في الاجيال المستقبلة واستبدال الجيب  
المذكور على ان فرعون موسى هو منقطا المذكور بان الذي ولي الملك بعده ابنته  
وتصرف بالنيابة عنها وزوجها لانه لم يكن له ولد سواها وابن صغير قاصر فدل ذلك على  
حدوث أمر عظيم انقرضت به عائلة الملك حتى سلوه الى امرأة وزوجها مع ان جدهم  
القريب سيزوستريس المذكور قد ترك من الاولاد نحو عشرين فهذا الحادث  
الذي انقرضت به العائلة ليس هو الا ذلك الغرق لفرعون وملائه اه ولا يخفى ان كلا  
من الجواب والاسم تدل على غير مسلم (أما) الخواب فان وجود القبر الاصل فيه ان يكون فيه  
مقبور سيماء اذا كانت عليه كتابة اسمه التي بها عرف انه قبره وتاريخ موته فانما الترميم  
الابعد وضع صاحبه فيه واحتمال ان المصري بين أقامه واذلك القبر على تلك الكيفية  
قصدا لاختفاء الواقعة في الاجيال القادمة احتمال بعيد كما سبقه لا يؤر مع الباحث سيما  
واقعة غرق فرعون مع ملائه ونجاة موسى ببني اسرائيل بانفلاق البحر من المعجزات

الباهرة التي لا يبقى معها المصير بين عناد بعده شاهدتها وهلاك ما حكمهم الذي كانوا  
يعبدونه فلا تبقى فيهم بقية يفكرون بها عن الاجيال المستقبلة وأين هم من هذا مع  
أفتضاهم لانفسهم وتجميع معاصريهم ومن هو تحت حمايتهم من الامم السالئين السابقين  
الطونة والكنة فهم أشغل بانفسهم والا نقياد الى الحق أو الى تدارك أمرهم الذي يواي فقط  
في الاقل بين عين الامم الذين ينظرون الى هلاك مدعى الالهية مع امرائه ووزرائه  
وجيوشه فكيف يخطر لهم في تلك الحالة التعمية على اجيال مستقبلة مع ان سائر  
معاصريهم ينقلون خلاف ذلك (وأما الاستدلال فهو غير منتج اذ لا يلزم من تولية البنات  
انقرض عائلة الملك كيف ذلك ونحن نرى في التاريخ بل وفي خصوص تاريخ  
المصريين عدة نسوة صرن ملكات مع وجود العائلة بل ولم يزل ذلك جاريا في جهات من  
الارض الى الآن فلم لا تكون ولاية البنات لان قاعدتهم كانت وراثة الملك لا كبر اولاد  
الملك الاناث والذكور سواء وتصرف زوجه حينئذ نيابة عنها باختيارها الا انقرض  
العائلة وكانى ارى هاتيك التعميلات في الجواب مبني على اهمال علم السنذ والرواية أما  
لو كانوا يعرفون ذلك وجرت عليه اعمال ديانتهم لما استحقوا مثل ذلك ولتخلصوا من  
مهاومها لكانت مع ان علم السنذ والرواية أمر ضروري بل طبيعي لاخذ الاخبار الغائبة  
عن المشاهدة واذا ثبت عليه الاحكام استقام الامر وخلص من الغلط والغش والكذب  
وبناء على اعتبار ذلك فحق المسلمون نقول ان الذي نقطع بوجوده هو غرق فرعون  
مصر مع ملأته ونجاة موسى عليه السلام ببني اسرائيل بانفلاق البحر مجزله أما كون  
فرعون المذكور اسمه منقطا وغيره وكون مدته الى الآن كم هي فلا علم لنا بما اولاد ليل  
لنا علمها وذلك العلم حصل لنا بالنقل المتواتر في القرآن من نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة  
والسلام الذي ثبت نبوته وصدقه بالمجربات المتكاثرة فاخباره لاشك في صدقه  
ويوافقنا على ذلك النقل المتواتر من أمية بنى اسرائيل منذ حصول الحادثة ممن شاهدوا  
منهم وهم أمة عديده يستحيل تواطؤهم على الكذب الى من بعدهم منهم ومن غيرهم نقل  
هم جيل بعد جيل على تلك الصفة الى الآن وعدم ذكر الواقعة في تواريخ علماء ذلك  
العصر لا ينفى وقوعها لان السكوت عن الشيء ليس بنفى له وهناك حامل على عدم الذكر  
لان المؤرخ انما يكون من علماءهم الذين هم أشدهم ضادة للديانة واذا شاهدوا شيئا مثل  
ذلك ولم يجدوا وجه اللدخ فيه وتخرجه على ما يلائم منه فهم يسكتون عنه على انه  
مندمج في زمره ما نسبوه الى اعمال القادحين فيه التي يفسجونها الى نوع من الباطل عنادا

أوجهه والعباد بالله وانى لا أعجب من انكار ذلك من غير ذوى الديانات من أهل العصر  
وانما أعجب من انكار النصرى واليهود الاثنى عشرية لتبدينا محمد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم. لم وهى انشقاق القمر مستدين على انكارهم بمثل ما سئل عن ادل عليهم في انكار  
واقعة الغرق من عدم ذكرها في النوار يخ مع انهم يحسبون بمثل ما تقدم ونحن نقول ان  
مجزأة انشقاق القمر ثبوتها بين وأمرها أوضح وذلك انما وقعت ليلا بعد مضي حصة منه  
لان القمر كان ليلة البدر أى الرابعة عشر وهو في كبد السماء كما تشهد روايات  
البحارى من ان نصفه بقى ظاهرا فوق الجبل ونصفه غاب وراءه والروايات وان اختلفت  
لفظها فهذامد امره معاهاتم ان الحصة في انشقاقه لم تطل وعادما كان عليه ولا ريب ان  
حوادث السماء لا يشغل بها العموم دائما الا اذا حدث العلم من قبل بها فتأملت اليها  
الانظار أو تقع بحسب الصدفة سيما الامر الذى لا يطول زمانه مثل بعض الشهب المؤثرة  
للضوء القوي أو غيرها مما لا يطلع عليه الا افراد صدفة ولا يعلم بخبره في جميع الجهات  
والاشفاق وان ذكره بعض الناس فلا يثبت عند علماءهم المؤرخين لعدم ثبوتهم عندهم  
لعدم ثقتهم باخبار الافراد القليبين فلا يكون سكوتهم دليل على عدم الوجود على ان  
وراء ذلك ما هو أوضح وهو ان الممالك المتحدة اذ ذاك الحماوية للعلماء المؤرخين الذين  
يمكن لهم رؤية القمر عند استقامته في كبد السماء في مكة المكرمة انما هم سكان ما بين  
شطوط المغرب الى مبادى جمال هملاى أما الى أوروبا فلم يكونوا اذ ذاك من أهل المعارف  
والثديون سوى جهاتهم الجغوية من بقايا الرومان (وأما) الصين وشمال آسيا الشرقية  
فلا يرون القمر اذ ذاك لغروبهم أو قرب غروبهم في ضوء النهار فهم وان كانوا  
اذ ذاك متمدنين وعلماء لكن ذلك غير مرئى لديهم ثم ان الممالك المذكورة التى يمكن لهم  
رؤية القمر اذ ذاك هم في أنفسهم مختلفون في الوقت فيكون الوقت اذ ذاك عند  
المنوذج عند نصف الليل وعند المغرب بين عند غروب الشمس أو ما قارب ذلك في كل  
من المكين وبها تيك الاقطار ما مضى عليها من وقت انشقاق القمر نيف وعشرون سنة  
الا وقد أدخل خالد بن سنان قائد جيش المسلمين في المغرب قواهم فرسه في المحيط الغربى  
وقال ليس لى وراءه ذما أفتحه وقد بلغت فتوح الجيوش الاسلامية في الشرق الى  
بخارى وسمرقند وأفعانستان وسائر تلك الجهات فعلماءها تالافطار عند الفتح الذى  
كان يقرب انشقاق القمر لان الانشقاق كان في السنة الحامسة قبل الهجرة والفتح تم  
في مبدأ خلافة سيدنا عثمان كانوا على قسمين منهم من آمن وهو الاغلب ومنهم من

بقي على دينه (فأما) من آمن وألف فقد روى مثل سائر المسلمين الانشقاق امارؤيته  
أولؤية أحد من ينق به من أهل وطنه مع التأييد بالرواية المستفيضة والتواتر  
القطعي من الصحابة الذين شاهدهوا ذلك وعلوه ونقلوه بالكلام الذي يتبعه دون  
بثلاوته ولا يرتابون في حرف منه وكذلك صار نقل كل من آمن من سائر تلك الاقطار  
ولهذا تواتر النقل بغير ذكره - ندوا وقتصر ذكره على كيفية الوقوع وهو أيضا بالغ مبلغ  
التواتر مع ان الاصل ثابت بغير احتياج للسند كما في سائر التواترات لانه اذا قال قائل  
ان الكعبة في مكة المشرفة فلا يقال له عن ترويه - هذا لانه قطعي مع اجماع بالضرورة  
وكذلك نقل الانشقاق لانه موثر بالقرآن في قوله تعالى اقربت الساعة وتانشق  
القمور (وأما) القسم الثاني من علماء تلك الاقطار الذين لم يؤمنوا فانهم المتحقق عندهم  
ما تقدم عند المسلمين فن ثبت ذلك عندهم منهم من قبل لاشك انه يضر ب عن ذكره في  
تاريخه لانه يكون حجة عليه وهو يتأول في وقوعه بما نشأ به الآية الكريمة فهو  
حريص على عدم اثباته بالمرة لكنه لما عارضه النقل القطعي سكت عنه ولم يتعرض له  
بنفي ولا اثبات والافساب لهم لم يذكروا احد منهم ان ذلك الزمان قد كان في فلان وفلان  
يرصدون القمور أو السماء ولم يروا ذلك الحادث مع انهم حريصون على ذكر كل قاذح  
في الدين فكان سكوتهم في الحقيقة هو نفس الاقرار بالوقوع ولا يخفى ل مع ما ذكرناه  
ان مجرد السكوت عنه حجة في عدم الوقوع والحال ما ذكرناه ويتأيدها ذبا بالمالك  
التي بقيت لم تفتح وكان فيها بقية من التمدن وهي يمكن منها رؤية الانشقاق مثل بقية  
ما ذكرنا وما ان الشريعة والتفريفة فانهم لما تقلص ظلمهم في تلك المدة القريبة بدولة  
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان من مبعزاته انشقاق القمور وهم على دين  
النصرانية وثبت ذلك عندهم قطعيًا ممن فتحوا اقطارهم وعلموا ان ذلك الانشقاق  
حجة تخصماتهم فعلى تقدير ان يكونوا رأوه وانبتوه في بعض توار يخهم عند وقوعه  
فلا يبعد ان اضر بواعنه بعد بلوغ قصته اليهم انكى لا يكون حجة عليهم ولا بعد اثباته  
عند من يأتي من قومهم سيما والملوك اذ لا تحت الا تقياذ للقصور وكبراء الديانة  
فربما انهم منعوا من ذكره كما يمنعون سائر ما يضر بدياناتهم فها هنا يأتي مثل هذا  
التعاطيل الذي مر ذكره عن بعض النصارى في شأن غرق فرعون وهو هنا على نحو  
ما اوضحناه ا بين وأمكن فلذلك قلنا باشهاد عجمنا من انكارهم له ولا يقال لهم  
انكروه واستندوا الى عدم ذكره في التواريخ من حيث وقوع الخلاف في وقوعه حتى

عند المسلمين لان رواية أحاديثه لا تخرج عن الافراد الالية المارة قد قال بعض  
المفسرين فيما ان الفعل الماضي وضع موضع المسـة تقبل تحقيق المسـة يقع فلا يكون هناك  
النقل بالتواتر للوقوع بالفعل والوجه في سقوط ذلك بديمى عند من تضاع بالقنون  
الشرعية وبيانه انا قد مرنا ان الاحاديث المروية في الصحاح انما هي في بيان الكيفية  
والاسـباب اأصل ثبوت الواقعة فانه منقول تواترهما متقالا مدار جميع الروايات  
البالغة حد التواتر على اثبات الوقوع فليس هي من الاتحاد وكذلك صريح القرآن  
قطعي فيه وهو ما ذكره بعض المفسرين ليس هو من كلام أحد من الامة اذ لا خلاف عندنا  
في ذلك وانما هو من كلام بعض المخددة والمريد لان دخول الشبهة كيفية كما كان الحال  
على المسلمين وان نسب القول بذلك لاحد الامة فانه هو من التزوير والهتان حيث  
لم يثبت بطريق الرواية الصحيحة عن الثقة نسبة قول ذلك لاحد علماء الامة ولذا لا ترى  
كل من نقل ذلك من المفسرين الا وقال انه هو ويرده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا  
ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستهتر الاية فانه اذا كان المعنى  
سينشئ القمر لا يكون لقوله يعرضوا الخ من معنى لان ذلك الزمن الآتي ليس فيه  
من مدع بجعزة حتى يدسوها الى السحر وايضا قوله تعالى وكذبوا ناص صريح في  
تكذيبهم بأن انشقاق القمر بجعزة وانما نسبوه الى السحر وقد جاءت قراءة وقد انشق  
القمر بزيادة التاء كيدلا ساضى ولهذا نقل الاجماع غير واحد على ان الانشقاق قد وقع  
وانه لا خلاف بين المفسرين في ذلك وكذلك الروايات في الوقوع قد قال الواقدى انها  
متواترة بالقطع وبه صرح القاضي عياض وغيره من مجازي الرواية والمحدث وقال  
القاضي عياض أيضا ما معناه ان من يدعى عدم التواتر في ذلك انما هو الجاهل كمن  
ينغمض بصره ويقول مالي لا ارى الضوء وكذلك هو اذا فان المعرضين عن الاطلاع على  
الحديث والسيرة هم الذين لا يعرفون تواتر الرواية في ذلك زيادة ثم قد انما من صراحة  
القرآن فيه واجماع الامة على تفسيره بما لا يحتمل تأويل ولا شبهة ولم يقل أحد خلافه  
سوى دسيسة المخددة المذكورة مما لا يروج على عالم وكان نقل كثير من المفسرين لها  
لاردعاهم هو الذي صير لها ذكر الحق ان كثير من المتأخرين الذين فسروا المبراهوا حق  
القرآن في تنزيه تفسيره عن سفاسف الاقوال مما هو مردود بالهداهة واصول العقائد  
والاجماع كما وقع في هاته الآيه مما جعله للقول ذكره وان لم يكن له من اساس ولا سند  
ولا يجب للحساد الممـدين ودسائهم في المعاني بما استواعوا بل انهم طمعو احتي في

\* الالفاظ وأرادوا أن يدخلوا عليها الشك والتعريف مع العلم القطعي بتواتر كل حرف من القرآن في محله ومرور ألف وثلاثمائة سنة وعشرون سنة عليه ولم يقع الشك فيه ولا راج التشكيك على أحد من الأمة من عامة أفاضل علماءها ومن هذا القبيل ما رأيت عند كني لهذا المحل في تأليف جديد للغة فارس سماه بالجا سوس على القاموس فهو وإن كان في بابه من جهة اللغة حسن الموضوع ولكن لما كان صاحبه غير متضام بالعلوم الشرعية افتروا راج عليه ما يذكري في بعض كتب أدبية لذوى عيون متعمرين بذكر ما يرونه من الطرف والظرائف المتضاربة الوقت والتزلف لدى جهال الامراء حتى قالوا إن بعض كلمات القرآن الكريم وقع فيها التعريف واختلاف الرواية في القراءة بسبب عدم وجود الشك والقط في الحرف العربية في الزمن القديم وعدم ذلك جلة الالفاظ حتى قال إن منها انا ناقري اونا ناقري وقضى قري وصي ويثس قري يتبين وعماد الرحمن قري عند الخ ولولا التحامل المقصود لهؤلاء لما صح لهم ذكر ذلك والافأى ذى عقل يقول إن أحرف الكلمات المذكورة يشبه بعضها ببعض حتى يقرأ على ما ذكر في أين آت الواو في انا حتى صارت اونا وكيف يشبهه القاف بالواو في وصي ومن أين آت الالف في عند حتى صارت عماد وهذا كفي في بيان التمشدق والافالحقيقة ان القراآت السبع كلها متواترة باجتماع أهل الملل والدين كما نص على ذلك علماء أصول الفقه وأصول الدين وسائر القراء واذا قال أحد مدعى العلم في عصرنا ان التواتر يحصل به العلم العام في العلم يحصل لي حتى الظن بذلك فضع العلم فنقول ان ذلك من الجهل المركب وذلك لان المراد بكون التواتر يحصل لالعلم انما هو عند من علم التواتر وعند أهله أي أهل موضوع التواتر لا عند جميع الخلق ومثاله سهل جدا فانك اذا سألت أحد أهل السياسة وعلماء الجغرافيه عن وجود بلد تسمى اسمه كقولم اجابك حالا بانها موجودة قطعا وانها تحت ملكة السويد وانها لا يرتاب في ذلك مثل ما لا يرتاب في وجود نفسه فاذا أتيت بجمهور علماء الجماع الازهر وعلماء جامع الزيتونه وعلماء جامع القرويين وغيرهم من علماء الدين وسألتهم عن تلك البلاد لا تجد عند أحد منهم شعورا بها ولا يجب عليك الاباني لا اعلم لهذا الاسم من موضوع فهل يكون عدم معرفة الجمهور العظيم من علماء الشريعة قاضي وجود تلك البلاد وفي نحوها عن كونها تحت ملكة الملكة بشبوت التواتر لمن لم يشاهد ما من أهل العلم بذلك كما لا يكون لا يكون جهل جميع الجاهلين قاضي وجود التواتر بالقراآت السبع بل قال جمع من الاصوليين

ان القراآت العشرة متواترة فضلا عن السبع. واذا كان كذلك فلم يبق محل لدعوى  
التصنيف أو التحريف في تلك الكلمات واشباهها مما ثبت به القراءة وانما جاء  
ذلك من التشديد في الذي لا اعتبار له سوى التسويد في الكتب لينة نقل عنه من يرى ان  
العلم كافي فيه وجوده في كتاب مسود وسيأتي لهذا الموضوع مزيد بيان في الخاتمة  
ان شاء الله تعالى ولترجع الى تاريخ مصر فتقول انه من عهد مدمنمغنا وابنته لم يوجد في  
التاريخ شيء معتبر من احوال مصر سوى استقباله ثلاث أخريات للملك الى ان بلغت الى  
العائلة الثانية والعشرين فكان منها فرعون شيشق الاول الذي حارب ملك الشام  
وهو ابن سيدنا سليمان عليه السلام وفتح ما كتبه وبقيت تحت حكمه وصور فنوحه  
على هيكل الكورنك وكتب عليه بالنقش بحروفهم ما كتبه به وذلك في قبضتي ثم خرجت  
عليه الشام وحاربها ابنه وانكسر ثم لم يكن نوقائع مصر من أهمية الى ان استولت  
عليها العائلة الخامسة والعشرون وهي من ملوك الحبشة وأولها فرعون سباطون  
وصارت من هامة العائلة عسدة ملوك وحاربوا ملوك آشور التي كانت مما كتبه بين  
الفرس والشام وعظمت ما كتبه مصر في أيام تلك العائلة حتى اتحدت بالحبشة وغالب  
أفريقية وصار فيها تمدن عظيم حسب ما دللت عليه الآثار ثم انقضت الدولة واتقسمت  
المملكة المصرية الى اثني عشر قسما ثم اتحدت تحت العائلة السادسة والعشرين  
وأولها فرعون أساميس وترقت المملكة في أيامه وكان فيها ابتداء استعمال الحروف  
الابجدية في الكتابة عوضا عن الكتابة بالصور التي كانت مستعملة سابقا كل صورة  
علامة على كلمة ومن مديته ابتداء التثبيت في التاريخ المصري وانجلى حاله نوعا ما عما  
كان من قبل في اثبات الزمن فكانت ولاية المذكور سنة ٦٦٤ قبل الميلاد وكان  
نحاط معارفهم معارف اليونان وكثرت بينهم الخاطئة ثم استولى ابنه وفتح بعض أسيا ومنها  
بابل وأراد وصل النيل بالبحر الأحمر ولم يمه ونجح عنه أيضا بعض ما فتحه في أسيا  
كذلك الشام ثم استولى عدة من ذريته الى أن فتح مصر بخت نصر وقتل فرعونها وأولى  
ها بها أحد أعيانها فخالف عليه فيار بنه ما كتبه فارس وتغلبت على جميع البلاد  
وصارت مصر ولاية فارسية حدثت فيها عدة ثورات من الاهالي لانقاذ أنفسهم  
من الفرس ولم تكن شيئا ونهاية خروج مصر من يدهاها كان في حدود سنة ٣٥٨  
قبل الميلاد ولم يتولاها أحد منهم الى الآن بل كانت ساثر ودولها من المسلطين من  
خارج ثم بقي بعد تلك الثورات استقرار ملك فارس الى ان ظهر اسكندر المقدوني اليوناني



وشمر ع في الفتوح فافتتح مصر وجعل قاعدتها الاسكندرية كما مر وكان فتوحه  
 سنة ٣٢٢ قبل الميلاد ثم استولى عليها بطليموس الاول من اليونان أحد قراد  
 الاسكندر عند اقتسام ممالكه بعد موته وانتشأت الدولة البطلمية وسيرة التي تحفظت  
 على ما أمكن لها معرفة من علوم قدماء المصريين وزادت بمساريف اليونان وقد فتح  
 بطليموس المذكور الشام وجعله ولاية مصرية وأهلك من اليهود ما أبقته من نصرة  
 حتى لم يبق منهم الا القليل النادر من الرعا ع ثم لما تولى ابنه اعتق من وجده منهم ورددهم  
 الى بيت المقدس مكرمين وهو الذي أمر بترجمة التوراة من سبعين رجلا من اليهود  
 العباريين باللغة اليونانية فترجمها كل منهم بما فراده وقوبات الترجاه مع بعضها  
 واستخرج من الجميع نسخة واحدة وهي المعروفة الآن بالسبعينية ومع ذلك فهي مخالفة  
 الآن للعبرانية والسامرية وكان السبعينية أقل تحريفا للاتفاق عليها اذ ذاك وكان  
 تحت مصر اذ ذاك تونس وطرابلس وكثير من جزيرة العرب والشام وكثير من جزائر  
 اليونان ثم تولى بطليموس الثالث وزاد في الفتوح الى ان دخل واسط آسيا ياتهم تولى  
 الرابع وقتل اليهود في سائر ممالكه شرقة وكان بطشا وتولى بعده ذريته ولكنهم لم يكن  
 لهم من تقدم اجدادهم سوى اسم الملك أما الاعمال فهي قهريه استبدادية شهوية ستمة  
 الله في انقراض الدول حتى استولت منهم امرأة ذات جمال فائق وأسمها كليوباترة فباعت  
 في البلاد والعباد وعضف مملكتها فقصدها امبراطور الرومان بالحرب وأرسل لها جيشا  
 ولكنهم لما اجتمعت برئيس جيوشه شغفته حبا حتى تزوجها بعد ان كانت تزوجت  
 أخوها واحدا بعد آخر ثم أقام معها رئيس الجيوش الى ان أرسل اليه جيش آخر  
 وقتل في المعركة ولما استمالته من النجاة مكنت حبة قتالة من يديها فنهشتها  
 وماتت وقد رأيت صورتها في عدة أماكن من أوروبا والحبية في يديها وكان بذلك  
 انقراض دولة اليونان من مصر وابتداء استيلاء الرومان عليها فلم تنزل ولاية رومانية  
 يا قبط واليه بالمقوقس له الاتاق النصر في الى ان جاءت البعثة وخاطب النبي صلى الله  
 عليه وسلم الملوك بالدعوة الى الاسلام فكان من الملوك المخاطبين منه عليه الصلاة والسلام  
 المقوقس ونص الكتاب الذي بعثه اليه باسم الله الرحمن الرحيم من (محمد) عبد الله ورسوله  
 الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فاني أدعوك بدعاية  
 الاسلام أسلمت بوثك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك اثم القبط يا أهل الكتاب  
 تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا

بعضاً رباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اه فاجابه بالعزيمه  
بما نصه به بم الله الرحمن الرحيم محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما  
بعد فقد دقرت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا اليه وقد علمت ان نبيما قد بقى  
وكنت أغان ان يخرج من الشام وقد أكرمت رسلك وبعثته اليك بجارية بين لها مكان  
من القبط عظيم وكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام فلم يكن فيه اجابة ولا انكار  
وانما هو يوحى الى قرب الاجابة ثم فتحت مصر في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه سنة ٢٠ \*  
على يد عامله سيدنا عمرو بن العاص في جيش عدده ثمانية آلاف وأمه الخليفة بارية من  
أسود الجحاية قال ان الواحد منهم في مقام ألف فتلك اثنا عشر ألفا ون يغالب اثنا عشر  
ألفاً من قلة وتنادى الفتح منها لبقية أفر ببيعة وحيث كانت أخبارها الى العائلة المحمدية  
العلوية بسوطة في التواريخ لا يمكن استيعابها نقتصر هنا على ذكر الدول وسنفيها  
وملاحظات في صفاتها في جدول خاص هذا وأما بقية الملحقات السودانية وهى القسم  
الجنوبي من النوبة وما يليه جنوباً من بقية السودان وقاعدة ملكهم تسمى سنار باسم  
الملك فمناية ما يعلم من أحوالها انها قبل الهجرة بنحو ٣٧٣٥ سنة كان يسكنها  
قوم من الزنج لا تعرف أحوالهم ثم وردت عليهم طائفة الكوش من العرب وحضات  
بينهم وبين المصريين وقائع اضطرت المصريين الى اقامة قلاع في الحدود وتفاصيل ظاهم  
عما كان لهم في النوبة من النفوذ ثم تسلط أهل سنار العرب على مصر وهم الرعاة ثم  
خرجت عنهم كماسية ذكره ثم دخلت في أهالى سنار وغيرهم الديانة النصرانية في القرن  
الرابع من الميلاذ ثم في القرن الاول الهجرى افتتح العربها تين الجهات وبقيت على  
الاستقلال بادارتها سوى التبعية الدينية للخلافة الى سنة ٨٨٩ فاقبلت قبيلة تسمى  
القنج (أو) الفون ولا يعرف من أين أتت فتعالت على تلك الجهات وتماكتها وكانت  
على الديانة الوثنية ثم أسلمت وصار من علماء أجلة في عدة مدن وارجل منها طوائف  
الى قواعد الاسلام لاخذ العلوم فبرعت منهم فحول وكان ملكهم من أقوم ملوك الاسلام  
الى أن حدث فيهم التنافر الداخلى والانقسام وتمازوا فيما بينهم فحاولوا بذلك وسيلة  
لجسارهم في التسلط عليهم فاختتمها بمسجد على باشا فرصة واستولى على جميع سنار  
بعد استيلائه على النوبة سنة ١٢٣٦ أما شطوط النوبة الشرقية أعنى ما كان منها  
على البحر الأحمر فانه كان في أغلب الاوقات تابعاً لمصر حتى بعد الفتح الاسلامى وعند  
ما فتحت الدولة العثمانية مصر بقيت هاته الجهة تحت ادارة خاصة بها تابعة للدولة

الى سنة ١٢٤٣ ففوضت ادارتها الى محمد علي وجعلت جزأ من الممالك المصرية والمحتمت  
 بها أيضاً بلدة أنصبا ومحقاتها التي كانت تابعة للعبدة فاسه تحولت عليهم مصر شيئاً  
 فشيئاً (وأما) دارفور فقاية ما علمت من تاريخها أنها كانت من الممالك الاسلامية القديمة  
 وأهلها من انحلاط السودان والعرب وانحراثة من ملوكها عربية سودانية يسمى أولهم  
 السلطان عبدالرحمن توفي سنة ١٢١٨ وانتقل الملك في أبنائه الى ان تغلب على المملكة  
 اسماعيل باشا سنة ١٢٩١ (وأما) زيباغ وغيرها من بقية جهات السودان على شطوط  
 أفريقيا الشرقية فمماصل ما بلغت اليه انهم قوم من العرب اجتازوا الى هناك من قبل  
 الاسلام ثم أسدوا في صدر الاسلام وما استولت الدولة العثمانية على اليمن وغيرها من  
 جزيرة العرب وأفر ببقية دخوات تلك الممالك أيضاً طوعاً في طاعة الدولة ولم تزل بحرية لهم  
 حوائد لهم ولها الحكم السياسي الى أن ألحقت ذلك بمصر بمقتضى فرمان منحة الى اسماعيل  
 باشا وورثته وذلك سنة ١٢٩٢ (وأما) بلاد النوبة فكانت قديماً مشهورة بمنازل كرناء  
 في سنار الى أن استقر الاسلام بمصر فبقى أهل النوبة على الشرك حتى انه في زمن  
 المأمون لما قدم الى مصر اشتكى اليه ملك النوبة من غارة اسوان وأهلها بانهم ما كروا  
 أراضى في بلادها بالشراء من أناس والمسال انهم أمى البساتين عبيده فأحاط فصالحهم على  
 قاضي اسوان ولم يقر البساتين بالرق فضعف عليهم ملك النوبة وبطش بهم ثم صار التعدي  
 متواليما من النوبيين على أهالي مصر وكلما أغاروا ووجه لهم حاكم مصر راداً منهم عنون  
 ثم يعودون الى زمن صلاح الدين بن أيوب فالتجأ اليه ابن أخ ملك النوبة من مصر اعلى  
 عمه فأعانه وأولاه ملك النوبة وضرب عليه خراجاً والحق بمصر نحو الربع من النوبة ثم  
 لما ملكت الدولة العثمانية استقلت النوبة وكانت حدودها عند مصر مأوى للإمراء  
 أصحاب الفتن فيلجئون اليها الى أن استولى محمد علي فاستولى على جميع النوبة وغسبها  
 وصار أغلب أهلها مسلمين ودونك جدول حكومها

مصر منذ الفتح الاسلامي

## \* جدول حكومات مصر \*

التاريخ من الهجرة	أسماء الحكومات	ملاحظات
٢٠	سيدنا عمرو بن العاص وخلفاؤه	عمال للخليفة من الخلفاء الراشدين * ثم الامويين ثم العباسيين
٢٦٤	أحمد بن طولون وذريته	سلطان مستقل بالادارة خاضع الى الخليفة العباسي قدينا
٢٩٢	عمال العباسيين	مثل سائر العمال
٢٩٣	الدولة لآخشيديّة ومنها كافور الآخشيدي	سلطان مستقل يدين بالبيعة للخلافة العباسية
٣٥٨	الدولة الفاطمية أولها المعز بن المهدي	خلافة مستقلة على مصر وسائر المغرب
٥٦٧	الدولة الايوبية وأولهم اسمعيل الاصلاح الدين وأخوه شجرة الدر	مستقلين وتماكروا الشام وغيره وصلاح الدين هو فاتح بيت المقدس من أيدي الأفرنج وصاحب الوقائع الشهيرة في حرب الصليب وفي مستهم انتقل الخليفة العباسي الى مصر سنة ٦٥٩ وهو صوري فقط
٧٨٤	دولة المجر اكسة أولهم المعز ايبيك زوج شجرة الدر المذكورة	مستقلين خاضعين لخليفة عباسي بالاسم
٩٢٢	الدولة العثمانية وعمالها ومنهم المهاليك	عمال لآل عثمان لهم ادارة مختارة فوضى
١٢١٣	الفرنساويون	* تغلب نابليون الاول وبقى الى أن أخرج بسيف الدولة العثمانية واعانة الإنكليز

\* مطالب في تاريخ مصر الجديد بما استولى الفرنسيون على مصر وكان قاصدا للتوصل  
 من هناك الى افنيك كالهند من الانكليز لما كان بينهم من الحروب والعداوة بل وكانت  
 اثر اوروبا اذ ذلك ضد الفرنسيين حسب ما تقدم ذلك في محله فبقيت عاصمتها انكلابيره  
 الدولة العثمانية على حرب فرنسا وخرجها من مصر ١٢١٦ وبعد استقر امرها  
 \* للدولة استولى امارتها محمد علي باشا الذي اصعد له من الارناؤوط وقدمه كرياضة  
 عساكر الترك لاخذ مصر من الفرنسيين وكان كامل الاوصاف للرياسة فتقدم اليها  
 بنفسه على بنى جنسه وانقاد له الجميع وقررت ولايته الدولة على دفع نواج معلوم سنويا  
 وذلك سنة ١٢١٩ فوجد مصر في نهاية درجة الفقر والبربرية والجهل بل حتى ان  
 الامراض الوبائية من الطاعون قد كثرت فيها وصادت عادية تقضى من الناس سنويا  
 خلقا كبيرا حتى قل الهرمان ولم يبق من ما ذكر تقدم المصير بين سوى الاسم في النوارينغ  
 نعم وجد للعلوم الشرعية بقية آثار في الجامع الازهر من العلماء وذلك كله ما عداها  
 من تقلبات الدهر والظلم والجور والاسهت بداد والخراب في الايام الخالية فشمع عن  
 ساعد الجدد وافقه البحث وفتح مصر عصر اجديدا فتنظم فيها جيشا نظاميا من اهلها  
 ورتب الاداء على الاهالي على قانون غير محجف والزمهم بتعمير الارض وفتح الترع وانشأ  
 المدارس العلمية للعلوم الرياضية والحربية واحضر المعلمين من اوروبا واحيى الماساتانات  
 والزم الاهالي بالنظافة وتوسيع الطرقات والبنات وارسل التلاميذ الى اوروبا لتعلم  
 الفنون واحيى غو العلوم الشرعية وسهل ابواب التجارة وانشأ معامل السلاح والسفن  
 وترجمت ح الكتب النافعة في فنون شتى من لغات شتى الى العربية فانشأ في مصر جبل  
 جديد وعصر جديد بسطت فيه طرق الهرمان والهدن والقوة في مدة يسيرة فافتتح النوبة  
 \* وسنار واستولى على الشام والمجاز وافتك من الوهابي بل امتد بالاسهت لبلاد الى قرب  
 الاسنانة في الاناطولى وخشيت شوكة من عصبيته على الدولة العثمانية فتعصب  
 الانكليز الى الدولة في الظاهر لتوطيد اركانها وفي الباطن خشية من انتشار دولة  
 اسلامية تشابه ذات قوة مثل تلك ومرکزها مصر فتخشي ان تمتد من هناك الى الهند الذي  
 هو روح قوة الانكليز سيما اذا عضدته احدى الدول الاوروبية مثل فرنسا فلذلك  
 حاربتهم مع الدولة العثمانية التي هي اذ ذلك على ضعف شديد من حرب الروسيا  
 والثورات الداخلية واستقلال اليونان وغير ذلك فقهر وامجد على ولكن لاتسام مقصد  
 انكلابيره لم تسعح للدولة بالاستيلاء التام على مصر لمرعاة المقاصد المشار اليها ايضا

فكان الاوفق لها ابتقاء مصر على شبه استقلال اضعف كل من الجهتين وبقى محمد على واليا على مصر على أن تكون الولاية في ذريته من أكبر إلى أكبر ويؤدى خراج سنويا للدولة ويعينها عند وقوع حرب معها بالعساكر الذين يبلغ عددهم الاربعة من الفا وكذلك يعينها بالأسفن وان الرتب العالية في مصر يعين هو أصحابها وتوليم - م الدولة والسكة والخطبة فيكون باسم السلطان العثماني والعلم عثمانى أيضا وخرج المحجاز عنه الى الدولة وكذلك الشام وبقى على ذلك الى أن ضعف بالنسبة فتنازل عن الولاية لابنه الأكبر وهو رثيس جوشه وحوويه ابراهيم باشا سنة ١٢٦٥ وكان على قدم أبيه وتوفى تلك السنة فتولى بعده ابن أخيه عباس باشا بن طوسون بن محمد على سنة ١٢٦٥ \* فاخذت فوان القطن في شئ من الانحطاط لصرف المداخل في الثمرات لكنه أحدث شيئا من المنافع كعض طرق الحديد والسلك الكهربائي وأحكم الصلة مع الدولة العثمانية ثم توفى سنة ١٢٧١ وولى بعده سعيد بن محمد على فزاد انحطاط القطن \* واتسع حرق الاسراف ونمغ جمعية لسبس الفرنسية ففتح خليج السويس وكثر الدين على الحكومة ثم توفى سنة ١٢٨٠ وولى اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا فاعاد عصر القطن والمعارف واتساع القوات البرية والبحرية وشدد الاتحام بفرانسوا واكلانير بما جاء له آخذ اطريق الاستقلال بالمرّة عن الدولة العثمانية وصادف ان كان في أيام ولايته حصات حرب أمريكا المتحدّة في بعض مفاها فقطع منها جاب القطن الى انكلا تيره واشتد طلبه من مصر وحصات فيها ثورة لم تعهد مع امتداد طرق الحديد الى جهات شق والى السودان ثم تم فتح خليج السويس في مدته ودعى له ملوك أوروبا فغضبه كثير منهم كما براطور اوسستريا وأمبراطورة فرنسا ليس زوجة الامبراطور نابليون الثالث من غير توسط الدولة العثمانية مما زاد الشبهة في دعوى الاستقلال لكنه كانه تحقق من زائريه ان المقصود لا يتم له فتغيرت سياسته من وقتئذ وعاذ بامضافة الدولة العثمانية وقد قدم اليه السلطان عبد العزيز بنفسه الى مصر والى مقره في الاستانة وحصل منه على فرمان امتياز بانحصار الوراثة في نفسه بنفيه من أصحابهم الى ابنته الأكبر وهكذا و زاد في استخراج الدولة وأخذ منها ما يمكنه من ايلع وفتح دارفور وكردفان وغيرها \* من السودان وزادت المعارف كلها شعشة في أيامه وانشأ المحاكم الختاطبة بمصر ناع حكم القضاة لوانشأ مجلس النواب عن الامة لكنه صوري وكذلك مجلس الوزراء الا ان الكل قهقت امره وحده لكنه ازيد الدين على الحكومة بكثر المصاريف

الداخلية في انشاء القصور وغيرها كالترع والطرق وبكثرة المصاريف للدول لتحصيل  
مطلوبه منهم مما ذكرناه وامتقر الاصل الى من الظلم وأخذ أموالهم بالضرب وغيره  
لحدغير معلوم ومع ذلك لم تقدر الحكومة على الوفاء بقائض الديون الاوروبية  
وجعلت تزيد في القرض الى أن توقف المقرضون عنها فتمت داخات الدول في حفظ  
\* أموال رعاياهم وأنشأوا وزارة فيها وزيران كليزي للسال ووزير فرانسوا  
للاشغال العامة وتحرش الوزراء غير الاجنبيين حينئذ في عدم الاذعان لجرد  
ارادة اسماعيل باشا وتقاب مراد في تعيين الوزراء فلم يفده الى أن ثارا الجديش بالاغـواه  
متفقا مع مجلس النواب وأهانوا الوزارة المتعلمة كلها بدعوى انها تقصت من مصاريف  
الجديش وهدده لئكن المعاملة مع الوزير فرانسوا كانت ليئة وهو منقض عنهم حتى كان  
لسان الحال يدل على ان فرانسوا باطنافوع اتفاق مع الجديوي يوافق قصده في التماهد  
من انكلا تيره حتى تفضت لذلك وأرسلت له رسولا لخاصة اليه لانه نصيحة شديدة ما لها  
ان النافع لذاته هو الفرق بالرعية والكف عن الاسراف وان ركونه الى غيرها لا يفيد  
عند تحميص الحق فأجاب بالخاص سارمي به واشتمد حنفة من التداخل الاجنبي الى أن  
حصلت تلك الامور من الاسا كرفهزل الجديوي الوزارة فثار غيظ فرانسوا انكلا تيره  
وطلبه وامن الجديوي أن ينزل عن الخديوية فأبى وأحوال الى أن كادوا أن يباشروه  
بالحرب وكانت الدولة العثمانية اذ ذلك أترنر وجهان من حرب روسيا التي قسمت بها  
كثيرا من ممالك الدولة فأرادت الدولة أولان تحمي الجديوي لئكن الماعلمت أن  
لامناس من عزله جمعاتها كما قيل بيدي لا ييدعرو حفظ الاموم واساطتها بجعات بارسال  
\* أمر بسلك الكوربالي اسماعيل باشا تعطيه بعزله وأمر آخر الى ابنه الجديوي الخالي محمد  
توفيق تأمره بالولاية وتسلم زمام الامر وذلك سنة ١٢٩٦ ثم سافر اسماعيل الى ايطاليا بجرعه  
وأبناؤه وبقي ساكن في نابلي بقصر الحكومة ايطاليا وتصرف الجديوي توفيق في مصر  
بواسطة الوزراء ووجهل رئيس الوزارة مصطفى رياض باشا وجعل له كل من انكلا تيره  
و فرانسوا اقبا ما ليا يحضر مجلس الوزراء وله صوت فيه بحيث لا يرضى شيء الا ما وافق  
عليه المراقبان وقسمت مداخيل الحكومة على اثنين أحدهما للقائض الديون وقدر  
تلك الديون نحو ألفي مليون فرنك ومرة دارما عين لفا انضم واسه تلاك أصلها نحو مائة  
وسهين مليون فرنك سنبوا والباقي من مداخيل الحكومة يدفع منه خراج الدولة  
العثمانية وبقيته مصاريف الحكومة وجرى التصرف للوزارة بدون مجلس النواب

مع وعد الخديوي عند ولايته بفتحها وإجراء مقتضاها إلى أن ظهر للوزارة أن تحدث قانونا في رتب العسكر كان من مقتضاها أن أبناء مصر العارفين بالكتابة والقراءة لا يتجاوز رتبة رئيس الألف أي بين باشي والذي لا يعرف ذلك لا يستولى الأرتبة. رئيس عشرة وبقية الرتبة ولاها المدخبلون في مصر كالترك والافرنج فامتنع من الامضاء على القوانين في وزارة الحرب عدة من أمراء الالايات معالنين بان ذلك خلاف الانصاف فسيجنوهم وزير الحرب فثار العساكرواخرجوهم من السجن وأحاطوا بقصر الخديوي طالبين عزل وزير الحرب فمزل وحصات (حينئذ) طنطنة لاتحاد العساكروانصافهم وحياة المصريين ونشأ في الامم حزب يسمى الحزب الوطني زعيمه في الكلام رجل يسمى عبد الله نديم \* فصحح الله ان عارف بطرق الكلام وكثرت منه الخطب في الجامعات والمواكب ومن غيره أيضا في الحث على الاتحاد وأخذ الاشتغال لابناء الوطن وكذلك الوظائف والخروج من ولاية الاجانب الذين اشتد احتقارهم للاهالي واستمدادهم عليهم بالرتبات الباهظة حتى اني لما مرت بمصر كنت أسمع دوى غليان الاهالي من التشكي من كثرة قوطيف الاجانب الذين بلغ عددهم نحو ألف ومائتي متوظف يأخذون سنويا نحو أحد عشر مليوناً فرنساً مع اقتدار الاهالي على الوفاء بتلك الوظائف ونقصان مرتبهم عن ذلك بكثير ثم بدا للوزارة لزوم التفتيش من عدد العساكرفنثار الجنود وأحد قوا بقصر الخديوي من مسلحين حتى بالمدافع بعد ان أرسلوا الى نواب الدول بالامن عليهم وعلى رعاياهم والاعلام بمقاصدهم وكان رئيس ذلك الاتحاد رجل من أهل مصر في رتبة أمير الأي فصيح اللسان ثبت الجنان اسمه أحمد عرابي فطاب هو ورؤساء الجيش الاجتماع بالخديوي فلما تبين الخديوي جد طاهم بواسطه خطاب ففضل الانكياز معهم تلقاهم فأعلموه بأن مطالبهم هو عزل الوزارة وولاية رئاستها الشريف باشا وجمع مجلس النواب وإجراء قراره حقيقة وان تكون له الحرية اللازمة مثله وان لا يمس حقوق الاجانب وتعهدات الحكومة معهم فلم يسع الحال الا لقبول جميع المطالب واجرائهم فعملوا وازداد عرابي نفوذا وانطلقت الاسن بالحرية فلما اجتمع مجلس النواب ألف قانونه الذي تبنته عليه أعماله وكان من جهاته انه له الحق في الاطلاع على حساب الحكومة في الحال وله الرأي فيه مع ان ذلك من خواص مأمورية المراقبة الفرانساوية الانكليزية فامتنعت وزارة الشريف باشا من قول ذلك لما تسلّم من تدخّل الدولتين في الامتناع حتى يفضى الى التدخّل في السياسة فأصدر المجلس دلي طلبه وأظهرت العساكرا تعصب الى المجلس فاستعفى الشريف ووزارته



ومن هنا خرجت الاعمال عن القصد الجليل لما يوقعها في الزوال لان العاقل ينظر لمجيب  
مقتضيات الحال ونسبة قوة الدول فيتماعدهن موجبات الفساد ولا تطالب النهايات في  
البدائيات كما هو القاعدة الشهيرة القائلة من طالب العثى قبل اوانه عوقب بحرمانه وما  
بالعهـد من قدم قدراً واقداحـل الدولتين في عزل الخديوى السابق حتى تم مرادهم  
في كيف يفتح لهم باب التداخل وهم بالمرصاد منهم لم يكن سبق القدر فلم يتدبروا  
واستعملوا فاصروا على طلبهم ففوض الخديوى انتخاب الوزارة الى المجلس مع انه من  
حقوقه تطبيق الخطا الاهالى فاستولى رئاسة الوزارة محمود سامى واستولى وزارة الحرب  
عربى وابتدأه ايضا من هنا الاعتراض عاينه من العقلاء في قبول الوزارة لان مقامه من  
الامر المعروف والنهى عن المنكر يحجب بتلك الولاية ويصير له غرض خاص به من  
الارتقاء الى المناصب العالية سيما بعد ان رقى من كان معه من رؤساء العساكر الى رتبة اللواها  
وقبل هو من الخديوى تلك الرتبة بعد الدالاح اعليه فوافقت هاته الوزارة رأى المجلس  
وكانت اذ ذلك السن الاهالى وصحفهم مبنية مطابقة بالدخ في الاروبا وبين والتبجح بما  
هم عليه مما أسف منه عقلاء المسلمين فهاجرت ضدهم صحف اربابا جميعا واشدهم  
الفرائسيون والانسكابريون حتى أبرقت وأرعدت دولناهم متهددين بالحرب طالبين  
نقى عربى وبعضهم رؤساء العساكر الذين رفقوا الى رتبة اللواها وارجاع وزارة شريف  
ودخض مطلب مجلس النواب في التداخل في امر المراقبة فوقع اضطراب وهيجان ظهرت  
فيه دعوى على بعض من العساكر الجراكسة بانهم قصدهوا قتل عربى باغراآت سرية  
منها المنسوب الى طاعت باشا احد علائق اسماعيل باشا فنفي اولئك الجراكسة الى  
الاستانة وبقوا فيها تحت الحفظ مكرمين في احد البناآت السلطانية الى أن رجعوا  
بعد الحرب الا ترى ذكرها فلما أصرت الدولتان على ذلك أعان الخديوى بعزل الوزارة  
فثارت الاهالى والعساكر والزمو الخديوى بارجاع عربى الى وزارته وقدم اذ ذلك  
مرخص عثمانى وهو المشير درويش باشا ومعه عدة رجال لاقرار الراحة في مصر بالوجه  
السياسى لان الاهالى ايضا اكثر وان التنويه بانتمائهم للدولة العثمانية ووردت منها  
افراد على الوجه المخصوص من قبل لراحة الاهالى وكان الخلاف بين عربى والخديوى  
عندما قدم درويش باشا مشددا حتى ظهر الخبـر بان الاهالى قدوم وامضبطة بطلب عزل  
الخديوى بل جرى الطمع حتى الى انجـاج الخديوى عن عايلة عجمى على بالمره وطالب أن  
تكون مصر مثل البلقار في امتيازاتها التى منها الاختيار الوالى وأن لا تتداخل فيهم الدولة

العثمانية بشئ في ادارتهم بل ربما تحرشت بمحفظهم بانها لو ترسل عساكر ضدهم - م فانهم  
 يقا تلونهم كما يقا تلون سائر الدول وحينئذ أعلنت كل من فرانسوا ونيكلا تيره بلزوم ابقاء  
 الخديوي ونفوذ وقطع مضادته بالقوة المجرية غير ان فرانسوا تطالب أن تكون قوتها  
 وقوة نيكلا تيره هي الفعالة ولا تسمح للدولة العثمانية بذلك وان نيكلا تيره على ضدها  
 تطالب بمبادرة عساكر الدولة العثمانية لذلك فرأت الدولة العثمانية ان فصل النازلة  
 يتم بدون احتياج الى قوة وأرسات دزويش باشا ومن معه لذلك وحصل من قدمه  
 ما أغاظ كثيرا من الاروبا وبين لانقياد العساكر المصرية والاهالي للسلاطان  
 وامتنال امره وابتداء السكون والتوافق والرضى بالحصول شيئا فشيئا لكنه حدث في  
 اسكندرية التي كانت اذئذ المراساها غاصصة بأساطيل الدول الاروباوية حادثة شنيعة  
 وهي قتال بين المسلمين والنصارى السكان بسبب مشاجرة عادية فطلب الاروباويون  
 بذلك وزموا حتى توجه الخديوي ودرويش باشا وعرابي الى الاسكندرية لاقرار  
 الراحة وأقر الدول ان الواقعة عادية لا تدخل لها في السياسة غير ان أصل المسئلة من  
 اصرار الدولتين على مطالبهم وامتناع اهالي مصر لانزال على ما كان وفرانسوا أشد اذا ما  
 وتهديدا باعلان الحرب وعامت نيكلا تيره عقده وتمت في الاستانة لما يجب من العمل  
 فامتعت الدولة العثمانية من التداخل فيه لما لها من حق السيادة وحدها على مصر  
 فرأت ان ذلك من باب تداخل الدول في داخلية الكونهم عقده ودخلت فيه الدولة  
 العثمانية أخيرا وينتسأ هو في التفاوض كانت العساكر المصرية تصلح في حصون  
 الاسكندرية حيث انها حرة ولا استعداد في الان الدولة العثمانية كانت حجرت على  
 اسماعيل باشا تحصينها عندهما أحكم حصن أبو قير جوار الاسكندرية وحصون دمياط  
 وغيرها لما سبقت الاشارة اليه في أخبار اسماعيل باشا ولسارات أساطيل الدولتين  
 ذلك التحصين ادعوا انه تهديد لهم وطلبوا الاقلاع عنه فاهرت الدولة العثمانية بالمكف  
 عن التحصين وادعى المصريون الامتثال وادعى رئيس أسطول الانكليز عدمه وطالب  
 دخول عساكره الى الحصون فمتناقم الخلاف وأطلقت النيران من الاسطول الانكليزي  
 على الاسكندرية فخربت في نحو عشر ساعات وتضررت بعض مدراعاته وانحازت  
 العساكر المصرية الى مكان يسمى كفر الدوار وجيشوا هنالك واستولت العساكر الانكليزية  
 على الاسكندرية وبقي الخديوي فيها وانكشف الغطاء على مخالفة العساكر للخديوي  
 وكان معه درويش باشا المذكور فرجع الى الاستانة وبقي مع الخديوي الكاتب الثماني

للسلطان واشتد المحاسن انكلا تيره على الدولة في ارسال العسكر ولم ترسل الدولة الى أن  
 وقت سنة ١٢٠٤ م محاربات يرية كان النصر فيها للمصريين واستوت انكلا تيره على برت  
 سنة ١٢٠٥ م واثرت خلع العويس وكان أكبر المعسكرات المصرية في النيل الكبير بين  
 القاهرة والاسماعلية وتضايق الانكليز في لزوم قوة كبيرة لهم لاتمام قصدهم لان  
 فرانسما فتح مجلس نواب الاستشارة في حرب مصر انكر ذلك أشد الانكار فسهكت  
 أسطولها وبقيت على الجياد في الدولة العثمانية وان وافقت أخيرا على ارسال عسكرها  
 لكن تشدد الانكليز في جعله تحت أمرهم وأن لا يتصرف الاعلى نحو اشرانهم وأن يخرج  
 متى ما أمره بالخروج ألزم تأخر ارساله وكان تصرف العساكر المصرية بغاية الاحتراس من  
 الافعال البربرية سوى ما صدر من افراد من العربان والفلاحين في جهات قابلة وبينما  
 الامر على ذلك واذا بالدولة العثمانية نشرت اهـ لانا حسب طلب انكلا تيره بان عربي  
 وكل من انفجرت الى حربه عصابة فلم يرض على ذلك بضع أيام الا وقد انحلت عرى التعصب  
 المصري ودخلت العساكر الانكليزية الى القاهرة راكبة في الرتل بدون أدنى حرب  
 ولا معارضة مع ان الجيش المصري ومن انضم اليه من العربان وغيرهم المتجاوزون المائة  
 ألفا ونحو سبب الف محارب باتم قوات الاستعداد فتفرقوا جميعا أيدي سبب في بضع ساعات  
 وسلم عربي نفسه أسيرا الى الانكليز فرجع الخديوي الى مصر وأقيم وكيل مدافع  
 انكليزي عن رؤساء العساكر المصرية وآل الامر حسب ارادة انكلا تيره ان حكم  
 بعتاب عربي لكن الخديوي عفا عنه لانه لم يفعل شيئا الا عن وفاق من يقبح وأبقى له مرتبة  
 للقيام بنفسه ونفي هو وكبراء رؤساء الى جزيرة سيلان في الهند وذلك هو التعليل  
 الباطني مع ان حزبا عظيما من الانكليزيون ان جنباية أولئك العساكر السياسية  
 لا توجب القتل فلذلك حكم عليهم المجلس المحرري بالقتل لكن الخديوي عفا عنهم  
 وأبدل القتل بالنفي ولم تزل العساكر الانكليزية مقيمة بمصر ورجالهم السياسيون هم  
 مرجع الامر والنهي والوزارة تحت رئاسة ميريف باشا وناظر الداخلية الذي له كمال  
 النفوذ يرأس باشا وانكلا تيره بصدد ترتيب حالة جديدة للسيرة السياسية داخليا  
 وخارجيا لمصر مع اعلانها بان مصر تحت سيادة الدولة العثمانية على امتيازاتها المقررة  
 بالفرمانات السلطانية وان الترتيب التي هي بصدد الامتس شيئا من حقوق الدولة  
 ولا معاهدات الدول الأجنبية وتفاصيل نفوذ فرانسما في مصر ولم تزل غير مسخرة رسميا  
 لانكلا تيره جرادها وللروسية ميل الى معاضدة فرانسما هذا ما وقع الى الآن وهو المحرم

سنة ١٣٠٠ وبه يعلم صحة ما كنا ذكرناه في استيلاء فرانس على تونس وكتبتناه سنة  
 ١٢٩٨ والله يفعل ما يشاء ويختار وله عاقبة الامور  
 بمطلب في السياسة الداخلية المصرية  $\text{عج}$  اعلم ان مصر ملكة عثمانية لها امتيازات  
 خاصة بينها الفرمان الصادر في ولاية الخديوي محمد توفيق باشا وهذا نصه  
 الدستور الاكرم المعظم الخديوي الاتم المحترم نظام العالم ونظام منظمات الامم مدبر امور  
 الجمهور بالفكر الثاقب متم مهام الانام بالرأى الصائب محمدينان الدولة والاقبال  
 مشيداً بركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبري مكمل ناموس السلطنة  
 العظمى المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى خديوي مصر المحاضر لرتبة الصدارة  
 الجلية فعلا والاحمال لنيشاننا الهمايوني المرصع العثماني ولنيشاننا المرصع الجيبيدي  
 وزيرى - ميرالى توفيق باشا ادام الله تعالى اجلاله وضاعف بالتأييد اقداره واقباله  
 انه لدى وصول توقيعنا الهمايوني الرفيع يكون معلوماً لكم انه بناء على انفصال اسماعيل  
 باشا خديوي مصر في اليوم السادس من شهر رجب سنة ١٢٩٦ وحسن خدمتكم  
 وصدقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولمنافع دولتنا العلية واساهوم معلوم لدينا بان  
 لكم وقوفاً ومعاملات تامّة في خصوص الاحوال المصرية وانكم كفؤاً لخدمة بعض  
 الاحوال الغير المرضية التي ظهرت بمصر منذ مدة ولاصلاحها وجهنا الى عهدتكم  
 الخديوية المصرية المهدودة بالحدود القديمة المعلومة مع الاراضى المنضمة اليها المعطاة  
 الى ادارة مصر توفيقاً للقاعدة المتحددة بالفرمان العالى الصادر في ١٣ محرم سنة ١٢٨٣  
 المنضمين توجيه الخديوية المصرية الى اكبر الاولاد وحيث انكم اكبر اولاد الباشا  
 المشار اليه وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية ولما كان تزايد عمران الخديوية  
 المصرية وسعادتها وتأمين راحة اهلها وسكانها ورظاهيتهم هي من المواد المهمة  
 لدينا ومن اجل مرغوبنا ومطلوبنا وقد ظهر ان بعض احكام الفرمان العالى الشأن  
 المبني على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبين فيه الامتيازات الحائزة لنا الخديوية  
 المصرية قد يمانش آمنه الاحوال المشككة الحاضرة المعلومة صارت تبنيت المواد التي لا  
 يلزم تعديلها من هذه الامتيازات وتأكدها وصارت تبديل المواد المقتضى تبديلها  
 وتعديلها واصلاحها لتقرر اجراءه الا ان هو المواد الاولية وهي ان كافة واردات  
 الخطة المذكورة يكون تصميلها واستيفائها باسمنا الشاهاني وحيث ان اهل مصر  
 ايضاً من تبعه دولتنا العلية والخديوية المصرية ملزمة بادارة امور المملكة الملكية

والمسألة والعداية بشرط ان لا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعدي في وقت من الاوقات  
تخديوي مصر يكون مأذونا بوضع النظمات اللازمة للداخية المتعلقة بهم وتأسيسها  
بصورة عادلة وأيضاً يكون مأذونا بفتح وتجديد المشارطات مع أموري الدول الأجنبية  
في خصوص السكر والتجارة وكافة أمور المملكة الداخلية لاجل ترقى الحرف والصناعات  
والتجارة واتساعها ولجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والاجانب أو  
الاهالي والاجانب مع أمورها بطة الاجانب بشرط عدم وقوع عخل في معاهدات  
دولتنا العلية السياسية وفي حقوق متبوعة مصر اليها وانما قبل اع لان الخديوية  
المشارطات التي تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الي بابنا العالي وايضاً يكون  
حائزاً لانصرقات السكاملة في أمور المسالية لكنه لا يكون مأذونا بعقداس تقراض من  
الآن فصاعدا بوجه من الوجوه وانما يكون مأذونا بعقداس تقراض بالاتفاق مع  
الدايين الحاضرين أو وكلائهم الذين يعينون رسمياً وهذا الاستقراض يكون منحصراً  
في تسوية أحوال المسالية المحاضرة ومخصوصاً ما وحيث ان الامتيازات التي أعطيت الي  
مصريي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها الخديوية وأودعت  
لديم لا يجوز لاي سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة  
أرض من الاراضي المصرية الي الغير مطلقاً ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ ألف ليرة عثمانية  
الذي هو الويركو المقرر دفعه في كل سنة في أو أنه كذلك جميع النقود التي تضرب في مصر  
تكون باسمنا الشاهاني ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ١٨ ألفاً لهذا القدر  
كاف لحفاظة أمينة بالة مصر الداخلية في وقت الصلح وانما حيث ان قوة مصر البرية  
والبحرية هي مرتبة من أجل دولتنا العلية يجوز ان يزداد مقدار عساكر بالصورة التي  
تستدب حالة كون دولتنا العلية بحاراً بة وتكون رايات العساكر البحرية والبرية  
والعلامة المميزة ترتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونباشينهم ويباح تخديوي  
مصر ان يعطى الضباط البرية والبحرية رتبة بما الي غاية رتبة أمير الآلى والملاكية الي  
الرتبة الثانية ولا يترخص تخديوي مصر ان يشي شيئاً مدرعة الابدال اذن وحصول  
رخصة مصر بجهة قطعة اليه من دولتنا العلية ومن اللزوم وقاية كافة الشروط السالفة  
الذكرة والاجتناب من وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السفينة باجره المواد  
السابق ذكرها قد أصدرنا أمرنا هذا جليل القدر الموشح أعلاه بخطنا الهمايوني وهو  
مرسل محبة افتخار الاعالي والاعاظم ومختار الاكابر والافخام على فؤاديك باشكاتب  
المابين الهمايوني ومن أعاظم رجال دولتنا العلية الحائز والمامل للنباشين العثمانية  
والجميدية

والجديدة ذات الشأن والشرف حررت في تاسع عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من

هجرة صاحب العز والشرف

وم هذا تعلم أصول الحالة التي عليها حكومة مصر (أما) كيفية الادارة فلما قدمناه في التاريخ لا يتيسر لنا التصريح بالحقيقة التي يرسي عليها الحال لانها غير مستقرة كما علمت وانما نقول انها الاثن لها خديوى بتصرف بواسطة لوزراء على نحو القاعدة الأوروبية وما عدا هذافه وموقوف الى الاثن وهو سنة ١٣٠٠ ومن العجب ان بقى الحال هكذا على غير استقرار وكل حين يسعم انهم يريدون ان ينشؤا أساسات للادارة ولم تظهر للوجود مع شدة النشكى من الاهالى من الحالة الراهنة التي ما آلمها عدم العلم بجميع الامر وعدم تعيين المتصرف رسميا وفيه الا فان القدرة الحربية بيد الانكليزيو وهم أصحاب النفوذ امكنهم مصر حون بانهم لا يتصرفون في الادارة وانما راجعنا الى الخديوى وحكومته وهؤلاء ايديهم قصيرة اذ كل شئ مرجه صاحب القوة لاسيما بعد ان استعفت وزارة شريف باشا وتولية وزارة نوبار باشا الذي علم ان لامناص من مجازاة القوى مع تقاقم الثورة في السودان التي كانت ابنتا أو نمرودة اسمعيل باشا بسبب تعدى المأمورين على رجل منسوب للصلاح يسمى محمد أحمد كان شيخ طريقة وله اتباع فغارت منهم اتباع طريقة أخرى فاغروا بهم حامل تلك الجهة وهى دارفور فارسل اليهم بعض اتباعه فخالفوهم وقهروهم وتكرر ذلك وكما ارسل اليهم قوة كسر وهما فحصل لمجد أجدد شهرة الى ان ادعى المهديوية وكانت الاعيان والامراء من السودان في حرج من ادارة المصريين فانضموا اليه بتدبيرهم واموالهم الى ان استولوا على اغلب السودان المصري وكسر والمصريين جيوش عظام احدثها بشمل ازيد من عشرة آلاف قتلوهم عن آخرهم واستولوا على مهماتهم وفي اثناء ذلك دخلت مصر الانكليزي الى مصر فاعلمت ان كلا تيره بفصل السودان عن مصر واستقلالهم بامرهم متعالة بانهم لا نفع فيهم للحكومة مع ضيق المال عن الوفاء بصرهم وكان ذلك سبب استعفاء وزارة شريف باشا فتمسك بان ذلك لا يصح بدون امر والدولة العثمانية المسملة لها السيادة ولضربه بمصر أيضا المكن ان كلا تيره اصرت على رأيها وأولت نوبار باشا وفاندها من ذلك هى تضعيف مصر واستقالة السودان بوافقتهم اليها لكنهم كانوا أشد عليها كما كانوا مع المصريين فإرسالت اليهم ان كليزيا كان معاشرهم يسمى فردون كان متوليا كما عاينهم مدة اسمعيل باشا فاول تسكين ثورتهم فلم يقبلوا منه صرفا

ولابد لا فتحصن ببلاد الخرطوم ومطاب القوة من دولته وكانت الوزارة اذا ذاك في يد حزب  
 الحرية فاظهوروا من التناقض في القول والعمل ما يتوجب منه في ارسال القوة وأمرها  
 بالتقدم تارة وبالتأخر أخرى الى أن فتح السودان الخرطوم وتم لهم جميع أعمال السودان  
 وحصل من مجموع الامور والحالة الراهنة في تخضرم الامور وكثرة التشكي من الادارة  
 التي هي على غير اساس فعددت تلكا تيرة التي زمامها حينئذ في يد حزب المحافظين  
 اتفاقا مع الدولة العثمانية هـ. ثم انص تعريبه (اولا) ترسل كل من الدولة  
 العثمانية وانه كاتر ان يدوباعا بسا الى مصر (ثانيا) يتدبر المندوب العالي العثماني  
 متفقا مع حجاب الخديوي أرمع من يعينه هو وطله. ذلك الغرض المبين في الوسائط النافذة  
 لتسكين السودان ويتمفاوض المأموران والخديوي في جميع التدبيرات التي يمكن بها  
 تعديل الاحوال المصرية عموما ويكون اجزاؤها برضاء الجميع (ثالثا) يباشر المندوبان  
 العالمان ومعهم الخديوي اصلاح وترتيب العساكر المصرية (رابعا) ينظر المندوبان  
 العالمان مع الخديوي في جميع فروع الحكومة المصرية ويمكن لهم أن يدخلوا  
 التعديلات التي يرونها لازمة في كل ما هو داخل في دائرة الفرمان السلطانية (خامسا)  
 يقع الاعتراف من طرف السلطنة العثمانية بجميع المعاهدات العمومية الاجنبية التي  
 عقدت مع الحضرة الخديوية وذلك اذ لم تكن مخالفة للامتيازات المضمونة في الفرمان  
 السلطانية (سادسا) عند ما يرى المندوبان العالمان ان هناء الخديو استقر  
 وصارت سيره الحكومة المصرية مستحسنة وأمرها راجح فباقيت قدم كل منهما تقريراً الى  
 دولته ليعقد الاتفاق باخلاء العساكر الانكليزية بالبلاد المصرية في وقت مرضي  
 (سابعاً) يقع امضاء هاتئ المعاهدة في ظرف خمسة عشر يوماً وتكون مبادلتها مضمونة  
 في القسطنطينية اهـ وقدم المرخصان المشار اليهما في الاتفاق وعند وصول المرخص  
 العثماني وهـ ومختار باشا احتفت به الحكومة ازيد من الاحتفال لها بالمرخص  
 الانكليزي الذي كان سبق صاحبه (وأما) الاهالي فاحتفلوا بالثاني فقط وعند ملاقاتي  
 معه للسلام مع جميع من الاعيان أشدته هذين التاريخين أولهما

الى الخليفة نتمى دام منتصرا \* قد احتفلنا ههنا أرخ بمختاركم  
 وثانيتها بشرى الهناء عموم أهل المصراذ \* اصلاحها أرخ بمختارنجز  
 وبقي المرخصان عصرهم امباشران الا ان النظر في الاصـلاح وتأسيس الادارة على  
 اصول راجحة فهذا ما وقع الى تاريخ طبع هذا المحل وهو ربيع الثاني سنة ١٣٠٣

مطلب في السياسة الخارجية  $\otimes$  الأسباب التي بينها في إسهام الدخايم هي بعينها \*  
 جارية في الخارجية والامور بيد الانكليز وجميع الدول مسجلة بذلك الا فرانس  
 فصرحة بالاعتراض وبمقتضى ما ذكرنا في ساطة فرانس على تونس يظهر ان رجحان الانكليز  
 يتم في مصر سيمواهم متخذون طريقهم في جانب الاهالي اليهم قايما وقايما بمرعاتهم  
 لمحررتهم وسائر عواندهم واصولهم كما هو يدبرهم في الممالك التي لهم فيها النفوذ ولكن  
 الاهالي مصريون على النفور لان التصرف الانكليزي كان في مصر على صورة لم تعهد  
 من احد قط لانهم في الرسم معانين بانهم لا يأخذون مصر ولا يجعلونها تحت حيايتهم وفي  
 نفس الامور القوية يدهم ولا يصدر شيء الا عن ارادتهم الى ان حصلوا على الاتفاق المذكور  
 في المطالب السابق مع الدولة العلية فحينئذ صار لهم حق المداخله برضاه صاحب الحق  
 اقتناعا للدول لان بعضهم وهي المانيا اشارت بالتعريض سرا على انكليزته بتصریحها  
 بالاستيلاء على مصر والنظام موافقة لها وايطاليا كذلك مع مزيد التمسك بانكليزته في  
 المساعدة حتى ادخلت عساكرها الى مرسى مصوع واعانت بالاستيلاء عامها لكتنها  
 لاتمس حقوق الدولة العثمانية وهو كلام لا يعقل ولا مفهوم له الا عدم التصريح  
 بالاستيغاف واغرب من ذلك ان الدول اجابو الدولة العثمانية لسا طلبت منهم التدخل  
 مع ايطاليا في حقوق الدول بانهم لا يتدخلون حيث صرحت ايطاليا بما عاونه  
 حقوق الدولة (رأما) الروسية فلم تبد مانعة ولا موافقة (وأما) فرانس فكانت مانعة  
 للانكليز لكتنها منذرت الدول الكبيرة موافقة على نحو ما رأيت وقد تكفلوا بان  
 تكون عليهم جميعا كفالة قرض الى مصر قدره تسعة ملايين ليرة ومع ذلك كله فان  
 الانكليز اذ اتفقوا من الاستيلاء الرسمي او وضع الحماية كذلك بل حتى من كفالة القرض  
 المذكور وحدهم يخوفهم من كونهم اذا فعلوا ذلك فتحوا بابا للدول في اضرار بالدولة  
 العثمانية ويرجع ذلك الى عدم معرفة ما تأخذ كل دولة وترجع به ميزانها فربما رجحوا  
 على انكليزته ولذلك مالت الى ذلك الوجه من التراضي مع صاحب البلاد وكان لها  
 وحدها حق برضاه لعلها اتخاض من اضرار الدول بالدولة العثمانية الا انهم بالاضرر  
 أيضا لكن الاساغنة الى الطليان في الاستيلاء على مصوع مع تلك الدعوى التي اقرت  
 الدول بانها كافية في اقتناع الدولة العثمانية بل يبقى معه الدوا الذي ارادته انكليزته  
 وهو ان تدخلها اليك بالرضى الظاهري فان كل دولة يسوغ لها ان تستولي على بلاد  
 الاخرى وتقول لها انها لاتمس حقوقها والكلام وحده سهل فالحاصل ان السياسة التي



وقعت من الدول في عصره وبالمخصوص من الانكليز أمرها عجيب واختراعها غريب  
ولله فيهم علم غيب هم صائرون اليه  
\* \* \* \* \*  
مطلب في بعض صفات وعوائد المصريين \* أما أهل مصر الاصلية فهم محتاطون من  
العرب الفاتحين وانباء القداماء المعروفين بالقبط وانباء الروم الذين امتد كواهم نحو  
الستماية سنة ولون الجميع أسمر الا قليلا من انبساء الترك والمغاربة وغيرهم من الوافدين  
الى هناك ولهم حسن أخلاق وظرافة وبشاشة في الخطاب واذا احتدت نفوس الرعاع  
للخصام تراهم يذني اللسان لهم مهارة في اصناف السب حتى اذا بلغوا الى حد التضارب  
قال أحدهم لصاحبه (ماعلي شيء) فتسامحوا وعادا الى المصافاة ومن أخلاقهم حب  
السمع لكنهم اختصوا بكثرة اظهار استحسانه بالتأوه مع رفع الصوت ولا يتحاشى من  
ذلك حتى بعض اعيانهم بل انهم يستأجرون أناسا معدين لذلك لكي يصرخوا بالتأوه حتى  
تجذب أصواتهم صوت المويستقى والمغنين وتعضى المحصة كلها هكذا ومن عاداتهم  
احضار قراء القرآن في بيوتهم ليلا للتلاوة بالانعام ويعطونهم أجورا على ذلك بل من  
\* \* \* \* \*  
الغريب ان بعض القبط أيضا يفعلون ذلك ومن عاداتهم في السلام انه اذا دخل الداخل  
يقف له جميع الحاضرين فيشير بيده للسلام هاويا بها نحو الارض ويرفعها الى رأسه  
فيجيبونه بنحو ذلك ولا يقع منهم التقليل الا ايمد العالم على ظهرها والقادم من سفر يقبل  
في كتفيه وسلامهم مع الامراء والكبراء هو بالاشارة أيضا لكنه فيه تعظيم كبير بان يدخل  
الدخل قابض يديه الى صدره ويقرب خطاه من كسار رأسه ومجلا بالخطا حتى اذا لصق  
بالرئيس هوى الى الارض كأنه يريد تقبيل رجليه أو ذيل سترته ويمسك الذيل ثم يجعل  
يده على فيه ثم يجيئه والمتواضع من الكبراء المسلم عاينهم يضم ذيله اليه كأنه يمنع من  
ذلك ويقول أستغفر الله أستغفر الله وغيرهم لا يفعل ذلك لكن أكثرهم متواضع وكلهم  
يقفون للدخل كبيرا كان أو صغيرا الا حقير بالمرقة مع العظيم جدا ويتكرر الوقوف  
\* \* \* \* \*  
الى الدخل مهما تكرر دخوله الا اذا كان خادما أو صاحب شغل أو كثر كواب  
المصريين على المحير الا العرب فانجيل وتوجد في المدن الجهلات لار كواب على أنواع شتى  
وسائقوها أسوأ أخلاقا من أمثالهم في سائر البلاد وان كانوا في الجيعة غير مستقيمين واذا  
ركب أحد الاعيان عجمته جعل أمامه رجلا يركض وهو لا يسلبا سمرز كشاوييه يده  
عصا طويلة وهو حافي الرجل ويصيح بالمسارين ليستيقظوا للجهلة وما أصبرهم على الجرى  
وما أجهلهم حتى اذا خرجوا من البلاد وقفوا وذهبت الجهلة فاذا رجعت الى البلاد رجوع

جاريا امامها والمصريون أهل جد وكفى أشغالهم لا يميلون الى البطالة بل يقبلون على  
 أشغالهم من غير فتور ويوجد عندهم السؤال المخون المخفون حتى انهم اذا راوا من  
 أعطى سائلا يكادون أن يساموه نيسابه غضبا من الالحاح بل ربما أضروه في بدنه  
 فالاصح بالانسان ان لا يعطى الاسر ان يعلم حقيقة محتاجا اذا السؤال صار صناعا لتلك  
 الفرقة ولهم رؤساء وعالمهم أداء مقدر ولهم وقائع عجيبية في الغنى وكنمانه فقد ذكر لي  
 ثقة انه في حدود عشرة السبعين من القرن الثالث عشر كان أحد الشخا من مارا في الطريق  
 فسقط منه كيس وكان يجرأ من أحد الضابطة فاقطعه لذلك فلما علم به انه ضابطى انكر  
 ان يكون الكيس له فالج عليه الضابطى وآل الامر الى المشاجنة حتى بانخ الى رئيس  
 الضابطة فامر الشحات باخذ كيسه الذى وجد به عدد كثير من الليرات الذهب فامتنع  
 وانكر ان يكون له حتى جالده رئيس الضابطة جالدا وجيعا وهو مصر على انكاره فاطاق  
 سبيله وجمله شيخ الشحاتين وداوا من ضربته وشكر صناعه كل بنى جذسه وأداله جميع  
 ما خسره في الكيس وزبادة لانه لم يظهر عليه م اثر الغنى لى لا يحصل عليهم ضرر  
 وليكى لا تقسى عليهم القلوب ولهم وقائع كثيرة من هذا القبيل مع أبا و صنفى في الالحاح  
 والنضج تفتت القلوب ولم ارفى البلاد مثلهم قط ويغلب على الجميع الوسخ في الثياب وفي  
 البيوت والمديار البعض الايمان ومن نحا نحو الافرنجى واكثر ذلك في الفلاحين وأصحاب  
 القرى بل ان هؤلاء لا يستحيون من كشف العوزة نساء ورجالا (وأما) أهل النبوة وبقية  
 السودان والعرب فقد تقدم في التاريخ أصلهم وأما طاداتهم فالسودان وان كانوا قريبي  
 الطبع من الهجج لكنهم أحذق أنواع السودان وأقربهم للتمدن سيما من خالطوا العرب  
 في كانوا مثلهم وأما العرب فهم على نحو الصفات التى ذكرناها في عرب تونس ومن عادات  
 الجميع ان مبدءا توقيت الساعات عند العرب فيصهلون اذ ذلك عقارب الساعات في  
 الساعة الثانية عشرة وهى مبدء الحساب عندهم وما يقابلها من الاثنى عشر ليس لها  
 وقت معين بل هى على حسب ما يصادف وهذا أول رؤيتى لذلك وعليه عمل جميع الجهات  
 الشرقية (أما) جميع الاقطار التى مر ذكرها فانهما تعدل على الزوال أى الزوال هو  
 الساعة الثانية عشرة وتنتهى الى نصف الليل فتبتدى الساعات الاثنا عشرة التى هى تمام  
 الاربعة والعشرين ساعة المقسم عليهم الليل والنهار ولا شك ان اعتبار الزوال أصح في  
 النأقبة لانه لا يخفق عن زمنه سواء طال النهار أو قصر بخلاف الغروب وذلك لان  
 الزوال عبارة عن توسط الشمس في قوس النهار وخط نصف النهار يقسم جميع أقواس

النهار بالسواء أعنى أقواس طولها وقصره فلا يختلف الزوال عن وقتها بخلاف الشروق والغروب لأن الشمس تنتقل عن محلاتها كل يوم وبذلك يكبر قوس النهار أو يصغر فتجد الغروب دائما متقدما عن زمنه بالأمس أو متأخرا عنه حسب سير الشمس في طول النهار وقصره بحيث أنك إذا حورت الحساب تجد من زوال يومك إلى زوال غده أربعة وعشرين ساعة تامة وإذا حرت من الغروب إلى الغروب القادم تجدها أربعة وعشرين ساعة الا دقائق في أوقات زيادة النهار في القصر أو أربعة وعشرين ساعة ودقائق زائدة في وقت زيادة طولها. لكن كان عدول المشرقين عن الناقبة الذي لا يختلف هو ومحاذاة المشرق في اعتبار مبدأ اليوم من الغروب وإن لم يكن بينهم التزام بمطاب في الأحكام بمصر **✳** الأحكام بها الآن على ثلاثة أنواع (النوع) الأول الشرعي الاسلامي وهو في كل ما يرجع إلى الزواج والطلاق والوقف وغيره مما يرجع إلى أحوال الديانة في المعاملات وهو نذاله قضاة ومفتون على المنهاج الشرعي وإن أحدث فيه مصاريف يأخذها القاضي على الدعاوى مع بعض عوائد تجحف بالخصوم مما أوجب التشكي من ذلك والنوع الثاني بقية المعاملات بين سائر الالهالي ولها مجالس سياسية (ومنها) الضابطة بحكم بحسب قوانين سياسية موافقة للشرع غالباً وتارة بحكم المحاكم باجتهاد كما في سائر الاقطار السودانية والنوع الثالث المعاملات التي بين الالهالي والاجانب فإها مجالس مختلطة من سائر الاجانب يحكمون بقانون عقلى ملائم لمعادات القطر وعلى الاجمال فهل مصر لهم الحرية الشخصية في ما يرجع إلى الديانة وشعائرها حتى صارت المنكرات جهرا ولا يقدر الاب على منع ابنته من مثل ذلك بالحكم اذا بلغت سنهم. لوما ما بقية الحرية الشخصية وهي أمن الانسان على نفسه وماله وعرضه الا بحق فهذا كله موجود في العموم لكن اذا اراد المحاكم المخالفة فالحيل ممكنة وأما الحرية السياسية وهي مشاركة العامة للحكومة في الرأى فالتحقيق انه غير موجود وان كانت الصحف تتكلم في السياسة لكنها مخصوصة بالسياسة الاجنبية أما القدر في تصرفات الحكومة فهو ممنوع نعم لبعض الصحف المستند أصحابها على خصوصيات معينة القدر في سيرة بعض افراد المنفعة خاصة والامر موقوف على ما يستقر عليه الحال من التعريب السابق ذكره في أحوال السياسة

**✳** مطلب في تجارة مصر **✳** التجارة باهم ما تمسح جدا في السلع الوطنية والهندية والسودانية والاروبارية وأغلب الاروبارية في يد الاجانب (فاما) غيرها فميد الالهالي

ولهم براءة في الاكتساب ولا كتبهم فلبوا الاسفار فلا تكاد تجد منهم - م خارج مالم كتبهم  
 الا النادر وكل من أقام بمصر من الغربا ربح الربح الحسن من التجارة لان محصولات  
 الاقطار كثيرة فيخرج منها أنواع كالقمح والشعير والفول والتمر والعدس والذرة والارز  
 والسكر وهو جيد كثير وقصبه والصمغ وفيه أنواع عشق والنطرون والصوف والافيون  
 والعصفر والجلود والمحصر والقطن وهو الغالب وفيه أنواع جيدة وبزره وكذلك  
 سن القبل وریش النعام والمذوجات الكمانية وغيرها وهذا كله يصدر منها أما الداخل  
 اليها فأهمه الجوخ أى الملف والنحرير والشاشية والزرايى على أنواع والاششاب للبناء  
 والوقود والخبز والنقل كالفرزق والمجوز والاشربة والبن والصابون والدخان والورق  
 والشمع والزجاج والنحاس وغيره من المعادن مصنوع وغيره مصنوع والفرش الصوفية  
 وغيرها بحيث ان مصر سابقة لاروبا في الغنى بالتجارة وأنواعها مختلفة منها ما هو على  
 النحو والاروباوى كالتجارة فى الرقاق الدولية والتجارية وهما مرشح عظيم فى الاسكندرية  
 وكذلك البريد فيها على غاية الانتظام برا وبحرا خاص بالبحر كونه متأتى  
 اليها ايضا براد اجنبية بحيث لا يتخلو يوم من ورود بريد اليها من الاقطار مع السفن التجارية  
 الكثيرة ومنها ما هو على النحو البربرى من التجارة فى القوافل الى داخل السودان  
 والصحراء وأهمها القوافل السنوية وهى قافلة دارفور وقافلة الحبش وقافلة فزان  
 ولكل منها عدة دور وروء يوم حافل وكل منها تأتي بتجارة ما والاها من داخل افرريقية  
 ولوزاد تسهيل الطرق والاعتناء بما فى السودان لاستغنت عن الخارج وزادت ثروتها  
 للنهية فان فى السودان كنوزا كثيرة ودونك قيمة قوة التجارة مع الممالك الخارجية  
 لتعلم منه ما يفضل سنويا من المال فى المملكة

٠٠٠ ر ٠٠٠	١٣٦٠	قيمة السلع الخارجة فيها
٠٠٠ ر ٠٠٠	١٦٠	قيمة السلع الداخلة سنة ١٢٨٩ نحو فرنك
٠٠٠ ر ٠٠٠	٢٠٠	الفاضل

فلولا فائض الدين الاجنبى الذى يخرج سنويا الى اوروبا حيث كان أغلبه يهدد الاجانب  
 لمكان يبقى سنة يأتى مصر ما ثمان مائون فرنكا ولكن مع ذلك ايضا فلا أقل أن يبقى  
 فيها خمسون مائونا كل سنة هذا فضلا عن حركة التجارة فى داخل المملكة وبين أقسامها  
 مطب فى الصنائع بمصر \* عنصر الصنائع مضط بها نسبة لتقدمها وان كان بها بعض  
 المذوجات الحربية والقطنية وغيرها كالنخار والتجارة حتى فى السودان لم يكتب منها مرة

عما يجب لها نعم ان الفلاحة من الصعيده الى غاية بحـر الرور هي في غاية التقدم  
وللفلاحين معرفة جيدة بكيفية رى الارض حتى بالاتصالات البخارية الرافعة للمياه  
الذيل والترع و بكيفية اثاره الارض وتعميرها فاهم اليد الطولى في ذلك وترى الفلاح  
بنسائه و بنسائه يشغل آناه لليل وأطراف النهار وأصحاب الفلاحة من الاميان لهم  
منازل في أراضهم لمباشرتهم الاعمال ولهم ثروة عظيمة من ذلك أما أنواع الفلاحة  
فهى زراعة القمح والشعير والبقول والعدس والحص والترمس الذى يتخذ منه الاشنان  
والسكتان وخس الزيت والسلمج لسافهم مامن الزيت والبرسيم والجبلجان والبلبة  
والحلبة والقرطم وهو حب العصفور والخشخاش والخردرل وغير ذلك من الخضروات  
والحبوب والقطن على أنواع لذاته ولبزره ليخرج منه الزيت للصابون والتسريح  
وكذلك قصب السكر الرفيع و يزرع أيضا التبغ المستعمل للتدخين والبقول السنارى  
فى كل من السودان ومصر وهو صالح للاكل ويستخرج منه زيت جيد لذيد لارائحة  
له ولا طعم واذا شعل ليس له دخان مثل غيره (وأما) الاشجار فلا يكتر عندهم الا النخل  
فى جميع الجهات والزيتون استنبت لكنه ردى الزيت لكنهم يحبون انوى  
زيتية كاسمسم والخروع غنية جدا (وأما) البردقان والايون فهو قليل والموز كثير  
غير لذيد وعندهم شجر الدوم الشبيه بالنخل وكذلك الاهليج ويزرعون الزهور الطيبة  
مثل الورد والياسمين وغيرها والاشجار الغير المثمرة قليلة كما تقدم تفصيله فى التعريف  
بمصر وأيضا توجد صناعات من الصنائع سميها التى تمس اليها حاجة الحكومة  
فتقدم فيها الاهالى كصناعة الاسلحة والبواخر وتوجد معامل للحكومة منها نحو عشرين  
للسكر متقنة وهم على أشرف الطرق وتجهيزها المكتب ومعمل للسلاح وآخر  
للمغن وحوض لها وآخول للبخ وآخول للديج وآخول ورق وكلها على النحو الاروبوى  
المتقن ويمكن أن تقوم بنفسها من الاهالى حتى فى صنع المدافع والبنادق من الطرز  
الجديد وللاهل أيضا عدة معامل فى صنوف شتى (وأما) الجهات السودانية فكثير من  
أراضيها وان كانت صالحة للزراعة لكنهم باهلون بها فلابو جدمتها الا القليل حول  
المدن واشتغالهم انما هو برعى الغنم والحيل والابل وصيد الوحوش النافعة للتجارة  
كسفن الغنم و ريش النعام وجلد الاسود والنمر وتحويل الذهب من معدنه الملقى  
بالطبع كالتبر من سنار والحصراء وغيرها

مطلب فى المعارف مصر العلوم الشرعية كلها نافذة فى القاهرة وكفى بالجامع الازهر

مدرسة للعلوم عامه فقد دخلت اليه ووجدته يراو ويؤج بالدروس والتلامذة ولهم طريقة حسنة في سرعة ختم الكتب اقرأ بحيث ان كل كتاب لهم فيه مدونة معينة لا يسوغ مجاوزتها ولا يخرجون في التقرير عن الشارح والحاشية المعينة للقراءة ووجدت عندهم اعتناء في الاقراء بالحواشي بحيث لا يقرأ كتاب بلا حاشية معينة يتفق عليها الشيخ والطلبة ولهم اصطلاح في الاوقات للعلوم مثلا الصبح باح كاه الى الزوال للعلوم النقلية كالفقه والحديث الخ والمساء للعلوم العقلية كالنحو والبيان الخ ويقراء فقه المذاهب الاربعة واللازهر شيخ ذو مثل شيخ الاسلام له النظر على سائر العلماء وتوظيفهم وكثير من التلامذة يقيمون بالازهر في راقات خاصة وتجد عن المجد لان التلامذة المطالعين والمحافظين للثنون وغيرها في كل من الاسكندرية ودمياط وطنطا جوامع حافظه بالعلوم الشرعية وفي بعض مدن السودان أيضا مثل سفار وهرر كذلك ومن عاداتهم جميعا في الدروس التطويل حتى يمتدح الدرس الى ثلاث ساعات ولا أقل من ساعة ولذلك كان للتلامذة الاطلاق في هيئة الجلوس بل حتى يتكلمون على جنبهم ووجودهم ويا كون وينامون وهم في الدرس (وأما) العلوم الرياضية فلها مدارس عديدة منها الابتدائية ومنها للانتهايين جامعة لتعلم اللغات كالتركية والفارسية والانكليزية والفرنساوية وتعلم الطبيعيات والفلاحة والهندسة والحساب والجبر والهيئة والفلك والطب والتشريح العامي والعلمي والكيمياء وتركيب الادوية وسائر العلوم ومعلموهم من الاجانب والاهالي وفي المدارس سائر الآلات والكتب المحتاج اليها ومنها ما هو مجتانا ومنها ما هو بالاجرن التلاميذ منهم المقيم ومنهم المتعلم فقط وكذلك المدارس الحربية وهذا كله خاص بالقاهرة وتعلم الاسكندرية (أما) بقية البلدان فلا يوجد بها الا المدارس الابتدائية في بعض مدن والبقية انما يوجد بها مكاتب للقرآن والخط وبعض من العلوم الشرعية في بعض من الجوامع لكن لا توجد بالدة ولو قرية صغيرة بدون مكتبة وقد أخذت هاته المكاتب الابتدائية في الخمسين حتى شملت تعلم مبادئ الحساب والعبادات والعقائد ورايت في جغرافية فكرى احصاه في سنة ١٢٩٢ لاحوال المعارف دونك خلاصته

تلامذة	مكاتب ومدارس	معلمين
١٤٠٩٧٧	٤٨١٧	٦٠٤٦

ولاشك ان هذه تدتر ايمن ذلك التاريخ فلا شك انها في غنى عظيم بالمعارف والعلوم

النهائية الرياضية يكملون تحصيلا في الممالك الأوروبية ورأيت من تلامذتهم في باريس ولندره وجنيف وغيرها ورأيت في مصر وبواخرها سائر العاملين والرؤساء من الأهالي والاجنبيون متوظفون للضرورة بل لدواع أخر ولهذا وقع التشكى المشار اليه في بحث التاريخ وقد كثرت المطابع وطبعت فيها الكتب بما جعل سائر المسلمين ممنونين لهم وكذلك كثرت الصحف الخيرية يومية وأسبوعية لكنها في المحرقة على حسب حالة الحكومة

• هو طالب في هيئة المساكين \* البناء الجدي كاه على النحل والاروبوى ظاهر اوطاننا سبعا محلات الحكومة ورجالها (وأما) الابنية القديمة والمعتمدة للأهالي فلمت بحيلة الظاهر بل انه لما كان الماين الذي يمتون به مسودا من أصل لون التراب ولا يضعون فيه الحجر الا قليلا حيث كان غاليا ولا حاجة اليه لقلة المطر وانعدامها عنددهم ثم انهم لا يطلون ظاهر البناء على الطرق ولا يبيضونه فصار منظره بشعا وان كانوا يتأقرون في الراشن الخشب بالنقش والهيئة لكنهم أيضا لا يصغونه فيكون لونه مكذرا وصورة عموم الدياران يكون فيها ايزو وسط غير مستوفى يتعمى على بعض بيوت الجلوس الرجال والضيوف ووضع بعض المرافق ومحل لغسل الثياب والطبخ محجوز للنساء كل ذلك في الطبقة السفلية ثم باب ودرج في الغالب غير حسنة يتوصل منها للطبقة العليا فتجد فيها عدة بيوت أغلبها مائل الى التريبع وبكل منها طواقي للضوء والنظر وتسمى ل أيضا كنيقا بالوعته مكشوفة وغالب تحصل منه راحة كريمة وغالبا تكون البيوت والدرج غير مباطة ويسبغ تعرضون عن ذلك بفرش الحصر والزرايبي في البيوت ويجعلون عليها الجلوس امامها مطب من خشب أو تبن وعليها مقاعد محشوة قطنًا وعلى الابواب ستارات ليست باثنية وانما هي من منسوجات القطن وحول المقاعد مكنات يابسنة محشوة تبنًا وعليها أشرطة من القطن ولا يزيد البناء على طبعتين غالبًا وأما الاعيان فتكون ديارهم على ذلك النحل لكنها أكبر وأنظف وربعازادت طبقة ثالثة الى السابعة في القديم والمفروشات تكون حريرية وصوفية جميلة مع تزيين البيوت بالمراتب والساعات والادوات الصدفية والذهبية والفضية على حسب الرفاهية ويكون في الطبقة السفلى التي للرجال دواوين كبرى وفي أطرافها دكة من البناء عريضة للجلوس عليها والجميع مباط بنحو الرخام والكذال وعند الجميع فرش النوم عدة فرش محشوة قطنًا أو صوفًا خفيفة يوضع بعضها فوق بعض من اثنين الى ثلاثة توضع ليلًا عند النوم وتسوى بالوسادات والعمف

ونارة يوضع عليها ناموسية ثم يرفع جميع ذلك صباحا ويوضع في خزائن في البيت معدة لذلك ويبقى البيت للجلوس فليس لهم فرش دائمة ولا مكان خاص بالنوم وخدمتهم من ذلك في تعب كبير وتلك العادة جارية عند جميع المشرقين فيما رأيت من البلدان لكن من اتخذ ذلك في بلاد الأروبا وبين صارت بيوتهم وديارهم ومفروشاتهم ونومهم كله على نحو ما ذكرناه مما يزيد في الحر من قطرهم حار وكان الأولى به الرخام والزليز وغير ذلك مما يزيد المكان وبروق هواءه لكني لما تذكرت قاعدة الناس على ما ذهب أمرائهم زال عني التعب وذلك أن أمرهم مصر منذ مدة طويلة وهم من الترك وهو لا بلادهم باردة فجووا في سفر وشاتهم على ما اعتادوه في بلادهم وقادتهم الأهالي وحتى العائلة الحديدية الآن لم تنزل ناهجة من غير شارة الترك واصطلاحهم بحيث لا يشك الرائي أنها قسم من الدولة التركية كما يرى من أسلوب جميع حركاتهم وهيئتهم هذا (وأما) الطرقات فالجهد يد منها \*  
 وتسمع ترفيقها بالهجلات والتدبير في ضيق عظيم لا يكاد يتخلله الهواء وكلها غير مطبقة إلا اسكندرية لأن المطر يقل الغزول عندهم أو متفقود إلا في أسكندرية وفي كل بلد نظارة لتنظافة الطرق والتنوير باللا والتحسين بالملا على حسب التيسير إذ لم يزل العمل متهاديا في توسيع الطرق ومصبغة ضيق الطريق عامة في سائر بلدان المشرق التي رأيتها وكان ذلك في الأقاليم الحارة لمدة الحرفاذا ضاق الطريق لا تنزل الشمس إلى الأرض لارتفاع الابنية فيقل الحر نوعا ما لكن ذلك مضر بالحاجة الصعبة تتحلل الهواء وكثرة الندى ومخالف للشمع أيضا لأن المشرق في الطرق ان يكون عرض المعتاد منها سبعة أذرع والطريق العام اثني عشر ذراعا والبطعمات التي من المشرق أيضا ان تكون أمام المسجد تكون ستين في ستين كما نص على ذلك في الفقه والسير وصرح به مکتوب الخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه الأمر برسم الكوفة وما ذكره ان لا تزيد طبقات دورها عن طبقتين والوجه في ذلك هو ان الدار اذا اشتمت على أكثر من طبقتين سكن بها أزيد ممن يسكن في طبقتين فتصغر البلاد مع انها بلاد اسلامية منشأة في وجه العدم وفضل الصلح تكبيرها وأيضا فساد الهواء من كثرة الاجتماع في محل واحد ضيق المساحة اذا كان ذات طبقات كثيرة وأيضا تعب الساكن بكثرة الصعود وأيضا كثرة التعب والاسراف في مصروف البناء اذا علمت الطبقات لان المصروف في الطبقات العليا أزيد بكثير من الطبقة السفلى لما يحتاج اليه من كثرة العميلة وأيضا فيه نوع من الكبرياء



والخبز المنهي عنه شرعا وعلى هذا فضيقة الطريق قبيح شرعا وقد لا حرج الشمس يدفع بما  
 يجعل من المظلات والسقوف كما هو واقع في عدة جهات من مصر في الاسواق بل وفي  
 الطرقات أيضا من سقوف خشبية بعضها محسنة وبعضها ليس فيها الا دفع اذابة  
 الشمس والطرقات في القاهرة ترش بالماء عدة مرات في اليوم حتى يحصل فيها نوع طين  
 والطرق الجديدة العامة كلها مغطاة بالارض وحواليها الاشجار المظلة والقابل من  
 الديار بها جنينات وبها ماء النيل جار في القنوات والقالب ان يأتي السقاؤن بقرب أو  
 يرامل من ماء النيل غير المصفى ويخزن في الديار في جرار كبيرة وكل دار لها عدة معلوم يأتي  
 لها من الماء من معين

ومطاب في اللبس بصر (أما) لابس رجال الحكومة العادي والرسمي فهو على النحو  
 الا فرنجي غير ان الشارات والعلامات هي تركيبة صرفة حتى الشاشية والسترة والفتاشين  
 هي ذات العثمانية باسمائها (وأما) لابس الرجال فاهل المدن الاعيان يلبسون قميصا  
 وسراويل واسعة يربطونها تحت القميص ويسدلون القميص عليها وهو طويل الى نحو  
 نصف الساق ويلبسون عليه صدرية مقفولة الوسط بعقد وفوقها قطن طويل الى  
 الكعبين ويدها تصل الى اصابع اليد ويطب قوته على صدرهم ثم يتخزمن عليه بمخزام  
 ويلبسون فوق جميع ذلك جبة طويلة أيضا الى حد القفطان ومقدمها مفتوح الى الاسفل  
 ويدها ضيقة تمان الى اسفل المرفق والجميع من الحرير من منسوجات رفيعة وعلى رؤسهم  
 شاشية تونسية وعمامة قليلة الطول مرفوعة على نحو العمامة التونسية وهو لباس العلماء  
 وكبرائهم يزيدون فوق الكل جبة واسعة جدا وواسعة الاكمام أيضا وبعضهم  
 يلبس العمامة عوضا عن الجوخه والقفطان (وأما) الارباسط وبعض التجار  
 فيلبسون القميص من اسفل وفوقه صدرية مثل السابقة وقرملة أي صدرية غير مقفولة  
 ومتمتان يصل الى الخزام ومسر والارباسط جدا طويل الالامة الى الارض اسود اللون  
 ويتخزمن به فوق القميص وعليه خزام والجميع من المنسوجات الرفيعة الخفيفة والمزينة  
 بخيوط من الحرير حتى تصير كلها مزينة وفي الشتاء يلبسون فوق ذلك كبطان من الجوخ  
 يصل الى الركبة وعلى رؤسهم شاشية تركية وحدها أو معها شاشية هندية مطرزة  
 بالحرير (وأما) الاسافل والمخدمة فيلبسون من الشكل الاول الى القفطان وفي الاكثر  
 يكون من قطن أبيض وعليه بنطلون فرنجي وشاشية تركية أو تونسية والفلاحون  
 وأهل القرى يلبسون قمصا زرقا وراقية ليس الاولا يلبسون في أرجلهم شبيما  
 (وأما) بجمعة الاصناف فيلبسون الاحذية على أنواع عشتى من الانواع الافرنجية أو نوع

من الحذاء أجزءه بالقدم حال ومن جهة الاصابع يكون مخروطاً منحنيًا مخروطه الى أعلى  
 (وأما) الذئب فالصنف الاسفل يقتصر على القميص ولا يتستر في الطريق بل رأيتهم  
 يخدمون في آلات البناء ويناولون الحجر والطين وغير ذلك مثل الرجال وهن مشوهات الوجوه  
 (وأما) الاواسط والاخالي فبعضهم صرنا يلبس مثل نساء الافرنج نساءوا غير انهن اذا  
 خرجن في الطريق يلبسن رداء من حرير وبنية تبن بصفيق من الحرير أو القطن على  
 أنوفهن فسادونها في الحقيقة وجههن كله مكشوف واذا ركن في البهلات تكون  
 طواقمها مفتوحة غير انهن يلبسن سائراتها نحو النصف من الطاقة والبعض الآخر  
 الذي يزل على العادة القديمة فيلبس على القميص فرملة مزر كسفة بالفضة وعليها  
 عباءة رقيقة وعلى رؤسهن نحو طاسة من ذهب أو فضة أو نسج رفيع وكل ثيابهن يصل  
 الى السككب واذا خرجن التحفن في رداء ثخين وعلى وجوههن نقاب ثخين ويجعلان على  
 الانف شيئاً مثل الاصبع ممسوكاً في النقاب ليمعدا النقاب عن العين والانف للنظر  
 والتنفس والنساء لمن صولة على الرجال في البيوت

مطلب في الاكل بمصر (أما) الخبز فالعام عند الجميع هو نوع مستدير في ارتفاع  
 أصبع قابل التضخيم قطره أزيد من شبر ويوجد بقمية أنواع الخبز الافرنجى (وأما) الاطعمة  
 فلها أنواع عديدة والغالب في الاسواق نوع من الفول مطبوخ في الماء وعليه شيء من  
 السمين وكذلك نوع من السمك مقدم دفعن الرابحة وسائر طعامهم فيه الا دام بكثرة  
 وادامهم السمين (وأما) الزيت فلا استعمال له الا في السلطة وزيتهم ردي لانه محبوب من  
 اكريد والشام وكل لا يحسنون عصر الزيتون والحسن عندهم هو المحلوب من ايطاليا  
 ولا يستعمل الا فيما ذكرناه كما انهم لا يأكلون من النعم الا الفخيم ولحم البقر لا يأكله الا  
 الفقراء وهو مريب كما انه في نفسه ردي والافرنجى يأكلونه والفقراء يأكلون الجماموس  
 والابل وفي القرى والعرب والسودان يكثر اكل الابل وكذلك الذرة والدخن أى الدرغ  
 أما هيئة الاكل فهي على نحو الانواع التي ذكرناها في تونس (وأما) وقته فهم يأكلون  
 مرتين غالباً احدهما صباحاً بعد الشروق ويخرجون الى أشغالهم ثم يعودون الى ديارهم  
 قرب الغروب فيتعشون

مطلب في المواكب (أما) المواكب الرسمية فهي في العبيد أى الغطرو والاضحى  
 فيحاس الخديوى في ايوان كبير بقصره بعد الاعلان من قبل بوقت المعاينة ويكون  
 لابساً لباسه الزركش الرسمى متقلداً بنياشيدته فيدخل عليه رجال دولته  
 والعلماء الايمان واحداً اثر الاخر مسلمين عليه بتقبيل ذيله ويقف هؤلاء الكبراء

ثم يضر فون ويكـثر تراور الناس فيما بينهم (وأما الاعـراس والمحتـان فيحتفلون  
 لها بزينة الدار ويدعون طبـاخين معدين لذلك فيأتى الطباخ بسائر أدوات الطعام  
 والموائد والمناديل والمخـدمة ويطبخ ككفاية كل المدعوين الذين يهين لهم  
 الوقت للدعوة من بعد الظهر الى قرب الغروب ومهما حضر اثنان أو أزيد أدخلوا  
 الى بيت كبير وتقدم لهم مائدة على قدرهم فيها أنواع شتى من الطعام المطبوخ والحلو  
 ويكـثرون من الاصناف الى نحو العشرين لونا والمترفون يزيدون الى نحو الاربعين لونا  
 وهكذا الكل جماعة بحيث يأكلون أكل شبع ولا يوضع اثناء يظهر عابجا به أثر أكل  
 سابق وعادة تكثير الطعام موجودة حتى للضيوف بل حتى في الأكل العادي يوميا  
 بحيث ان أواسط الناس لا يكون في مائدتهم أقل من ستة ألوان فطورا وعشاءا ولهم  
 عادة التطوف بالخـتمون على نحو ما ذكرنا في تونس بل ويزيدون بالتطوف به الى  
 والشروع والمنائر موقودة والمغنون رافـعون أصواتهم بالشعر والمدائح وكذلك  
 الاعراس يطوفون بالعروسة ومعها الموكب والظبول والمزامير تعزف ولهم أيام لبعض  
 المنتسبين للصالحين يخرجون فيها انلامنتهم بالالسة الرفيعة والاعلام والمناحر وغيرها  
 وينبطح بعض الناس على الارض في الطريق ويأتى شيخهم راكفا فرسه وعرفوق أولئك  
 الملقون ولا يضرهم بوطئ أرجل فرسه يدعون ذلك كرامة وأعظم المواقب يوم خروج  
 ركب الحاج وكسوة الكعبة فيحضره الخـديوى والعساكر وخلائق لا تحصى وتعمل  
 الكسوة في محل على جبل مزين وبجناحهم الخـديوى وكبار الدولة بل قد فعل ذلك أمراء  
 الانكبايز مع الخـديوى بغاية التوقير والمدافع تطلق الى أن يخرج الركب عن البلاد  
 وينزل هناك حتى يجتمع المسافرون ويتوجهوا الى الحجاز ويحمل ذلك الركب أيضا  
 أموالا عديدة لمرتبات وعوائد لاهل الحرمين مع صدقات ومحصول وقف المحرمين ومن  
 الموكب مولد السيد البدوى في باد طنطاو يعقد فيها سوق عظيم تأوى اليه التجار من  
 سائر أطراف القطر المصرى ولهم حكايات في كراماته رضى الله عنه في نفاق السامع لكل  
 قادم غير ان ذلك السوق يشمل من متكررات الزنى ما يستعجب ذكره وشهرته (وأما الجنائز  
 عندهم وفيها من عادات الجاهلية أمر فظيع جدا وذلك انه اذا مات الميت تأتى الناضحات  
 الصابحات وتبقي تنوح أسابيع ليلاتها ونهارها بما يزعج أهل الحارة بحيث فى سميت الممكت  
 بدار صديقي فى الاسكندرية موت جاره ولم أسـطع النوم ليلها ولا نهارا وأتبع من ذلك  
 ان الناضحات والنسوة يخرجن مع الجنسازة فى الطريق الى أن تدفن ويرجعن هكذا

ناجحات والأغريب ان ذلك يقع ولو في محلات العلماء مع انه منكر شرط وفيه وعيد شديد  
وكذلك انكار عقلا وحادو لهم اتباع السنة عند دفن الميت في مطاب قائل الشهادة فيه  
من الحاضرين فيتمدون فيه بالخبر عملا بحديث من أنتمت عليه شرا وجبت له النار ومن  
أنتمت عليه خيرا وجبت له الجنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم

﴿مطاب في اللغة بمصر﴾ اللغة هي العربية ولو في السودان غير ان بعض جهات تعلم انما  
أخرى بربرية لكن اللغة العربية حرفت هنالك كثيرا سواء في تغيير الحروف أو في ذات  
الكلمات فان الهم لا يكادون ينطقون به وكذلك الدال يبدلون ازا بالي غير ذلك واذا  
سألك أحد عما تريد قال (تعوزايه) وأشبهه ذلك بل ان ذلك جرى حتى عند بعض  
أصحاب الصحف فيكتبون كتابة مختلطة بين أصل العربية والاعتقادية مع ان الأصل  
في الكتابة هو الرجوع الى حقيقة العربية وهو الجاري عند العلماء والكتاب نعم ان  
الكتاب الرسميين صاروا يستعملون بعض الفاظ اصطلاحية أو فرائس أو كذا وكذلك  
نفس اصطلاح الكتابة كد بعضهم أن يخترجه عن الاصطلاح والاسلوب العربي غير ان  
هذا ليس بهام بل المهرة تسخر الابواب بلافتهم في الصحف وغيرها من الكتابات ومع  
ما ذكرنا من صعوبة النطق عندهم ببعض الحروف تجددهم اتقن خلق الله أداء القراءة  
القرآن وتجويده ولهم فحولة فيه تخشع لها القلوب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

﴿مطاب في الاحصائيات بمصر﴾

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٥ عدد أهالي مصر

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٥ عدد أهالي دارفور

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٦ عدد أهالي النوبة وزيان وغيرها

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٦

٠١١٠٠ طول سكك الحديد أميال

١١٤٧٣ طول اسلاك التلغراف أميال

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٦٠ قيمة التجارة الداخلة فرنك

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٣٦٠ المخرجة

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٢٤٣ دخل الحكومة فرنكا وكان دخلها في ولاية سيدينا غروبون

العاص من خصوص الدخل الشرعي مائة وثمانين مليوناً فرنكا خصص منها الثلث

لتسكير الترع والزراعة حتى أوصل ترعة تنير فيها السفن من القسطاط الى مراسي المبحاز

(١٣٤)

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٢١٦ ر خرجها  
٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٢٠٠٠ ر الدين الذي اعياها القامليون فرنكا  
٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠١٦٢ ر فائضه  
٠٠٠ ر ٦٠٠ ر ٠٠١٧ ر خراج الدولة العثمانية  
٠٠٠ ر ٠١٨ ر ٠٠٠ ر عدد الساكنين وقت السلم  
٠١٣ ر ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر عدد السفن ليس منها مدرعة وهذا عددا بواخر البريد والنهر

## الباب السادس والعشرون في الازدحام

الفصل الاول في سفرى اليه

بعد ان اقامت في السويدس بعض ايام منتظرا السفر بالخرة الى جدة وجدت عدة بواخر اجنبية  
ومصرية فاشترت المصرية وكان رثيمها مسما وسائر متوظفين ايضا مسلمون ولا يركب  
احدا الا بعد اخذ اذن مرسوم على ورقة جواز من محافظ البلدة ويؤدى على ذلك اداء  
نسبت قدره واظنه نحو سبعة فرنكات وعند ركوبى في البخرة وجدت الازدحام  
من الركاب والمشيعين فوق الحد فالتزمت ان اضم الى اقباسى ورحلى الى اسمة مقرر  
الحال في السفر وجاسنا في حجرى بالطبقة الاولى لان بيتها صعبة ليس  
بها الا هرتان احدهما ما ساكنها احد المصريين بعينها والاخرى ساكنها انا ورايت من  
ازدحام الركاب وتراكمهم على بعضهم مع الوسخ وسوء الحالة وعدم احترامهم للطبقة الاولى  
وكثرة السكان على سطحها من النساء والرجال بحيث لا يجد الانسان محلا فيجاء برتاح به  
ما اسفت منه على الركوب هناك ولا كفى تسليت بما رايت من انشراح جميع الركاب  
وعدم اكرامهم بما هم فيه من المشقة والمكد كما تسليت برفقة الحمال منى محل البنوة  
احد نظاير الصيب النسيب وبحسن اخلاق رئيس البخرة والركاب على السطح من الطبقة  
الاولى وهم من اعيان قري المصرىين وعربانها وبعضهم له اطلاع على مسائل الفقه وكان  
ايضا راجعا معنا نظرا بواخر البوسطة الخديوية في البحار وهو محمدموسى لطفى رتبة  
العسكرية بين بانى وهو كامل الاخلاق والمعارف وله مشاركة حسنة في العقائد والفقه  
والعربية مع محافظته على شعائر الدين من الصلاة وغيرها وله اطلاع كامل على احوال  
فن البحر لانه كان رئيسا للبخرة التى نحن بها المسماة بالقازيق ورايته يشير على رئيسها بعدة  
امور وهو بنقاد اليه وله اطلاع ايضا على الجغرافية والعلوم الرياضية وبعض الاسن مع

تغطن

تفطن الاحوال السياسية فاستنى رفقته مع بقية الركاب وكثيرا ما يقضى الوقت في  
مداعبات مع بعض العربان الموسومين بالشح وكنت أجد البانحة كأنها بادا اسلامي باقامة  
الاذان في الاوقات كلها او الصلاة جماعة في عدة جهات لكن الكثير لم يصل ولا يستطيع  
الصلاة سيما عند اضطراب البحر وان كان لم يقع منه شيء شديد لكن حصل في البانحة تعفن  
الزايحة سيما في اليوم الاخير لان أكثر الركاب لا يغسل يديه من الطعام مع كثرة اذامه فضلا  
عن غير ذلك حتى كانت بيت الطبقة الاولى عفنة لازدحام خدمة سكانها وكثراً كاهم  
المؤدم وعدم توقيتهم الوسخ لكنهم يقضون اغلب الاوقات بالنسالة الحسنة او انشاد  
الشعر وقد وجدوا عند تقدمهم الركاب وراق ركوبهم ان أحدهم ركب في الازدحام  
بدون أداء الكرامة وهو فقير وأحجمت أصحابه عن الاداء عليه فسبح في هجن البانحة  
وبعد عدة ساعات انتدب أحد أصحاب الخير الى ان طارفة ذلك المسجون خيرا وأذنه  
بالتطوف على جميع الركاب البالغين ستمائة شخص واعلامهم بحالة زرقية ودطلب  
اعانتهم له في اجراء كوابل له مدة اذ ذلك وزيادة وعند حضور المسال أحضر  
المسجون وأطلقه نائب البوسطة محمد لطفي المشار اليه بمجانا ودفعت له الدراهم والدنانير  
الجمعة له ليستعين بها في حجه ورأيت من بعض الاغنياء الشح المطاع في هامة الواقعة  
ومن بعضهم الاقتصاد ومن بعضهم الكرم ولما بلغنا سمت رايع اعلم الرئيس الحاج  
بذلك ليهرموا فاغتة لحوار حرموا بنزع ثيابهم والله اعلم بكيفية غسلهم وأدقهم فرض  
الاحرام لان حالة الضيق والوسخ فوق ما قد ران أعبه عنه ولا يعلم مقدار ذلك التعب الا  
من شاهده واضف الى ذلك ان البانحة لا تعطى الاكل ولولا أصحاب الطبقة الاولى فلزم  
كلا ان يطبخ لنفسه وأغلب الركاب كان معهم زادهم مما يصبر من الطعام من لحم وغديره  
وكنت أخذت زادنا من السويدس محساودا جاجا وخبز وغيره فكان طبانخي يطبخ لي ولين  
معي في طبخ البانحة وفي ذلك من المشقة ان لم يمتد البحر الا يخفي فكان ذلك من عجيب  
أمر البانحة مع انها بريديّة وذلك لخلاف معهود صفةتها ولما سألت نائب البوسطة عن  
سبب ذلك قال ان الركاب الى جهات البحر الاجر لا يوجد منهم من يأكل من البانحة  
فرايت ان ترتب ذلك عينا ولهذا تجد ديوان البريد في البحر الابيض على نحو غيرها وأما هنا  
فلا تهم عند شروق اليوم الثالث من ركوبنا اقل سير البانحة وأعطاني الرئيس بذلك لانها  
ان دامت في سيرها نصل الى جدة لئلا يتيمر الدخول اليها الا انها فكان تقليل السير  
أولى من الوقوف قربها وبعد شروق اليوم الرابع وصلنا الى جدة فتم انقاد دليل المرسي

وهو اعرابي لا بس فمبصا زرق وعلى رأسه عمامة جراء راكب قاربا فصعد الى الباخرة  
وصار يأمر بالسير بينا وشمالا لكثرة شعاب الحجر المغطاة بالماء حتى  
دخلنا حوض المرسى فاذا هو حوض وسبع أم من طيبي بمساحوله من الأشجار الخلفية  
وفيه عدة فواخر اجنبية وباخرة حربية صغيرة للدولة العثمانية وعدة سفن شرعية صغيرة  
وبعد الارساء وأخذنا الاذن في النزول من مأموري الصحة ونزول أغاب الركب تزلت  
مع رفقاتي ودفعت على كل واحد منا نحو أربعة فرنكات لاخذورقة على أن المدفوع  
لنظافة أماكن الحج فكان مغرة ورقتي ٧٦ ألف ونيف من المئات والآخر حاد ونسبت الآن  
تخزين كل الاعساد ولقيت أحدهم طوفي التونسي وهو جميل الاخلاق على خلاف  
غيره فادبنا رحانا للتحرق ونهض المأمورون الى أن أخذنا وعشرة فرنكات وأقل  
مكرهم عن لا يعطيم ثم تركهم لحوائجهم أياما بدعوى كثرة شغلهم فهم من أنحس  
المأمورين وأكثرهم مسرقة كما علمت ذلك من التجار وغيرهم ثم عدتني المطوف على دار  
الكثريت إحدى طبقاتها واقمت هناك ثلاثة أيام وجمدة بلدة على ساحل البحر هي  
مرسى المبحر العظيمة للبحر والتجارة من سائر الجهات وسكانها أغلبهم من العرب  
والهنود ثم المغاربة والافاقيون حتى الافرنج ولها أسواق رحبية مسقفة وتكادس البلد  
وترش يوميساوتشور ليلان زيت النفط وبها جوامع حسنة وما شربها يوثق به من بعد  
في قرب من مصانع وفسا في وهو أوها حار جداردي لان أرضها مسجحة وبها بعض ديار  
جميلة للنظر لنواب الدول وبعض التجار وأغاب المماني الكبيرة للكرافها ملك للاشراف  
وبعد ان أتممت فيم الوازم السفر من الفرش والبسط وأحمت منها حيث كنت قاصدا لها  
لما ركبني فيها غير اني لم أنزع ثيابي وفديت عن لبسها ابدما اكثر من جبالتي ولا صحابي  
فركبت الهودج الذي اشتريته من هنالك وهو مثل مهدين من عيذان مسهرة ومشدودة في  
بعضها على نصفين كل نصف طوله نحو ذراعين وعرضه ذراع أسفله الذي هو محل الجلوس  
حصص من عزف النخل مشدود في تلك العيذان وفي زواياها الاربع عيذان صاعدة نحو  
ذراعين ونصف ثم تقوس الى أن تتصل ببعضها فيحصل منها شكل أربعة أقواس متقابلة  
ويشبه على نحو الربع الاسفل منها شبه الك من حبال جيدة من الخلفاء لتحمي ازاكيب  
من القوط وذلك في جهة واحدة وهي جهة الجنوب المقابل لظهور الجبل ثم يوصل كل من  
النصفين بصاحبه فيألف من ذلك مهدان متلاصقان مسوكان مع بعضهما بحبال متينة  
واسكل منهما أربعة أرجل تستند بها على الارض اذ ابرك الجبل ثم يوضع على الجميع من فوق

زربية أو كليم أو منسوج قطني على حسب ارادة صاحبه ويدي ذلك مع المخبزين الخارجين  
ويخاط على تلك الاعواد ثم يجعل من فوق جلد بقرا أو جمل ويخاط أيضا لينع نزول  
المطران وقع ثم يفرش كل من الشقين بزربية على عدة طبقات ومعها الخاف محشوقطنا  
ثم توضع عليه سبعة أو ثمانية وسادات محشوة قطنا أيضا من جهاته الأربع ويشق  
بالقطع في الغطاء الشامل من الجهة الخارجة نحو طاقة لها ستارة من ذاتها ترتفع وتنزل  
وتمسك بخيوط ويربط في قوائم الاقواس عدة حبوب من سعف النخل لوضع اناه الماء  
وغيره مما خف من ضروريات المسافر وزاده بحيث يصير كل من القسامين فراشا  
مر يحيا يضطجع به الراكب ويكون أمامه وخلفه مقنوحا وجنبه الذي من جهة رقيقته  
مقنوحا أيضا وجنبه الاخر به طاقة ان أراد فتحها والاعاقها ثم يوضع المخبز على الجمل  
ويربط به ربطا المحكم ويوضع سلم من خشب رقيق في مقدم المودج المسمى بالشدق في يصعد  
منه الراكب الى شقه ويمسك بالجمال الشق الاخر الى ان يصعد اليه صاحبه أيضا ويعدلان  
في الثقل ويسير بهما الجمل ويلزم ان يكون جمل لا مؤنسا بذلك وكان ركوبها بعد  
صلاة العصر خارج البلاد ومع كون ذلك المركب متوسط الراحة وجددت في نفسي  
تعبا من سير الجمل المهبلي حتى حصل لي نوع من الدوار امكن اذا تأنس به الانسان يومين  
ينزل عنه ذلك ويصير مرتاحا سوى الفرق بين قوة الجمل وسيره فان الضعيف والغبر  
المؤنس يتعبه شبه التعب الزائد وكان عديلي أحدا أتباعي وبقيةهم ركبو اعلی جمال  
الرجال وبعدها سمرنا عشية تقنا وليلتنا وصباحتنا ولم تنزل لسوى الصلاة في أوقاتها ووصلنا  
عند الضحى قريه تسمى حدة في صحراء مفرقة بها بعض عيون عدنية عابها شيء من النخل  
وعلى الطريق قهاوى من اعواد الخشب والحصير كثيرة العدد أكثرها فارغان يريد  
التزول فنزلنا بها واكثرت اثنان منهن ففرشناهما صاحبنا وأنى لنا بما فاكنا  
من زادنا وأطعمنا الجمالين والقهوجى واسترحمنا الى بعد الظهر فركبنا ووصلنا مكة  
المشرفة بعد نصف الليل ولم ترفى الطريق الا افرادا يكثر المشي لئلا سيما على الجبل  
لان كثير منهم من يركب من حدة الى مكة على الجمير هي سيارة فيصلون في نحو سبع  
ساعات الى احدى عشرة ساعة لكن ذلك وان كان فيه قلة الحصص لكنه متعب فالله  
آثرت الجمل وعند الوصول الى خارج مكة المشرفة سألت هل يوجد حمام هناك فأب  
بانه لا يوجد الا الماء البارد ولم نستطع الاغتسال به فلذلك اكنفيت بالوضوء ثم تأقنا  
المطوف وطابت منه ان يكتمني باعلامى بالامكان والاعلام بالمشاهر كأن يقول لي هذا



باب السلام والكعبة. فمقابله اليك أو عن يمينك إلى غير ذلك حيث كنت سميت  
 أنهم يزيدون وينقصون ويبدعون ويأتون بما لم يرد به الشرع وكنت استصعبت  
 عدة كتب في الفقه وفي خصوص المناسك وأخذت منها ما يسره الله لغيري  
 ووجدت في بعضها رسالة في المناسك للملا علي قارى فلم أنظر إليها لأن صاحبها له  
 محرفة في حق أبوي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز أن يكون له على أدنى منة  
 وأغنا الله عنه بتأليف علماء أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم المحبين في آلله  
 المكرم والمؤمنين بجنابه العظيم عليه وعلى آله أكن الصلاة والسلام فاقبلت إلى باب  
 السلام وأديت هذا ما ينبغي ونظرت إلى الكعبة المشرفة ولله الحمد ثم دخلت المسجد  
 الحرام وطفت بالبيت الكرم ووقفت بالمحجر الاسود وسعيت بين الصفا والمروة وأديت  
 ما استطعت مما ينبغي في ذلك القدر المبارك ثم توجهت في الطوف إلى دار وكيل تونس  
 حيث كان ساكنًا فيه كل من الاختيار الثقات السيد أحمد والسيد اسماعيل والسيد محمد  
 أبناء زروق القادمون من تونس قبلي حجًا وأقامت بقية تلك الليلة عندهم وصلينا  
 الصبح في المسجد الحرام ثم أخذت منزلًا أقمت فيه ولم يرد صاحبها أخذ كراهية  
 وابتدأت رؤيتي لسوء أخلاق بعض الأهالي مما كان ينبغي لهم التحاشي عنه عفا الله  
 عن أوصئهم وبعدها أقمتنا بضعة أيام تشرفت فيها بالدخول إلى داخل البيت المعظم بحسان  
 أخلاق القاضل الشيبلي وذلك لئلا يكون معنا الأفراد قليلون بحيث تيسر لنا التفرغ  
 بتلك البقعة العظيمة والتبرك بما احتوت عليه من المشاعر وكذلك تشرفت بالتمول بين  
 يدي المولى الشريف المعظم صاحب الأخلاق الحسان والنواضع مع ما هو عليه من رتبة  
 الشأن المقدس الشهيد سيدنا حسين أمير مكة قدس ثراه وهو رجه الله حسن الأخلاق  
 متواضع عفيف جدير بمنصبه السامي ولا يقينا بعضنا من أعيان البلاد كالخمرير الباربع  
 أحمد المشايخ وغيره ولما آن وقت التوجه إلى منى ابتدأت الطوف ووكيل تونس في تمويل أمر  
 الذهاب إليها وإلى عرفات وكبر في ذلك ما شاء حتى ظففت انهما مسافة سفر وإن الحرب  
 فائرة في الطريق فوجهت رحلي على الجمال واكتريت أحمر قمر كوي ور كوي من  
 معي مدة أيام الحج وبينهما نحن سائرون والطريق في غاية الراحة والامن والعمران وإذا  
 نحن بقربة سألت عنها فقبل لي هي منى فبقيت متجهما من قول أولئك المرشدين إذ لم تكن  
 تبعد عن مكة إلا أربعة أميال ولا كنتي عرفت السبب في عملهم ثم حججنا وزلنا عن الجميع  
 وأقامت ليلة بمنى ثم توجهنا بصحبة اليوم الثامن إلى عرفات لوقوع الشك في ثبوت الشهر

وأقمنه فيه الى ايلة العاشر من الشهر وبعده الوقوف وأخذ حصته من الليل أفضنا من  
من عرفات بعد ان أدينا ما سأل الله قبوله وكان موقفا تشبهه منه الجلود من خشية الله  
لا لتجاء عباده اليه حسب ما أمرهم وكانت الارض توج بالخلائق ضارعين لبارئهم جل  
وعلا تقبل الله من الجميع وعنده الافاضة اتفقت مع الحجار ومع الرفقاء على التأخر  
عن الازحام وأخذ الطريق الاقل ازدحاما وكان دليلنا مضرا بخلاف ذلك لانهم انما  
يرون من شدة اثر الحج الطواهر وهم عن حقائق المشروعات غافلون فيرغبون في الامكام  
والزحام والخصام لتبقي لهم وقائع يتحدثون بها بينهم فلما افضنا كانوا يسرعون السير  
ومن عادة حيرهم ان لا ينقاد الى ركبته بل الى سائقه فقط ولو انقطع اللجام من فيه  
فأدخلونا كرهافي وسط الزحام ولم يبق منا واحد يدسمع صوت صاحبها لثوران عجاج  
الصياح والرغاء والتهيق فن حاد يحدو ومن داع يدعو ومن مصرخ ينادى رفيقه زمن  
صاحبة مستجيبة بالمارة من سقوطها ومن آن يئن من كسره بسقوطه ومن بالك متذكر  
هول المطلع ومن يعير يرغول سقوط جملة وجار ينق لرؤية أتان وأناس ملقاة وآخرون  
يجرون وآخرون يزدحجون وآخرون واقفون بالظلام مرخ سدوله والناس لا يذكر بعضهم  
بعضا بل طالب النجاة لنفسه فرأيت أمم ذجالهول يوم الفزع الاكبر وما أيقنت بالنجاة  
لنفسى حتى ذهبتى بعض شقاذى الجمال فاستطنى عن حمارى ونجرت من بين أرجل  
الحيوانات متطلبا لى حياة ذات اليمين حتى يسر الله الى الخروج عن الطريق بالصعود  
الى عجز مرتفع فاست هناك حامد الله على النجاة وبعد ذهنية لمحقى بعض أصحابى  
وجامى الدليل حائما على الذهاب والالتكن فى خطر من البدو فقلت له يا أيها الرجل  
ان الله حرم فى هذا الموطن الجسد والى ولكن ما عليك من الاذرة فقد أدبته وأنا فى نفسى  
أفعل أخف الضررين لان البدو لا يفعلون أكثر من القتل وهو الذى تدعون اليه لان  
افعله بنفسى على انهم يقتننون بانخذ الساب ودونه الدفاع ما استطعت ووراه هذا كله  
انه لا وجود لشيء مما تتول به وهؤلاء الخلائق فى الطريق وعند آخرهم أتوجه فذعننى  
ونفسى فذهب مفاضة باور بقت أنظر فى عجايب الخلق من الحماله التى يدينها بعضها الى  
ان خفت الماشى فرافقت آخرهم حتى وصلنا الى المزدلفة ولم أجد رحلى فجلست فى قهوة  
حتى مر بي أحد أصحاب رحلى فانتقلت اليه وجهنا بين المغرب والشاه ثم بعد أداء  
مناسك المزدلفة توجهنا الى منى وشيئت فى مرتفع من الارض فى أطراف نزل الحجاج  
مع أهالى جاوة ورجعت الى مكة وأديت بقية المناسك وفكرت الاحرام ثم رجعت

الى منى الى تمام ايامها وكان في اليوم الاول عند درى الجمار من الزحام ما وصفنا بعضه حتى مات عدة أناس وانكسر عدة وانما ذكرت هذا لتبهي الأخرى حتى يجتروا من ذلك ولا يعتبروا بأقوال الأدلاء لان لهم مقاصد وأطوارا غير مجودة ثم اتفقت مناسك منى ورجعنا الى مكة وأكثر بيت بيتا في المحصب خارج مكة تطالبا للصحة الهواه وبرودته لان المرض اشتد على ثم أحمرت بجمرة وأديت مناسكها ثم خيمت قرب الركب الشامي الى أن تميات القافلة التي أكثر بيت بها الجمال للتوجه للمدينة المنورة فسافرنا اليوم التاسع عشر من الشهر واشترى بيت جمار للارتياح عليه فأفادني جدلاني كنت أركبه بعد الظهر فذهب ومعي أحد رفقاى الذين صار منهم بعض التونسيين الى أن نصل الى أول القافلة الحاوية عدة مئات من الابل والمسافرين فنأتى الى جهة مستظلة قرب الطريق ونجس على زريبتين ونستريح وننوضأ ونصلى في نحو ساعة أو ساعة الاربع فبأبناى آخر القافلة فتركب الجمار ونفعل كذلك مرتين أو ثلاثا الى أن نصل المغرب ويشند الظلام فنركب الجمل وكان سفرنا على الطريق الفرعى بعد ساعة مشايخ أصحاب الابل لا يمر مكة فى أمن من معهم وكان كراه الجمل الذى عليه الهودج ثلاثة وعشرين ريالا ورواى مائة وخمسة عشر فرنكا من مكة الى المدينة ومنها الى ينبع وبقية جمال الرحل والاتباع لكل جمل خمسة وسبعون فرنكا وكأوا كثيرى رجال يدويان موالى الجمالة شجاعا قويا لقدود الجمل الذى نركبه والاعانة على بقية الالوازم فرأيت منه خيرا لكنه لم يوف بوعده فانه تخلف عنى فى المدينة المنورة ولم يصل الى ينبع فرحلتنا من مكة اليوم الاول بعد الظهر وسرنا يومنا فى طريق طيب ونزلنا بعد العشاء ثم رحلتنا قبل الشروق وصعدنا فى جبل وعرجدا وبعد ان سرنا فيه نحو خمس ساعات سرنا فى طريق بسيط الى المدينة المنورة ولولا ذلك الجمل لكانت الجمالات تستطيع السير بسهولة فى الطريق وكان سير الجمال لا يزيد عن ثلاثة أميال فى الساعة حسبما حررتة اذ ذلك وهو سير مهين متعب وتدوم المرحلة من اثنتى عشرة ساعة الى ستة عشرة ساعة وواحدة منها اذمت اثنتين وعشرين ساعة بحيث جعلوا مرحلتين فى واحدة لكي يستريحوا ويوما بدون رحيل فى بلادهم وهى الجديدة ولا ينزلون الا قرب ماء وفى الليلة الثانية عشر وصلنا المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فدخلناها عند الفجر وتلقانا المعروف التونسي الخـ برحلة الابهة والمعرف هناك يسمى مزورا ونزلت عند الفاضل النحرى صاحب الاندلاق الجديدة والصفات السديدة المبلغ اليك الكامل بعد الجليل برادة جازاه الله خيرا وكثر من أمثاله فى الاممة وبعد أداء الاموال والسنن

أسعدني الله بالوقوف بين يدي نور العالم وسيدنا لائق ومجا الام وفضل الله على خلقه ورجته للعالمين سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يباله من حظ نفسه - يدية بالمهجر - وبالله من فضل تبارك من كرم الله وبلج وخطبت بالسلام عليه وعلى صاحبيه عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام وأصحابه الاعلام وفي اليوم الثالث انشدت بين يديه عليه الصلاة والسلام قصيدتي التي مطلعها

الى السدة العظمى شددت عزائمى \* الى سدة الاجلال شمس المكارم  
و بنيت اليه عليه الصلاة والسلام شكراى فى دنياى وأخرى ونلت قضاء أغلب  
مطالبى ولله المنه والحمد منها ما قضى فى حينه ومنها ما تم قضاؤه بعد مدة قليلة وأنا ارجو كرم  
الله فى قضاء باقىها بواسطة رسوله عليه الصلاة والسلام وزرت آل البيت عليهم السلام وكثيرا  
من الاصحاب والائمة الاعلام والمشاهد المباركة ثم قفنت مع القافلة وتوجهت الى ينبع  
ورفعنا ما ابقيناه من رحلتنا فى بلاد الجديدة ووصلنا ينبع فى الليلة الرابعة قرب الفجر  
فاردت النزول فى خيامى فتمعت لاجل ان اكثرى دار الاخ حاكم البلدة واكثرها الى خمسة  
وثلاثين فرسكافى الليلة وهى اربع بيوت خربة اثنتان فوق اثنتين والدرج خربة وليدس  
بها ولا حصر فاقمت بها ثلاثة ايام وكان فى المرسى ثلاث أو أربع بوخرت نظر ان زحام  
الحاج فجات بانحة نساوية قافلة من الهند ومرت على جمدة ثم ينبع فاكثرت بها  
قاصدا الاستانة

## الفصل \* الثانى

✱

✱ فى صفة البلدين المكرمين وموكب الحج ✱

✱ مطالب صفة مكة المكرمة ✱ أما مكة المشرفة فهى واقعة فى عرض ٢١ درجة و ٣٠  
دقيقة شمالى وطول ٣٧ درجة و ٣٦ دقيقة شرقى واسمها مكة وبكة وأم القرى وأول  
من سكنها سيدنا ابراهيم عليه السلام بوالدة ولد سيدنا اسماعيل عليه السلام فكان  
سيدنا اسماعيل أبا العرب ورفع هو وأبوه قواعد البيت العتيق فكان مقصدا لام الخيفية  
وهذا البيت الكريم هو فى وسط المسجد الحرام وزواياه الاربع مقابلة للجهات  
الاربعة أعنى الجنوب والشمال والغرب والشرق وآخر بناه له الى الآن هو بنو  
السلطان سابع الثمانى على نحو الاصل الذى كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم لان  
سيدنا عبد الله بن الزبير بناه على قواعد ابراهيم عليه السلام وأدخل فيه الحجر ثم هدمه

عبد الملك وأعاد على هيئته زمن الرسالة فلما استخفاف أبو جهم فرأى المنصور أراد أن  
يهدمه على ما بناه ابن الزبير لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها اولا  
قومك حديثي وهدد بكفر البيت الكعبة على قواعد ابراهيم فلما زال المانع وحدوثية  
الايمان ترجع عوده الى الاصل واستشار الخليفة الامام مالك بن انس رضي الله عنه فقال  
له ما معناه يا امير المؤمنين لا تصعب على بيت الله معلبة بأيدي الملوك فان الذي رأيت - وان  
كان صوابا لم يكن ابقاؤه على حالته احتراماً لسانه اولى فبقى على ما هو عليه الا أن أساس  
جدران الكعبة مرتفع عن الارض ما بين عشرين صائغى الى ثلاثين وزائد العرض عن  
الحيطان ما بين عشرين الى اربعين فهو كالدرجة محيط بالجدران وهو المسمى بالشاروان  
والحجر الذي هو من قواعد ابراهيم عليه السلام في جهة البيت الواقعة بين المغرب والشمال  
ومحيط به المحطيم الذي هو بناء مسند يدير نحو نصف دائرة ارتفاعه مئترو وسبع مئة مئترو  
ونصف مغلف بالرخام ويتهدى قوس النصف دائرة قبل أن يصل الى جدران الكعبة بنحو  
ميتروين وخمسة وثلاثين صائغى والبيت مبنى بصخر كبير وأرضه مرتفعة عن مساواة  
المسجد نحو ميتروين وبابه قرب الركن الشرقي مسدوداً بمابين المشرق والشمال  
ويصعد اليه بدرجة مثل المنبر في المواكب العامة وعند فتحه الخصوصي يؤتى له بسلم صغير  
وعتبة البواب من فضة وعرضه من حمر والبواب بدفة واحدة قفله من ذهب وهو  
من خشب الساج وداخل البيت ثلاث أسطوانات من القمارى قطر الواحدة أزيد من  
شبرين وارتفاعها أزيد من ستة أذرع وعلمها مكابس من ذهب والبيت مبط بقطع  
كبيرة من المرمر وكذلك حيطانه وسقفه من الساج وفي ركنه الشرقي من خارج ما بين  
المشرق والجنوب في ارتفاع قامة الحجر الاسود وهو حجر محفوف الجوانب بصفايح من  
فضة أسود لامع أثرت فيه أيدي الالاميين حتى صار في بعض جهاته انخفاض وصار  
ذا شكل مقعر مثل اناء الشرب واصح له قطعة واحدة ثم تشقق من ضرب المنجنيق عند  
ما حوصر ابن الزبير رضي الله عنه فجعل له صندوق من الفضة وبه فوهة يظهر منها  
الحجارة طرها سبعة وعشرون صائغى مئترو أى نحو سبعة وثمانون وفي سطح البيت ما بين  
الشمال والمغرب ميزاب الدرجة من ذهب يصب في الحجر والبيت طوله مما بين المشرق  
والشمال أزيد مما بين المغرب والجنوب فطوله اثنا عشر مئترو وعرضه عشرة أمتار  
وعشرة صائغى عنها الشاذروان وارتفاعه خمسة عشر مئترو ويكسى كل عام بكسوة من  
الديباج الاسود يؤتى به من مصر وعلمها خزام مزر كش بالفضة مكتوب به آيات

كريمة وكذلك نفس الكسوة فيها كتابات جبهدة بالقلم الثائي من نفس النسيج وقبله  
باب الكعبة على نحو اثني عشر ميتر ومقام ابراهيم عليه السلام وفيه بيت مربع داخله  
آيات بيّنات من تأييد القدمين في الصخرة ووراءه بالتحراف الى الجنوب الشرقي ببرزخ  
وعليه قبة وحوله أحواض وعليه بكرات من النحاس ثم حن المسجد متسع جدا طوله مشرقا  
ومغربا مائة وانسان وتسعون ميتر و عرضه مائة وانسان وثلاثون ميتر والرواقات  
مرفوعة أقواسها على اسطوانات من حجر وسقفها قباب من بناء وفي وسط الحن على بعد  
نحو اثني عشر ميتر ومن المحطيم اسطوانات من حديد أو نحاس ذاهبة في الهواء وموصولة  
ببعضها بسلاسل من نحاس يعاق بها من اثره مصابيح وهي دائرة بالبيت علامة على حدود  
المطاف وعلى سمت الركن الشمالي على بعد كاة لجلوس المؤذنين والمستمعين وخلف المطاف  
وقبله جهة البيت التي بها الميزاب يقيم امام الصلاة من مذهب الحنفي وله محراب وهو أول  
مصل في الاوقات كلها ما عدا الفجر فاذا أقيمت الصلاة وتقدم الامام الحنفي رأيت المسجد  
الحرام كله على غاية من الهدوء ولم أر شيئا لم تدخله البدعة أبدا الا الصلاة في ذلك الوقت  
ما عدا التسميع المسموع فهو وزيادة على بدعة تغنيه يزيد أن يضع المؤذن سمعبيه في أذنيه وهو  
في الصلاة وما عدا هذا فانك ترى آداب الاسلام حقيقة وامتثال الخلق أمر خالفهم فيقع  
من الخشوع مما لا يعلمه الا الله سيما في صلاة الجمعة ولله الحكمة البالغة في وسع المسجد  
كل من يدخله وترى الخلق مع ذلك الازدحام على غاية من التؤدة وامتثال أمر الشرع بحيث  
لا تسمع الا همسا من تسبيحهم وتكبيرهم في الركوع والسجود فاذا سلم الامام الحنفي  
عادت الحركة لما كانت عليه ولو عند صلاة كل من أئمة المالكي والشافعي والحنبلي حتى  
لا يكاد المؤمن يعلم بحركات الامام اصلا الفجر فبمقتضى دم فيها الشافعي عن غيره لان  
مذهبه يرى استحباب التكبير بها لكل أحد من الأئمة له جهة من جهات الكعبة يصلي  
إليها وقد علمت محل الامام الحنفي وأما الشافعي فمخاربه خلف مقام ابراهيم عليه السلام  
وأما المالكي فمخاربه تجاه الضلع الغربي الجنوبي من الكعبة خلف المطاف بميتروين  
وأما الحنبلي فمخاربه مواجها للضلع الجنوبي الشرقي على نحو ذلك انه بدأ بضو باب السلام  
من المسجد الحرام تجاه باب الكعبة وباب الوداع في الجهة المقابلة له ووراء الرواقات  
عدة مدارس اسكنى الجسورين ويسكن بيوتها الحجاج أيضا وحول المسجد من أغاب  
الجهات طرق وباب السلام يتفتح في الطريق الواقع بين الصفا والروضة وهو طريق متسع  
حوله ديار ذات عدة طبقات ومشارا الشيبوي وأسفل الديار نحو اثني عشر مائة فمطالات يباع

بها المأكولات وغيرها وكل من الصفا والمرودة محل في نهايتها زاوية من الطريق متسع ذو درج عرضة تذهب الى الحائط وينتهي ما طريق متسع عرضه ما بين عشرة واثنى عشر ميتر وطوله نحو أربع مائة وخمسة أمتار وفي وسطه محل المرولة في السبي تبتدى من الميادين أي العلمين الأخضرين على بعد خمسة وسبعين ميتر ومن الصفا عند باب البغلة من الحرم وتذهب الى العلمين الاسخريين بعد مسافة نحو سبعين ميتر وعند باب على وكل من العلمين يقابلها مثله في الحائط المقابل وفي مكة المشرفة أسواق كثيرة يباع بها - اع سائر الاطوار وكثيرها سلع الهند كما ان التجارا كثيرهم من أهالي الهند والاسواق مسقوفة بالواح وفيها قهاوى كما ان اطراف البلاد عند مدناخلها فيها قهاوى على نحو الخصوص ويجاس فيها على كرامى كبيرة وصغيرة من اخشاب الحطب وعزف النخل ونارج الابلاد على طريق عرفات مقبرة المعلى ثم بعض بساتين لافراد من الاشراف رضى الله عنهم وبيوت لبعض من الاعراب وغيرهم وفي جبل ابي قبيس المطل على المسجد الحرام مسجد صنع يربو بعض ديار زاوية للشيخ السنوسى وشرب جميع الالهالى من عين زبيدة التي اوصاتها امرأة الخليفة هارون الرشيدى من قرب عرفات الى مكة فسميت بها وعلى مجراها في الطريق والبلاد عدة منافذ عملا منها السقاؤن وغيرهم ويحصل من كثير من الناس تفتيرها بما يلقون فيها من الاوساخ كما توجد آبار اخرى عميقة جهة الزاهر وغيرها يوقى بالماء منها ويفرقه السقاؤن على الديار في وضع في جرائم تلامنه دوارق وتوضع في طواقى او غيرها مما يمر عليه الهواء البارد فيبرد الماء لكن من عادتهم فيه أنهم يخزون الدوارق بعود يسمى عود القفل وهو الكمبروتارة بالمصطكى فيحصل طعم في الماء غير شهي والقفل اسودهم برونه حسنا ونقسم مكة الى سبعة عشرة حارة وقيل ان عدد سكانها مائة وسبعون ألفا

مطلب في صفة المدينة المنورة واسمها المدينة وطيبة وطاية ويترتب واقعة في فسح من الارض المرتفعة في عرض ٢٥ درجة و ٢٠ دقيقة شمالي وطول ٣٧ شرقى وغربا على نحو ربع اميال جبل أحد وعاليها سور حصين وحصون ذات مدافع وخزائن للدخائر الحربية والحرم الشريف النبوى على صاحبها افضل الصلاة والسلام في جهتها الشمالية الغربية وقد جد الحرم الشريف والمسجد السلطان عبد المجيد فكان المسجد وحده مائة وخمسة وخمسين ذراعا طولاً أى من الجنوب الى الشمال وعرضه مشرقا مغربا من جهة الجنوب مائة وخمسة عشر ذراعا ومن جهة الشمال ثمانية وعشرون

ذراعا ونحو تلك المسافة أيضا ضمن المسجد الذي هو جهة الشمال ومحيط به روايات  
وكله من بناء ضخيم مرفوعة قبابه على أقواس قائمة على اسطوانات من المرمر الاحمر  
المأخوذ من مقاطع حجاز به قرب المدينة وكذلك هو ضد الابواب وضمن المسجد تحيط  
به روايات وما عداها مكشوف وليس بين المسجد والصحن ابواب وباب السلام من غربي  
المسجد قرب حائط القبلة والمحراب في نحو اثني عشر عرض المسجد اعني أنه أقرب الى الشرق  
حتى يكون قبلة المحراب النبوي الاصلى لان المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة  
والسلام قد زيد فيه مرارا اولها في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه حين ازادت كثرة  
المسلمين وانتهى الى الان ما زاده السلطان عبد الحميد رحمه الله وكل من زاد فيه تحرى  
مواقف النبي عليه الصلاة والسلام لتبقى محفوظة فإذ ذلك وان زيد في جهة القبلة حتى صار  
حائطها يبعد عن حرم الحجرة الشريفة نحو الثمانية أذرع مع أن حائط القبلة كان مساويا  
لحائط الحجرة لكن بقيت بقعة المحراب الاصلى معلما عليها والمحراب الجديد قبالة  
أمام المنبر فهو وان تغيرت ذاته لم يكن محلها لم يتغير وهو الاصل من المرمر الثمن والاصلى من  
خشب وأما الحجرة الشريفة فالاصابة عامها بناء ضخيم مستطيل من الغرب الى الشرق  
وعليه قبة عالية أرفع من سائر قباب المسجد وداخلها القبر الشريف المكرم لصق الحائط  
القبلي من جهة الغرب ويليه قبر الصديق رضي الله عنه لجهة الشمال متاخرا الى  
الشرق بحيث ان رأس الصديق رضي الله عنه منامة لاسفل من رأس رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بنحو ذراع وذلك تأديبا من العصابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يليه  
شمالا أيضا بنحرف الغرب قبر الفاروق رضي الله تعالى عنه وهاتان الحجرة لا يدخلها  
أحد ووراء حيطانها من خارج شبالك من حديدتين مقصلة قواعده برصاص مذاب  
غليظ الحجم مائل للاساس الى عمق عميق حتى اتصل بطبقة المساه في الارض والسبب  
في وضعه هو انه كان في مدة السلطان نور الدين الشهيد بمصر حدث عظيم بالمدينة \*  
وكان أمرا محجرا اذ ذلك تابعه اللاتين مصر فرأى السلطان نور الدين رؤيا هائلة وهي أنه  
رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له أنجدني أنقذني من  
هذين الزجلين وأشار اليهما فرآهما رجلين أشقرين وتحقق وصفهما وعلم التأكيدهم من  
النبي صلى الله عليه وسلم في أمرهما والاسراع به فاستيقظ السلطان رحمه الله متعجبا  
فصلى الفجر الا وقد أحضر وزيره وعشرين نفران صناديد فرسانه واحضرا موالا  
بجسيمة وركب جواده في خاصته وفرسانه وما خف من الزاد وقل الى المدينة المنورة بحمد



السيرة ولم يعلم بمسار آه أحد اذ فوصلها في ستة عشر يوما فزار النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر  
 باحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتصدق عليهم ويتأمل تلك الصفة التي رآها في  
 النوم الى أن انقضت الناس فقال هل بقي أحد قائل لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين  
 مغربين يكثران الصدقة فلما رآهما اذاهما الرجلان للذان رآهما ما فسأل عن  
 منزلهما فأخبراهما في رباط خارج المسجد بقربه جهة الحجرة الشريفة فامسكهما ومضى  
 الى المنزل فلم يجد به سوى خمسين وكتبا في التصوف ومالا كثيرا وأتى عليهم الا الهالى نناه  
 كثيرا ورفع السلطان حصيرا في البيت فوجد تحتها سر دابا ذاهبا صوب الحجرة الشريفة  
 فارتاعت النار لذلك وقال السلطان اصداقنا في وضربهم ما حتى أقربانهم انصرانيان  
 بعثهما لك من النصارى في زى الحجاج وأطعمهما بأموال كثيرة للتوصل للذات الشريفة  
 ونقلهما فنزلا باقرب رباط وصارا يحفران ليلا ولا ياكل منهما من حفظه جلا ايمالاتهما اترابا صباحا  
 وينذهبان الى المقبرة فيفرغانهما هنالك على عدة كرات وهكذا ادأبهما من مدة فقتلها  
 هاتوا وعمل ذلك المهاجر الرصاص رجه الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله  
 وآله وصحبه ومن والاه ولا يخفى ان الواقعة كانت مدة حرب الصليب فرأى أحد ملوك  
 النصارى الهاربين للمسلمين ولم يعينه أصحاب السارح لعدم اعتنائهم اذ ذلك بمثل ذلك  
 حتى انك تراهم يذكرون الوقائع الحربية في الشام مع النصارى ولا يذكرون من هم حيث  
 تعصبت اذ ذلك لو كهم مع البابا وصاروا يداوا واحدة على المسلمين ولذلك لم يعين الملك  
 المرسل لذي نك الرجلين لاجل مكيدة المسلمين بنقل نبيهم اليهم والتشفي منهم ولاجل  
 ابطال هجزة تعيين محله عليه الصلاة والسلام دون غيره من الانبياء عليهم جميعا الصلاة  
 والسلام وفي المدينة المنورة أسواق وصناعات لكل ضرورى ومدراس لسكنى  
 المهاجرين وكتب موقوفة في عدة خزائن بمكتبات أهمها مكتبة عارف باى ورأيت بها  
 كتابا لم أكن أعرفه وهو الجامع الصغير في النحول ابن هشام مع اشتها ركتبه وطرق المدينة  
 غالبها ضيق لا يمر به الا رجل واحد الا طريق الباب المصرى الموصل لباب السلام وقرب  
 الباب المصرى المناسخة وهاته المناسخة بطحاء وسبعة وحولها مخازن للذخائر ومن  
 طادات أهل المدينة انهم لا يركبون داخلها تأديبا مع النبي صلى الله عليه وسلم  
 الا المعذور واذا لاقى أحدهم غيره خارجها وهو راكب ترحل له عملا بالاثم المروى  
 وبقيعة عواندهم على ما سأتى في الامادات العامة غير ان أخلاقهم رضى الله عنهم أحسن  
 أخلاق أهل الارض فيما علمت من ليل الجبابرة وصفاء القلب ومواساة القريب

والعبد والكرام ولو كان بهم خصاصة وحريه النفس والشهامة والشجاعة فهم أهل  
 لذلك الخوار كما هو وصفهم في القرآن العظيم ومن وفد عليهم لم تخلف بخاتمهم  
 لان اصل الانصار لم يبق منهم هنالك الا عائلة واحدة وبقية السكان كلهم من الوافدين  
 فيما بعد الا السادة الاشراف حقا فهم من أبناء سيد الوجود وابن عمه سيدنا علي رضي  
 الله عنه وأما بقية المهاجرين فلم يبق من نسلهم هنالك أحد معروف سوى واحد تقيب  
 في ضريح سيدنا جزة هو من بني العباس رضي الله عنهم أجمعين

- \* مطاب في صفة موكب الحج لما كان الحج فرضا على كل مستطيع له من المسلمين  
 فهم يهرعون اليه من كل فج عميق فيجتمع المسلمون من جميع قبائل الارض من مشارقها  
 ومغاربها وقد كان في الزمن السابق يأتي أكثرهم برا أما بعد حدوث البواخر فصار  
 الاكثر يأتي بحرا بالركوب في البواخر الامن كان من أهالي جزيرة العرب فانهم يأتون برا  
 وكذلك الركاب المصري وان بطل سفره برا عند طبع هذا المجل وأما عند حجي فانه كان  
 يأتي برا ومثله في الاتيان برا الركاب الشامي الذي كان يخرج من القسطنطينية ويأتي  
 الى دمشق الشام ويجتمع هنالك بركب العراق مع حجاج الشام ويسافر الجميع الى مكة  
 وصورة هاته الاركاب هو ان يعين السلطان حاكما من رجال دولته على الركاب ويصعبه  
 أمين الصرة أي الحامل للاموال المعينة لمصاريف الحرميين واسبائر المتوظفين والاعراب  
 الذين لهم عموانة من الدولة وتلك الاموال مأخوذة من دخل أوقاف الحرميين ومن خزينة  
 الدولة كل ما يخصه وكذلك يحمل الهدايا والصدقات الخاصة التي يرسلها السلطان  
 وأهالي دولته وسكان قصره بحيث يجمع عنده أموال جسيمة وقد سمعت ان الذي ترسله  
 الدولة للقيام بجباية الهمان جميع ما يلزم الحرميين سواء كان من الخزينة أو من الادخاف  
 هو الآن فهو مائة الفين ونصف فرنك كاعدا الهدايا الخاصة ثم يعين مع هؤلاء قسم من  
 أنواع الجيوش فرسان ومدافعية ورجالة وتنصب لهم خيام للرحلة بها ثم ينضم اليهم  
 كل من اراد الحج بجباية واسبائر لوازمه كل حسب استطاعه وبمحصلة يوم خروج المجل من  
 دار الخلافة موكب مشهود ثم يسافر الركاب نهارا ويقوم ليلا على مراحل معلومة الى أن  
 يصل الى مكة وكما مر على بلادنا ضم اليه حجاجها وقد بقي الحال الآن على ذلك سوى  
 كون السفر من الاسنانة الى حرسى بيروت صار بحر اثم من بيروت الى دمشق الشام يسافر  
 من غير أهلية ولا انتظام ومن دمشق ترتب له العسبا كروغ غير ذلك ويسافر على نحو ما ذكر  
 وعلى نحو منسب الركاب المصري وأما القوافل من الجهات البرية فانها تأتي كل قافلة

هاهنا نحو شيخ لارفاقه و يسافرون حسب مستطاعهم فاذا اجتمع الجميع في مكة ولا كل  
 منهم مكان يخصه للاقامة فيه نرجوا اليوم الثامن من ذي الحجة الى منى ومنها الى عرفات  
 وهم محرمون فيقفون يوم عرفة وبعيد الغروب يفيضون الى المزدلفة ثم قبل الشروق  
 يأتون الى منى وذلك يوم العيد ويقيمون ثلاثة ايام لاداء المناسك ويحصل ليلة ثاني  
 العيد افرح عظيمة من معسكرى الاركاب بالالعاب النارية واعمال صور حربية  
 بالمشاهدة لكي يحصل ارباب الاعراب من الحركات العسكرية وسرعة سلاحهم وعظم  
 مدافعهم ثم في صبيحة يوم ثاني العيد يحصل موكب تعظيم في منى لدى فسطاط الشريف  
 أمير مكة فيحضره الوالى وأمرأه الاركاب ورئيس العساكر بالجهاز وسائر الاعيان من  
 أهل مكة والحجاج كلهم بالاباس الرسمية ولما يجتنبك الموكب يخرج السيد الامير  
 الشريف ويقف في الصدر وتقف الناس حوله على حسب مراتبهم ثم يتلى المشور  
 السلطاني المؤذن بالثناء على الامير وتقليده الامارة اواباقائه فيما تخرج به على اقامة  
 الامن والقيام الواجب بحقوق الحرمين والاهالى وهو باللغة التركية ثم يتلى تعريبه ثم  
 يخضع عاياه أمير الركب الشامي الخليفة التي برسالة أمير المؤمنين الى أمير مكة السيد  
 الشريف وهي جبهة من الجوخ واسعة سوداء مطرزة بالذهب ثم يقبل الجميع بالتهنئة  
 لالسيد الامير ثم يفرق الناس اتهنئة بعضهم بعضهم يسافر كل ركب به دعوته الى مكة  
 في يوم معين بعد اداء جميع المناسك وتسليم الاموال لاصحابها والمقيضين بها من الامراء  
 والرؤساء وكل منهم اى الاركاب يعود الى بلده على الطريق الذى قدم منه ويكون كل  
 ركب كانه بادرا حل يحصل فيه من الزهفة والانشراح لذوى اليسار ما يرغب فيه النفوس  
 هذا ولا يخفى ان مناسك الحج مقررة في كتب الفقه بل وقد خصت بتأليف منفردة  
 لعلماء كثيرين فلا يمكن لنا الا نيسان بذكرها لانها خارجة عن الموضوع وانما الذى  
 يناسب ذكره هنا هو ان الحج من اركان الاسلام الخمس وهى كلمة الشهادة أى أشهد  
 أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج  
 البيت على من استطاع اليه سبيلا وهو فرض مرة في العمر وينسب تكراره كلما  
 استطاع الانسان وقد ذكر العلماء حكمة مشروعية كما ذكرنا الحكمة فى مشروعية  
 جميع الاركان وحاصل ما اشاروا اليه هو كونه شكرا لله على ما نخبنا به من نعمة السطة  
 على الانعام اى الحيوانات وهو عبادة مركبة من أعمال بدنية وأعمال مالية ويمكن ان  
 يكون مشتتلا بأبضاع على حكمة أخرى مرعية فى نظر الشارع وهى أحكام الوصلة بين قبائل

المسلمين وتعرفهم ببعضهم واطلاع كل منهم على حاجات أخيه وعوائده ليعين كل منهم  
أخاه في المحضرة والغيبة بما يستطيع حسب أمره الشارع بذلك وينتج منه مزيد  
المواصلات بين الامم والشعوب والقبائل من مشارق الارض ومغاربها كما هو الامر  
الواجب شرعا في جعل المؤمنين عصابة واحدة وقد مثلهم الشارع بالبنين يشد بعضهم  
بعضا ومثلهم بالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد وجعلهم اخوة  
لرحم الدين الواحد الى غير ذلك من النصوص الدالة على التماسهم ووحدتهم مما  
لا يمكن ايجاده بدون تعريف فعمل لهم في كل سنة موعدا يجتمعون فيه ليحصل ذلك القصد  
وفيما تضمنته مناسك الحج اعلم الى ذلك حتى يحصل على اكل وجه فانه عين لهم المحل \*  
الذي يجتمعون فيه بصورة لا يحصل معها انك من بعضهم على بعض في التفضيل كما لو  
كان الاجتماع في بلدة قبيلة أو جهة دنيوية بل جعل ذلك المحل هو خاص وخاص النسبة  
للخالق جل و علا وحده ثم عند زيارة نبيه الذي هو واسطتهم الى خالقهم فلا يحصل من  
قصد ذلك المحل ادنى امتياز يفرق القلوب ثم انه اوجب عند اول القدوم الى ذلك المحل  
الاحرام الذي هو من جملة ما تضمنه ترك لبس الخيط وغيره من سمات الرفاهية التي يحصل  
فيها التماسد بحيث يكون الناس كلهم سواء لا فضل للثاني على رابع ولا لعالم على جاهل  
وأوجب على من اضطر الى ترك ذلك أن يزيد في الاحسان والصدقة الجارية لقلوب  
الفقراء الذين هم مظنة انكسار القلوب مما يرونه من الرفاهية فيعوض ذلك بزيادة  
صالتهم والاحسان اليهم والاحسان يجلب القلوب فتنبه دل المحال وكذلك شرع مزيد  
النفقات والاحسان على حسب ثباتها واسعة تطاعة المنفق لكي يزيد التوادد ثم قصر ذلك  
الاحرام على مدة مخصوصة هي مظنة حصول التعرف واستقرار التوادد بين الافراد فاذا  
حصل التوادد وتأكدا بالصلات بعد زوال الجرد رؤية أثر النعمة على المنعم عليه ولذلك  
اباح اللبس حينئذ وكذلك شدد النهي والنهي على الجسد الى الحج الموجب  
للتباعد الذي هو نقيض المقصود كما شدد مثل ذلك في الفسوق الذي هو موجب  
لاستئناس العبد بجمعيته خالقه فيقول أخوه اذا كان هذا الميراث حق الخالق في يده  
الامين فكيف يرعى حق أخوتي بالغيبة وكذلك منع التمتع بالذماء لكي لا ينصرف  
الفكر هناك الاطاعة للخالق وحده ومن طاعته ما أثرنا اليه من احكام الوصلة  
مع اخوانه المؤمنين وهذا الامر وهو كون الحج مشقة لاعلى حكمة الوصلة بين الامم  
قد أشار اليه بعض المتأخرين تبعا لبعض المتقدمين في التحريض على مزيد المواصلات

• بين الامة وقالوا ان أهل الحلة الواحد - مدة أكد عليهم الشارع زيادة عما يلزم في حق الجوار أمر تضمنته عبادة الحالتى وهو اجتماعهم خمس مرات في اليوم بمسجد محمديهم للصلاة الخمس فيجتمع الاعلى والادنى في صعيد واحد بيديت الله - على سواء فيروا أحوال بعضهم ويتأنس البعض ببعض لكي تنأكد الوصلة الروحية بالوصلة البدنية ويهل كل بما يجب عليه في حق أخيه ثم أوجب على أهل المصر الواحد الاجتماع العام في يوم من الاسبوع وهو يوم الجمعة ليحصل ما أشير اليه مع جميع أهل المصر ثم زاد لهؤلاء يومين آخرين في كل سنة على حالة مخصوصة من اظهار الترفه لكل واحد بحسب حاله حتى يستدل غيره بهيئته على حاله ليعلم مقتضى الحال في الوصلة وذلك يومى العيد وكان وجه تكرير ذلك مرتين احدهما بعد الصيام شهرا المؤثر في الحاق وفي الخلق والثانية في وسط العام على معتاد الناس لمزيد التدين فيما يقتضيه الحال للتعرف بالفراسة وأكده الشارع في جميع هاته الاجتماعات باجتناب المنفردات و باجتماع المقربات كالتياعد من أكل النوم وكالتطيب والنظافة ثم أوجب على كل فرد الحج مرة في العمر ورغبه فيما زاد على ذلك ليحصل ما أشيرنا اليه في الحج ولا شك أن التيسر للحج لا يحصل لجميع أهل القطر كاهم في عام واحد فيحصل على الاستقرار اجتماع الامم من كل قطر في عام فاذا حصل منهم ما أشيرنا اليه دامت المواصلة بينهم ولا أقر أنها تحصل في ذلك الوقت وحده أما اذا عمل بمقتضى التعريف فانما اتشد الوصلة بالمراسلات والاسفار والتجارة فضاء لا عما يجب أحيانا من الفزع من أمة الى اعانة أمة أخرى وانقاذها اذا هجم عليها العدو كما هو معلوم في وجوب القتال وجوب اعين على كل فرد فيما اذا هجم العدو على قسم من الامة وعجز أو تقاعس عن دفاعه فانه يجب على من جاوره أو بلغ اليه الخبر انقاذه ومنه يسرى الى من وراءه وهكذا حتى يعم الوجوب المشرق والمغرب ولوعلى الذناء والاطفال ممن يقدر على الدفاع وما ذلك كله الا لتوحيد المؤمنين وحفظ بيضتهم الاسلامية ليحيا الآسن نرى أن الناس غافلون عن جميع ما ذكرناه ولا يعتبرون تلك المحكة ولا يلتفتون اليها ولا ترى الاهل كل اقليم مقتصرين على مجرد الخطاة مع بعضهم فقط بل ربما اتخذ الطون ولا يتعرفون الابن عرفوه في بلدهم سابقا فضلا عن التغاطم مع أهالى الاقاليم الاخر كأنهم ليسوا منهم ولا هم مكافون بالوفاء لهم بحاجاتهم حتى انه ترشح الناس الى أقطارهم من غير شعور لهم بشئ من حالة اخوانهم في الاقطار الاخر كأنهم لا مطالب لهم بشئ وقد كانت رجال الامة على غير هذا وكانوا لا حظي لما ذكرناه فترى من حج منهم يتعرف بأهالى

الارض وحصل بذلك اشتهار رجال الامة في الاقطار لاسباب العلماء والصالحين فانهم  
 ينتشر ذكركم ويطلبهم بما يسمع عنهم من الحجاج وان لم يروه في جهتهم ومن طالع  
 النواريج والسير والرحلات علم من ذلك كثيرا فسبحان محول الاحوال وهو الباقي  
 لارب سواه

## الفصل \* الثالث

في التعريف بالحجاز \*

اعلم ان الحجاز قسم من جزيرة العرب ممتد على شاطئ البحر الاحمر وحده الا ان التي  
 تحت تصرف الدولة العثمانية هي انه يحده شمالا الغمير وقرى البحر الاحمر وجنوبا  
 اليمن من قرب صنعاء وشرقا الحما كبة وهي تبعد شرقا عن المدينة بمسافة في حدود  
 نجد وهذا الحجاز أحد أقسام جزيرة العرب الخمس وهي اليمن وهو القسم الجنوبي منها  
 الممتد على شاطئها على المحيط الهندي الى أن يصل الى خليج فارس والحجاز هو القسم الثاني  
 وهو القسم الغربي منها الممتد على شاطئ البحر الاحمر ويحده شرقا القسم الثالث وهو نجد  
 يتصل شمالا بالشام ويحده غربا بالحجاز وشرقا بالعراق وجنوبا باليمامة والقسم الرابع  
 تهامة وكان مقره بين الحجاز واليمن ويمتد من البحر الاحمر الى أن يتصل باليمامة على  
 خليج فارس فيحده جنوبا اليمن وشمالا الحجاز ثم نجد وشرقا باليمامة وغربا البحر الاحمر  
 وقد اضمحل هذا القسم في اعتباره السياسي وصار مقعما بين جيرانه والقسم الخامس  
 هو اليمامة وهي يحدها جنوبا اليمن وشمالا العراق وشرقا خليج فارس وغربا بنجد  
 وكذلك هذا القسم صار في السياسة تابعة لغيره فلكل الاقسام هي الاقسام الاصلية  
 بيد ان العرب التي كانت معتبرة أقساما اصلية للقارة وان كانت لا فرق بينهما من جهة  
 طبيعة الارض غير ان القسم المشهور بحسن الهواء وخصوبة الارض وجودة الحيوانات  
 فهو قسم نجد وطال ذكره في اشعار العرب وامتداحه بينهم وأما بقية الاقسام كلها فاذا كان  
 منها مرة فمناها هو جيد الهواء وخصب النبات وما كان منخفا فمناها هو جرد وعلى ذلك  
 انهم وما نحن بصددده وهو الحجاز وقد علمت حدوده الآن واما حماله فهي كثيرة وان شئت  
 قلت انه كله حمال تحلة صغيرة متشعبة مسودا من شدة الجور وارضها عمل بالكافي \*  
 غير انه في سنة ٦٥٤ هـ حتى في سنة ٦٥٤ هـ في المدينة له زلزاله وما حولها  
 زلزال شديد دام ازيد من ثلاثة ايام بلياليها تم أعقبه خروج نارها فله من جهة جنوب

المدينة على مرحلة من هاهنا جهة الموضع المعروف (حبس وسيل) وسالت النار في وادي  
 أحياين كالنهر العظيم فتحطم جميع ما مرت به وتجعل الصخور ذاتة مائعة تجرى كالنهر  
 العريض العظيم وامتد سائلا إلى قرب المدينة أي إلى أن بلغ حرمها فصرف عنها ذات  
 الشمال ووقف وانطفأت النار بعد أن كانت ظهرت أول يوم نهار الجمعة كالتمام الأسود  
 الذي هم الأفق حتى أظلم الجووظنوا أن الشمس والقر قد كسفانم لما أظلم الليل ظهر ضوءها  
 وعلا في الجوالى أن رثيت من حول بصرى ومن مكة والطائف وكان لها دوى كراعده  
 ونهرها يغلي بأمواج كالبحر من النار المتلاطمة وتنفذ في الهواء المحصور كالجبال والمدن  
 ونهرها ذوالوان زرق وحرور عبت منها قلوب الناس والتجوا إلى ملاذ الخلق رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فلما بلغ سبيلها إلى حرم المدينة صرفت وانطفأت ومع عظيم لهيبها سطوع  
 ضوءها على الأماكن البعيدة لم يصل من حرها إلى المدينة المنورة شيء وكان النسيم يأتيها  
 باردا وكان خروج تلك النار إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم التي لا تحصى فقد دروى  
 البخارى ومسلم في صحيحيهما وهما في أول القرن الثالث حديث لا تقوم الساعة حتى  
 تظهر نار الجحاز والبخارى يخرج نار من أرض الجحاز تضيء أعناق الأبل ببصرى وزواياتها  
 كثيرة حتى كان في أحدها نعين بحل نروجهما وانذار الساكنين به منها فكان الأمر كما  
 قال صلى الله عليه وسلم وبقية جبال الجحاز كثيرة منها المشهور كحد وأبي قبيس وعرفات  
 وهو ليس برتفع ومن أحسن جبالها هواء الطائف فإنه في شدة الصيف يكون معتدل  
 الهواء وهو مصيف أعيان مكة وجدة وأما نهر الجحاز فليس به نهر مستديم وانما تسيل  
 الأنهر به عند نزول المطر حتى ان أحدها يأتي من جبال الطائف ويمر على المدينة المنورة  
 على صاحبها أكل الصلاة والسلام ثم يذهب مغربا إلى البحر وأما الجحازات فليس بالجحاز  
 بحيرة وأما العيون فهنا عيون عظيمة عدبة أحدها العين الزرقاء التي تسقى المدينة  
 وهي تابعة من قباه تحت الأرض في عمق عدة أذرع وتذهب إلى المدينة تحت الأرض  
 وعابها عدة منا فذليل الماء وفيها الكفاية لجميع البلاد وما حولها وانما سميت الزرقاء  
 نسبة لجحاز بنهمروان بن الحنم أزرق العينين أجراها بأمر معاوية رضي الله عنه ومنها  
 عين زبيدة التي تسقى بها مكة وهي آتية من قرب عرفات تحت الأرض مثل السابقة وقد  
 أجزتها زبيدة زوج الرشيد العباسي وقد حوت الآن عمارة حسنة صارت بها في غاية  
 الانتظام ومنها عين بالداصفراء وهي أيضا تحت الأرض لكنها ليست بمختفضة بل أنها  
 تبعد عن سطح الأرض نحو ذراعين وبها ماء غزير صاف عذب حار يشرب فاذا حبل في

الاواني بردوهي تنور بعد الماء في الارض ولا ينتفع منها الا بشئ يسير لا شرب وسقي  
 بعض بساتين ومنها عيين بالماء الجديدة مع ان كلاً منهما يصلح لسقي غاية عظيمة مع حسن  
 الماء وجوده فقد شاهدت عين الصفراء وقد اناخت حولها قافلتنا المحتوية على ازيد  
 من ستمائة نسمة وهرع الى العين جميعهم لغسل ابدانهم وثيابهم بل وغسل اكراس الغنم  
 التي ذبحت يومها في القافلة ومع تراكم تلك الاوساخ كنت ارى الحصاة كالفضة في مجرى  
 العين والماء يزيد حمقه عن ذراعين واما هواه الحجاز فهو على الجملة حار لما كان عرضه \*  
 من خط الاستواء ولا شك ان الاودية بين الجبال تزيد عن اختلاف الارتفاع ولذلك يختلف  
 الحال فمع كون مكة المشرفة شديدة الحرارة حتى اني كنت بها في دجنه وولما اردت صلاة  
 العشاء في الحرم لم استطع الجلوس على الارض بدون بساط في وقت العشاء لما اثرت  
 الشمس في الارض فان الطائف لا يمكن فيه في الصيف الا التمدد في الليل بالغطاء الثلجيني  
 وقد شاهدت من امر المراب شيئاً عجيباً فاني لما كنت مسافراً من مكة الى المدينة  
 سمعت من اصحاب القافلة انهم يقولون ان الماء هنا ليس بوجوده ولا بد من المبيت على الماء  
 وكان الوقت بعد العصر فرأيت على قرب من الطريق غدراناً كثيرة فسألت الجبال هل  
 هنا سخنة ام ان المطر صبت قبل مرورنا فقال كل ذلك لم يقع فقلت من اين هذه الغدران  
 حينئذ فقال ليس هنا غدران وانما ذلك مراب فلم نطعمه ثم لقوله وأرسلت أحد أتباعي  
 باناء ايملاه من ذلك الماء الذي اريته له فشاهدوه وذهب اليه فلما بلغه صاح لي قائلاً  
 ليس هنا شئ فضحك مني الجبال وما ذاك الا للعود فاني لم اعهد المراب على ذلك النحو  
 وذلك لحر القطر وتأثير الهواء بذلك واما نباتاته فينبت بالجوار جميع النبات الذي يكون  
 بالاقاليم الحارة ووراء جبل أحد من الشق المقابل للمدينة غابة كبرى بها عيون ضعيفة  
 وأشجار كثيرة صالحة للبناء بأخشابها واكثر الشجر المستنبت النخيل على أنواع شتى  
 وبقية الشجر ذوالغلال يغرس منه الليمون بكثرة والبردقان والعنب والرمان وهو جيد  
 للغاية لاسيما رمان الطائف والنين كما يستنبت بعض البقول مثل الباميا والطمح اطعم وقليل  
 من بقية المستنبتات ومن تأمل الحكمة في جارية أشجار الحرم المسكي والمدني من القطع  
 علم قصد الشارع الى استكثر الشجر هناك لما يعود من منفعته على الامة فانه يجاب  
 السحاب ويكثر المطر ويحسن الهواء ويشرح النفوس ويبقي الناس من الشمس  
 ويطفئ الحرو ويوقد بغواضل ما يقطع منه للتحسين ومن شاهد تلك البقاع علم شدة  
 الاحتياج الى الاستظلال من الشمس وعلم حكمة تحريم الشجر حول البلدين المكرمين



اللاذين تلزمهم حمارتهم وتعرض الناس اليهم ما من كل فيم عميق وقد أشار الى حكمة شخصين الحرم بالشجرة وحرمة قطعه بعض العلماء ومنهم السهمودي في خلاصة الوفا باخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال قال الطحاوي يحتمل أن يكون سبب النهي عن صيد المدينة وقطع شجرها كون الحجرة كانت اليها وكان بقاء ذلك مما يزيد في رؤيتها ويدعو اليها كما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن هدم أطام المدينة فانها من زيتها فلما انقطعت الحجرة زال ذلك الخ وقوله انقطعت الحجرة أى بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وكلامه تعليل لمذهب الحنفية في عدم تحريم المدينة وأما الأئمة الثلاثة فهم على تحريمها مثل مكة وأدلتهم قوية والحاصل أن مرادنا هو أن تكثير الشجر في البلاد لاسيما البلاد الحارة مما يرغب فيه وقد صرح الفقهاء في كتاب السير بالنهي عن قطع شجر دار الحرب بلا حاجة اليه فكيف ينهوا فضلا عن دار خير الخلق عليه الصلاة والسلام التسائل بتحريمها وتحريم ما حولها أكثر الأئمة رضى الله عنهم مع الفائدة الظاهرة من ذلك (وأما) حيوانات الجاز في وجده الحيوانات الانيسة المعروفة كلها لاسيما الخيل العربية التي يضربها المثل في الدنيا وترغب فيها جميع الامم واعلاها الخيل النجدية وكذلك الابل الجيدة لاسيما النجيبات السريعة مثل ما ذكرنا بصغر وأحسن منها كما توجد المغال بقله والحجير بكثرة والحيوانات البرية كلها موجودة الا القليل كالذئب والذئب (وأما) الاسد والنمر فوجوده بكثرة وكفى بما ذكره بشر في قصصه يده التي شطرها الشيخ قبادو التونسي بعد ان زاد عليهم مطالعنا بحالة اسود أرض العرب وتلك القصيدة لما كانت بديعة أثبتتها مع تشطيرها القنظر براءة المشطر الذي صار كأنه بدوى فتح مع كونه حضر يا بخت وهي

(أفاطم لو شهدت ببطن خبث) \* لهانت عندك الاخبار خيرا  
ولو أشرفت في جنح عليه \* (وقد لاقى الهزير أخاك يشرأ)  
(إذا رأيت ليثا أم ليثا) \* وكل منهما بأخيه مغرى  
يرى كل على ثقة أخاه \* (هزيرا أغلبا لاقى هزيرا)  
(تهنس اذ تقاعس عنه مهري) \* وأقبل نحوه أذنيه ذعرا  
فكاد يريه فيخال منى \* (محاذرة فقلت عقرت مهرا)  
(أزل قدمي ظهر الأرض انى) \* أرى قدمي للأقدام أخرى  
ولست منزحى شيئا ولكن \* (رأيت الأرض أثبت منك ظهرا)

(وقات)

- (وقأت له وقد أبدى نصالا) \* باهرة فاغر يهررن صرا  
وسوسا ذات الحماظ تلظى \* (محددة ووجهها ككفها)  
(يكفم كف غيلة إحدى يديه) \* بكلى القوس ينزع مسبطرا  
ولا يثنى براثن منه الا \* (ويديسط للوثوب على أخرى)  
(نعمتك فالتمس باليث غيرى) \* فلى بقيا عليك وأنت أدرى  
ومهرى قائل لك لا تخانى \* (طعما ما ان محى كان مرا)  
(ألم يبلغك ما فعلته كفى) \* الست ترى بها الاظفار حرا  
ألم تك طامعا اسلاه فتكى \* (بكاظمة فذاة قنات عمرا)  
(فلما خال ان النصح غش) \* وغرته الجراة فاستغرا  
ولجى على التهور فى نزال \* (وظائفى كفى قات هجررا)  
(مشى ومشيت من أسدين راما) \* مساورة فلاقى البحر بحرا  
ورجا الارض اذ يقبعا عليها \* (حرما كان اذ ظلماه وعرا)  
(سللت له الحسام فقلت أنى) \* اسات من الهجرة فبه نهررا  
ولم أمش الضراء له لانى \* (شقتت به لدى الظلماء فغرا)  
(وأطلقت المهند من يمينى) \* فواقته لغير المن أسرا  
بابريق هفا هفوا ان برق \* (فقدله من الاضلاع عشررا)  
(فخرمضرجا بدم كانى) \* بمهجه أفضت عليه ستررا  
وكسدت لول وجيته أرانى \* (هدمت به بناء مشهغرا)  
(بضربة فيصل تركته شفعا) \* وشقاه لقي بطنا وظهرا  
(وشيكما اتنى منها مشنى) \* (لدى وقبلها قد كان وترا)  
(وقأت له يعز على انى) \* أراك مهفرا شطرا فسطرا  
(واسقى المروة أن ترانى) \* (قنات مناسبي جلد او قهرا)  
(وايكن رمث أحرالم برمه) \* أبى لا يبيع النفس خسررا  
ولم يك سامنى بالنصح خسفا \* (سواك فلم أطق ياليت صبرا)  
(تصاؤل أن تعلمنى فرارا) \* فهل علمت نفسك أن تقرا  
وتنفض مذرويك لفعل عزمى \* (أهراييك قد حاولت نكرا)  
(أنت تروم للاشمال قونا) \* طالبت به الدماء ورعت سفررا

ولاكنى أقيدها بها وأحى \* (وأطلب لابنة البكري مهرا)  
 (فلاتعد فقد لاقيت حرا) \* يرى ويقرآن أباغت - نذرا  
 وعن كرم برزت الى كريم \* (يحاذر أن يعاب فت حرا)  
 ولا أسف على عمر تقضى \* أفادك منه حسن الذكرحمرا

\* وأما معادن الحجاز فإنه يوجد به المرمر الزفير ويوجد قريبا من المدينة المنورة على  
 صاحبها أفضل الصلاة والسلام حجر البور المشابه للاماس ويوجد أيضا الذهب وكان  
 مستخرجا ثم دثر ولا يوجد وجود الفحم الحجري وكذلك غيره من المعادن المحتاجة للبحث  
 عنها \* وأما مدن الحجاز فاصل قاعدته وقاعدته عموم الاسلام هي المدينة المنورة وكانت  
 مدة اقامة الخلافة بها تسعت وكبرت وكذلك بعد ذلك في العصور الاولى من الاسلام  
 وان حدث فيها الحراب البكلى والجللاء العام مدة يزيد ثم دون ذلك مدة القرانطة ثم  
 تراجع عمراتها الى التو ثم عادت الى ما هي عليه الآن مما ذكرناه في صفتها وقاعدة  
 الحكومة الحجازية الآن هي مكة المشرفة وقد مر ذكر صفتها ومن اعتبر ما جرى عليه  
 الحال في ظهور الاسلام يرى ان عناية الله بالمدينة عظيمة وقد جعلها مظهرا للدين  
 القويم وانتصار الرسول الامين عليه الصلاة والسلام وكانت مكة تابعة في الحكم للمدينة  
 حتى بعد فتح مكة وقد خالج الانصار عند الفتح انتقال النبي صلى الله عليه وسلم الى بلده  
 الاصلى فاعلمهم بان لا يفارقهم واستقر هو ومن بعده من الخلفاء الراشدين بالمدينة الى  
 خلافة سيدنا علي فكان صدرها بالمدينة وآثرها بالكوفة ومع ذلك فقاعدة حكم الحجاز  
 هي المدينة وذلك هو الموافق لمخالفة السياسة لتوغل المدينة من القارة واذا كان الحاكم  
 في مكان تمهدت سائر السبل اليه وعلى تقدير حدوث بعض العوائق في الطرق يزال عن  
 عمل وتنفيذ الاحكام في الاطراف لاستقرار القوة في الوسط وايست مكة المشرفة على ذلك  
 النمط وقد تغير الحال مرارا مدة الاسلام في قاعدة الحكم بالحجاز فكان الامر على ما ذكرناه  
 من كون المدينة هي القاعدة ثم انفردت مكة بحكمها وبقية المدينة مستقلة ثم صارت  
 الاحوال تتقلب فتارة تكون مكة تابعة وتارة متبوعة وتارة يستقل كل منهما بحكم  
 ولو بعد استقرار الدولة العثمانية والذي عليه العمل الآن هو ان مكة هي القاعدة  
 والمدينة كما يرجع في امره الى حكومة مكة وأما بقية المدن بالحجاز فليست بموجودة  
 وانما الوجود عبارة عن قرى مثل الطائف وهي أكبرها والصفراء والجديدة وحده ورابع  
 وخيبر وقد غلط كثير من الجغرافيين حتى من المسلمين في ذكرهم لسكان هاته البلدة

وكونهم يمدوا غترار اجسا كن في اصاهم وقلة عمسا وقع في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه من جلاء جميع الاديان الا الاسلام عن خزيرة العرب مستند اللنص من الشارع في كونه لا يجتمع بهاديينان ومن ذلك التاريخ لم يبق بها الا المسلمون وسكانها الا من ضعة القبائل مسلمون وهم تبع للحكم المدينة صورة وفي الحقيقة تحت حكم محمد بن رشيد النجدى اكبر حكام قبائل نجد بل هو الحاكم على جميع اواسط قارة خزيرة العرب وهو على مذهب الوهابى وله نفوذ تام وحكم عادل ذوهيية وسطو بحيث ان رقعة منه بيد حاملها تؤمنه في جميع الانحاء من اواسط القارة ويجلس في مجالس حكمه ويحضر القاضى ومعه احد العلماء بصفة المفتى ويقف حوله اصحاب الخيل من اعوانه ليرسلهم في الخوضات فاذا دخل المشتكى اتى دعواه على القاضى ويجيب عنه بما يظهر له ويحكم القاضى بما يراه فيستشير الامير ذلك العالم الحاضر هل ان حكم القاضى موافق للشرع ام لا فان وافقه فهم اوالا تباعها وما يرمى عليه ينقذه الامير حالاً واما التوازن المتعاقبة بالادارة وحفظ الامن فيحكم فيها بالاجتهاد مراعيها فيها الانصاف والعادل بما لا يخرجها عن السياسة الشرعية مع الصرامة التامة في التنفيذ حتى انه قيل انه انا هو ما رجل وهو في بحاسه الحكى واخبره بأنه وجد عدلا بعير ما فى الطريق وهو يملو بالمر ولا يعلم صاحبه فأخبره به الحكى يرافه محله فساله الامير من اين علمت انه رمل فقال له انى مسسته فقال له كيف مسسته وبأى يد فقال له مسسته ييدى هاته وأشار باحدى يديه فما كان من الامير الا ان جرد سيفه وقطعه او قال له ما كان ينبغي لك ان تسه حتى تعلم ما فيه واى فائدة لك في ذلك لولا نيتك الخيانة اذ لو وجدته شيئاً مما كنت اخبرت عنه ومن علم حالات القوم وطباعهم في هاته الازمان يرى ان ذلك الحكم الصارم مطابق لما يقتضيه الحال اذ لم تأمن ولا يته ولم تستقر بها الراحة والهناء الا بمثل ذلك الحكم واذا امر احداً بأمر ولم ينفذه ولم يتحمله قبيحاته على تنفيذه فانه يصدر في الحال او امره الى القبائل التى يمدىها الى جهة الامور بحضور فرسانهم فى وقت معين ثم يركب هو وفرسان جيشه وما مر بقبيحة من الامور ين المشار اليهم الا انضموا اليه الى ان يعظم جيشه فيحصل الى الامور وقبيحاته وياخذهم اخذة رابية ويملك ارضاقهم ان كان معه من المعسكر وبمثل ذلك نفذ امره وعلاصيته وخضعت القبائل اليه مع كونه جوادا وفيها بالهدى على المهمة على شجوة كرام العرب وهاته البلدان المار ذكرها اعابها به حصن أو بقربه حصن لاقامة العساكر للحماظة على الاون غير ان اغلب الحصون صارت خرابا

\* للاهمال وليس به حامية وأما مراسى الحجاز فأعظمها مرسى جدة ثم ينبع البحر  
 وهاته هي أقرب المراسى الى المدينة المنورة بحيث يصلها البريد في يوم وتباعها القوافل  
 في ثلاثة ثم بقية المراسى على قلتها ليس لها أهمية غير ان الموجود منها كلها هي مراسى  
 أمينة لا... فمن لما خلقها الله عليه من احاطة الصخور العظيمة حول المحوض الذي  
 ترسى به السفن بحيث يصح ان يقال ان الذين انتخبوا تلك البقاع بها بلادا بالمراسى  
 هم من حذاق أهل التدبير واتساع المعارف بالصناعة البحرية فقد مشاهدت كلا من  
 مرسى جدة وينبع وحوض كاتيهما يسع مئين من السفن الضخامة في أمن تام ولو عند  
 تلاطم الامواج التي كالجبال واغلب الحوريين لا يدخلونها الا بدليل من بخرية أهالي  
 تلك المراسى وقد مشاهدت الخريطة البحرية التي في البصرة التي سافرت فيها  
 الى جدة معلما على جميع الحجارة المستورة بالبحر حوالي شاطئ البحر الا جرح مع بيان  
 حجمها و مركزها وهي من صنع الانكليزيين فساأتهم هل لهم خريطة مصرية أو عثمانية  
 فأجابوا بأن تلك الخريطة هي المولاهم اعند جميع الأمم ولو العثمانيين الذين يعد البحر  
 الاجر بحيرة في ملكتهم من جميع جهاته فحجبت وانذهلت من خرم قوم واهمال آخوين  
 وهي احدى علامات تأخرنا اذ صرنا لانعلم بلادنا وشواطئها الا بتعريف الاجانب لنا بها  
 \* وسبحان الفعال اسيريد وأما سكان الحجاز فهم كلهم عرب من ذل العرب الاقدمين  
 الاسكان البليدين المكرمين فأغلبهم من الوافدين من جميع الاقطار واكثرهم بمكة من  
 الهندو وأما في المدينة فأكثرهم من المغاربة وعدد جميع السكان في الحجاز يقرب  
 من نحو مليونين فالذين يهرون الارض ما بين مكة والمدينة هم قبيلة مزينة وتعرف  
 بالاحامدة ومنها الخدي عرف بقبيلة حرب وهم التجار ومنهم البغاة الذين يكثرون قطع الطرق  
 بين البلدتين المكرمين وهاته القبيلة وهي مزينة المعروفة بالاحامدة تنقسم الى تسعين  
 كبيرين اولها يسمى المسروح وهم سكان البرارى من مكة الى الصفره وثانيها يعرف  
 ببني سالم ومنهم فخذ حرب وهم سكان بقية الجهات وديانة الجميع هي الاسلام على مذاهب  
 شتى أغلبهم أهل سنة على المذهب الحنفي والشافعي وانبشرفهم من النعمان الدينية بكثرة  
 زوايا الشيخ السنوسى المنتشرة في جميع جهاتهم وقدم الكلام على مذهبهم عند الكلام  
 على جزيرة العرب في المقدمة وعلى حوادث تونس في فصل سفرى الى فرانس كما يوجد  
 المذهب الوهابى بقلة وان كثرت في جهات نجد الخارجة عن حكم الحجاز وأما تقاسيم الاهالى  
 بالنظر للحكم فان كل قبيلة لها مشايخ منها يرجع الجميع الى امير مكة السيد اشرف

﴿ تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس أوله فصل في تاريخ الحج المجاز ﴾

بجهد من أسبغ نعمة على العباد والصلاة والسلام على بدر الهدى وعلى آله نجوم  
الرشاد قد تم طبع الجزء الرابع من صفة الاعتبار على يد مصححه مصطفى  
محمد شيشة المفتقر إلى رحمة الكريم الغفار مصححا كبرام حاويا  
من الفوائد ما يتم به المرام وذلك بالمطبعة الاعلامية التي  
هي عن التعريف غنية ووافق طبعه يوم الاثنين  
المبارك وهو التاسع من شهر جمادى الاخرى  
الذى هو من شهر سنة ثلاث وثلاث  
مائة وألف من هجرة من خالق  
على أكل وصف وعلى  
الله على سيدنا محمد  
وعلى آله  
ومحبه  
وسلم

مخيفة	
٢	الباب الخامس في قطر الجزائر
٢	الفصل الاول في سفر المؤلف اليه
٣	نزوله الى البرودخوله بالدعنايه
٣	كيفية حماماتها وما اشتملت عليه
٤	الجماع الذي صلى به المؤلف وذكره مسألة المسح على الخفين
٤	أحسن ما في البلاد وهو سوق الخضر
٥	قصده الى تونس في سنة ١٢٩٥ من سفره الى قرانسا
٥	مروره في الاياب على مدينة الجزائر
٥	هيئة الجموع والحصون بها قه البلدة
٥	سفره الى عنساية ومروره ببادداس وغيرها
٦	الفصل الثاني في التعرف بالجزائر وأهلها وجملة جغرافيتها وحيواناتها ونباتاتها وغير ذلك
٧	الفصل الثالث في اجمال تاريخ الجزائر ومطالب تاريخها القديم
٨	مطلب في تاريخ الجزائر الجديد
٨	سبب اسقيلاء الفرانسيس عليها
٨	انتصار حسين باشا العتيه في الاحماح على قنسل فرانس
٩	رضاء فرانس بان يكاف الباشا أي انسان كان في باريس بطاب الترضية
١٠	مبدأ اسقيلاء فرانس على الجزائر
١٠	اجماع الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة سيدي الحاج عبدالقادر بن محي الدين الحسيني
١٠	اتحاد سلطان المغرب مع الفرانسيس على محاربة الامبراطور اليه
١١	مطلب في كيفية اجراء السياسة الداخلية في الجزائر
١١	كيفية انتخاب الدولة للحاكم العام من أهل المناصب العالية من الفرانسيس
١٣	معاملة الحكام للاهلالي وسبب توغل الامبراطور في دواخل الجزائر منفردا

## عن المحامية

- ١٣ وفاة الاهالى بالعهد عند انكسار الافرانسوس وتحريرك الدسائس فى اهل الى الجزائر
- ١٤ مطالب فى السياسة الخارجية للجزائر
- ١٤ الفصل الرابع فى بعض صفات الاهالى وعوائلهم
- ١٥ حكاية عجيبه وقعت للمؤلف فى القابور وهو مسافر الى عنابة
- ١٥ تغير اخلاق بعض الاهالى
- ١٦ ذكر المشايخ الاخيار الذين رآهم المؤلف بالجزائر
- ١٧ مطالب فى التجارة بالجزائر
- ١٧ مطالب فى الاحكام بالجزائر
- ١٨ حكام القبائل وهم القواد والاعوان والقضاة
- ١٩ مطالب فى المعارف بالجزائر
- ٢٠ مطالب فى الصنائع وغيرها بالجزائر
- ٢١ الباب السادس فى انكلا تيرة
- ٢١ الفصل الاول فى سفر المؤلف اليها
- ٢١ وصوله الى بلاد كلى التى هى مرسى على اضيقت خليج بحر المانش
- ٢١ ذكر بانة عجيبه الشكل نزل بها المؤلف
- ٢٢ ذكر الرتل وسرعة سيره
- ٢٣ وصوله الى المحطة ومقابله مع احد ابناء الشام وما اقامه فى لندره وسهره منها
- لبعض بلدانها
- ٢٣ - ذكر ابنية بلاد برين
- ٢٣ ذكر القصر الذى بناه الملك ويلم الثالث
- ٢٣ محل معرض انواع السمك فى احواض من الزجاج
- ٢٣ ذكر كفة على البحر طولها نحو نصف ميل
- ٢٤ الفصل الثامن فى صفة لندره
- ٢٥ ذكر بنا آتها
- ٢٦ ذكر قصر الزجاج وهو اول معرض عام احدث فى اوروبابه بحجائب حديدية ترصد اعيان



- ٢٦ ذكر الاماكن الشهيرة في لندره وأبنيتها الضخمة وغرائبها التي انفردت بها
- ٢٩ الفصل الثالث في وصف انكلا تيره وجغرافيتها
- ٢٩ بيان أنهرها
- ٣٠ ذكر بحيراتها
- ٣٠ ذكر هوائها
- ٣٠ ذكر نباتاتها
- ٣٠ ذكر معادنها
- ٣٠ ذكر حيواناتها
- ٣١ ذكر مدننها
- ٣١ ذكر مرامى هذه المملكة
- ٣١ ذكر تقاسيم هذه المملكة
- ٣١ بيان عدد أهل هذه المملكة وديانتهم وخصيبتهم وصفاتهم
- ٣٢ ذكر مستعمراتها وتقاسيمها
- ٣٢ الفصل الرابع في احوال تاريخ انكلا تيره ومطلب تاريخها القديم
- ٣٣ الكهان والرومان وما وقع بينهم
- ٣٤ تباين الرومانيين انكلا تيره لاهاهم ارفع جيوشهم عنها
- ٣٤ تقسيم انكلا تيره الى سبع ولايات باسماء اعيانهم
- ٣٥ زوال استقلال الولايات وتلك اغبرت ملك واسكديس لانكلا تيره
- ٣٥ تلك الشايستان حفيد اغبرت وما وقع بينه وبين المدغرك
- ٣٥ ارغرتو وقواته البحرية التي بلغت الى درجة لم تمهد لهم
- ٣٦ مطلب في تاريخ انكلا تيره الجديد ومدى اول حرية في اوروبيا
- ٣٦ الملك يوحنا وما جرى بينه وبين اعيان أهل المملكة
- ٣٧ قولبة يوحنا اذ وارد الاول الملقب بذي الساقين
- ٣٧ قولبة ابنه اذ وارد الثالث
- ٣٧ قولبة اذ وارد الثالث وظهور مذهب البرتيسمانات الذي نشأ في مدته
- ٣٨ ذكر بقية الملوك التي استولت على انكلا تيره

- ٣٩ تشكيل لجنة الهند وتوايتم الملك اسكو نسيا  
 ٤٠ توليه ايمه جس المنقب بيكارلوس الثاني  
 ٤١ توليه أخيه جس وزيادة لارتباطه من ايثاره لالذهب السكاتوايكي  
 ٤١ استدعاء الالهالى أحد امراء هولانده وتنقيحهم له بويلم الثالث  
 ٤١ توليه الملايكة يوحنا بعده  
 ٤١ استدعاء الالهالى لاحد قرابة العائلة ولوله بوه جورج الاول  
 ٤١ توليه جورج الثاني وما جرى في مدته من الحروب  
 ٤١ توليه جورج الثالث واستقلال الدول المتحدة في مدته  
 ٤٣ توليه جورج الرابع الذى حصل العدر في مدته على اسطول الدولة العثمانية من  
 اسطول انكلا تيره  
 ٤٣ توليه ويلم الرابع بطريق الوراثة وزيادة قانون في ايامه تحدينا  
 ٤٤ مطالب في السياسة الداخلية بانكلا تيره وبيان تركيب السلطة فيه سامن الملك  
 والاعيان ووقلاء الامة  
 ٤٧ مبحث ادارة لولايات  
 ٤٨ كيفية ادارة مدينة لندر  
 ٤٨ الاحكام الشخصية وادارتها المخصوصة  
 ٤٩ مبحث ادارة مستعمرات الانكلايز  
 ٥٣ مطالب في السياسة الخارجية للانكلايز  
 ٥٦ مطالب في بعض عوائد الانكلايز وصفه اتهم وانقسامهم الى طبقات  
 ٥٧ انقياد الالهالى للاحكام  
 ٥٧ اختلاف عوائد الالهالى على اختلاف طبقاتهم وعرائب ما انفردوا به في العوائد  
 ٥٨ بيان الطبقة العلة في من الالهالى وانها شذوية جدا  
 ٦٠ بيان اخلاق الانكلايز على العموم  
 ٦١ مطالب في التجارة بانكلا تيره  
 ٦٢ مطالب في الاحكام بانكلا تيره  
 ٦٣ مطالب في المعارف بانكلا تيره

- ٦٣ بيان ما اختلفت به انكلا تيره من وجود جمعية ديانية للمشر من مذهبهم البريتس انى
- ٦٣ ذكر المطابع والمعامل للكتابس با انكلا تيره
- ٦٤ ذكر عدد المكتبات وان اعظاهما مكتبة لندرة الكبرى
- ٦٥ مطالب فى الصنائع فى انكلا تيره
- ٦٥ مطالب فى هيئة الساكن بها
- ٦٦ مطالب فى اللبس بها
- ٦٧ مطالب فى الاكل بها
- ٦٨ مطالب فى المواكب بها
- ٦٩ مطالب فى اللغة بها
- ٧٠ مطالب فى القوة البحرية والبحرية والسالية والتجارية بها
- ٧٠ الباب السابع فى جزيرة مالطة
- ٧٠ الفصل الاول فى سفر المؤلف اليها
- ٧٣ الفصل الثانى فى التعرف على الطة وجغرافيتها الطبيعية وعدد اهلها ووصفاتهم
- ٧٤ الفصل الثالث فى تاريخ مالطة ومطالب تاريخها لقديم
- ٧٥ مطالب فى تاريخ مالطة الجديد وسبب استيلاء الانكليز عليها
- ٧٥ مطالب فى سياسة مالطة الداخلية
- ٧٥ مطالب فى السياسة الخارجية لطة
- ٧٦ مطالب فى بقية عادات الماطيين واحوالهم
- ٧٧ الباب الثامن فى الاقطار المصرية
- ٧٧ الفصل الاول فى سفر المؤلف اليها
- ٧٧ محاوره لطيف وقعت للمؤلف مع ركاب الباخرة
- ٧٩ ذكره ارسى الاسكندرية بعد وصوله اليها
- ٨١ بيان هذه المدينة وما احتوت عليه من البهاث
- ٨٢ ذكر المنارة الشهيرة بها
- ٨٢ خزنة الكتب لبطليموس الارل وغيرها من الكتب وايضا لدعوى حرق المسلمين لكتبها

## صيفه

- ٨٢ بيان عدد أهلها ومجالاتها  
 ٨٢ ذكر المسلة الواقعة قرب محطة سكة الحديد وعمود السوارى بميدانة البصل  
 ٨٣ الفصل الثاني في صفة مصر القاهرة  
 ٨٣ ذكر أخطاط القاهرة  
 ٨٣ ذكر القلعة التي على شاطئ النيل  
 ٨٣ ذكر الجامع المبني بها وصفاته البهيبة  
 ٨٤ ذكر البئر العتيق المسمى بالنيل  
 ٨٤ ذكر طرق المدينة وحواضها  
 ٨٤ ذكر حديقة الأزليكية الأنيقة الجميلة  
 ٨٤ ذكر المقام الحسيني  
 ٨٥ ذكر مشهد سيدتنا زينب وبقيّة أهل البيت  
 ٨٥ ذكر الجامع الأزهر وكيفية بنيانه وما فيه من الدروس والتلامذة وغير ذلك  
 ٨٦ ذكر الأهرام التي بخارج القاهرة وما اشتملت عليه من العجايب  
 ٨٧ ذكر أفاضل مصر الذين زارهم المؤلف  
 ٨٨ ذكر تاريخ قدمها المؤلف للخديوي محمد توفيق باشا حين زيارته له  
 ٨٨ ذكر اختلاف أهل المشرق والمغرب في حساب التاريخ  
 ٨٩ الفصل الثالث في التعريف بمصر وجرانها  
 ٩٠ بيان المهور من مصر الأصلية  
 ٩٠ ذكر بلاد النوبة الداخلة في عمالة مصر  
 ٩٠ جبال عمالة مصر  
 ٩٠ الأنهار التي بها وأهلها النيل  
 ٩١ ذكر الترع التي أحدثت من النيل  
 ٩١ ذكر غرائب النيل وأنه يفيض في وقت معين  
 ٩٢ أسباب فيضان النيل  
 ٩٢ بقية الأنهر في عمالة مصر  
 ٩٣ مجربات مصر

- هـ
- ٩٣ ذكر هوا مصر على الهرم
- ٩٣ ذكر نباتاتها مع سودانها وجباله
- ٩٤ ذكر حيواناتها
- ٩٤ ذكر ما رآه المؤلف من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم مما يرى القاب ايماننا
- ٩٤ ذكر الطيور التي بها
- ٩٥ ذكر معادنها وان فيها أكثر انواع المعادن
- ٩٥ عدد مدن مصر وقراتها
- ٩٦ ذكر مرامى مصر
- ٩٦ ذكر تعداد اهلها
- ٩٦ ذكر صفة اهلها على الهرم
- ٩٧ الفصل الرابع في اجال تاريخ مصر وملحقاتها ومطلب تاريخها القديم
- ٩٨ ذكر من ملك مصر من الفراعنة وطبقات حائلاتهم
- ٩٩ ذكر فرعون سبزوسترس
- ٩٩ ذكر الخلاف في فرعون موسى وبين فوائده تاريخية وذكر مهمات في غلط المؤرخين في اعتمادهم على ما يدعون كتمه مقدسة واثبات التحريف اللفظي فيه ساقلا ونقلوا ان الديانة الاسلامية سالمة من جميع ذلك
- ١٠١ ذكر انشاق القمر ونبوته بالتواتر والاعتراض على بعض المؤلفين في اثباتهم كلامه في كتاب من غير نقد
- ١٠٥ ذكر فرعون الذي حارب ملك الشام الذي هو ابن سيدنا سليمان عليه السلام
- ١٠٥ ذكر فرعون سباقون
- ١٠٥ ذكر بابل وانه اراد وصل النيل بالبحر الاحمر
- ١٠٦ ذكر استيلاء بطليموس الاول
- ١٠٦ ذكر بطليموس الثالث وتوابعه علمها
- ١٠٦ ذكر المقوقس ونص الكتاب الذي بعثه اليه المصطفى عليه الصلاة والسلام
- ١٠٧ ذكر فتح مصر على يد سيدنا عمر بن العاص في خلافة سيدنا عمر
- ١٠٧ ذكر بقية الملحقات السودانية

- ١٠٧ ذكر شطوط النوبة الشرقية  
 ١٠٨ ذكر زباج وغيرهما من بقية جهات السودان  
 ١٠٩ ذكر جدول حكومات مصر  
 ١١٠ مطالب في تاريخ مصر الجديد واستيلاء الفرنسيين عليها  
 ١١٠ ذكر ولاية محمد علي باشا والعمل الذي أجره بمصر  
 ١١١ ذكر نزوله عن الولاية لابنه الأكبر إبراهيم باشا  
 ١١١ ذكر تولية عباس باشا ابن طوسون بن محمد علي باشا  
 ١١١ ذكر تولية سعيد باشا ابن محمد علي باشا  
 ١١١ ذكر تولية اسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا واعادته عصر التقدم والمعارف  
 ١١٣ ذكر مبدأ المخرج الوطني وزعيمه في الكلام عميد الله نديم  
 ١١٤ ذكر استيلاء الوزارة لمحمد وسامح واستيلاء وزارة الحرب امراي  
 ١١٥ ذكر حادثة عظيمة وقعت في اسكندرية بين المسلمين والنصارى  
 ١١٥ ذكر اطلاق النيران من الاسطول الانكليزي على الاسكندرية  
 ١١٦ ذكر استيلاء انكلادير على بورت سعيد وسائر خليج السويس  
 ١١٦ ذكر دخول العساكر الانكليزية الى القاهرة  
 ١١٧ مطالب في السياسة الداخلية المصرية  
 ١١٧ ذكر نص فرمان الصادر في ولاية الخديوي محمد توفيق باشا  
 ١١٩ ذكر ثورة السودان التي كانت ابتدأت أو خرمدة اسماعيل باشا  
 ١٢٠ ذكر رسوم المرخصين العثماني والانسكليزي  
 ١٢١ مطالب في السياسة الخارجية  
 ١٢٢ مطالب في بعض صفات وعوائد المصريين  
 ١٢٤ مطالب في الاحكام بمصر  
 ١٢٤ مطالب في التجارة بمصر  
 ١٢٦ مطالب في المعارف بمصر  
 ١٢٨ مطالب في هيئة المساكن بها  
 ١٣٠ مطالب في الاديان بها

صفحة

- ١٣١ مطلب في الاكل بها
- ١٣١ مطلب في المواكب بها
- ١٣٣ مطلب في اللغة بها
- ١٣٣ مطلب في الاحصائيات بها
- ١٣٤ الباب التاسع في المجاز وكتب السابغ فاطما
- ١٣٤ الفصل الاول في سفر المؤلف اليه
- ١٤١ الفصل الثاني في صفة البلدين المكرمين ومواكب الحج
- ١٤١ مطلب في صفة مكة المكرمة
- ١٤١ ذكر البيت الحرام والحجر الاسود وسائر المشاعر المباركة
- ١٤٤ مطلب في صفة المدينة المنورة
- ١٤٤ صفة الحرم النبوي ومجرة النبي صلى الله عليه في ايجاد الشباك المحبب باروضة الشريعة
- ١٤٧ مطلب في صفة موكب الحج الى قفول الحج الى زيارة النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام
- ١٥١ الفصل الثاني في التعريف بالمجاز وجغرافيته وسكانه وحيواناته ونباتاته وغير ذلك
- ١٥١ ذكر الجبال وذكر مجهزة باهرة من ظهر ورنار المجاز التي انذر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
- ١٥٤ ذكر قصيدة بشر التي شطرها الشيخ قباد والتونسي
- ١٥٦ ذكر معادن المجاز
- ١٥٦ ذكر المدن بالمجاز
- ١٥٨ ذكر مراسي المجاز
- ١٥٨ بيان سكان المجاز وجنسهم وعاطل البعض في سكان خيبر

﴿ تمت الفهرست ﴾

﴿ طبع باطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ ﴾

# الجزء الخامس

من كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

تأليف

الشيخ الجليل والعالم المحقق النبيل

السيد محمد يبرم الخامس التونسي

رحمة الله ونعمه

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة لابناء المؤلف

طبع في مطبعة المنتطف بصر سنة ١٣١١



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليماً

## فصل في تاريخ الحجاز

مطلب في تاريخه القديم

اعلم ان سكان الحجاز هم العرب فتاريخه هو تاريخهم نعم قد كان الحجاز معموراً قبلهم لكن ذلك العمران قد جهل تاريخه بالمرّة لتقدم العهد نقادماً كثيراً وغاية ما يعلم من حوادث ذلك التاريخ هو بعض جزئيات لها تعلق ببعض الاماكن المشرفة هناك مثل بيت الله الحرام فانها بُنيت منذ عهد سيدنا آدم ابي البشر عليه الصلاة والسلام وجُددت ايضاً قبل سيدنا ابراهيم ولكن الاخبار عن ذلك كادت ان تكون خلية عن التحقيق ثم انه لما تكوّنت امة العرب واستقرت في جزيرتها حدثت فيها حوادث تاريخية مهمة جداً غير انها في ذاتها ايضاً منقسمة الى اربعة اقسام باعتبار انقسام العرب في انفسهم لان العرب منذ نشأتهم الى الآن منقسمون الى اربع طبقات فالطبقة الاولى هي العرب البائدة والثانية العرب العاربة والثالثة العرب المستعربة والرابعة العرب المولدين او الخضرمين

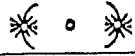
فاما الطبقة الاولى فهي التي كانت قبل سيدنا ابراهيم وانما سميت بائدة لابطادتها اي انقطاعها وانقطاع اخبارها وان كانت ذريتها لم تزل وهم بقية الطبقات وانقطاع اخبارها انما جاء من شدة طول العهد والامد فلم يعلم من احوالهم الا بعض حوادث قصها الله تعالى في القرآن المجيد مثل ما ذكر من احوال رسول الله سيدنا صالح الى قوم ثمود وكذلك قصة عاد مع رسولهم سيدنا هود والاشارة الى ما كان لهاته الامة

من القوة والعمران والثروة وشدة البأس الى غير ذلك من احوال انقراضهم والاعتبار بما كان لهم وبقية بعض آثاره في ديارهم واما غير ذلك من تفاصيل تاريخهم فلا يوجد منه الا قصص يذكرها بعض المفسرين او المؤرخين لا سند لهم فيها الا الاعجاب بقصص القصص مما لا ينبغي الاعتماد عليه اللهم الا ما اذا ورد شي من ذلك عن الصادق الامين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ينبغي ان يتلقى بالقبول ولعله لا يوجد من ذلك عدا ما في القرآن المجيد الا ما ندر مما روي بصحيح السند وهكذا ما يروي عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الصدد لانهم اذا صحت الرواية عنهم لا يقولون الا ما له ثبوت بأحدى الوجوه الموصلة وحاشاهم ان يذكروا خرافات القصص ولذلك كانت الاخبار عن تلك الطبقة من العرب في غاية الابهام وانما المحقق منها هو انهم كانوا امة عظيمة ذات نفوة وشهرة وعمرها الارض عمرا عظيما وحادوا عن جادة الصواب في عبادة الخالق بآثارهم اليهم الرسل في ازمان مختلفة يدعونهم الى الرشاد فعاندوا الى ان احاط بهم العقاب وطول الزمن الواقع ما بين اولئك الرسل الدال عليه سياق القرآن المجيد والدال عليه ايضا نسيان القوم لما كان اصاب سابقهم يدل على طول الزمن بين سيدنا نوح وبين سيدنا ابراهيم عليهم جميعا الصلاة والسلام زيادة على ما يزعم انه مذكور في التوراة باضعاف مضاعفة فان تكون الامة وكثرتها بعد الطوفان الى ان تبلغ الى ذلك المقدار من الكثرة والشدة وغير ذلك من الصفات لا بد له من زمن طويل كافي لتكوين ذلك العدد الوافر من رجل واحد ثم ان نسيانهم لمعجزة الطوفان وسبب نجاة جدهم يستدعي ايضا ذلك الطول ثم ان تعدد الرسل مع التعاقب اي ان كل واحد منهم في زمن بعد الآخر وكل واحد منهم يحل العقاب بين خالفوه فبعضهم اهلك بالريح وبعضهم اهلك بالصيحة الى غير ذلك يدل ايضا على شدة طول الزمن فيما بينهم حتى توسي خبر السابق وكل ذلك قبل سيدنا ابراهيم عليه السلام فلا بد ان تكون المدة بينه وبين سيدنا نوح طويلة جدا لا يعلم مقدارها الا الله تعالى ومجموع ذلك يدل على طول عمر الدنيا وانما غايتها انها حادثة وانها مآلها الى الفناء وهذا كله يبين لنا معنى قوله عليه الصلاة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعي الكريمتين الوسطى والسبابة وكذلك ما دل من الآيات والاحاديث على قرب الساعة فرب قائل يقول اين هذا القرب وهذا الاقتراب وقد مضى من زمن البعثة الى الآن ازيد من الف وثلاثمائة سنة ومع ذلك لم تظهر العلامات الكبرى كنزول سيدنا عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها الى غير ذلك فنقول له ان الامور نسبية فمن علم المقدار الكثير

من مدة الدنيا التي مضت وعلم ما بقي منها رأى ان الساعة قربت وانها مقترنة بالبعثة ولا يتأتى ذلك الا اذا كانت المدة الماضية طويلة طويلاً كثيراً كما هو الواقع والمشاهد من حالة الآثار الدالة على ان ما مضى يزيد على العشرات من آلاف السنين فنسبة الفين سنة او ثلاثة آلاف من تلك العشرات من الالف ما هي الا كنسبة المتلاصقين والمتقرب واما اذا اعتبر ما يزعمه اهل الكتاب من المدة وانها ستة آلاف مثلاً فلا يمكن الفهم الا على ضرب من التأويل الذي لا حاجة اليه لمخالفته للواقع ولتبين التحريف الثابت فيما يستند اليه اهل الكتاب الذي غرهم فيما ذكر فله الحمد على تنزيه شريعتنا المطهرة عن مثل الخرافات المخالفة للواقع

واما الطبقة الثانية من العرب وهي العرب العاربة فهي التي من زمن سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل ابني ابي العرب المعروفين الى عصر البعثة وهاتيه الطبقة اخبارها معروفة اجمالاً لاسيافرونها المتأخرة بما يستتج من اشعارها وقصائدها واخلاقها وان كانت تفاصيل الحوادث التاريخية غير معقدة لاسيما القرون الاولى لها والمتوسطة لعدم وجود تواريخ محررة في اخبار هاتيه الامم من العرب دونت قبل الاسلام وانما الذي يوجد في ذلك من التأليف انما هو بعد الاسلام عند ما حدث تدوين الكتب في الامة الاسلامية وذلك من القرن الثالث من الهجرة فيوجد في التواريخ الاسلامية اخبار كثيرة عن هاتيه الطبقة وكثير منها تلوح عليه سمات الصحة لما يؤيده من الاشعار في الوقائع وحوادثها واثباتنا على جميع ذلك في هذه الخلاصة مغاير لمقصودنا لانه لا يكون الا زيادة نسخة من احدي التواريخ المشتهرة في ذلك مثل تاريخ المسعودي او تاريخ ابن خلدون او غيرها من التواريخ الكثيرة وانما الذي يليق بنا ذكره هو ان نقول ان هاتيه الامة قد انتشأت فيها دول عظيمة وممالك واسعة وكانت في أغلب الاوقات منقسمة الى ثلاثة اقسام جنوبي وشبالي ووسط

فاما القسم الجنوبي فهو اليمن وحدثت فيه دول عظيمة مستقلة بنفسها في أغلب الاوقات ولكنها لم تتسلط على غيرها من الامم الا نادراً نعم قد يتسلط عليها غيرها احياناً فتارة تكون تابعة للملك الفارسي رهو الاكثر وتارة تتبع دولة الحبش او دولة اليونان او الرومان او المصريين وفي كل الاحوال الاغلب ان يكون حكامها منها وان كانوا تابعين لغيرهم ممن ذكرناه ونشأ فيهم تمدناً حميلاً كما تدل عليه الآثار التي حول المدن القديمة مثل صنعاء وغيرها وصار في اليمن رجبال ذوي فطنة وفكر وقاد وتأهل للكمال كما يرشد اليه الحديث الشريف القائل الايمان يمان والحكمة يمانية او كما قال عليه الصلاة والسلام



واما القسم الشمالي فهو مملكة غسان اي الجهة الموالية للشام والعراق فهاتين كثيرًا ما حدثت بها دول مستقلة ذات شأن لكنها لم تبلغ مقام دول اليمن وفي أكثر الاحوال تكون هاتين المملكة تابعة لصاحب ملك الشام كالرومان وغيرهم وفي أكثر الاحوال ايضًا تكون رؤسائهم منهم وان كانوا تابعين لغيرهم

واما القسم الثالث وهو الوسط الشامل للحجاز ونجد وتهامة فالحجاز منه في أغلب الاوقات ان لم نقل في كلها كان منفردًا

واما غيره فيكون تارة تابعًا للجنوب وتارة للشمال وتارة ينفرد بنفسه مثل الحجاز والحجاز الذي هو بيت القصيد مع كونه كان منفردًا عن الخضوع لغيره الا ان يكون خضوعًا اسميًا بمعنى الادلاء بالبيعة لبعض ملوك اليمن العظمي الملك فانه في نفسه لم تكن به دولة ملكية قط وانما جميع السكان منقسمون الى قبائل كل قبيلة خاضعة الى رؤسائها فقط ولا سلطة لواحدة على أخرى الا ما يكون على طريق الظلم والعدوان وقد انفردت قبيلة قريش من بين سائر قبائل العرب بالمجد والفضل لما لها من المزية باختصاصها بالسكنى حول بيت الله الحرام الذي لم يزل معظمًا عند الجميع منذ بناء سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل ابو العرب وكانت سائر القبائل العربية تحججه من جميع الآفاق اليمن والشام وغيرها وتعظم اهله وتكرمهم واختص بهزيد الشنوف على قريش بنو هاشم منهم فكانوا هم سدنة البيت وهم حماة وقد تفرقت في قبائل العرب أكثر شيم المكرم لاسيما قريش فكانوا ابعد الخلق عن تحمل الضيم وكانوا احرص الناس على حفظ المجد وحماية النسب فيحفظون انسابهم ويتفاخرون بها ويكرمون الضيف ويتنافسون في البذل والكرم ويحمون الجوار ويوفون بالعهد ولم اليد البيضاء في الشجاعة والرماية والفروسية والاعتماد بتربية الخيل الجياد والابل ويتفاخرون بالعدل ويستقيمون الظلم وان افتخروا به في قهرهم به لاعادائهم والحاصل انهم اقتنوا أكثر سمات الفضائل ومكارم الاخلاق حسب ما يرشد الى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ويؤكد ذلك حلف الفضول الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما احب أن لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت الخ وذلك ان قريشًا تحالفوا على ان لا يجردوا مظلومًا الا انتصروا اليه حتى يردوا ظلامته ويأخذون حق الضعيف من القوي ولتنافسهم في سمات الكمال حدثت بين القبائل المشاحنات على استحصالها وتمكنت العداوة بينهم وصاروا على قلوب شتى

وكان اعظم همهم وغاية تفاخرهم هو البلاغة في لغتهم التي بها يعبرون عن خصال فضائلهم ومناط تنافسهم حتى صاروا يعتقدون لذلك اسواقاً كسوق عكاظ فيفيضون اليه من كل فج عميق وتأتي القبائل بما لديها من البضائع والتجارة ويقع بينهم تعارف ورواج في المتجر ولكن موضوع اصل الاجتماع هو عرض كل قبيلة كلام فحول فصاحتها من نثر ونظم فننصب لاصحاب البلاغة واللسان الطلق المناير وينشد كل منهم ما لديه من القصائد التي كان تأنق في احضارها حتى ربما بلغ الحال بأحدهم ان لا يظهر قصيدته الا بعد التروي والتدبر فيها واصلاحها مدة العام والعامين حتى كانت لم قصائد تسمى بالحوالية وقد يكون الانشاد ارتجالاً مع الابداع والاغراب من مصاقعهم في اغراض شتى من نضاح وحكم وصفة مكارم الاخلاق او في الشجاعة والبطش والحروب او في الغزل والنسيب او المناخرة والمدح والذم الى غير ذلك مما اشتهر امره في الآفاق بين سائر الامم الى الآن ولا زال يضرب به المثل فيما كان للعرب من سعة اللغة وكمال الادراك فيما خاضوا فيه من مناهج الكلام وكانت لم حکام مسلم البهيم الانصاف ومعترف لم بكمال الخبرة والاحاطة بأساليب البلاغة وجزالة المعنى ودقة المدرك فيمكنون بتفضيل بعض الكلام على بعض وربما بلغ الحال من العناية بالكلام البليغ ان يكتب في صحائف موقفة ويعلق في داخل الكعبة التي هي مناط تعظيم قديماً وحديثاً ولو في الجاهلية دلالة على ان ذلك الكلام قد بلغ الغاية القصوى في المبهع الذي هو بصدده لما احنوى عليه من النصاحة ومن ذلك المعلقات السبع الشهيرة غير انهم مع هاتيك الكلمات قد تناسوا دين آباؤهم ابراهيم واسماعيل عليهم السلام ولم يبق فيهم من آثاره الا اعتقاد الخالق والاعتراف له بالوجود كما يرشد اليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وكذلك تعظيمهم للبيت الحرام ثم تفرقوا في بقية العقائد على النحاء شتى باطلة من وثنية ومجوسية ودهرية وكتابية اي متنصرين او متهودين مستغرقين في الضلال الذي عم جميع اطراف الارض في ذلك العصر بحيث لم يكن بها من يعبد الله على حق الا عدد من افراد مخصوصين \* وبينما كان اهل الارض في ذلك الظلام الحالك واذا بنور الله قد سطع وكشف عن البصائر الحجب ببعثه رسول الله سيدنا ومولانا محمد صفة بني هاشم سادة العرب فانقلب الكون حينئذ الى طور آخر في سائر الاحوال المتعلقة بالدين والدنيا وظهر في العالم عصر جديد عم اعنداله واستقامته اغلب المعمور من الارض في سنين قليلة والكلام على تفاصيل زمن البعثة وما سبقه وما لحقه من مكملات

دعائم الدين الاسلامي قد بسط ووقر في مجلدات عظيمة من كتب السير والتاريخ لا تمكن الاحاطة بها هنا وشهرتها غنية عن البيان وانما الذي ينبغي التنبيه عليه هنا لمن لم يكن خبيراً هو ان تاريخ ذلك العصر اعني عصر البعثة وعصر الخلفاء الراشدين يلزم فيه من القيود ما لا يلزم في غيره من التواريخ وهو صحة السند واتصاله بحيث يصح ان يكون معتمداً لانباء الاحكام الشرعية عليه ~~لان~~ لان جميع حركات وسكنات رسول الله صلى الله عليه وسلم تشير بعمدة الامة الا ما قام الدليل على اختصاصه به عليه الصلاة والسلام وهكذا اعمال خلفائه الراشدين من بعده ومن المقرر في كتب الاصول ان الادلة الشرعية لا تثبت بمجرد النقل بل لا بد ان يكون النقل على الوجه المعتبر وهو روايته اي الدليل بالتواتر او الشهرة او الافراد على ما هو مبسوط في كل منها وبهذا يتبين غلط من يزعم ان الامام ابا حنيفة رضي الله عنه كان غير عالم بالسير الذي هو تاريخ سيرة رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وكذلك سيرة خلفائه الراشدين من بعدهم وهم سيدنا ابو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهم لان كل ذلك يتوقف عليه كثير من مسائل الاجتهاد كعرفة الناسخ والمنسوخ من الاقوال والافعال وكذلك نفس الادلة التي يستند اليها المجتهد فنتمشدد بحكايات عن ابي يوسف او محمد بن سلمة امامهم ابو حنيفة رضي الله عنهم اجمعين ليس هو الا جهول بمقام الاجتهاد وبمعاني الكلام وارتباط العلوم بعضها ولا غرابة حينئذ في فحش غلط وكذب مؤرخي غير المسلمين فيما ينسبون بهتانا الى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بعض سيره وصفاته لانهم يظنون ان تاريخ ذلك العصر خصوصاً ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم هو مثل سائر التواريخ التي تتوقف على مجرد الرواية مع عدم المانع العقلي وقد عرفت ان الامر عندنا ليس كذلك بل هو مشروط بما ذكرناه فلا يغتر مسلم بما يذكره الافرنج الآن في تواريخهم في هذا الموضوع ونبيه على الخصوص ابناء اوطاننا المجيبين بأحوال الافرنج على الاطلاق لانكباهم على تعاملهم وعدم فتح بصائرهم في حقائق معارف المسلمين حتى جرم ذلك الى استحسان طريقة التاريخ عند الافرنج مطلقاً مع انها في نفس الامر ليست مطابقة للواقع في الموضوع الذي ذكرناه ثم ان هاتو الطبقة من العرب لما كتب الله لها ان تسود على الارض ويم حكمها فيها في الطول والعرض وأنجز لها وعده في اقرب مدة بحيث انها في خلافة سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه المتوفى سنة ٢٧ هجرية امتد حكمها من جبال

القوقاز الى المحيط الغربي جهة اسبانيا ومراكش وكان ذلك احدي معجزاته عليه الصلاة والسلام حيث قال ( وزويت لي الارض فأوربت مشارقها ومغاربها وسيلنغ ملك أمتي مقدار ما زوي لي منها ) فكان الامر كذلك ولم يتوغل ملك الامة في الجنوب وفي الشمال مثل ما توغل في المشرق والمغرب كما قاله حجة الاسلام الغزالي في الاحياء وسبب ذلك والله اعلم أن العمران في الارض كان في ذلك التاريخ غير معتبر في جهتي الجنوب والشمال وإنما مناخ الامم ومقام اغلب الخلق في جهتي المشرق والغرب وكان الوجه في الاتيان بلفظ المشارق والمغارب بصيغة الجمع هو الاشارة اما الى المشارق بالنسبة للعرض اي تعددها نظراً لاختلاف الفصول او بالنظر الى الطول اي مشارق اهل الارض فان كل جهة من الارض شرقها مسكون الى نهاية المحيط الشرقي بالنسبة لنصف الكرة الذي هو القسم المعمور والمعروف اذ ذلك وهكذا الغرب فيكون في الحديث على الوجه الثاني اشارة الى عدم تملك المسلمين في امريكا كما هو واقع بالفعل لانها ليست بمشرق ولا بمغرب لاحد سكان هذا القسم اعني القسم المشتمل على آسيا وافريقيا وأوروبا لان بعد قارة امريكا من هاتيه القارة جعل مشرق شطوط قارتانا ومغربها هو البحر فبسبب امتداد تلك هاتيه الطبقة الى ذلك الحد وانتقال القبائل الى تلك الاصقاع المفتوحة واختلاطهم بأهلها ورجوع تلك الامم ايضاً الى مركز الحكم وتحتوي وتحت الديانة ايضاً لانهم دخلوا فيها افواجا \* فبسبب ذلك كله حدثت الطبقة الثالثة من العرب وهي العرب المستعربة اي الذين تعربوا وان لم يكونوا في الاصل عرباً وامتدت هاتيه الطبقة الى نهاية دولة العرب في الصورة والمعنى اعني إلى حدود المائة الثالثة التي تقلص فيها ظل دولة جنسية العرب وان بقي فيهم الملك لكن عصبته وانصاره والقائمون به والذين امر الدولة في أيديهم حقيقة هم الاعجم من الترك والموالي الذين اتخذهم بنو العباس بطانة لهم فتغلبوا على الاطراف وعلى نفس الخليفة تارة مع شدة في الاستيلاء وتارة مع ضعف الى ان اندثر ملك الخلفاء بالمرّة بواقعة هلاكو خان علي بغداد التي بها انقرضت دولة بني العباس وان عادت اسماً بلا مسمى بعد مدة قليلة من السنين بظهور احد ذرية بني العباس في مصر وكرامهم له بالبيعة الصورية وتسميته بالخليفة ثم يحجرون عليه في قصره الرحيب بحيث لا يكون له من الامر شيء ويكتب كتاباً يشهد فيه على نفسه انه فوض الامر الى ذلك السلطان الذي ولاه وبقى متمماً في لذاته التي يتفضل بها عليه حسن ظن من سلاطين ذلك الزمان بمصر حتى اعتقدت العامة ان وجود الخليفة

موقوف على شرط النسب العباسي وحده فأزاحت هاتمة البدعة الدولة العثمانية عند استيلائها على مصر سنة ٩٢٢ هجرية بفتوى العلماء  
ومن تاريخ انحصار دولة العرب اي بني العباس في مملكة العراق وخروج الحجاز عنها غالباً الى بيعة من هو بمصر حدثت الطبقة الرابعة وهي العرب المخضرمون الذين هم سكان جزيرة العرب الى الآن فانهم وان كان أكثرهم قبائل عربية النسب اصالة لكن لغتهم قد خرجت عن اصلها وكذلك طبائعهم وعاداتهم لتقليد الامم المتغلبين على الدولة التي هي أكثر نفوذاً في ممالك الاسلام فبهم وان كانوا عرباً من جهة الانساب لكنهم غير عرب من جهة اللغة والطبائع وبعض الاختلاط في الانساب ولذلك اطلق عليهم اسم المخضرمين وقد آدانا الكلام على اجمال اوصاف الطبقات الاربعة من العرب الى التكلم عن شيء من حالة التاريخ الجديد للحجاز لكي ينسجم تعريف تلك الطبقات على وتيرة واحدة ثم نعود الآن الى ديدننا في التكلم على التاريخ فنقول ان انتهاء التاريخ القديم للعرب كان بظهور الاسلام



## فصل

### في التاريخ الجديد للحجاز

اعلم انه ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة العرب وسيد الامم قد حدث تاريخ جديد في سائر العالم لا في الحجاز فقط الذي هو مطلع نورو عليه الصلاة والسلام وذلك العموم رسالته صلى الله عليه وسلم فانه ولد عام الفيل الذي كانت تؤرخ به العرب وهو العام الذي قدم فيه ملك الحبشة للاستيلاء على مكة ومعه قبيلة للعرب فولي كبيرها على عساكرهم وانزمت الحبشة بدون حرب وكان ذلك من الارهاصات الدالة على البعثة وذلك العام قبل الهجرة بسنة ٥٣ وبوالتق ذلك سنة ٥٦٩ ميلادية وقد كان والد النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي قبيل ولادته فكفله جده عبد المطلب واراضته احواله بنو النجار في المدينة ثم نشأ صلى الله عليه وسلم على كمال الاخلاق واشرفها سجية فطر عليها من غير تعاليم ولا تأديب حتى انه كان امياً لا يقرأ ولا يكتب على ما هو الغالب في الامة اذ ذاك وكفله عمه ابو طالب بعد وفاة جده فلما استكملت شبوبته تعاطى التجارة

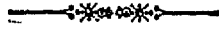


على وجه المضاربة وهي ان يكون المال لانسان والعمل على الآخر والمال الذي اتجر به كان خديجة بنت خويلد احد اعظم قريش واغنيائها فسافر الى الشام ورجع برمح فاق على نظاره ثم تزوج السيدة خديجة وقد رغبت فيه لعلو نسبه حيث كان صفوة بني المطلب وبني هاشم سادات العرب كما تقدم ولكمال حسبه لما رأت من جزيل الارباح في تجارته مع ما هو عليه من استجماع كافة مكارم الاخلاق ووفرة العقل والجلالة والمهابة حتى كانت قريش يدعونه الامين وينقادون لاشارته وامر به حتى انهم لما اختلفوا عند تجديدهم بناء الكعبة فبين الحجر الاسود وهم بالمسجد الحرام وتراضوا على تحكيم اول داخل فكان هو النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا جميعاً رضينا هو الامين ومن كمال تدبيره ارضى جميعهم في ذلك حيث اخذ ثوباً ووضع فيه الحجر الاسود ثم قال لهم لترفع كل طائفة من احدى جهاته فرفعوه جميعاً حتى اذا بلغوا به محله وضعه فيه هو عليه الصلاة والسلام وهكذا عرف بين الجمع بالصدق والوفاء والنزاهة عن كل نقيصة فلما بلغ الاربعين من عمره بعثه الله رسولاً بنزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم مع الملك واقام بعد ذلك بمكة ثلاثة عشر سنة يدعو فيها الناس للايمان بما انزل عليه من القرآن واقامة الدليل والبرهان واظهار المعجزات الخارقات للعادات من الاخبار بالمغيبيات الماضية كحوادث الامم الماضية مما اختلفت فيه اخبار اهل الكتاب فجاءهم فيه بما يوافق الحق والعقل وان خالف اقوالهم جميعاً وكذلك المغيبيات الحالية كالاخبار عن بيت المقدس وتوصيفها توصيف معين لما مع انه لم يرها قط الا في الاسراء الذي هو معجزة له عليه وآله الصلاة والسلام وكذلك المغيبيات المستقبلية كغلب الروم من الفرس وعود الكرة لم وانتصار المؤمنين وعزتهم وامتلاكهم مشارق الارض ومغاربها مما جاء كله على نحو ما قال وهكذا اجابة دعواته وغير ذلك من المعجزات واعظم بمعجزة انشقاق القمر التي بينا ثبوتها القطعي في الكلام على مصر وفوق ذلك كله معجزة القرآن الذي هو من جنس كلامهم ومن النوع الذي فيه مجال تفاخرهم واعنائهم فاذا هو يومياً يقصص عليهم القصص ويقيم البراهين على الايمان ويوعظ ويرغب ويرهب باساليب شتى ويدعوهم الى المعارضة باتيانهم بمله وينادي عليهم بالتعجيز مما يزيد في حماسهم في المعارضة ولم يتنوه واحد منهم بشيء حتى لجأوا الى انه سحر وغير ذلك من اعذار المعاندين العاجزين كقولهم انه تعالى نسطور الرومي مما رده عليهم القرآن الكريم حيث قال لسان الذي يلجدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين (الآية) فقد اخطأوا وافترأوا ولم يفقهوا ان مناط المعجزة هو اللسان

العربي وهو محل مناداتهم الى المعارضة وذلك لا يتأتى فيه قولهم لان لسان من زعموه عجمي وليس هو موضوع التمييز وهذا كافي في دحض اصل الدعوى من كون نسطور لم تكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم علاقة ولا مواصلة وغاية الامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد رآه اثنان من الرهبان قبل النبوة وآمنا به حتى عدم البعض من الصحابة على قول من يرى الصحبة ثبت بالرؤية مع الايمان ولو قبل البعثة وهذان الراهبان اولها يسبي بجزيرة او جرجيس رآه صلى الله عليه وسلم عند اول سفرة له صلى الله عليه وسلم مع عمه ابو طالب الى الشام وهو ابن اثني عشر سنة وكان الراهب في صومعة له يزل حولها الركبان فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ورأى بعض العلامات التي استدل عليه بها قرب من النبي صلى الله عليه وسلم وتفحص جسمه فرأى الخاتم وتعرف اخباره من رفقائه ثم تلمظ الى عمه حتى رجعه الى بلده خوفاً عليه من اليهود واخبر عمه ورفقائه بما يكون له من الشأن والامر (وثاني) الراهبين هو نسطور الراهب رآه ايضاً قبل البعثة وعند سفره للتجارة الى الشام ومعه ميسرة غلام خديجة زوجته فلما رآه من الصومعة ايضاً تعرف خبره من الرفقاء واخبرهم بما يكون له من الشأن ايضاً ولا يعلم ولا ينقل عن احد لا في الثقات ولا في الموضوعات انه اجتمع بنهرها في غير ذلك الموطنين الا ما روي بضعف من انه صلى الله عليه وسلم سافر وهو ابن عشرين سنة الى تجارة ايضاً بالشام وفي صحبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وان نسطور اجتمع به اذ ذاك ايضاً وحذره ورغبه في الرجوع عن الشام خوفاً عليه من الروم فارسل معه ابو بكر رضي الله عنه غلامه مصاحباً في الرجوع وهاتيه الرواية على ما فيها من الضعف ليس فيها شيء زائد عما في الروايتين السابقتين بالنسبة لامر الراهبين فيما لیت شعري من اين افترى بعض المتشدقين من الافرنج المدعين معرفة التواريخ بان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مودة مع ذلك الراهب وهو بجزيرة وينصح به بالنصائح وقد علمت بما مر سابقاً ما يشترط في حالة تواريخ ذلك العصر ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد امره الله بالهجرة الى المدينة التي قدر ان تكون هي مظهر اصلاح هذا العالم الارضي ونجاة اهله في الآخرة وكان اذ ذاك قد فشا خبر الاسلام والبعثة فتلغاه الانصار اهل المدينة بالبيعة والطاعة وانثالت عليه القبائل بالايان واستعد اذ ذاك لاجراء امر الله واحكامه على من عاندوا بعد اقامة البرهان والحجة وتمم ابعده وعدم لرسوله وللمؤمنين ففتحت مكة وآمنت في اثرها جميع قبائل جزيرة العرب ولم يزل الدين ينتشر الى ان عم البسيطة في نحو نصف قرن ثم ان تاريخ

الحجاز لما كان من ذلك الوقت هو تاريخ الامة الاسلامية الى انتقال الخلافة منه في خلافة سيدنا علي ثم عودها اليه في خلافة سيدنا الحسن رضي الله عنهم جميعاً ثم خروجها منه من ابتداء خلافة سيدنا معاوية والكلام على ذلك كله مبسوط في جميع التواريخ الاسلامية فلا ثمة في ذكرنا لازيد مما ذكرناه هنا طبقاً لقاعدتنا وانما نقول ان الخلافة لما انتقلت عن الحجاز صار على كل من مكة والمدينة والى مخصوص غير ان والى مكة قد تعين من وقت الفتح واول والى بها هو عتاب بن اسيد ولى سنة ثمان عند الفتح وولي ايضاً على اقامة الموسم والحج ثم ان بني امية كانوا لا يولون على المدينة الا اقرب الناس وآمنهم لديهم واستمر الامر على ذلك الى حدود سنة ٢٥١ التي استقلت فيها عائلة ساداتنا الاشراف بني الاخيرس وبقيت بايديهم الى ان غلب عليهم القرامطة سنة ثلاثماية وسبعة عشر وهؤلاء القرامطة قوم ظهروا باليمن مظهرين الاسلام والتمسك بالسنة وهم اشد كفرةً ونفاقاً من المنافقين فادخلوا في الدين الدسائس ووضعوا الاحاديث وفعولوا من المناكر ما له خبر مأثور حتى استولوا على مكة والمدينة وخرّبوا الكعبة وقلعوا الحجر الاسود من موضعه الى ان رجعت بعد ذلك عمال بني العباس الذين طهر الله بايديهم الحرمين من اولئك القرامطة ثم استقل بالحرمين ايضاً السادة الاشراف بنو سلمان بن داود بن الحسن المثنى وبقي الملك بايديهم الى سنة اربعمائة واثنين وخمسين فاستقل بملك الحجاز الهواشم الذين هم العائلة المستولية الى الآن من ساداتنا الاشراف واولهم سيدنا المولى الشريف ابو هاشم محمد العلوي المستولي في السنة المذكورة والمتوفي سنة ٤٨٧ وبقيت في بنيو الى الآن فانهم كانوا من ذلك التاريخ مستقلين بالامر والنهي والنصب والعزل وسائر الادارة الداخلية الا انهم يدلون بالبيعة ظاهراً الى الخلفاء العباسيين والسلطين الذين تغلبوا عليهم يفتادوا الى انقراض دولتهم فادلوا بالبيعة الى سلاطين مصر وانما كان الحال يخلف عندهم فتارة تنفرد مكة والمدينة بامير واحد منهم فتارة تستقل كل منها بامير الى ان فتح السلطان سليم الاول مصر واقام بها مدة فاستقبله في الطريق وهو راجع الى الاستانة الشريف المقدس ابو فمي ابن الشريف بركات فبايعة نيابة عن ابيه وقلده السلطان حالاً امارة الحجاز كله بمشاركة لاييه في حياته واستقلاله بعد مماته ولم نزل والله الحمد هاتيه العائلة الكريمة الشريفة هي الحاكمة على الحجاز الى الآن وذلك اعظم دليل على ثبوت نسبها لانها من عهد استقلالها الذي هو كبد القرن الخامس وتوفر حالة معرفة الانساب من الدولة العباسية التي لم نزل الى ذلك التاريخ لها صولة وشوكة خصوصاً فيما يعود لامر النسب الذي

يخشى منه حتى السلاطين المتغابن عليهم لانهم يخشون من خروج الخلافة الى غير العباسيين الذين هم من شيعتهم واخضعوا الناس باسمهم ان يتلاشي امرهم بتلاشي متبوعهم فلم يقرأ لهم بالنسب ويرضوهم بالسكوت عن الحجاز الا لما يعلمون من حقيقة نسبهم وثبوتهم عند الخاص والعام وهكذا بقيت هاتيه العائلة بارك الله لنا وللمسلمين فيها حاكمة على منبع البعثة أقر الله عيننا والمسلمين بوجودهم والقيام بسنة الحق لابائهم وجدودهم والامير الحالي هو مولانا الهمام الشهم عون الرفيق ابن مولانا المقدس المبرور سيدنا محمد بن عون صلوات الله وسلامه على جدكم رسولهم وعليهم وعلى جميع آلهم



### مطلب في السياسة الداخلية للحجاز

اعلم ان مدار الادارة كلها جليلها وحقيقتها كلياتها وجزئياتها قد كان سابقاً مناطقاً هو الامير السيد الشريف وكانت على حسب اصول المراسم الشرعية المتعارفة من قديم مثل تفويض الاحكام الشخصية الى القاضي والمفتي وانفراد الامير بالجلوس الى رفع المظالم واجراء بقية الادارة واستمر على ذلك بعد الخضوع للدولة العلية ايضاً قسمياً مديداً من الزمن حتى في امر القوة الحربية فقد كان للامير عساكر خاصون بامارتهم ليقم بهم ما تستدعيه القوة وقد بقي الى الآن شيء من ذلك حيث ان للامير نحو الحراس او العساكر الخاصة لا يبلغ عددهم المائتين وعند ما بدى للدولة العلية الاحتراس من امر الولاية مدة السلطان محمود الثاني في اواسط القرن الثالث عشر لكثرة مخالفة ولاية الاطراف على ما سيأتي بيانه في محله حصل ذلك التغيير ايضاً في الحجاز لكنه بأمر هين وهو جعل القوة العسكرية الكبرى خاصة بالدولة العلية بان ترسل هي من تحتها عساكر يقيمون هناك وتزيد قوتهم ونقلها على قدر الحاجة ورئيسهم من طرف الدولة ايضاً ليس بمزوم لامتنال امر الامير فيما يراه من معاقبة بعض القبائل بل هو على حسب ما يظهر له في الواقعة وعند مخالفتهم في الرأي للامير يخبران الدولة معاً لتأمر بما تراه وكذلك امر العاشر ابي الكرك في المراسم البحرية استبدت به الدولة وحدها بمأمرين ترسلهم من طرفها ونشأ عن ذلك في اول الامر قلاقل ومحاربات افضت الى ابدال الامير بغيره من فروع عائلته الكريمة ولم يزل يزداد تداخل الدولة في التصرفات الداخلية الى ان جعلت والياً على الحجاز من احد كبار رجال دولتها مثل بقية ولاياتها مع بقاء سيادة الامير على منصبه واعتبار نفوذ امره

على الاطلاق ولا يخفى ما في وجود أمرين على أمور واحد في زمن واحد من الاضطراب ونشأ ايضاً عن ذلك الاحتراس ان الدولة صارت تستدعي من بلي سيادة الامير في السن من عائلته ليبقى تحت السلطنة ويتخلق بأخلاق الدولة ويعتبر سياستها الداخلية والخارجية لانه هو ولي عهد الامير فاذا آلت له الولاية كان عالماً بأحوال الدولة التي هو خاضع لها وثقله الدولة مدة اقامته بتخت السلطنة رتبة الوزارة والمشيرية وتجعله عضواً بمجلس شورى الدولة الذي يرجع اليه غالب التدبير في اغلب مصالح الدولة الداخلية هكذا ظاهر الحال ونعم المسلك لو يكون هو الامير والوالي بحيث تتحدد له الدولة تصرفاته على نحو بقية ولايتها غير انه يفرد بكونه ممتازاً بعدم خروج الامارة عنه وعن عائلته وبكون الادارة في امارته تجري على طبق الشريعة المطهرة مع غايب الاحتراس عن البدع التي لا داعي لشيء منها هناك لكنهم اقتصروا على خصوص الفائدة في ابقاء ولي العهد بالتخت لأرب للدولة ربما احتاجت اليها مع سيادة الامير نسأل الله التوفيق

والجارى الآن هو ان يختص سيادة الامير بالامر والنهي والولاية والعزل في جميع قبائل الاعراب وكذلك الوظائف المتعلقة بالبيت الحرام من امامة وخطابة وغيرها الا انه ينهي الى الدولة ما يراه في كبارها لتصدر الاوامر السلطانية على حسب ما ينهيه وعلى نحو من ذلك الوظائف الدينية بخصوص مكة كالتفوى في المذاهب ونقابة الاشراف وما شاكلها واما القاضي فانه يرسل الى مكة قاضٍ الى المدينة المنورة قاضٍ من تحت السلطنة على نحو بقية ولاياتها وكذلك بقية الولايات العرفية كلها لتصرف فيها الدولة والحاصل ان الذي استقر عليه الحال الآن هو اخنصاص الامير بأمر قبائل الاعراب ما لم يستدع الحال محاربتهم وبعض الوظائف في خصوص مكة بما مرجعه الديانة كأتمة الصلاة في البيت الحرام من المذاهب الاربعة وهم وان كانوا اربعة الآن لكنهم لم يقع استقرارهم هكذا في زمن واحد بل كان الامر اولاً امام واحد شافعي ثم زيد ثانياً من المذهب الحنفي ثم آخر من الحنبلي ثم آخر من المالكي في ازمان متباعدة بحسب المناسبات في اتباع ذلك المذهب ونفوذهم لدى الدولة الحاكمة وهكذا الامر في ائمة المسجد النبوي على صاحبه اكل الصلاة والسلام وعلى آله فان الامام المالكي لم

ينصب الا في عشرة السبعين من القرن الثالث عشر

واما بقية مدن الحجاز التي هي المدينة المنورة وجدة فاما المدينة المنورة ففيها محافظ وهو كبير الساكر وشيخ الحرم النبوي على صاحبه اكل الصلاة والسلام وقاضٍ

وكلهم يأتون من تحت السلطنة وفيها مفت وأتماء وخطباء وامين الخزنة مع وظائف أخر صغيرة وهوؤلاء المتوظفون سيما اصحاب الادارة والحكم تابون لوالي الحجاز مع بعض امتياز لهم في مخاطبتهم للدولة رأماً

واما جدّة فمتوظفونما مثل متوظفي بقية مدن المملكة العثمانية ما عدا المجالس الحكيمية القانونية لان الاحكام سيأتي بيانها وانها على خلاف بقية الممالك العثمانية اذ لا مجالس عرفية بها فاجمال الحال ان الادارة السياسية مرجعها هو سيادة الامير مع الوالي اللذان يرجعان جميعاً الى ما تراه الدولة العثمانية

وكليات الادارة الآن هناك ليس فيها مكوس ولاضرائب ما عدا الكمرك على الواردات البحرية وبعض اعشار على النخيل في القبائل الخاضعة حقيقة وكل هؤلاء القبائل لا يدفون شيئاً الى الحكومة ولا الى الامير بل ان خضوعهم الذي ذكرناه الى سيادة الامير في الحقيقة هو ظاهري فقط وانما يختلف الحال فيها بحسب الزمان وشدة الطغيان في الاتقياد وعدمه وبعض الجهلة ينسبون ذلك الى ارادة بعض الامراء من العائلة الشريفة معللين ذلك لان بقاءهم في الامارة انما هو لاختضاعهم تلك القبائل فهم لا يريدون ان يكسروا شوكة القبائل بالمرّة حتى تجري فيهم الاحكام مثل غيرهم ويدخلون تحت قياد المذلة اذ ربما استغنت اذ ذاك الدولة عن الامراء الاشراف والحق ليس كذلك فان بعض هؤلاء الامراء قد اخضعوا جميع القبائل الى الاحكام حقيقة منذ عهد ليس بعيد زمن السلطان عبد المجيد وولاية المولى المقدس الامير الشريف عبدالله بن عون عند ما ساعدته الدولة وعملت برأيه وامدته بالعساكر مثل ما اراد والباعث الحقيقي على اهالهم هو عدم مساعدة الدولة للامراء على اخضاعهم متملاً رجالها في الظاهر باحترام هاتيك البقاع الكريمة ومراعاة مجاوريتها وسلطين آل عثمان احترامهم وتعظيمهم لشعائر الدين وتوقيره شنشنة معروفة قديماً وحديثاً ولذلك يوافقون على مثل تلك النصيحة على انها ربما كان باطنها غير ذلك وهو عدم استفادة اولئك الرجال من اتقياد تلك القبائل لانهم وان خضعوا حق الخضوع فلا مساخ لضرب شيء من الضرائب عليهم لا سرا ولا جهراً فتكون فائدة خضوعهم راجعة لسيادة الامير وحده من نفاذ احكامه واوامره فيها ليظهر اولئك الرجال النصيحة الى السلاطين على نحو ما قدمناه مع ان اخضاعهم واجب شرعاً لامن السبل وحفظ الحجاج من التعدي واقبال تلك القبائل على عمران اراضيهم لانهم الآن زيادة عن عدم دفعهم للدولة ولا للامير حتى اعشار ابلهم فهم يأخذون من الدولة

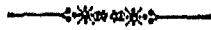
اموالاً في كل سنة بمجرد محافظتهم على امن السبل ولا يؤخذ منهم شيء من المال  
 قل او جل غير انه قد كان في اواسط القرن الثالث عشر رجل من قبيلة حرب يسمى  
 الشيخ سعد قد تقوى بدعائه على اتحاد جميع قبائله وعظمت شوكته بانقياد غيرهم من  
 القبائل ايضاً ولم يخضع الى الحكومة قط الا انه اذا اخذ المرتبات التي اشترى اليها امن  
 طريق الحاج الى المدينة وعند ما تسافر القوافل اليها يعد جمال كل قافلة ويأخذ على كل  
 جمل نصف ريال اي اثنين فرنك ونصف ضريبة منه على اصحاب الابل وبعد موته  
 وخضوع ابيه واقنياد القبائل نوعاً ما اقبلت تلك الضريبة على اصحاب الابل عند ما  
 يكترونها الى الحجاج وليس للدولة غير ما مر ذكره من انواع المداخل الآ انواع من  
 الضرائب الخفية أكثرها يستفيده افراد من المتوظفين لانهم مما يؤخذ على الحجاج  
 بأسماء سموها كضريبة على تنظيف بني في العيد من الضحايا وغيرها مما لا يصرخ منه  
 في الحقيقة الأ تزر يسير في الجهات التي يذكرون الصرف لاجلها وكل المصاريف اللازمة  
 لكل من الحرمين سواء كانت الوظائف الدينية او السيامية او شعائر المسجدين او اقامة  
 المواسم كلها تصرفه الدولة من خزانها وهو مقدار يناه نحو مليونين ونصف فرنك لان  
 الاقامة بخصوص شعائر المسجدين الشريفين مبالغ في اقامتها ولا اقول على حسب  
 الاستحقاق لان حقها لا يبلغ اليه ولو ببذل النفس والنيس . ومن المعلوم ان الشريعة  
 المطهرة كان منبعها تلك الاماكن المكرمة وقد اجريت فيها الشريعة حتى الاجراء واستقر  
 الامن في سائر جزيرة العرب وكانت القبائل تؤدي الى بيت المال الاسلامي ما اوجبه  
 الشرع على كل مسلم فكيف يغير ذلك الآن حتى يتجرؤوا على ابدال حرم الله بعد الامن  
 بالخيفة والاتيان بما يسود منه الوجه يوم القيامة وتثقل به في الذنوب الصعبة مع ان  
 حملها على الاستقامة امر سهل يسير

وما اجدر هاتيك الاماكن الشريفة بالمحافظة فيها على ادارة تحافظ على السنة  
 واعمال الخلفاء الراشدين الذي هو الامر الوحيد في جلب قلوب سائر المؤمنين الى الدولة  
 التي تجري ذلك فضلاً عن خصوص اهالي الحجاز ولا ريب ان ذلك يرسخ قدم الدولة  
 وتستغني عن الاحتراسات الناشئة عن الدسائس في رمي بعض ذوي الامر بمعاودة  
 بعض الدول الاجنبية لتطلب الخلافة او الاستقلال نسأل الله اصلاح الحال



### مطلب في السياسة الخارجية

اعلم ان الحجاز مرتاح ولله الحمد من امر السياسات الخارجية اذ ليس في دواخله ومدنه ما عدى جده ويتبع اجانب ولا يدخله الا المسلمون وليس لواحد الادعا بحماية احدى الدول الاجنبية وكل من دخل فهو خاضع لاحكام البلاد ولا ريب ان المسلمين يحجون في كل عام من جميع آفاق الارض وعلى الكثير منهم استيلاء الدول الاجنبية التي يبلغ عددها في هذا الوقت الى ثلاثة عشرة دولة منها القوي ومنها الضعيف ومنها المنصف ومنها المعتسف ومع ذلك كله ليس لهم ادنى تداخل او تكلم فيما يتعلق برعاياهم المسلمين هناك والله يديم ستره الجميل نعم ان جده يوجد بها قناصل كثيرين للدول الاجنبية الذين لهم عناية او علة بالمشرق ولم تجار افرنج في تلك المرسى وكذلك بعض الدول الاجنبية الذين ليس لهم هناك شيء يذكر تجدد كثير منهم قناصل يستولون تلك الوظيفة برغبة منهم للدولة الموظفة لمجرد الفخر لهم من غير داع ولا مرتب وعلى كل حال فسياسة اولئك القناصل متعلقة بالدولة العثمانية اما بواسطة واليها هناك او بواسطة سفرائهم في تحت السلطنة فالسياسة الخارجية حينئذ في خصوص جده تابعة لسياسة الدولة العثمانية التي سيأتي الكلام عليها في محله ان شاء الله تعالى



### مطلب في عوائد وصفات الاهالي

اعلم ان البلدين الاكرمين سكانها الآن اظلمهم من غير العرب الاصليين فان المدينة لا يوجد بها الا العائلة الشريفة حقيقة من العرب وقد كنت رأيت رجلاً واحداً من ذرية العباسيين فيما في ضريح عمهم سيدنا حمزة ولم يبق من الانصار هناك الا بقية عائلة واحدة وبقية سكانها كلهم من الآفاق واكثرهم مغاربة واما مكة فلا يوجد بها من العرب الحقيقيين الا عائلة السادة الاشراف وعائلة الشيبى والبقية كلهم من الآفاق واكثرهم هنود ولا يخفى ان العوائد والصفات تغلب على السكان باعتبار اصلهم غير انه لا بد ان تحدث فيهم تغيرات تناسب حالة السكان الاصليين فأخلاق هذين البلدين على الاجمال مناسبة لآخلاق العرب غير ان اهالي مكة تعتري اخلاقهم الهدنة بخلاف اهالي المدينة فانهم ليني الاخلاق كرام الطباع ويغلب على الجميع الحشمة والحياء وسلامهم بالمصالحه او الاشارة باليد ويقفون لكل داخل ولو تكرر دخوله واهالي المدينة اشد حرية في الطباع



وعدم المذلة والتمكن في اخلاق الرجولية والجلد فيكون الخليل ويسافرون الى الحج  
ركوباً على المهجين من غير تجرؤة. ومع ذلك الحثيث مع التمكن في معرفة الرماية والفروسية  
ولكل منهم سلاح مستوفر. واما المال في فلا يلتفتون اليها ولا وجود لها كما هو الواجب  
سما في تلك الاماكن نعم قد وجد من بعض الوافدين تساهل وتجري على استعمال الخمر  
وآلات السماع سريراً وكاد ان يكون من بعضهم جهورياً سيما من بعض اجلاف العساكر  
او المتوظفين الذين لا يخافون الله ومن المعلوم ان الفساد ملائم لطباع البشر فيسرع فيه  
التقليد لكنهم مع ذلك لا يزال الامر بحمد الله مستوراً فلا نجد المحارم متجاهراً بها ولا  
ترى حانة لخمر او داراً معينة للفسوق وان وجد شيء فانما يكون في بيت صاحبه في  
الستر. وعلى قريب من هذا المنحى اهالي جدة. واما بقية البلدان فهم على اخلاق بقية  
السكان من قبائل العرب الذين لم تبق فيهم من الاخلاق العربية التي قال فيها صلى الله  
عليه وسلم (بعثت لاتم مكارم الاخلاق) الا القليل وعاد اليهم النفاخر بالنظام وهجوم القوي  
على الضعيف فلا تجد الامن مستقرًا الا قليلاً الا انهم بقي فيهم حفظ الذمار وتوقير  
الصغير الى الكبير فاذا جعل الرجل من بيتوتاتهم يده على ذنوبه كناية عن حفظ ذمة  
المستجير به فانه يوفي بعهد ولو حمله ذلك على الحرب وهلك فيها هو وقبيلته هذا غاية ما  
يمكن ان يذكر لهم من الصفات الحميدة مع اكرام الضيف واطعام الطعام. واما بقية  
الاخلاق السابقة العربية فكادت ان لا يوجد منها شيء كجودة القريجة والدعاء في  
الامور ومعرفة احوال العالم فمن عجيب ما شاهدته من السذاجة في بعضهم وبله ان كان  
احد الجمالين ماشياً بقرب منى في طريق المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة  
والسلام وعلى آله وهو كهل يخاطب شاباً في حساب بينها فقال له الشاب سبعة  
وعشرون مع سبع كم هو فقال له الكهل هيه فأعاد عليه السؤال فأجابه بالجواب الاول  
ثم اعاد ذلك ثالثاً ايضاً فقال حينئذ الشاب هي سبعة وعشرون فقال له صاحبه هيه  
ايضاً وانفصلوا على ان ذلك هو الحساب وعلى ذلك فقس فلا تكاد تجد من عامتهم من يصلح  
للخطاب في البديهيّات وانما لخواصهم بعض من الآداب التي ينقده بها الضروريات غير  
ان حفظ الحريم والبنات من صغرهن فاهم فيه مبالغة كلية بحيث لا يمكن ان ير الرائي  
امرأة ولو معتجرة وما اصبر نسائهم على الجلد في الخدر فقد كان رئيس الجمالين في  
قافلتنا استصحب معه عياله من مكة الى بلد الجديدة وكان مردقاً لها على جمل له فكانت  
من ساعة ظهورها الى ساعة دخولها لبيتها التي هي مدة تنيف عن ستة ايام وهي ملتجفة

بعاءة ثخينة من الصوف سوداء لا يظهر منها مقدار ظفر ولو من اصابع رجلها فضلاً عن يديها او وجهها ليلاً ونهاراً لا تفارق حوية البعير وعلى هذا النمط النسوة في المدن فلم أرَ بالمدينة امرأة قط - واما مكة فكان بعض نساءها يخرجن لاداء مناسك الحج لكنهن في غاية التستر بحيث لا يظهر منهن شيء وعادتهن في الجميع ان لا يخرجن الا ليلاً مع شدة التستر بالحمار والحاف وان اضطررن للخروج نهاراً فلا يمرن بالاسواق ولا بالطرقات الكثيرة المرور وتوجد قبيلة تسكن في عوالي المدينة اي خارجها بقرب من فنائها يسمون المحاولة وهاتو القبيلة اصلها من قوم قد تفرقوا في آفاق الارض وهم في كل قطر مستقلون بأنفسهم لا يداخلون احداً ولا يخاطون الناس الا في ضرورة البيع والشراء ولم في كل قطر لقب بحسب عرف اهله فيقال لهم في بلاد الترك شنكانة وفي تونس جمازية ويتبعون في كل جهة الصنائع الخسيسة مثل اصلاح اواني النحاس ووضفائح الخيل وقد اتخذوا في جهة المدينة صناعة خسيسة ايضاً ويتذهبون بذهب الشيعة على دعواهم ويستحاون نكاح المتعة فاذا قدم بعض حجاج الفرنس ممن يرى مذهبهم ياوي الى بيوتهم لقضاء الوطر بنكاح المتعة وامرهم في ذلك شهير وليس عليه تكبير والامر لله الذي اليه المصير

### مطلب في التجارة بالحجاز

اعلم ان بلد جدة هي مرسى تجارية عظيمة لانها مركز البضائع الهندية وغيرها من البضائع في الاقطار الشرقية ومنها يرسل لبقية الممالك الاسلامية التي تجارها مسلمون وكذلك كثير من البلاد الاورباوية كما ان البضائع الاورباوية والبضائع الغربية من بلاد المسلمين وكذلك بلاد الترك ومصر والشام يوقى بها الى هناك وترسل الى الهند وغيرها من الاقطار الشرقية فبذلك كانت جدة مرسى تجارية كبرى فضلاً عما يدخل منها الى جزيرة العرب على طريق البر سواء كان للحجاز او لغيره من بقية الاقطار ومركز تجارة جزيرة العرب هي مكة المشرفة فنأتيتها البضائع من جدة وتوزع منها على القوافل الى سائر جهات جزيرة العرب الا ما قرب من الجزيرة الى جهات اليمن التي بها مراسي تجارية مثل الحديدية وقليل ما هي فكانت مكة حينئذ هي المعتبرة لتجارة العرب والتجار المعتبرون فيها اغلبهم هنود واما جدة فتجارها من اجناس مختلفة وفي اسواق كل من هذين البلدين تقاسم حسنة تجعل لكل

صنف من التجار جهة مخصوصة وتجارهم غنيّة جداً واما المدينة المنورة فالتجارة فيها مقصورة على اهلها غالباً فيؤتى اليها بالبضائع المحتاج اليها فيها وتباع لاهلها والقبائل تحمل البضائع على قوافلهم الى مراكز القبائل والى جهات جزيرة العرب مع الامان على البضائع التي يحملونها فالقافلة لها رئيس يكون ذا ثروة وله كفال اغنياء في الجهات التي يذهب اليها ويحمل منها فتسلم اليه البضائع والمكاتيب البريدية ويلفها بامان الى اصحابها وان حصل ضياع لشيء منها ولو بتعدي بعض القبائل بالاغارة فكفلاؤه يؤدون لاصحاب البضائع جميع ما يضيع لهم ومن اهم انواع التجارة التجارة في المأكولات من الحبوب كالقمح والشعير وقد علمت ان البريد موكل الى هولاء القوافل التجارية فامرّه غير منتظم كما انه غير محتاج اليه في اغلب تلك الجهات غير انه يوجد بين مكة وجدة بريداً منتظماً يومياً صباحاً ومساءً يحمل على الحمير السيارة فيصل في نحو تسع ساعات كما انه يوجد في مكة مركز للتلغراف اي السلك الكهربائي ويصل الى جدة ومنها يتصل بجميع العالم كما انه يوجد بريد منتظم في كل شهر مرة بين مكة والمدينة الا ان يكون امراً مستعجلاً فيرسل مع سيار مخصوص وهذا البريد كله ما عدا اصحاب القوافل مرتب من الحكومة والمباشر له من قبائل الاعراب الساكنون في اماكن مروره وفي كل سنة في موسم الحج تروج التجارة في مكة لان اغلب الحجاج يشترون منها البضائع التي لا تعلم في بلادهم مما على وجه التجارة فيها وهو القليل او على وجه الاهداء الى اقاربهم واحبائهم وكذلك تروج التجارة بالمدينة المنورة لان سكانها يأتهم في ذلك الوقت واردهم المالي اما من اموالهم في بلدانهم او من الهدايا التي ترسل من الآفاق او من الاوقاف والارصادات المعينة لذلك في بعض الجهات وهاتو الجهات هي الدولة العثمانية وهي الركن في ذلك لانها ترسل في كل عام للقيام بشعائر الحرمين الشريفين ومرتبات المجاورين واهل الوظائف ما يبلغ مقداره سنوياً نحو المائة الف ليرة اي مليونين ونصف فرنك وكذلك الحكومة المصرية ترسل كل عام احدى وعشرين الف اردب من القمح مع اموال عيناً يبلغ مقدار جميعها الى نحو العشرين الف ليرة اي نحو خمسمائة الف فرنك فضلاً عن قيامها بمدرستين كل منها في احدى الحرمين لها اوقاف مخصوصة بمصر يرسل منها قدر كفاية القائمين هناك في كل عام وكذلك القطر التونسي يرسل من اوقافه المعينة على الحرمين الفين ليرة في كل سنة لكل حرم الف اي خمسة وعشرين الف فرنك فاهالي المدينة اذا فرقت عليهم تلك الاموال يدفعون منها ما كان عليهم من ديون ترتبت عليهم في ضروريات اشتروها

نسبته ثم يشترون كفايتهم للسنة القابلة أكلاً ولبساً وان فضل شيء بعد ذلك ادخروه  
لبقية السنة فلذلك يحصل في ذلك الوقت رواج للتجارة وهذا بالنسبة لغير ذوي الثروة  
منهم اما هولاء فهم على نسق غيرهم من ذوي الثروة وكذلك بعض قبائل الاعراب المقيمين  
بين الحرمين لهم نصيب مما ترسله الدولة والحكومة المصرية فيحصل منهم ايضا رواج في  
التجارة بما يشترونه من ضرورياتهم والحاصل ان التجارة المعتبرة مركزها هو جدة ادامها  
الله بلد اسلام



### مطلب في الصنائع

لا يخفى ان الصنائع شعبة من شعب التمدن فنتكأثر نقل على حسب ما في المكان  
التي هي به من التمدن وحيث تطاول زمن بعد الخلافة عن الحجاز وتكأثر بعد عهدها  
فيه المريج وقل العمران وتغيرت طباع العرب السكان على حسب ما اثرنا اليه فلم يكن  
الآن بالحجاز الا الصنائع الضرورية وبعض الحاجية فاما الفلاحة فكادت ان تنعدم الى  
ان صار اهل الحجاز عيال في قوتهم جميعه على ما يرد اليهم من خارج بلادهم الا ما ندر  
والمسافر في تلك الاقطار لا يرى من الزراعة الا تزر يسير حول بعض البلدان لا يسد  
من عوز مع ان عشر ما حول المدينة وحدها قد كان في خلافة سيدنا عمر يبلغ الى  
اربعمائة الف اردب من الشعير وحده فضلا عن بقية الجهات ولو جمع الآن حاصل جميع  
ما بالحجاز لما بلغ الى عشر المعشار من ذلك المقدار وعلى نسبة من ذلك امر زراعة  
الاشجار فانه يوجد بالطائف بساتين بها كثير من انواع الشجر الليمون والرمان والعنب  
وغيرها من الفواكه المتعارفة كثيرا وغير هاتئ البلد لا يوجد بها الا بعض شجيرات من  
تلك الانواع لا تستحق الذكر وان كان حول المدينة بعض من البساتين لكنها ليست  
على ما ينبغي الا النخيل فيوجد بها كثيرا كما يوجد بجهات اخرى حول المدن والقرى  
وفيه انواع كثيرة جدا من انواع التمر منها الحسن للغاية ومنها دون ذلك وفيه بعض  
تجارة سيما في موسم الحج لشراء الزائرين للتمر وحمله الى آفاقهم كل على قدر سعة جالوه  
تبركا بذلك واما البقول فكادت ان لا يوجد منها الا النادر كالبلبل وما شاكله من  
البقول المتعارفة الشهيرة وكذلك الازهار واما بقية الصنائع فيوجد منها البناية والخيطة  
والتجارة وبعض صنائع اخرى من الحاجيات كالسروج وحوايا الابل وغيرها مما يحتاج

اليه أكيداً من غير تحسین والسبب في هذا الانحطاط في كل من الفلاحة وبقية الصنائع هو اعتماد السكان اعني اغلبهم على المرتبات والجرایات من الدولة والاقواف وتحويل الاعراب على مثل ذلك ايضاً لان الدولة جاعلة للقبائل جرایات سنوية من مال وحبوب للقوت ليقوموا بحفظ امن الطرق ومن الطبيعي ميل الانفس الى ما يرد بلا تعب فصاروا حينئذ عيالاً على تلك الواردات ونشأ عن ذلك اغتساف الاعراب بقطعهم للطرق وتعديهم على قوافل الحجاج اذا تأخر عنهم ذلك المرتب او شيء منه حتى ان بعض المتوظفين الذين لهم يد في توزيع ذلك المال ربما تساهل في تنقيص شيء باولئك الاعراب من مرتباتهم فيثورون ويعثون في الارض بالفساد ونشأ عن ذلك قلة الامن في جميع الجهات حتى ان المدينة المنورة على صاحبها وآله افضل الصلاة والسلام كثيراً ما تبقى محصورة ويدافع عن اسوارها وابوابها من حصونها بالمدافع والطرق منقطعة عنها وتضايق اهلهما لقلعة القوت والحبوب ويتناول الاعراب على ما حوهم من البساتين بالتخريب والفساد فاذا كان هذا حال المدينة فما بالك بغيرها الا القرى التي هي لنفس القبائل مملاً لا يزرع حوله الا النخيل فلذلك ضعف الامن وقل العمران وجذبت الارض مع انها صالحة للزراعة وفيها عيون كثيرة احدثها المتقدمون في عصر الخلافة وما قرب منه وقد شاهدت في كل من بلدي الصفراء والجديدة عيناً غزيرة الماء عرضها ازيد من ذراع ونصف وعمقها ازيد من ثلاثة اذرع جارية في غاية العذوبة غير ان ماءها حار فاذا رفع في الاواني برد وصلاح للشرب وهو صالح جداً للزراعة لكنه الآن ليس عليه الا بعض نخيلات وبقية يسبح على الارض الى ان يغور فيها وقد ذكر في خلاصة الوفاء في اخبار دار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عيوناً وآباراً كثيرة على ذلك النحو لم يبق الا الآن منها منتفعا به سوى ما ذكرناه وكذلك الغابات والاحجام التي بقرب المدينة وغيرها كلها ذات اشجار مثمرة وغير مثمرة صالحة لاخذ الاخشاب للبناء وهي الآن مهملة ولا ينتفع اهالي البلدان الا بوقاب شجر النخل مملاً حولهم وبقية الخشب يؤتى به اليهم من الهند وغيره مع انه حولهم مبذول والمانع من الوصول اليه عدم الامن والجهل بكيفية القطع هذا فضلاً عن الاراضي الخصبة الوسيعة الصالحة للزراعة واما بقية النباتات فقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه حمي في وادي القرى جهة تكفي اربعين الفاً من الخليل المسبلة للرعي فيها ثم زاد بعده سيدهنا عثمان ومن بعده الى اضعاف ذلك المقدار فيما اسفا على الخوف في بلاد الامن وتلك العوائد وان كان القصد منها حسنة فقد آلت الى سيئها اذ لو انقطع عنهم ذلك المدد

ومن تجرأ على السبل عوقب وأثبت الشرايع حتى التيام منزل السكان على العمران  
وكفى الله المؤمنين غوائل الطغيان وما الله بغافل عما يعملون



### مطلب في المعارف

من البديهي ان الذي ذكرناه في الصنائع من سببها الرواج والكساد هو اساس ايضاً  
في المعارف فالمعارف الآن بالحجاز على غاية من الخمول وما يوجد منها انما هو محصور  
ومقصود على خصوص البلدان المكرمين فيوجد في كل منها بعض دروس في المسجدين  
المحترمين في بعض العلوم الدينية وبعض وسائلها فيوجد من الوسائل قليل من دروس النحو  
والمعاني ومن المقاصد بعض دروس في التفسير والحديث والفقهاء على اختلاف مذاهبهم وان  
يكن يوجد بكل من البلدان الاكرمين علماء اجلة لكنهم نبغوا في اقطار اخرى ثم جاؤوا  
الآن هناك الا ما ندر من بعض الاهالي الذين تلقوا العلم هناك من العلماء الوافدين من  
الاقطار على احوال خصوصية غير منتظمة ولا مفيدة للعموم وفي هاتئ المدة الاخيرة انشأ  
بعض الهنود ذوي التوفيق بواسطة العالم الجليل الشيخ رحمة الله مؤلف كتاب اظهار  
الحق مدرسة بمكة المشرفة يقرأ بها الشيخ المذكور ومن معه من العلماء المجاورين بعض  
دروس في الهيئة والجغرافيا والطب وبعض علوم اخرى رياضية وعلم التصوف ايضاً  
وبما ذكرناه بلغ السكان لاسيما الاعراب الى درجة عالية في الجهل وفساد الاخلاق  
غير ان لطف الله حلف بما حدث منذ مدة قريبة من انتشار طريقة الشيخ السنوسي الذي  
كنا ذكرناه عند ذكرنا لرجوعي من فرانس لان هذا الشيخ كان استقر بمكة المشرفة  
وانشأ في جبل ابي قبيس زاوية نشر فيها طريقته فأثبتت في قبائل اولئك الاعراب حتى  
كادت ان لا توجد قبيلة الا وفيها زاوية وشيخ يرشد الى الطريق فحصل في القبائل نوع  
من معرفة اصول الديانة الاسلامية والفروض العينية والمحرمات الذاتية ودب في هؤلاء  
شيء من صلاح الحال وان لم يكبحهم عن التعدي على عباد الله القاصدين لاحد الحرمين  
فيا اسفا على اهل المعارف وضياعها في مكان ينبوع الحكمة وظهورها ولولا وجود افراد  
من اطباء الدولة الذين ترسلهم لاحد البلدان الاكرمين او البعض من الهنود العارفين  
بالطب على الطريقة القديمة لكن معرفتهم لذلك عن علم وتدريس للكتب على طريقة اخذ  
العلم حقيقة فلم يباع حسن في علاج الامراض ولولا هؤلاء لحرمت السكنى في البلاد التي

يفترض على عموم الامة تعميرها فان ابا حنيفة وغيره من الائمة يقولون بحجرة سكنى البلاد التي لا طيبب بها وكل من المدينة المنورة ومكة المشرفة يفترض حمايتها فكيف يسوغ اهلها بأمر المعارف واهلها حتى تخلو من طيبب لولا أولئك وانما قلت في اطباء الهند انهم عالمون بالطب على الطريقة العلمية احتراساً من المدجلين ممن يدعي هذا العلم مع جهله المطبق به المتكاثر ظهورهم بالبلدان التي لا تثبته حكوماتها لمنعهم من ذلك التدجيل لانهم يضرون ببجهاهم وقد شاهدت ذلك في نفس مكة عياناً حيث كنت مريضاً بابهام رجلي اليمنى حيث انقلب الظفر تدريجياً وغاص في اللحم واشتد امره حتى كاد يمنعني عن المشي وكان حصل لي مثل ذلك وانا بباريس فجيء لي بطيبب خاص بذلك النوع من الامراض وعالجني برفع الظفر بالآلات وكيفية في عملها لم يحصل لي منها شدة ألم وجعل تحت ظفري ورقة من الرصاص صفيقة لكيلا يفوص ثانياً وقطع الظفر الى محل التصاقه باللحم وعافاني الله بسبب ذلك فلما كنت بمكة وعاودني مثل ما وقع سابقاً وذكرت لبعض الحاضرين عندي ما كان وقع اخبرني بانه يوجد حكيم يفعل مثل ذلك فجيء به اليّ وكنت محترساً منه لكنني رايت معه آلات للقطع وغيره كثيرة متقنة وابتدأ في العمل من غير كثرة ألم فظننت انه عن علم فلم يفعل الا قطع الظفر لكن عقبه ألم كدت معه ان لا استطيع المشي لولا لطف الله لانه اراد الزيادة في القطع بعد ذلك فامتنعت لانه ليس له من العلم شيء سوى كونه حلاقاً حجاماً تعود على فصد بعض الناس فامثال هذا يمنعون شرعاً عن مباشرة اعمالهم

ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

فاذا خلت البلاد عن حكام عارفين بعلم الطب يضطر الناس الى هؤلاء الدجالين والحق ان امر المعارف مع كونه واجباً في كل صقع وبلاد فهو في الحرمين اشد تأكيداً وانا لله وانا اليه راجعون



### مطلب في الاحكام

قد علمت مما مر في مجت السياسة الداخلية الاصول التي تجري عليها الاحكام وحاصلها ان سيادة الشريف امير الحجاز هو مرجع الحكم في قضايا الوقائع التي تقع بين القبائل وهو ايضاً مرجع الشكايا من مظالمهم فيحذر رؤسائهم ومشايخهم بامرهم بما يراه

وينفذ الحكم في الظالم بحسب اجتهاده هكذا الاصل ولكنهم الآن مستبدون بامورهم  
 كل قبيلة لا تخضع إلا لما شأنها ورؤسائها بما يذكر في زمن الفترة وكل يحكم باجتهاده  
 واستبداده ولو في القصاص في الانفس واذا تعدت قبيلة على أخرى كان الامر لمن هو  
 اقوى فطاعتهم الآن لسيادة الامير انما هي ظاهرة وهو وان استطاع على اخضاعهم ولو  
 بدون عساكر الدولة بل بمن ينضم اليه من بقية القبائل لكنه لا يقدر على تنفيذ ذلك  
 لما مر في احوال السياسة الداخلية كما يرجع الى سيادة الامير فصل المظالم في اهل مكة  
 والوالي هو الذي يجلس الى فصل المظالم فيما يقع بين السكان في مكة ايضاً فكانها  
 مشتركة بين الامير والوالي لكن الوالي ينفرد بسائر مظالم جدة، والمدينة المنورة يجلس  
 فيها المحافظ في مثل ما ذكرناه وفي كل بلد حاكم يلتمس قائمقام يجري ما ذكر ايضاً في  
 المسائل الخفيفة والمسائل الثقيلة ترفع الى الوالي بمكة او الى سيادة الشريف الامير  
 والقبائل كلها مشايخها هم مرجع الحكم في سائر القضايا ثم ان كلاً من البلدين الاكرمين  
 بها قاض هو مرجع الحكم في كافة النوازل الشخصية يجريها بمقتضى الشريعة وفي كل من  
 البلدين مفت حنفي يسترجع الخصوم في احكام القاضي لكن القاضي ليس ملزوماً باتباع  
 فتواه بل لا يجري الا ما يراه وان كان جاهلاً والمفتي عالماً ولا يخضع القاضي الا لاوامر  
 باب مشيخة الاسلام في تخت السلطنة ان اقتدر الخصم الى البلوغ اليه ولا يخفى ما في  
 ذلك من المشقة لبعده الشقة كما يوجد في كل من البلدين الاكرمين محاسب له النظر في امر  
 المعاشات وقيم البيوعات وغش البائعين وخسران الكيل والميزان ويحكم في ذلك كله  
 بما يراه من الاجتهاد ولو بالضرب المبرح كما يوجد بهما مفات أخر على بعض المذاهب  
 الاخر يرجع اليهم اهالي ذلك المذهب في الاحوال الشخصية ويفتونهم بحسب مذاهبهم  
 وهؤلاء المفتيون كلهم يولون بأمر من الدولة العثمانية

واما بقية البلدان فعدة بها قاض يولي مثل السابقين وغيرها من البلدان يولي فيها نائب عن  
 القاضي يعينه قاضي مكة لاجراء الاحكام الشرعية في البلد التي هو بها وبقية الادارات  
 والاحكام ترجع الى القائمقام او الشيخ وهو الذي يحكم بما يريد. والحاصل ان ادارة الاحكام  
 بالحجاز لا زالت الى الآن على شبه من النمط القديم اعني انها ليس بها مجالس للاحكام  
 العرفية وغيرها من القوانين الجارية بالمالك العثمانية الآن وياليت الامر يجري حقيقة على  
 المنهج الذي سلكه الخلفاء الراشدون كيف وهو مكان ظهور الشريعة واقامة العدل  
 وتأسيس التمدن الحقيقي الصالح لاستقامة الدنيا والآخرة والامر لله وحده لارب سواه



## مطلب في هيئة المساكن

المساكن بالحجاز تختلف بين حاملها بالمدن وحاملها بالقرى فاما المدن فالديار بها هي شبيهة بالنوع الذي ذكرناه في مصر غير انها في مكة تكثر طبقاتها حتى انها ربما بلغت الى الست طبقات كل منها مستكمل اللوازم لا يحتاج الى غيره في السكنى والطبقة الارضية لا يعنى بها للسكنى وانما هي للمرافق وجلوس الرجال بخلاف المدينة المنورة فان دورها كل منها بها طبقة ارضية يسكن فيها في الصيف لانها ابرد من العلوية غير ان المبيت بكل منها يكون غالباً في الصيف في السطوح التي يجعل لها حرم كاف لوقاية السكان من السقوط والابنية كلها لا تخصص حيطانها الا في بعض الديار الحسنة لاهل الثروة فانها تخصص وتبيض حيطانها وتدهن سقفها التي تجعل من عيدان النخل ويجعل عليها من اسفل ألواح لاصقة منظمة ويعلق فيها ثريات . واما بقية الديار وسائر الابنية فان الحيطان يسد فيها ما بين الاحجار بطين البناء المركب من الجير والطين ثم تبيض بماء الجير والسقوف تكون من عيدان النخل مكشوفة للرأي وفوقها حصير من انواع الحلفا وفوقه التراب وليس في الحجرات بلاط ولا غيره بل الارض تكون تراباً عليها الحصير او الزرابي (الابسطة) الا المدينة المنورة فان الطبقة الارضية مبلطة بأنواع من الاحجار الشبيهة بالمرمر والدرج في كل غير محسنه متعبة الا نادراً وديار مكة لا سيما المعدة للاجرة كل طبقة منها لا يوجد فيها مطبخ وانما يطبخ اهلها باحدى حجراتها بالفحم او الحطب نادراً لاحضار مياه الاغسل في الشتاء واما في الصيف فلا يسخنون الماء للاستغناء عنه ولهذا لا يوجد في كل من مكة والمدينة الاحمامات بكل منها لان السكان يغتسلون في ديارهم غالباً وهكذا بقية البلدان ليس بها حمامات ومفروشات الديار على النحو الذي هو جارٍ بمصر وغيرها من التشبه بالمفروشات التركية والاوربانية ومن غريب صناعتهم المغالق التي ثقفل بها الابواب فان المفاتيح نحو عود مستطيل في آخره اسنان تدخل في ثقب في المغلاق وترفع الى فوق ويجذب المغلاق بعجلة اذ ذلك فيفتح ولا ريب انه سهل السرقة اذ ثقيل المفاتيح على ذلك النحو يسير لكن الامر الفظيح هو ان تلك المغاليق على شكل الصليب وقد رأيت على باب الحجر النبوية مغلاقاً من تلك المغاليق وهو من ذهب نقش من رؤيته الجلود وقد خاطبت من يقتدر على تفسيره فتعلم بان ذلك لا يخطر على فكر احد من الاهالي لجهلهم الصليب وبقي الحال على ما هو والله الامر

هذا في المدن واما في بقية البلاد الاخرى فكل دار تؤلف من طبقة واحدة الأنادرا من طبقتين وهي في الحقيقة بيوت لا ديار والفرق بين الدار والبيت ان الدار هي المسكن الذي يشتمل على جميع المرافق المحتاج اليها وابواب حجراته الى فسحة تكون في وسطها غالباً مكشوفة الى السماء واما البيت فهي التي مثل ما ذكر غير انها لا فسحة بها مكشوفة اعني الفسحة التي فيها ابواب الحجرات وهذا هو الفرق اللغوي وان كان الاستعمال يختلف بحسب الاصطلاح في البلدان فالحجاز ومصر مثلاً يطلقون على الكلل بيوت وتونس والمغرب يطلقون على الكلل ديار وهاتيك البيوت في القرى الحجازية مظللة غالباً اذ لا يجعل لها شبايك على الطرقات وليس بها فسحة مكشوفة فغاية الامر ان يجعل للحجرات منافذ للضوء بقرب السقوف احتراساً من كشف النساء لانهم يشددون بحجبتهم كما تقدم سابقاً فتلك البيوت شبيهة بالغيران ولا تبيض بالجير الأنادراً ما عدا سطوحها التي هي على نحو سطوح المدن من الاتقان في تجميعها لكيلا تخترقها الامطار فتكاد هاتى القرى ان لا تبين للناظرين الا اذا باغروها خصوصاً التي هي في مرتفعات الجبال السود فانها لا تكاد تبين والحاصل ان الابنية على العموم نسبتها للتمتد ككسبة بقية الصنائع التي مر ذكرها في مطلبها غير انه يوجد في صناعة التجارة اتقان للراشن وبعض الابواب والشبايك على العموم اي الطواقي المطلة على الطرقات او غيرها لا يوجد بها زجاج يمنع دخول الريح الأنادراً في بعض الديار المترفة اهلها ومن الغريب ان ترى البيوت مفروشة بالزرابي في مدة الصيف مع شدة الحر هناك فهم في الحقيقة غير مستعدين للتوقى منه الأهل المدينة فانهم معدون الطبقات السفلى لذلك فيجعلون فيها بيتاً رحيباً له جهتان يبنى ويسرى مرتفعتا الارض عن الوسط الذي به حوض للماء غالباً وسقفه مكشوف الى السماء ينجد منه الهواء الى اسفل ويكون الماء جارياً الى ذلك الحوض ويجلس السكان باحدى الجهتين التي يجعل بها مساطب واراتك وكل تلك الطبقة مبلطة بنحو الرخام كما ذكرنا سابقاً وذلك مناسب لشدة الحر على خلاف من اهل مكة وغيرهم الذين ليس لهم مثل ذلك واما الطرقات على العموم بالبلدان وغيرها فهي طبيعية ليس بها تحسين ولا صناعة وغاية الامرائها تكسب في المدن فهي نظيفة واغلبها ضيق حتى يكاد ان لا يمشي ببعضها الا الانسان واحد مع ان اصل الشريعة على خلاف ذلك فان سيدنا عمر رضي الله عنه لما استشير في بناء بلد للصحابة والجيوش الذي فتحه الفرس لما استوخموا ارض فارس وامرهم باختيار ارض تشبه ارض العرب فاخاروا الكوفة فامرهم ببناء بلد بها وان تكون دورها لا تتجاوز الطبقتين

وان تكون طرقها العامة كل منها ثلاثة عشر ذراعاً والطرق الخاصة سبعة اذرع عرضاً والبطحاء التي تكون امام المسجد ستون ذراعاً في ستمين وهذا هو الاصل الذي يستند اليه المذهب الحنفي في ذلك فانظر كيف كانت حالة البلدان في صدر الاسلام وبؤيد هذا ان يثر حا التي هي بستان كان لابي طلحة الانصاري رضي الله عنه قد كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم تجاه المسجد النبوي كما هو مذكور في صحيح البخاري رضي الله عنه فابن هو الآن من المسجد النبوي اذ بينها الآن ابنية وديار وطرفات واسوار وغير ذلك فبا اسفا على وقوع مثل هذا التغيير المخالف للشريعة المكدر للتمدن ومصالح الناس حقيقة فليس توسيع الطرق وتنظيفها من تقليد الافرنج كما يدعيه الجهلاء بل هو من شريعتنا التي تنوسي الالتفات لمثل ذلك فيها وحيث كانت الطرق على نحو ما مر ذكره يكثر فيها الوحل زمن المطر غير انها تنور ليلاً من قبل الحكومة بنوانيس من القصدير والزجاج تعلق في الحيطان او سقوف الاسواق لان كل صناعة لها سوق يخصصها وبعض هاتيه الاسواق بل أكثرها مسقوف بالالواح على نحو ما ذكرنا في اسواق تونس والحوانيت هيئتها ايضاً على ذلك النحو وليس للديار جنائين ولا بطحآت خاصة وانما ابوابها في الطريق تفتح الى سقائفها المختلفة كبراً وصغراً واما الطرقات خارج البلدان فهي على طبيعتها الاصلية واغلب الطرق بين مكة والمدينة صالحة لمشي العجلات وتمر فيها المدافع الآن وهي مثل العجلات وكذلك الطريق بين جدة ومكة فيا ليت شعري اي مانع لاستعمال العجلات في السفر هناك فاني لم أَرَ الاً عجلة واحدة لوالي الحجاز بمكة وقالوا انه ليس بها غير هاورايت بالمدينة عجلة قيل انها لركوب بعض المرضى هي اشبه شيء بعجلات حمل السلع ملقاة في الطريق وكان امر الامن هو الاساس

### مطلب في اللبس وبقية العادات

اما اللبس الرسمي فهو كاللبس بالدولة العثمانية الذي تقدم مثله في مصر وكذلك لبس الرجال هو مثل لبس اهل مصر والاعيان يلبسون جبة واسعة الاكمام كعلماء مصر الاً انها لها رقبة مرتفعة خصوصاً للسادة الاشراف ويجعلون على رؤوسهم كوفية مطرزة بالحريز على اشكال حسنة بديدة تكون مكتوفة الوسط وعليها عمامة مكورة عظيمة يشدونها شداً محكما جميلاً وهي بيضاء . واما الاشراف في القبائل فيجعلون على رؤوسهم

مندبلاً من الحرير ملوّنًا وعليه عوض العمامة عقال من وبر الابل مقصب بخيوط الفضة  
 المذهبة ولكل واحد منهم مطلقاً في البلدان او القبائل خنجر يجعله في حزامه في وسطه  
 من امام وكنها هي علامة الشرف مع لبسهم لعباءة يمانية او عراقية مقصبة بالذهب  
 ونحوهم في هذا سائر الاعيان من القبائل وبقيتهم يلبسون عباءة على قميص ويتمنطقون  
 على القميص مندبيل او غيره وكثير منهم يعلق على جنبه خنجرًا والكل يلبسون في  
 الارجل النعال الحجازية ذات الشرطان التي تدخل بين الاصابع وتختلف جودة وريادة  
 على حسب ثروة اللابس وربما تدثر بعض اهل البلدان بالجباب ذات الفراء المعروفة  
 بالكرك ولبس نسائهم سراويل من نسيج الحرير او المقصب بالذهب بحيث انهن  
 يتنافسن في صنعه على حسب الثروة والمكان والزمان للابس ومثل السراويل فيما ذكر  
 منتان يفتح صدره ويفلق ذواكمام ضيقة لا تبلغ المرفقين وفوق الجميع نحو عباءة من  
 المنسوجات الثمينة مشقوقة الى السرة من اعلا بلا اكمام واسعة جداً حتى انها تنطوي اصابع  
 الكف وان كان لها ثقوب في محل الاكمام تخرج منها الايدي وعلى رؤوسهن نحو المناديل  
 من منسوجات صفيقه يميظون باطرافها شريطاً مكعباً بخيوط الفضة او الحرير على حسب  
 الاحوال وفي ارجلهم احذية من نوع البشامق التونسية واذا خرجن من البيوت زدن  
 على ذلك خفياً من الجلد الاصفر مع رداء واسع جداً ذي اكمام سائر للاصابع وخنمار  
 مسدل الى السرة مثقوب جهة العينين ويايسن ايضاً المصوغ بانواعه كلها . واما الاكل  
 فانهم يجلسون له على الارض ويوضع على الخيوان وهو مثل ما تقدم في اكل اهل مصر  
 غير انه اكثر اداً من السمن واكثر ابهرة والاعراب اكثر اكلهم الارز مع العدس ولا  
 يأكل الجميع لحم البقر الا نادراً بحيث يستعير به الاعيان في المدن وياكلون الجمل بكثرة  
 ويبخرون الماء بالمصطكي او بعود القرنفل ثم يجمعونه في اواني ويضعونها في بحر الريح  
 لاكتساب البرودة

واما المواكب فأعظمها موكب الحج وقد تقدم الكلام عليه . ولاهل مكة موكب  
 يسمى الرجبية يسافر به ذوو اليسر الى زيارة النبي عليه وعلى آله اكل الصلاة وازكى  
 السلام ويحصل من ذلك في المدينة المنورة موكب حافل في رجب وكثرة اسراف اهل  
 مكة في حجهم والتباهي بينهم فيما يفعلونه فيه يضطر بعضهم الى تأخير فرضه الى ان يبلغ  
 سن الشيخوخة خشية المعرة من كونهم لم يفعل تلك العادات الاسرافية في الرحل  
 والمركب والخيام والمأكل واما الاعراس فهي اقرب عندهم الى الطريقة المشروعة

من جهة عدم وجود المغنيات جهرة والملاهي الآ الدفوف وشيء من غيرها مع حفظ  
 التستر في النساء ولاهل المدينة عادة وهي ان الرجل اذا تزوج بيكر ودخل بها فلا يخرج  
 من بيته اسبوعاً تاماً الا انه يجتمع باحبابه في بيته وان خرج يوماً ولو للصلاة استاء اهل  
 البرأة لان ذلك دليل على انها غير مستحسنة عند زوجها واما الثيب فلا يعتبرون ذلك  
 فيها . واما المآثم فهي على الوجه المشروع من أكثر وجوهها فلا عياط ولا زياط ولا  
 قراءة بالطرفات ولا ولائم من صاحب المآثم وانما يفعلون في ذلك ما هو المشروع في  
 السنة اجرى الله احوالنا واحوالهم جميعاً على الوجوه المشروعة

### مطلب في اللغة

لا يخفى ان الحجاز هو ميدان بلاغة العرب ومجال تسابق فرسان الكلام لكن ذلك  
 كله قد انعكس على ضده فلا تكاد تجد متكلماً باللغة العربية العربية حيث دخلت العبارات  
 العجمية بين القوم منذ تغلب الاعجام على الدولة الاسلامية لان الناس على مذهب امرئهم  
 فيقلدون الغالب والقوي حتى في نحتهم وكلامهم وما كفى ذلك في ادخال المفردات العجمية  
 حتى سرى الامر الى اللحن في الاعراب كما هو مقرر من قديم حيث ذكروا في سبب وضع  
 علم النحو سماع سيدنا علي عليه السلام للحن في الكلام فاشار بوضع ذلك العلم ومن  
 البديهي ان الامر يتفاقم بطول المدة وشدة الاسباب في ذلك الوقت لم يكن الا اختلاط  
 الامة بامر اخرى ثم ازداد بعد ذلك بتكثُر الاعاجم من الدولة ففسدت اللغة في الحجاز  
 فساداً كلياً حتى لم يبق من يكتب كتابه مستقيمة في الاعراب والالفاظ الا

النادر ممن هم اهل علم وربما اضطروا الى كتابة كثير من

المفردات العجمية لشهرتها وتعارفها وهجران ما يرادها

من اصل العربية وسبحان مقلب

الاحوال وهو لا يتغير

ولا يزال

## الباب العاشر

### في المملكة العثمانية

(تنبیه) \* لما كانت هاتمة المملكة ليست كسائر الممالك التي مرّ الكلام عليها لا من جهة الذات ولا من جهة المعنى اما الذات فانها مركبة من ممالك شتى كانت كل واحدة منها مستقلة بنفسها ولا يزال كل منها له صفات خاصة من جهة جغرافيته وجنسية اهله وعوائدهم واخلاقهم وغير ذلك فيمنع الكلام عليهم كلهم من هاتيك الجهات بصفة واحدة وان تكلمنا على كل واحدة منها بانفرادها ربما عدل الكلام فيها جميع ما تقدم وما يأتي في الممالك التي شاهدناها ولذلك راينا ان نتكلم عليها من الحيثية التي يدل عليها اسمها وهو كونها مملكة عثمانية اذ ليس هناك قطعة من الارض تسمى في الاصل بهذا الاسم وانما لكل منها باعتبار ذاته اسم خاص والجامع بينها في هاتمة التسمية انما هو كونها تحت سلطة دولة سلطانها من هاتمة العائلة وهي العثمانية اي المنسوبة الى عثمان الذي هو اول من تسلطن من العائلة وبقيت في ذريته الى الآن هذا من جهة الذات واما الحامل على مخالفة ما سبق في مثلها من جهة المعنى فلصعوبة الامر او تعسره لان قول الحق صعب والكذب حرام ونحن وان كنا في هذا القطر السعيد بأمنه في ظل خديوتنا المعظم التوفيق لا زال قرة لاعين اهل الاسلام ولكل سكانه من الامن والحريّة ما يسيغ له ان يقول الحق ولا يخشى لومة لائم غير ان بعض منتضيات الحال تستدعي الاقتصار في المقال فلا مخلص في الكلام على هاتمة المملكة العثمانية الا الاقتصار على الاجمال على حسب ما تيسر الاحوال الى ان يبسر الله بفضل افراد هاتمة المملكة بتأليف خاص يحوي على التفاصيل في الحقير والجليل ورحمته تعالى قريبة لا يعزب عن امره شيء وهو على كل شيء قدير



### فصل في سفري اليها

قد تقدّم اننا ركبنا من مرسى ينبع في رجوعنا من الحج وقد كان ركوبنا في باخرة نمساوية من اجل البواخر البريدية السيارة بين الهند واوربا فاجازت بجدة وحملت منها ذلك الطود الشهير ذا النسب الخطير والحسب المنير السيد سلمان القادري حفيد قطب الاقطاب الاكبر مولانا سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنهم وهو نقيب اشرف

بغداد ايضاً واكبر عائلته وكان حاجباً في ذلك العام فمن الله تعالى عليّ برفقته عند ما اجنازت الباخرة بمرسى ينبع وركب في الباخرة ايضاً بعض من الحجاج الترك العثمانيين والروسيين غير انه لم يركب في الطبقة الاولى سوى السيد وبرفته اخوه السيد احمد وابن عمه السيد عبد القادر وجوارله وبعض من الخدمة القائمين بين يديه لانه ابقاه الله قد اتخذ في الحجرة الكبرى في الباخرة احدى زواياها واختص بها وفرش بها فرشاً عربيّة وكانت خدمته هم القائمون بشؤونه وزيادة عما يبشره خدام الباخرة مثل كونه يأكل منفرداً هو ومن معه على مائدته الخاصة في الارض من خصوص طعامه الذي يطبخه له طبّاخه الخاص غير انه من مكارم اخلاقه كان يجرى للاكل وقت اكل الرفقاء بحيث كآ نتخاطب وكل منا على مائدته حتى على الطعام الذي بين يدي كل منا اذ كنت اجلس مع بقية ركاب الطبقة الاولى أنا وتابعي في ذلك الايوان للفطور والعشاء وسارت بنا الباخرة ثلاثة ايام فوصلنا جبل الطور ووقفنا هناك مدة الحمية وهي يومان وانزل كل من كان بالباخرة الا اصحاب الطبقة الاولى ومن انزل ابقى رحله في الباخرة الا القدر الذي يحتاجون اليه واخبرونا عند صعودهم انه لم تحصل لهم مشقة القلة الازدحام وكان من هولاء الترك رجل من اهل بوسنه يعرف قليلاً من العربي حصلت بيني وبينه مودة حتى استأذنت عليه رئيس الباخرة وأذن له في الجلوس معي بايوان الطبقة الاولى وهو جميل الاخلاق له بعض مشاركة في النحو والفقّه وقد ترجم يوماً بيني وبين احد الترك الروسيين من اهل ولاية قازان وان كان تفهمه منه عسر جداً لان لغته مخالفة للغة التركية العثمانيّة وله بعض اطلاع على العربيّة من جهة كونه قرأ بضاعة من جارة في الفقّه فسألته عن حالة المسلمين اهل بلده من جهة الاحكام الروسيّة فكان مآل كلامه ان الروسيّة لازالت محتزمة لهم في احوالهم الشخصية ولا يتدخلون فيما شجر بينهم اذ مرجعهم في ذلك الى احكام منهم وكان هذا خاص باهل تلك الولاية التي صارت مع الروسيّة على توافق لطول عهد استيلائها عليهم ومحافظةهم على الشروط التي خضعوا بها اليها لان الروسيّة مجرية في الولايات التي استولت عليها في الحرب الاخيرة مع الدولة العثمانيّة ما هو جارٍ في بقية ولاياتها والزمّت جميع السكان من مسلمين وغيرهم بان يكون التعليم بلغتها فقط لان اللغة هي التي توحد الجنسيّة فاذا تنوسيت لغتهم صاروا روسيين حتى في الجنسيّة ثم اتانا وصلنا الى خليج السويس الموصل بين البحر الابيض والبحر الاحمر وهو احدى ما اثر هذا القرن لان السفن صارت تصل من شطوط المغرب في افريقيا الى

شطوط الصين والهند في ايام قليلة لا تتجاوز الشهر الى ابعدها بعد ان كانت يلزمها عدة اشهر لانها كانت يلزمها الخروج من خليج طارق ثم تحيط بجميع قارة افريقية بالبحر المحيط ثم بحر الهند فلمعري انها لما اثره مفيدة للتجارة على العموم وان كانت فيها مضرات سياسية بالنسبة لكثير من المسلمين وقد روي ان عمرو بن العاص استأذن سيدنا عمر بعد فتح مصر لفتح خليجاً موصلاً ما بين البحرين ولعله بهذا المكان الذي هو عليه الآن لانه اصالح الاماكن لذلك حيث كانت بالوسط بجزيرات عميقة مغنية عن حفر خليج فيها . ثم ان سيدنا عمر سأله عن هذا الخليج الذي يراد فتحه هل يحصل به فصل بين ارض جزيرة العرب ومصر فاجابه بنعم فقال لا افضل بين ارض المسلمين بالبحر . ويقال ان سيدنا علي رضي الله عنه قال للخليفة عند ما استشار كبار الصحابة في ذلك انه اذا تم ذلك الخليج تصير سفن الروم تضرب الى جده وغيرها من مراسي بلاد العرب وليس للمسلمين سفن تعارضهم فيسهل عليهم غزو بلاد الاسلام ولذلك كتب سيدنا عمر رضي الله عنهم اجمعين الى عامله عمرو بن العاص بان يضرب عن ذلك صفحاً ويمكن ان يكون الخليج في اصله موجوداً في العهد القديم . ثم ان الرومال تراكت في احدى جهاته على ما سيأتي ذكره فسدت البحر وامتد عرضها الى ان صارت الارض واحدة ما عدا الجزيرات التي في الوسط على سمة واحد التي ربما دلت على اتصال البحر سابقاً . ويدل على هذا ان بعض المفسرين روى في تفسير قوله تعالى " حتى اذا بلغا مجمع البحرين " في قصة موسى والخضر عليهما السلام ان بعض المؤرخين يقول ان المراد بالبحرين هما بحر فارس والروم اما بحر الروم فهو معلوم واما بحر فارس المعروف الآن فيستحيل ان يتصل ببحر الروم الذي هو البحر الابيض خصوصاً في هذا الزمن القليل نسبياً من زمن موسى عليه السلام الى ما قبل البعثة المعروف فيه حالة الارض على ما هي عليه الآن فلا يصح ذلك الكلام الا اذا كان البحر الاحمر يطلق عليه بحر فارس سابقاً لانه متصل به وقريب منه جداً لانهما ياتقيان الآن في جزيرة العرب اي شطوطها الجنوبية فلا يبعد ان يكون الاسم يطلق سابقاً على الجميع سواء . واتصال البحر الاحمر ببحر الروم سهل جداً لما مر بيانه ولما هو مشاهد بالفعل حيث اتصال في هذا الزمن وسبب هذا الاتصال هو ان رجلاً فرنسائياً يقال له فردنان دي لپسبس له مهارة في الهندسة وهو من مشاهير قومه بدى له يوماً امكان اتصال البحرين بهذا الخليج واعانتة على مرغوبه دولته لما رب سياسية في قرب الاتصال بالهند لعله يمكن لها



يوماً ما اخذ الثار من الانكليز على نحو ما سبق في تاريخ الدولتين فساعفهم على قصدهم والي مصر اذ ذلك سعيد باشا ابن محمد علي باشا وكان الانكليز من اشد المعارضين في ذلك سرّاً وكان الافكار تقول لهم (وعسى ان تكروها شيئاً وهو خير لكم) فانهم حصلوا فيه على أكبر فائدة اذ صارت سفنهم هي أكثر السفن المارة به مع تحصيلهم على مآرب اخرى سياسية كتداخلهم في القطر المصري وغير ذلك زيادة عن كونهم صاروا هم المالكين للقسط الاوفر منه ومحصلين على ارباحه الباهرة وذلك لان فردنان دي ليسبنس ألف جمعية لذلك العمل وجعلت هاتمة الجمعية التي هو رئيسها رأس مال لمصاريف العمل وجعلته على اوراق ذات أسهم تباع وتشتري لكل من اراد وكان للحكومة المصرية من تلك الاوراق ما مقدار قيمته نحو المائة مليون فرنك وآل الامر بعد ذلك الى بيع اسماعيل باشا خديو مصر لاسهم حكومته فاشترتها الدولة الانكليزية تماماً زيادة عما اشترته سابقاً ولا حقاً من الاسهم اذ اذا صار دخل هاتيك السهام يوازي اصل قيمتها حتى صارت كل رقعة منها اصل سعرها خمسمائة فرنك تباع الآن بالفين وثلاثمائة فرنك او نحو ذلك لان تلك الجمعية شرعت في العمل وتمتمه بمحفر خليج من البحر الاحمر بمحاذاة مرسى السويس واوصلته بالبحيرة الاولى ثم حفرت خليجاً بين هاتمة البحيرة والبحيرة الثانية الى ان وصلت الى البحر الابيض وعند ما تم عملها عقد اسماعيل باشا خديو مصر لفتح هذا العمل الغريب موكباً مشهوداً جعل به القطر المصري كأنه دار عرس واستدعي اليه ملوك اورباً كلهم لمشاهدة مرور اول باخرة تمر في ذلك الخليج وكذلك اعيان غيرهم من الاورباويين وكل من قدم منهم فصار ينفق مدة اقامته بالقطر المصري على الحكومة المصرية ولم ان يفرجوا حيث شاؤوا وقد ساح بعضهم حتى الى السودان مع القيام بكل منهم على حسب مقامه اعظم قيام ووفد عليه من ملوك اوربا العظام امبراطور النمسا وامبراطورة النمسا اي زوجة الامبراطور وولي عهد كل من انكلترا والروسيا وبروسيا فضلاً عن بقية الملوك المتوسطين والصغار وصرفت في ذلك كلهم من الحكومة المصرية اموال تكاد ان لا تحصى تعاظمت بها ديونها وذلك كله لما رآب سياسية لم ينجح منها المقصود ونشأ عنها وحشة مع الدولة العثمانية آلت الى الرضاء بعد صرف اموال باهظة ثم استقر عمل جمعية الخليج على اقامة فعلاء ومراقبين على محافظة الخليج ويستخلص على كل سفينة تمر فيه مقدار معلوم من الاموال على حسب حمولتها ونوعها حربية او تجارية وفي رأس كل سنة تقسم الارباح على اصحاب الاسهم بعد

اخراج المصاريف المستمرة لان الخليج من جهة السويس لم تزل الرمال تتثال عليه منذ فتحه الى الآن لولا شدة العمل في رفع تلك الرمال ليلاً ونهاراً على مسافة طويلة تزيد عن العشرة اميال ومع ذلك كله فقد شاهدت في الباخرة التي اجتزنا فيها ان سيرها كان بطيئاً جداً هناك وكذلك غيرها احتراساً من الغرز في الرمل مع كثرة العلامات المجمولة في المياه لمحل المرور ومع ذلك كله قد اصطدمت الباخرة في الرمل عدة مرار حتى اني خلت انه عمل لا بدوم لشدة التعب الذي شاهدته من العملة في جلهم للسفن والبواخر المصطدمة في الرمال حتى كانها تجر بالايدي مع كثرة ومداومة العمل بالآلات الرافعة للرمال ومع ذلك كله لا يتجاز فيه الأ سفينة واحدة وفيه اماكن لوقوف السفن اذا كانت تعارضها سفينة اخرى اي احداها غادية والاخرى رائحة فتلك الاماكن وسبعة تمر بها السفينتان ولذلك يجعلون علامات على اعمدة مرتفعة في البر يميناً وشمالاً ليدرك منها رئيس الباخرة ما يأمره به محافظو الخليج من الوقوف او المشي السريع او البطيء او غير ذلك ولذلك رأيت رئيس باخرتنا قد اخرج كتاباً فيه تلك العلامات وشرح المراد منها ليعمل بمقتضاها عند دخوله الى الخليج وبسبب ذلك كانت السفن لا تتحرك في ليلاً في ناربخ مرورنا وقد وقفنا مرة لمعارضة باخرة انكليزية حربية ذاهبة الى الهدد حاملة للعساكر فلما مرت بنا خيل الينا انا راكبون في زورق مع انا راكبون في اعظم البواخر البريدية لكن عظم تلك الباخرة الحربية التي هي من نوع الفرقطين خيل الينا ذلك فانها كانت ذات ثلاث طبقات من المدافع وحاملة لاربعة آلاف وخمسمائة عسكرياً وكثير منهم معهم عيالهم وكانوا على همجية فانهم لما رأونا صاروا يصرخون ويضحكون ثم وصلنا الى مرسى الاسماعيليه التي هي بوسط الخليج وبقرها ينصب جسر يصل بين اسيا وافريقيا ولا ينصب الا عند وجود المارين ويدفون عليه خراجاً للحكومة المصرية وبننا بالخليج ليلتين وفي صبيحة اليوم الثالث وصلنا الى بورت سعيد ووقفنا بضع ساعات وكان عمال الحكومة المصرية حارسون لباخرتنا لكيلا ينزل منها احد لانهم رسموا في ذلك التاريخ بان لا يدخل الى القطر المصري حاج الا من هو من اهله لانه كان كثير من المغاربة يدخلونه وهم فقراء فربما حملوا الالهالي والحكومة مصاريف لرجوعهم الى اوطانهم ولذلك اعلنوا بذلك التحجير ثم قفلنا من هناك الى ان وصلنا الى مرسى بيروت اعظم مراسي ولاية الشام المعروفة بسورية فطلب مديرو جمعية تلك الباخرة من الركاب ان ينزل منهم الى تلك البلدة كل من كان قاصداً القسطنطينية وما حولها واما القاصدون بوسنه وهرسك وغيرها ممن تكون لهم

مرسى تريبست طريقاً فانهم يبقون في الباخرة لانها قاصدة هناك توّاً والذين ينزلون وكانت الباخرة تعهدت لهم بالوصول الى القسطنطينية وما حولها فانهم ينتظرون هناك الى ان تأتيم بعد خمسة ايام باخرة اخرى لجمعية الباخرة الاولى وتحملهم الى مقاصدهم وكل من اراد من هولاء اخذ مصاريفه مدة انتظاره فله ذلك يدفعها اليه القيمين بامر شركة تلك البواخر البريدية النمساوية المسماة بشركة لويد وقد اخذ منهم بالفعل كثير ممن نزل لكن بعد مشقة لعدم التفاهم حيث كان اغلبهم من الترك الروسيين الذين قل من يعرف لغتهم ولاستشاطة بعضهم في مقدار المصاريف التي طلبها مع ان اللجنة مقومة لاهل كل طبقة مقداراً عن كل يوم لم اعلم ما هو لاني صرفت النظر عنه حيث كان النزول هناك من اعظم مرغوباتي لمزبد الناس بذلك السيد الجليل القادري وللتعرف بتلك البلاد

فزلت هناك وكانت المرسى صعبة جداً لبعدها ارساء الباخرة عن الشط وركوبنا في زوارق مع هيجان البحر وبعد ان خلاصنا رحلتنا من الكمرك الذي لم نرم من اهله الا خيراً دخلنا الى البلاد راجلين لقرىها وعدم وجود ما يركب حول الكمرك فدلي رجل من المتشبهين بخدمة المسافرين على منزل للمسافرين قريب من جهة طريقنا كاشف على البحر فاذا هو منزل للاحد الافرنج مثل منازل اوربا المتوسطة الحسن واخذت به بيتاً واسعة ذات حجرة للنوم والصناديق وحجرة للجلوس واغتسلت في حمامه وبتنا تلك الليلة والاكل فيه حسن ومن غد شرعنا في زيارة بعض اعيان البلاد والتفرج على منازلها ومنافعها فاذا هي بلد جميلة الوضع في سبع جيل مظلة على البحر وحولها كثيب رمل وجبل لبنان بحيث ان حدوده منها على نحو ربع ساعة مجعول له علامات وله ادارة ممتازة كما سياتي في محله وواليه يسكن في الشتاء في بيروت وهو اذ ذلك رسم باشا وقد رايتُه يوماً راجعاً من الجبل الى داره متخذاً ابهة فاخرة في عجلة يجرها ثلاثة من الخيل العتاق وامامه فارس ووراءه اربعة من العساكر الخيالة مسلحين وبنديّة كل منهم حاملها في وجهه وهذا الباشا هو شيخ مسن اصله طلياني خدم الدولة العلية بنصح وشاخ في خدمتها وسمعت الثناء عليه في تلك البلد وغيرها من مساهمين وغيرهم غيور على الدولة محافظ على ناموسها ومصالحها ومن غريب ما سمعته عنه انه كان مرة يتنقذ في جهات ولايتي على ذلك الجبل فصادف انه يتفقد الجهة القريبة من طرابلس الشام ويصل الى تلك الجهة آخر النهار وليس بقرى مكان صالح للعبث الا بلد طرابلس فارسل من صباح اليوم الى متصرفها اي حاكمها يعلمه بانّه بيت ضيفه وكان الوقت رمضان فعرضه آخر النهار ذلك المتصرف وعلماه البلد

ووجهها ثم دخلوا جميعاً الى دار المتصرف وجلسوا في ابوابها كلهم فدخل الخدمة باطباق المشروبات المبردة والجلويات وكان الغروب لم يقع وكان هو ايسر رستم باشا لا زال على دين نصرانته لكنه لما رأى تلك الاطباق داخلة وعلماه البلد ووجهها جالسون اكدفهم وقال للمتصرف ما هذا فاجابه بانه مشروبات مبردة فقال الباشا اليس هذا رمضان فتبسم المتصرف وقال تملقاً من غير ان يريد اظهار قصده لخليفة الدين نعم هو رمضان ولكن جنابكم مسافر وانا ايضاً مثلكم وها انا ابتدئ بذلك واخذ الكاس وشرب فاشتد حق الباشا عليه وخاطبه بشدة بما معناه انك ان كنت لم تراع ديانتك فانا يجب علي ان اراعي دولتي ووظيفتي لاني متوظف ووزير خليفة المسلمين وهذا المقام انما جاءني منه وهاتو البلاد بلاد مسلمين وهؤلاء الجمع مسلمون جاؤني لاجل وظيفتي فبهني نصرانياً فاني اذب على الشعائر الاسلامية التي صرت بها انا من انا واقتدر بها على احقارك وطرديك ايضاً من هنا فاخرج حالاً حيث لم تراع سلطانك وامامك الذي هو خليفة المسلمين ولا اهل البلاد التي انت عليها ولا انا الذي تعديني ضيفاً فخرخ المتصرف من المجلس وشكر الحاضرون كلهم عمل ذلك الباشا فقال لهم ما فعلت هذا لاشكر وانما هي واجباتي اديتها ولعمري ان مثل هذا الرجل يحق ان يستخدم ويا ليت متوظفي الدولة كلهم على نمطه كثر الله من المخلصين الناصحين امثاله ووفقه لسعادة الدارين . وحاصل وصف هاتو البلد هي انها بلد جميلة المنظر لان ديارها محسنة الحيطان من خارج وحسن اكثر طرقها غير ان بجاني الطريق مجاري للمياه على عمق شبر مكشوفة ربما اضرت بالمارين والبناء طينة مغلط بالجير فهو حسن المنظر ويقرب شكل الديار من ديار تونس غير انهم يجعلون لبعض الديار ذات الطبقات درجاً مكشوفة في البطحآت الخاصة بالديار وجعل في البلد طريق للعبلات وهذا الطريق واصل الى دمشق الشام جعلته جمعية الفرنجية منتظم السير في اوقات معلومة وكراء معين وتغير الخيل في مراكز معينة ليلاً وتمهارة وكنت اردت الذهاب فيه الى دمشق لكن قصر الوقت مع تعطل السير في الطريق لكثرة الثلوج منعي من ذلك

واعظم جوامع البلد الجامع المنسوب لسيدنا يحيى عليه السلام وهو جامع واسع نظيف وكذلك بقية جوامعها نظيفة وحماماتها جميلة نظيفة جداً متقنة التحسين بأنواع المرمر وفوارات المياه وبها اسواق جميلة وان كانت صغيرة على نسبة البلاد لان البلد الاصلية صغيرة وكثر حولها البناء المتقن على اشكال شتى منها قصر بديع صالح الملوك

وحولهُ بستان مؤنق غاية التأنيق فيرم من المرمر في البناء والرخام وأنواع المفروشات  
الديعة والأشجار ونقاسيم الماشي وهو لآحد الأهلالي النصارى ذوي الثروة الكبيرة التي  
حصلت له من بعض خدمات له عند خديو مصر السابق ثم استحصل على ان يكون  
قنصلاً للروسيا في بلده وتوجد بيوت اخرى حسنة تقرب من ذلك كما توجد مدارس علمية  
اسمها القسوس من البورتيسانت الاميريكانيين ومن الجزويت الفرنسيين وقد اثرت  
هاتر المدارس تأثيراً واسعاً في المعارف هناك فتقدمت النصارى سكان بيروت في  
التحصيل على معارف جيدة من اللغة العربية نحواً ولغة وانشاء وفي معرفة بعض اللغات  
الاجنبية واغلب مبادي الفنون الرياضية حتى صاروا متاهلين للتقدم وتقلد الوظائف في  
بلادهم وغيرها ويحصلون ذلك في مدة قليلة لسهولة التعليم بالكتب التي اخترع بعضها  
نفس الأهلالي وغيرها غير ان انشاءهم بالعربية يكون غالباً على غير اللهجة الفصيحة  
والاسلوب العربي الفصح لان غالب التلامذة يولعون باللغات الاجنبية فينسخون كتاباتهم  
العربية على متوال تلك اللغات فيصير السبك اعجمياً في قوالب عربية يجها من ذاق طعم  
البلاغة ودونك ما كت رأيته من رسالة لآحد برعاه ذلك الوطن وهو البارع المتفان  
رشيد الدحداح كتب بها في ذلك المعنى نص يحل الحاجة منها بعد ان ذكر ما طرأ على اللغة  
العربية الشريفة وما حصل لها من التغيير بالاساليب الاعجمية الى ان قال " وكذلك لآجل  
تحييب الفرنسيين المسلمين يجب ترويح لسان العرب باللغة الفرنسية حتى تصير لباساً له  
ويصير لباساً لها فيبدأ بتبديل الاسماء فيجعل اسم المعلم ميخائيل ميشال افندي ويبدل  
مريم ياريا واذا كتب رسالة قلب رجلاً على قدم. وتناول ريشة عوض القلم. وقال اخذت  
الحرية لاكتب لكم او عندي الشرف ان اخبركم اني قبلت رسالتكم المكرمة وبالطبع صرت  
ممنوناً لما تضمنته من الاحساسات الودية. والشعائر الوطنية. ورأيته ملهومة من روح  
الصدقة. وراغبة في دوام العلاقة. واخذت الاحتياطات اللازمة لادخالها في اعمدة  
الجرايد ليس فقط لآجل مسرتكم بل بالسبب الاقوى لآجل مصلحتنا ولكن من سوء  
البخت مراعاة الظروف توجبنا على نوع ما ان نلتخذ التمهل بالعمل الى فرصة وفوق كل  
شيء لانه الآن حاصل هنا افكار واستعدادات حرية واما عاملو الانقلاب فبالضد ومع  
الاعتبار يقدم لكم الشكر ويهدي لكم السلام حبكم فلان وقس على ذلك الف داهية. من  
التعبيرات الواهية. التي هي بالمت حرية والتي في اعجميتها سرف. كعندي الشرف. وما هو  
احط من السفالة. كقبول الرسالة. وآم من الصنع. كطبيعياً وبالطبع. وامر من ريب

المنون. كالممنون. واسمح من الخسائر. كهذا الاستعمال للروح والافكار والتقدم والاستعدادات والاحساسات والشعائر. الى ان قال " اما تشبثهم بمادة اخذ فداء اصفر وموت احمر ولو حرمت عليهم اليوم هذه المادة لكسروا الافلام وعجزوا عن الكلام فتراهم يعبرون بها عن كل الافعال العربية فيقولون اتخذ الباشا مادة للقنصل واتخذ الملاطفة لم واتخذوا الدعاء للدولة الى ان قال فيا للخسارة والاسف. على مرض اللغة واشرافها على التلف. فوآيم الله انه لصدع لا يلتئم. وجرح لا يلتئم " الى آخر ما اطال به في تلك الرسالة المنشورة في جرائد عديدة عربية ومنها العدد ٩٥ من مرآة الشرق وهذا الكاتب وان كان من اهل لبنان البارعين في العربية والفرنساوية لاقامته بفرنسا وصرورته من اغنيائها لكنه استفاد من ذلك التعليم لان هذا التعليم شمل اهل لبنان ايضا بفوائده والحق يقال ان فوائده جليلة لحسن التعليم وان اثر بعض تأثيرات سياسية في جلب طباع سهل الطبيعة الى حب جنسية المعلمين لكنه من حيث التعليم له مزية معتبرة تقدم بها النصارى هناك على المسلمين حتى تفتن في المدة الاخيرة بعض المسلمين الغيورين لهذا المدرك ووجدوا واليا يمد اليهم يد المساعدة وهو مدحت باشا فعقد لهم جمعية تسمى جمعية المقاصد الخيرية ومكبتها من الاوقاف التي في البلد وكانت استولت عليها ايدي الاغنياء والمنافع الشخصية فاستعانوا بها مع ما يوزعونها على اهل البلد من كل ذي حمية وعلى ابناء التلامذة وانشأوا بذلك مدارس على نحو النوع السابق ذكره وكت دخلت الى كلاً القسمين فرايت من تلامذتهما ما يسر القلب ولعمري انها ثأثرة جليلة تحق ان تذكر \* وهذا الرجل وهو مدحت باشا هكذا دأبه في كل ولاية وليها لا بد ان يترك فيها مآثرة تذكر وان اعترى كثيراً منها بعده بعض الخلل الا انها لا تزال قائمة لما فيها من المصلحة المشاهدة وهو في الحقيقة من افراد رجال الدولة الذين يشتمل عليهم تاريخها نصحاً وتديباً وعملاً وعمله أكثر من قوله بحيث لا يجد القادح فيه قولاً لولا عجلة فيه كأنه حمله عليها مداومة ما يشاهده في وظائفه من التأنيات والتسويف الذي يستعمله الروساء في وظائف الدولة حتى صار لهم طبيعة والوقت لديهم ليس له اعتبار فاداه ذلك الى انتهازه للقرص التي يجدها لاجرائه المصالح فعلا وجراه ذلك لما اوقعه اخيراً فيما اداه الى الوقوع في حنقه رحمة الله عليه رحمة واسعة. وقد حصل من تلك الجمعية فائدة لا تنكر في المعارف لاهل تلك البلاد وهي وان تأسست في جميع البلاد الشامية لكنها كانت في بيروت اشد تقدماً في المعارف حتى صارت هي اول البلاد الشامية في المعارف على العموم وان كان دمشق

مزيد التقدم في الفنون الشرعية ثم ان اهالي بيروت وان كانوا قسمين مسلمين ونصارى لكنهم جميعاً في غاية الالفة بعضهم مع بعض وعوائدهم جميعاً واحدة حتى في محاسن اخلاقهم وقد شاهدت من فضلاء القسمين ما اشكرهم عليه من محاسن الاخلاق والفرح بالضيف مثل الشيخ الدراكة البليغ البارع ابراهيم الاحدب وله ديوان شعر شهير ومثل الاعيان الاجلاء حسين بيهم ونصري بك رئيس الجمعية الخيرية وعبد القادر القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون احدى الجرائد العربية المتكاثرة في هاته البلاد لما في اهلها من التقدم الذي اشرفنا اليه مع بعدها عن مراكز السياسة ومن اصحاب الجرائد الذين اجتمعت بهم هناك ايضاً البارع المجيد المتفنن سليم البستاني صاحب جريدة اللجنة وجريدة الجنان وهومن النصارى اعيان البلاد ومن اجتمعت به منهم ايضاً الوجهاء الاعيان ابراهيم اليازجي ابن الحسن الذكر المتفنن اللغوي البليغ ناصيف اليازجي صاحب المقامات الشهيرة ومنهم سليم ثابت وغيرهم ومنهم الكاتب البارع حسن الجالبي وهو وان كان من اهالي دمشق الا اني اجتمعت به في بيروت لانه قدم اليها صحبة والي الشام اذ ذلك مدحت باشا رحمه الله لانه كان من كتّاب الولاية المجيدين عربية وتركية فاستصعبه الوالي لنصحيه ونجابته ثم ترقى بعد ذلك في خدمات الدولة العلية وكذلك اجتمعت بالوالي المشار اليه هناك لما لي معه من المعرفة السابقة في باريس ولاقيت عنده مرة النصح رائف باشا متصرف بيروت اذ ذلك ولقد شاهدت من هؤلاء الجمع اكراماً يوجب عليّ الثناء عليهم جازام الله عني كل خير واجل ما حصلت عليه في هاته البلاد اخذي للاجازة في الطريقة القادرية من مولاي وسيدي السيد سلمان القادري ومثله ابقاء الله من يميز ويحافظ على شريعة جده الاعلى عليه وعلى آله الصلاة والسلام فانه عند ما اجازني قال لي ما معناه في امر الادكار وآداب الطريقة ليست هي الا الشريعة فقف على ما ورد به الشرع واعمل به فهكذا يكون المرشدون وما اجازني بذلك الا بعد مزيد الاحلاح تواضعاً منه ابقاء الله الى ان ات ليلة سفري فساعفني ببرغوبي فودعته وسافرت صبيحة تلك الليلة الى القسطنطينية في احدى البواخر السابق ذكرها \* فوقفت بنا بضع ساعات على ازمير التي هي قاعدة احدى ولايات الدولة ونزلت متفرجاً على مرساها وما حولها فاذا هي ذات مرسى جميل حصين صنعته احد الافرنج برخصة من الدولة وفيه بواخر حمة وتصل سكة الحديد الى رصيفه وهي ذات فرعين يمتدان الى داخل الولاية شرقاً وغرباً وحول المرسى فتشلاقات عسكرية وبعض ديار للافرنج والطريق فيها واسع جميل وبقية الطرقات والاسواق ضيقة عليها

آثار الهرم لان غالب الابنية من الاخشاب وقدم عهدها فلم ار ما يذكر الا كونها بلاد تجارية لغنى الولاية بما منحها الله تعالى من كثرة الغلال والفواكه التي تحمل منها الى سائر الآفاق مثل التين المجفف وغيره ثم مرنا على جزر كثيرة تابعة للدولة العلية ذات جمال باهر لكثرة اشجارها وجبالها الخضر المتممة اذ ذاك بالثلج ومن اجملها جزيرة رودس وجزيرة استاني كوى التي تشرح الخاطر بما كساها الله من حلل النبات والاشجار العظيمة ثم وصلنا الى جنه قلعة قبيل الغروب من اليوم الثاني وهي باب الخليج القسطنطيني والبلدة ليست بشيء يذكر سوى انها مقام حربي اذ حولها وامامها من الحصون والطوابي والاستحكامات ما يدهش الناظر وهي كثيرة ممتدة على طول مضيق ذلك الخليج على فوهته الى البحر الابيض التي هي ضيقة جداً لا تسع ازيد من مرور اربع بواخر جسيمة وتلك الحصون اكثرها لا يكاد يبين تخلفه وسط الجبال المحيطة بالجانبين وما يظهر منها تلوح منه مدافع ضخمة تكاد تحرق الجبال عند انطلاقها ولذلك يعد هذا المركز اعظم المراكز الحربية تحصناً بحيث لا يمكن ان يجنازه مجناز بغير رضاء صاحبه ولا تدخله سفينة الآن ولو تجارية الا بالاذن من موظفي الدولة هناك ولذلك وقفت الباخرة هناك لاختذ الاجازة وهي لا تطول مدتها الا نحو نصف ساعة في اثنائها طافت بنا القوارب من البياعين لسلع تلك البلاد والمأكولات والفواكه والذي يمكن ان يذكر من سلعها ليس هو الا اباريق من طين مطلي بمعدن اخضر يصير به الطين صقيلاً ويذهب باشكال وعلى نحوها هو الاباريق اوان اخر على اشكال مختلفة للمياه ثم دخلنا الى بحر مرمره المتوسط بين فوهتي خليج الاستانة التي مر ذكر احداهما التي على البحر الابيض والاخرى بجانب الاستانة على البحر الاسود فبقينا سائرين الى طلوع الفجر وما انفلق الصبح الا وقد بانت ماذن جوامع القسطنطينية التي هي مثل غابة من الخيل وبينها قباب الجوامع الضخمة فارست الباخرة في داخل الخليج على مقربة من القنطرة الموصلة بين استانبول وغلطه وطافت بالباخرة القوارب لمن يكتري من الركاب وقوارب الساع ثم بعد هنية قدم الي بعض من اصدقائي مع زورق مخصوص للوزير خير الدين باشا التونسي اتزلوني فيه وتكفلت اتباعهم مع تابعي با تزال صناديقي فنزلت ضيقاً عند الوزير المذكور ثم بعد بضع ايام اكدت داراً جميلة على الخليج وسكنت بها بعد ان اشترت لها جميع مفروشاتنا اللازمة واحضرت من الخدمة اللازمين والطباخ مقدار الحاجة واقت ساكناً من صفر سنة ١٢٩٧ الى شعبان سنة ١٢٩٨ واحضرت الي ابني البكر من



تونس وبقيت بالقسطنطينية مستريح الفكر والبدن متنعمًا بهوائها الحسن متأنسًا  
بالاصدقاء ذوي الوفاء الى ان حل بالوطن ما حل في سنة ثمانية من استيلاء الفرنسيين  
عليه مما كنت به اندرت ولم تقد النصيحة لقلبة الهواء والله يقضي ما اراد فذهبت الى  
ايطاليا لاختار عائلتي في نقلهم وبيع املاكي وفي اثناء ذلك ذهبت الى جنيف من مملكة  
سويسرا فوضعت بها ابني في مكتب خصوصي ثم رجعت الى ايطاليا لاتمام ما ذكرناه  
ثم رجعت الى القسطنطينية بعد ان اعلمتني عائلتي بسفرها اليها فمرت على مملكة المانيا  
ثم النمسا ثم الرومانيا ثم الصرب والبلغار وسيأتي ذكر هاتيه المالك ان شاء الله كل منها  
منفردًا ببابه ثم رجعت الى القسطنطينية مقيمًا فيها بعائلتي من اول سنة تسعة الى اول  
سنة اثنين وثلاثمائة التي توجهت فيها الى مصر حيث لم اجد من الراحة الفكرية والبدنية  
ما يستقيم به الحال وكذلك امر المال وان كانت الحضرة السلطانية تفضلت عليّ برتب  
وكراء بيت لم يمكن استطادها لما في خزنة الدولة من التضايق المحجف حتى بالقيام  
بالضروريات الواجبة في اغلب الجهات نسأل الله تفريح الكربات



### مطلب في صفة القسطنطينية

هاتيه البلدة قديمة الانشاء وتأسست تحتًا لملكة الرومان المعروفين بالروم سابقًا على  
ما تقدم في تاريخ ايطاليا وسميت البلدة باسم احد ملوكهم ذوي الصيت المنتشر وهو  
قسطنطين المتولي سنة ٢٢٣ ميلادية واتخذ موقعها في اجمل مواقع الكرة الارضية في  
نصفها المعروف قديمًا وموقعها ايضا احصن هاتيك المواقع لانها متحكمة بين البحر  
الاسود والبحر الابيض ويوصل بينهما الخليج الذي بوسطه بحر مرمر وهذا الخليج  
بمكان البلدة يكتنفه جبال يمينًا وشمالًا والجبال مكساة بجبال النبات الباهر في جميع  
الفصول وقد وضعت البلد على سفح ثلاث جبال يفصل بينها الخليج اما قسم منها فيفصل  
بينه وبين غيره الخليج الكبير وهذا القسم هو المسمى باسكودار الواقع في قارة آسيا  
والقسمان الآخران يفصل بينهما فرع من هذا الخليج داخل في قارة اوربا الى ان يتصل  
بجدول يعرف بكاغدخانة فالقسم الشرقي من القسمين يسمى بغلطة والقسم الغربي يسمى  
باستانبول وقد كان في القديم محل البلدة مفصولًا عن بقية القارة بخليج واصل الى بحر  
مرمر وهو قرب مقام سيدنا ابي ابوب الانصاري الآن فكانت جزيرة منفردة

وهذا القسم هو مقر البلاد الاصلية الذي يشتمل على مركز الادارة والاسواق وغير ذلك وحيث كانت البلد واقعة في عرض سبعة واربعين شمالي كان هواؤها يغلب عليه البرد وتنزل عليها الثلوج في كل سنة وربما جمد الخليج في بعض السنين فهي في جميع اوقاتها لها منظر منفرد في الارض لمن يراها داخلًا من الخليج حيث كان الخليج في الوسط وتحفه على جميع شطوطه الممتدة نحو ٢٢ ميلاً قصور ودساكر جميلة الصنع ذات ألوان لان البناء بالاخشاب ويدهن ظاهراً وباطناً بألوان جميلة مع كثرة طاقاته ويتخلل هذا البناء الصوامع المتناغية في الجوت مع جودتها وتمدد ادوار مآذنها وبينها القباب الشاهقة ثم وراء هاته البنائات على سفح الجبال البساتين والجنائن والاشجار الملتفة والعيون المتدفقة فتدهش رؤيتها ابصار الناظرين وتستمر البواخر خارقة لهذا الخليج في ذلك المنظر البديع مدة نحو ساعتين فلا ريب ان كانت هي سيدة البلدان السياسية خصوصاً ووضعها قد جاء على كل من قارتي اوربا وآسيا وعلى كل من البحرين الابيض والاسود ولهذا يسمونها في القديم بفاروق لفرقها بين البرين والبحرين لكن ذلك المنظر والجمال يخط درجات عديدة اذا نزل قاصدها الى البر وتخلل بالمشي في شوارعها لان طرفاتها اغلبها ضيق ومبلط ببجارات على اصل خلقتها مقلبة مكعبة تشعب الراكب والماشي وكثيراً من الديار قد اخذ منه الهرم مأخذة خصوصاً في هذا الوقت الذي تفاقم فيه على اهلها الضيق المالي لان اهلها المسلمون وهم اكثر السكان اغلبهم له جرايات ومرتببات بحيث ان اقامتهم منطقة بالدولة التي ضاقت خزينتها عن القيام بشؤونها وبقيتهم ذوو صنائع خسيصة كسائقي العربات والنوتية وما شاكل ذلك والقليل النادر لم تجارة على قدر الحاجة والتجارة المعتبرة انما هي بيد الافرنج او النصارى من رعية الدولة وكذلك اغلب الصنائع الضرورية والحاجية والتحسينية على كثرتها كلها بيد النصارى ايضاً الا ما ندر وكان سبب ذلك هو اختصاص المسلمين قديماً بالوظائف والرتب فالتحصرت معيشة غيرهم فيما يجيدونه من صنائعهم وتجارتهم ولما انفتح الباب في الازمان المتأخرة شاركوا المسلمين في الوظائف وسابقوم فيما كان خاصاً بهم لمد أيدي المساعدة لهم من الافرنج ودولهم الاجنبية فالتسعت معارفهم الرياضية والفنون صنائعهم واتسعت تجارتهم وثققت المسلمون لوقوفهم فيما كانوا عليه بل لانحطاط درجة المعارف لديهم واعراضهم عن الصنائع وغيرها من اوجه التكبس لانحصار الامال في مجرد التوظف في الدولة ولهذا ترى البلاد ممتلئة بالقهاوي وبالقرائنات التي هي

قهاوي نظيفة ينتابها الوجهاء من الناس فلذلك صارت الدبار الحسنة قليلة في هاته البلاد  
العظيمة التي يتجاوز سكانها المليون وربيع واذا ضمنت القرى التابعة لها في جوارها مثل  
بيوك آطه اي الجزيرة الكبيرة وغيرها من بقية الخليج يكون مجموع سكانها مليون  
ونصف على ما يقال حتى انها كانت هي اعظم البلاد المرووفة وسميت بالقسطنطينية العظمى  
والحاصل ان طرقها الآن التي لها نوع من الحسن هي طريق بيتدي من بطحاء في وسط  
استانبول تسمى بميدان السلطان احمد وفي وسطها مسلة من المسلات المصرية متناغية  
في الهواء فير الطريق على الباب العالي ثم على القنطرة الموصلة الى غلطة ثم يمر منها الى  
الطوبخانه على سمت نحو المستقيم وهكذا يمتد على ذلك النحو الى قبطاش وبشكطاش  
واورطه كوى ثم قورى شيشمه ثم ارنووط كوى ثم الى بيك ثم الى روم ابلي حصار  
ثم الى يني محله ثم الى طرايبا ثم الى بيوك دره ثم الى نهاية الخليج المسمى بروم ابلي قواغي  
جهة البحر الاسود والاماكن التي تقدمت اسمائها كلها حارات مثل البلدان متصل  
بعضها ببعض ممتدة على طول الخليج وانما كان هذا الطريق مستمرا لان اغلب اماكنها بها  
بنات، للدولة او للسلطين او ابنائهم او بناتهم او وزراءهم او امرائهم او لسفراء  
الدول الاجنبية او للاغنياء من الافرنج والنصارى اتباع الدولة مع كون شركة افرنجية  
قد جعلت بذلك الطريق عجالات الترامواي برخصة من الدولة على شرط تحسينها  
للطريق وتوسعتها له حتى لا يعارض مروره العجلات الاخر وهكذا يمتد هذا الطريق  
ايضا بفرع آخر من البطحاء المذكورة ويمر على بطحاء السلطان بايزيد ثم على آق سراي  
ويمتد هكذا مستطيلا على نحو استقامة الى ان يصل الى آخر استانبول في باب ادرنه  
ويوجد طريق آخر على ذلك النحو بيتدي من غلطة امام القنطرة ويصعد في جبلها ويمر  
في بايوزلي التي هي حارة السفراء في الشتاء واما في الصيف فانهم يسكنون في الخليج  
ومثلهم بقية الاعيان وحسن طريق بايوزلي فائق على الكل لمزيد التحسين في الديار الحافة  
بجانبيه وقد احدثت طرق اخرى كثيرة على النوع المتعارف في اوروبا في جهات سراية  
بلدز ونيشان طاش الى ان تصل بطريق بايوزلي لكن هاته الطرق لم تنتظم الديار التي  
على حافتها فاغلبها خال عن البناء بالمرّة ويمكن ان يقال ان البنات الحسنة الموجودة  
في هاته البلاد تكاد اصحابها ان لا يخرجون عن الاصناف الذين ذكرناهم وهذه البنات  
قديمها كله من اخشاب ذو طبقتين او ثلاث نادرا وجديدها من بناء اغلبه بالطوب  
المطبوخ الاحمر او الحجارة والمرمر متقاربة الشكل الحسن منها حسن الظاهر والباطن

وصورتها ان يدخل من الباب الى دهليز فيه درج قليلة يصعد منها الى الطبقة الاولى التي هي ايوان مثل وسط الدار مستوف مع بقية بيوتها وفيه ابواب هاتيك البيوت التي هي مربعة او مستطيلة وفيه ايضاً نحو المقعدين يميناً وشمالاً في الغالب ثم تلك الدرج تنبعث صاعدة الى الطبقة العليا التي هي على نحو التي تحتها وتختلف اشكال الدرج في كونها ذات فرع واحد الى آخرها او ذات فرع وفرعين وكل دار تشتمل على عدة مراحض جميلة الوضع نظيفة كل منها به محل للوضوء ومحل لتبديله بحيث ان الوضوء في هاتيه البلاد يسر شيء على صاحبه مع نظافة المكان والحق ان جميع الديار بل وجميع احوال السكان نظيفة للغاية كل على حسب حاله عسراً ويسراً وقصور السلطنة ومساكن السلاطين قد اشتملت على اشكال البنائات المستحسنة في أكثر البلدان واعظمها بهجة ورونقاً قصر دولابنجنش الذي هو الآن قصر السلطنة الرسمي فانه له باب عظيم ذو اتقان وتزيين بالذهب لم ار مثله قط ضخامة وزخرفة في جميع اوربا وغيرها وهو ينتح الى بطحاء عظيمة امامه وفي مقابلته جامع انيق له باب مقابل ذو بهجة وقريب من باب القصر في الحسن باب ثان يفتح الى طريق بشكطاش وكلا البابين يدخل الى بطحاء عظيمة بها باب القصر الذي هو منقسم الى ثلاثة اقسام في الحجم متصلة ببعضها اوسطها ارتفاعه يوازي ارتفاع القسمين الآخرين مرتين وهذا القسم الوسط كله ديوان واحد هو مجلس السلطان في المواكب فانظر الى هذا البيت الذي اتساعه قدر اتساع قصر تام سلطاني فان القسم الاول هو قصر ذو طبقتين وطبقة ثالثة سفلية نصفها تحت الارض ونصفها فوقها وتشتمل كل طبقة على دواوين واواوين وحجرات مزخرفة مكلمة مزوقة بالذهب والفرش الفاخرة والثريات المتكاثرة وغير ذلك من الزخرفة والايهية التي تأتق فيها السلاطين للمباهاة وهذا القسم خاص بجيوس السلطان للرجال والقسم الثالث مثل هذا القسم وربما زاد عليه رونقاً في الفرش وهو مسكن حرم السلطان ثم عند الباب الاول في الذكر قصران يميناً وشمالاً لحاشية السلطان وخاصته وبطانتهم ووراء قسم الحرم قصر آخر مفصول عن السابق مثل احد القسمين السابقين هو مسكن ولي العهد لكنه لا يلقب بهذا اللقب وإنما يقال فيه أكبر ابناء السلاطين بعد السلطان المستولي وهاتيه القصور انشأها السلطان المنعم عبد المجيد رحمه الله وتسمى دولابنجنش وقريب منه قصر آخر انشأه السلطان عبد العزيز يسمى تشارغان هو اشد رونقاً وزخرفة في داخله من الاول لكن الاول ابهج منظرًا والجميع على

شاطيء الخليج تفتح اليه رواشيتها المتكاثرة كما هو شان جميع الديار هناك فلا تجد بين الشباكين ازبد من نصف ذراع او ذراع وعلى نحو من هذين القصرين في قسم اسكودار قصر بناه السلطان محمود رحمه الله يسمي بكار بك وهو اصغر من الكل ثم قصر آخر بديع للغاية يسمي يقوز حجارته كلها داخلا وخارجا من المرص الاحمر والاخضر فنصنه الاعلى اخضر والاسفل احمر وهناك قصور أخرى عديدة صغيرة دون هاته الا القصر السلطاني الآن المسمي بيلدز الذي هو في الاصل مثل هاتيك الصغيرة لكنه لما رجحه السلطان المعظم عبد الحميد للانفراد فيه والسكنى به دائما تزايدت قصوره شيئا فشيئا حتى صار ابعي في الداخل من الكل وان كان من خارج لا يظهر منه الا القليل لوقوعه في وسط بستان متسع ملتف بالاشجار ومحيط به اسوار ومسكن للعساكر على جميع محيطه



## فصل

### في مجمل تاريخ الدولة العثمانية

اعلم ان الدولة العثمانية كانت تأسست عند ما تفرقت الملوكة الاسلامية واستبدت كل منهم بجهة مع الخروج عن العمل بالشرع بل اتبعوا الشهوات واسترقوا الرعية وتصرفوا في الاموال بحسب الاغراض فضعفت شوكة الاسلام وصارت ممالكهم طعمة للاجانب فرحل من وراء النهر اي نهر سيحون ويعنون بما وراءه ما كان على عدوتهم الشرقية قبيلة من مسلمي الترك تحت رئاسة سليمان شاه جد عثمان خان ملتجئين الى السلطان السلجوقي لما شملهم من ظلم التنر فاطلمهم بالامن واسكنهم ارضا بالاناضول واذن لرئيسهم ارطغرل بعد وفاة ابيه سليمان شاه بالغزو حيث كانوا قوما شدادا متقنين على الحرب فافتتح بسيفه الباتر اراضي وبلدات وفوض امرها اليه السلطان السلجوقي والى ابنه عثمان من بعده فتلقب بالسلطان عثمان وذلك في سنة ٦٩٩ وقد نظم الجده الشيخ محمد بريم الثاني قصيدة تشتمل على انوذج من تاريخ هاته الدولة مع اسماء سلاطينها ذكرناها هنا لا يفتأها بالمقصود وسماها " عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان " وهي

اقدم قبل القصد شكراً لمنعم  
 علي عز هذا الدين والملة التي  
 واتبعه ازكى الصلاة مسلماً  
 نبي له وصف النبوة ثابت  
 ﷺ من قد اظهر الله دينه  
 واعلاه بالانصار اذ حل طيبة  
 وما زال محروس الجناب مؤيداً  
 محوطاً الى ان آل تدبير امره  
 لحي حلال يعصم الناس امرهم  
 كرام فلا ذوالضغن يدرك تبهله  
 ملوك بني عثمان سلسلة العلا  
 فلكه ما قد شيدوا من بناءه  
 لقد احكموا امر الجهاد بما اتوا  
 فكان لهم والله يكلأ مجدهم  
 وقدرت في ذا النظم جمع ملوكهم  
 فأولم (عثمان) باكورة العلا  
 له فتحت برصا فاضحت سريرهم  
 وثانيهم (ارخان) من قد اتت به  
 شجاعته قد اظهرتها حروبه  
 وثالثهم من نال فضل شهادة  
 فذاك الذي قد فض ختم ادرنة  
 ورابعهم شمس العلا (بايزيد) هم  
 لئن كان مع تيمور ما انقذ القضا  
 ولا عجب للاسد ان ظفرت بها  
 فخرية وحشي سقت حمزة الردا  
 وخامسهم نجر الملوك (محمد)  
 وسادسهم ثاني (مراد) بن من رقى

علينا بما اربى على كل انعم  
 وان لحقت فازت بفضل التقدم  
 علي اشرف المخلوق قدرا واعظم  
 وادم بين الماء والطين فاعلم  
 بمكة ذي البيت العتيق المعظم  
 فحيا بوجه مشرق ذي تبسم  
 بكل امام بالعلا ذي تهنيم  
 وحفظ حماه بالخميس العرمرم  
 اذا طرقت احدى اليالي بمعظم  
 لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم  
 غصون نمت اذ فرعت عن عظمتهم  
 وما هدموا للكفر من كل معلم  
 باعظم صنع فيه من بعد اعظم  
 بما فعلوا حق علي كل مسلم  
 وبعض مزاياهم لتروى فتعلم  
 مذيق الردا من بأسه كل مجرم سنة ٦٩٩  
 فكان لها في ذلك فضل التقدم  
 كريمة من صلب الولي المعظم سنة ٧٢٦  
 فعنه بما تختار فيها تكلم  
 (مراد) محلي القرن حمرة عندم سنة ٧٦١  
 فذاقت به برد الهنا والنعيم  
 موافقه في الحرب مرة مطعم سنة ٧٩١  
 فان ارتكاب الغدر منشا الثلم  
 كلاب الاعادي من فصيح واعجم  
 وحنف علي من حسام ابن ملجم  
 مجدد هذا الملك بعد التصرم سنة ٨١٦  
 من العز مرقى لا ينال بسلم سنة ٨٢٤

تغلى عن الامر اخياراً لشبلة  
وسابهم فحل الفحول (محمد)  
عقيلة عن صيد الملوك تمت  
انقد جاءها يخنال في العزمودعا  
لدى اسد شاكى السلاح مقذف  
فدحرج عنها سيد الروم خاسماً  
وحل بها لما تنادت جنوده  
وقدوسم السيف العدافي رؤوسهم  
فما الحرب إلا ما رأوا من بلائهم  
وثامنهم فرع له (بايزيد) هم  
وتاسعهم مفتاح فتح ممالك  
(سليم) الذي قدحل بالشاه بأسه  
ولاح بتبريز سنه فاصبحت  
ومذ برقت بالشام انوار برقه  
فسكن منها روعة بقدمه  
وواجه مصرًا بالاذى اذ تلكأت  
وقد غرها النوري فنار يدايق  
فاصبح مصلوبًا بباب زويلة  
ولم يبق من ابناء شركس ناعق  
واضحى سليم المقامين خادماً  
وعاشهم ذوالرأي والبأس والندا  
قد انتظمت بغداد في سلك ملكه  
وقد ظهرت آثاره فحديثها  
فنها ويا لله غزوة رودس  
وفي سكتوار بعد ان فقت له  
فلاحت بافق الملك طلعة شبلة  
لميته العليا قبرص اذعنت

وعاد لجبر الحال خوف تألم  
له فتح اصطنبول اشرف مغنم سنة ٨٥٥  
وكلهم يخفي وصلها ذو تهم  
خبايا المائياً بين جيش عرمرم  
له لبد اظفاره لم تقلم  
لدى حيث القت رحلها ام قشع  
بتكبير منشي العالمين ومعدم  
كانهم قد خضبوها بعظم  
وما هو عنها بالحديث المترجم  
ابو الجود ما ذا سد خلة معدم سنة ٨٨٦  
غدت في جبين الدهر غرة ادم  
فادبر يطوي الارض من قرب جهضم سنة ٩١٨  
عروساً تجلت في وشاح منمن  
دعته دعاء الباس المتظلم  
وضمت عليه سورها ضم معصم  
فاجرى بها نيلاً تدفق بالدم  
واقبل طومان كذيب لضيف  
يداس باقدام ويوطا بنسم  
كانهم قد لامسوا عطر منشم  
بذاك ينادي للسلطين خدم  
(سليمان) جراع العداكس علقم سنة ٩٢٦  
فصار له امر العراقين ينتمى  
حداة الورى تحدو بها كل موسم  
تغنى بها طير الفلا بترنم  
اجاب الى المولى بقلب مسلم  
(سليم) عظيم الملك فرع معظم سنة ٩٢٤  
تقابل مساهم بوجه مقسم

وفي بين من بعد بدء فتوحه  
واحيا به الرحمن تونس عند ما  
فشد بضبعي سعدا فاقامه  
ومن بعده قد بايع الناس فرعه  
ويتلوه في دست الامامة شبله  
اقام على اغرى فابدى بافقهها  
وعقر للرحمن في الارض وجهه  
وقام ابنة ذوالحسن (احمد) بعده  
ومن بعد هذا (مصطفى) بن محمد  
فبويج (عثمان) بن احمد بعده  
وقد عاد بعد الخلع خافان مصطفى  
فجاء (مراد) بنجل احمد بعده  
اطل على دار السلام يجيشه  
وقد لبست ما زانها لسرقه  
وعادت الى عاداتها دار سنة  
وقد قام (ابراهيم) وهو ابن احمد  
بكندية منه وقد جاس ارضها  
اقاموه عن كرسيه وتقدموا  
(محمد) فرع منه فانصدع البنا  
ولكنه لما تكامل واستوى  
فتم فتح سنة والد له  
وناهيك من فتح يضيق بيانه  
ومن بعد هذا تم بالخلع امره  
فقام (سليمان) اخوه مقامة  
ومن بعدهم قد قام (احمد) صباه  
واعقب هذا (مصطفى) بن محمد  
فقام اخوه (احمد) بعد خلع

لوالده الارضي اتى بالتمم  
غدت بعد غزاة شاخ في تحطم  
وكان يقهر الاسر صاحب نجتم  
(مرادا) كريم النفس وابن مكرم سنة ٩٨٣  
(محمد) مغضي الطرف عن فعل مأم سنة ١٠٠٣  
سحائب حرب امطرت كل لهدم  
قآب بفتح الطواغيت مرغم  
يجي بيدر تحت تاج منظم سنة ١٠١٢  
اقيم ولكن عقده غير مبرم سنة ١٠٢٦  
وانزل عن قرب لامر محتم سنة ١٠٢٨  
وانزل بعد العود مثل المقدم سنة ١٠٣١  
فكان كعلم لاح اثر توم سنة ١٠٣٢  
فألقدها من راضي مذمم  
والقت بما قد شان من ثوب مأم  
تجرر اذبال المنا والتعم  
فلله من حزم وحسن توم سنة ١٠٤٩  
باسياف اجناد لما نهش ارقم  
لمن هو في عهد الصبا والتعلم  
وهب من الكفار كل تضرم سنة ١٠٥٨  
بدا منه حزم فاضح كل احزم  
بكندية اعظم به من متمم  
عن النظم فانظر في التواريخ تعلم  
فيالك من فعل قبيح مذمم  
ولم يال جهدا في صلاح الحطم سنة ١٠٩٩  
فبان جراح لاتداوى بمرم سنة ١١٠٢  
واخر عما ناله من تقدم سنة ١١٠٦  
وسلم لما شام برق التالم سنة ١١١٥



وقد فتحت تبريز قهراً ومورة  
 فبويع للسلطان (محمود) بعده  
 سنة ١١٦٨ ومن بعده قد قام (عثمان) صنوه  
 الى الموسقواذ وجه العزم نحوه  
 ومن بعده (عبد الحميد) امامنا  
 ابا بن له الله الهدى وانا له  
 فراك سلاطين الزمان جمعهم  
 وعدتهم سبع وعشرون قد غدت  
 ودولتهم خمس الهنيدات عمرت  
 وذا في ثمان بعد تسعين ضمها  
 وناظمها العبد الفقير محمد  
 يقول تناديني المعالي بقولها  
 ايا دولة اربت على كل سابق  
 وقد سلمت حتى رأت في سريرها  
 (سليم) ابن خاقان الخواقين مصطفى  
 فلا زال منها قائم اثر قائم  
 يقول حفيد الشيخ قدس سره  
 لقد انجح الدعوى بفضل نواله  
 بتسليم هذا الامر اليه (مصطفى)  
 ولا قضى نجباً قتيلاً من الاولى  
 تعالى الى دست الخلافة حازماً  
 له صولة في الروسيا مع بغاته  
 ومن بعده قام ابنه من لخدم  
 ألا انه (عبد الحميد) وحيدهم  
 بحرب القريم اخطب دام مصابراً  
 ونظم قانوناً الى الخير راشداً  
 فاصبح وجه للبسيطة مبهجاً

بايامه وجه الزمان المظلم  
 هو ابن اخيه مصطفى المتقدم سنة ١١٤٣  
 ومن بعد هذا مصطفى ذوالتقدم سنة ١١٧١  
 وجرى في حرب له كل اصرم  
 اخوه عظيم من عظيم مخم سنة ١١٨٧  
 رشاداً وتسديدا لدى كل مبهم  
 بنظم كسبط باللاكي منظم  
 سماه العلاء منهم تضي بأنجم  
 وفي طول هذا العمر لم تلك تهمهم  
 الى مائة من بعدها الالف تعلم  
 اقل الوري المشهور فيهم بيديم  
 اليك الذي قد قلت فيهم به اختم  
 عليها لعز الدين والملة اسلم  
 هاماً به الدين الحنيفي يحني  
 لديك يا مولاي سنة وسلم سنة ١٢٠٣  
 الى زمن المهدي وعيسى بن مريم  
 موافقه في الاسم لا في التعلم  
 كريم له النعمى على كل مسلم  
 لعبد الحميد الفرد لقب بابن سنة ١٢٢٢  
 اضاعوا التقى واستبدلوا الامن بالدم  
 اخوه الرضى (محمود) خير ميم سنة ١٢٢٣  
 فارواهم ماء الردى والتقسيم  
 غدى ينشر الاعلام في كل معلم  
 له النصره الغراه في كل معظم سنة ١٢٥٥  
 فنال المنى من بعد طول تجهم  
 وتم ما ابداه رأيه المقدم  
 بما نالها من فرط عدل متمم

ومن بعد ذا وافي الى الدست ضيغ  
فذاك النبي عم البسيطة عزه  
وان رمت عدداً للباثر تكتفي  
لقد خضعت سود الجبال لعزمه  
ومذارتني فوق السرير تتوجت  
لذاك تبشير الولاية ارخت  
ولكنما قد حل ما جل امره  
فتم باهل الحل والعقد خلعه  
(مراد) ولكن لم يطق عبء حملها  
فنادوا سراعاً مجمعين باسرم  
الا انه **عبد الحميد** اماننا  
فاربي على كل الملوك مفاخرآ  
تلافي بحسن الرأي ما جل خطبه  
فارجع قهراً طباءة الصرب بوسنا  
كذا الجبل المسود لان عن بيكة  
فكان الى الروس الطفاة معاضداً  
وابقى اله العرش حوط الخلافة  
فاسدى لها سلطاننا فيض عدله  
ولا زال يبدي كل يوم فضاءلاً  
فنسأل من فيض الكريم له حمى  
ودونك بشري للولاية ارخت  
وان رمت بشري الخال تاريخها اذا

فضمنت قصيدة الجيد المشار اليه عليه سمائب الرحمة تاريخ السلاطين الذين  
اولم السلطان عثمان وآخروهم السلطان سليم ابن السلطان مصطفى كما تضمنت تدبيلنا  
تاريخهم من السلطان مصطفى الى سلطاننا الخاقان عبد الحميد ايده الله وتبين مما سبق  
ان الدولة العلية لم تزل منذ ستائة سنة والله الحمد قائمة معتبرة بين الامم غير انها منذ نحو  
مائتي سنة تناقصت سطوتها عما كانت عليه لا سيما في حروبها مع روسيا لان الدولة

له مفخر اربى على كل ضيغ  
وسلطانه فاق السوى بالنظم  
بذكر اسمه (عبد العزيز) مترجم  
فاضحت لعز بالخلافة يأتي  
بافعاله هام الزمان بالنعيم  
حسيب به الاسلام مازال يحتمي سنة ١٢٧٧  
تخيف من الخطب العظيم المطهم  
ونادوا بنجل للهام المقدم  
لاخلال شرط بالامامة مخرم سنة ١٢٩٣  
بين يحسم الاحوال في كل معظ  
عماد الوري والدين نجل المكرم  
تحلى بها الافاق في كل موسم  
بدس العدو الموسقو المذم  
وهرسك بلغارا بنصر متم  
بفتك وحلم ثم عاد لاعظم  
وحل القضا اعظم به من عتم  
بابقاء جبل للمالك محنمي  
باجرائه تأسيس عدل منظم  
تترجم عن شد النهي والتقدم  
بنصر لاعلام الخلافة مبرم  
مفتح ابواب الصفا والتقدم سنة ١٢٩٣  
لعبد الحميد العيد اسعد موسم سنة ١٢٩٧

الروسية منذ وليها بطرس الاكبر في سنة ١٦٨٢ جعلت مطمح نظرها توهين شوكة الدولة العلية والاستيلاء على ما يسمح لها من ممالكها ثم الاستيلاء على بقية المعمور اقتداءً بدولة الرومان في استيلائها في عنفوانها على سائر المعروف من الكرة اذ ذلك ويبرهن لهذا صريح الوصية المنسوبة الى ذلك القيصر واول من اشهرها في اوربا هو فريديرك كياردي سنة ١٨٣٦ وهذا تعريبها

من بطرس الاول الخ - الى كل من يخلفني على تخت روسيا التحية . فان الله سبحانه لم يزل منذ بداية الابد في اعانتنا واسدل فضله علينا بما حملني على الاعتقاد بان الامة المسكوية لتسلط ان شاء الله على الممالك الاورباوية ( لا قدر الله ) والدليل على ذلك ان الامم الاورباوية قد هرم اكثرهم واخذ البعض منهم في التلاشي فان ادركت روسيا تمام قوتها لا شك انها تتغلب على سائر الممالك لما لها من شوكة الصغر وعندى ان هجوم الامم الشمالية على اوربا من احكام القدرة الالهية التي لا بد من نفوذها كما وقع سابقاً عند هجوم الامم المذكورة على مملكة الرومانيين فاحتتها بعد اضمحلالها وانا وجدت روسيا جدولا صغيراً فتركها نهراً وارجوانه باعتهاء من يخلفني نصير بحراً عظيماً يغطي بياهه اوربا باسرها ولا يتعرض لسيلانه عرمرم فحملني هذا الاعتقاد على ان اقرر هنا الاصول التي لا بد من اتباعها نظراً الى ادراك هذا المقصود المعبر وهي

### اولاً

على ملوك روسيا ملازمة الحرب لتكون جيوشهم دائماً على حال الرياضة والاستعداد فلا يكفوا عن الحرب الا لاصلاح شأن المالية وجبر ما نقص من العساكر وتربص فرصة الهجوم على الاعداء فالحرب والصالح يتناوبان حسبما تقتضيه الحاجة نظراً الى توسيع دائرة شوكتنا وفلاح البلاد

### ثانياً

عليهم ان يجلبوا من سائر الاقطار الاورباوية العارفين بالفنون الحربية مدة الحرب واما مدة الصلح فليهم جلب من اشتهر من العلماء لتنتفع روسيا بما يلائم الاخرى من دون خسارة ما لها طبيعة

### ثالثاً

عليهم التداخل في سائر احوال الممالك الاورباوية وخصوصاً المانيا لقربها اليها

رابعاً

التداخل في احوال بولونيا وفي انتخاب ملوكها حتى لا ينتخب الا المحب للروسيا  
وادخال جيوشنا بها لحاية هولاء الملوك الى ان يتيسر التسلط على البلاد راساً فان  
تعرضت الدول الاخرى تجب الاجابة الى مطالبهم الى ان تقدر على استرجاع ما سلمناه

خامساً

نأخذ من مملكة السويد ما يمكن اخذه ونجعل بينهم وبين الدانمرك عدواناً دائماً

سادساً

لا يتزوج اهل بيتنا الا بنات ملوك المانيا لتأكد المحبة بين روسيا و المانيا وتكثير  
وسائل المواصله بينهما

سابعاً

يجب الاعنائه بمخالفة انكلترا لما لها من الحاجة الى اشجارنا لسفنها ولما نستفيده  
منها نظراً الى اصلاح شأن اسطولنا فضلاً عن تبادل فائدة تبادل ما لنا من الخشب  
وغيره من النتائج بذهب انكلترا وما ينشأ منه من كثرة المواصله بين تجارها وتجارنا

ثامناً

نمدد بقدر الامكان من جهة الشمال وعلى شواطئ البالتيك كما يجب السعي  
بالامتداد من جهة المغرب وعلى شواطئ البحر الاسود

تاسعاً

تقرب من القسطنطينية والهولود بقدر الامكان فمن ملك القسطنطينية فقد ملك الدنيا  
فبناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع الترك ومملكة الفرس وجعل ترسخانات  
بشواطئ البالتيك والبحر الاسود وهذا من اللازم لنجاح ما قصدناه وينبغي ايضاً  
تعجيل مملكة الفرس من الاضمحلال وتنشيط التجارة التي كانت بين الشام وجبل قاف  
فتتقدم الى الهند التي هي مخازن الدنيا وان حصلنا على ذلك لا حاجة لنا بذهب انكلترا

عاشراً

يجب السعي في تأكيد المحبة مع دولة النمسا باسعاها ظاهراً على ما قصدته من  
التسلط على المانيا مع اننا نعرض عليها ملوك المانيا سرّاً

### حادي عشر

نشارك النمسا فيما قصدناه من اخراج الترك من اوربا فان ظفرنا بالاستيلاء على القسطنطينية واظهرت دولة النمسا شيئا من الغيرة لاجل ذلك فاننا نحث دولة من دول اوربا على مغاربتها او نسلم لها جانباً مما حصلنا عليه ونسترجع في اول فرصة

### ثاني عشر

نجمع سائر الاغريق ببولونيا وبمالك النمسا ونسعفهم بقدر الامكان بالحماية والدفاع عنهم حتى يكونوا لنا احباء ما بين الاعداء

### ثالث عشر

بعد الاستيلاء على مملكة السويد وغلبة الفرس وبولونيا والتسلط على الممالك العثمانية وجمع جيوشنا ودخول اساطيلنا بالبالتيك والبحر الاسود نشرع في المفاوضات السرية مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة الدنيا بيننا فان ارتضت احدي الدولتين ما نعرضه عليها نستعين بها على قهر الاخرى ثم نهجم عليها ونغلبها ولا يصعب علينا ذلك حينئذ حيث يكون بيدنا ملك المشرق ومعظم اوربا

### رابع عشر

ان امتنعت كلا الدولتين المذكورتين مما نعرضه عليها وهذا مما يبعد وقوعه يجب السعي بتخريض احدها على الاخرى فنترصد الفرصة ونهجم على المانيا بجيش عظيم ونوجه اسطولين الى البحر المحيط والبحر الاوسط للاستيلاء على فرنسا وبعد قهر فرنسا ومانيا لا يصعب الاستيلاء على بقية ممالك اوربا . اه  
وهاته الوصية وان انكرتها رجال الدولة الروسية لكن السيرة السياسية والعسكرية الموجودة في الخارج من ذلك التاريخ الى الآن تصدق وجودها اذ هي مطابقة لها مطابقة النعل للرجل فلا زالت تمد سطوتها في اسيا واوربا ولما كانت الدولة العلية هي الدولة ذات الشأن المجاورة لها في كل من القارتين مع مخالفة الديانة جعلتها مطمح نظرها ووجدت سبيلاً لمخادعة الدول الاورباوية بالانتصار للمسيحيين الموافقين لهم في الديانة لما تدعيه من التعدي عليهم فريد تحريرهم من استيلاء الدولة العلية عليهم على ما سيرد بسطه في الفصل الاول من الخاتمة فجعلت تثير ثورات في احد الاقسام ثم تنتصر له بان يجعل له ادارة مستقلة في داخلته وبعد مدة تغريه بالاستقلال وتنتصر له فاذا تم

استقلاله لا تلبث ان تبطله ثم تنتقل الى قسم آخر بواليه وهكذا ولما تفتنت الدولة العلية الى هذا المقصد تداركت الامر باصلاح الادارة على حسب ما تقتضيه الاصول الشرعية ويزيل تلك الاعتراضات حتى تقوى وتمتع نفسها وتستميل بقية الدول الاورباوية الى انصافها من مشاخصها فتعاطى المرحوم السلطان محمود مبادي الانتظام بعد ان لاقى متاعب شديدة مع العساكر الينكشارية الذين كانوا اعظم اسباب التخضرم في الممالك العثمانية العلية حيث عاثوا في الارض بظلم الرعية والاستيلاء على الاحكام السياسية في القاعدة وانحاء الممالك وخروجهم عن طاعة السلاطين وتلاعبهم بهم هذا بعد ان كانوا هم عدة الاسلام وناشري اعلام انتصاره عند ما نظمهم الدولة الى خلال القرن الحادي عشر فابتدأوا بما سبق ذكره وتنادوا عليه الى ان وهنت الشوكة وتداركها السلطان محمود فزال ذلك الصنف بالمرّة بعد حرب ذريعة ونظم عوضهم العساكر النظامية على نحو انتظام العساكر الاورباوية في الممالك المتقدمة مع انه كان اذذاك في تعب عظيم من حرب روسيا التي كانت خاتمها معاهدة ادرنة الموهنة لتامر استقلال الدولة العلية والجماعة لروسيا اليد في احوال الممالك العلية وكذلك كان السلطان في مهم من ثورة الاغريق في جزيرة مورا واضيف اليه غدر الاسطول الانكليزي باسطوله واساطيل الولايات التابعة للخلافة كصروتونس والجزائر اذ بينا تلك الاساطيل العظام راسية في بحر الجزائر الاحتراس في شأن ثورة مورة واذا بالاسطول الانكليزي وارد عليها في صورة المعاضد لان السلم متأكد بين الدولتين ولم تكن بينها شائبة حرب بالمرّة واشارت الاساطيل الى بعضها بعلامات السلم فلم تلبث ان تخلت بين الاساطيل العثمانية حتى اذا تم تمكنها منها اطلقت عليها النيران من جميع الجهات في آن واحد مع شدة الالتحام والتداخل والمسلمون في حال الدعة اعتمادا على السلم المحقق فهلكت جميع تلك الاساطيل وغرقت في لجة البحر دفعة واحدة بن فيها فكانت حادثة لا تنسى ولا تنمحي من صفحات التواريخ حتى ان اعضاء مجلس الاعيان ومجلس النواب من الانكليز انفسهم هاجوا وماجوا على دولتهم من تلك الفعلة والزمو الوزراء بالمحاكمة والقصاص فانكر وزير البحرية اذنه بذلك وقال ان فعل رئيس الاسطول لما فعل هو افتيات منه ولا علم للدولة به فالزمو احضاره والحكم عليه بالقتل وعند ما حضر وروفع في مجلس الحكم وصدر الحكم بقتله وعلم انه لم يبق له مفر اقبل على وزير البحرية وساره في اذنه بقوله ايها الوزير ان تلك البطاقة التي بخطك قد نسيت ان احرقها وها هي الآن في جيبى فبهت وجهه واطرق صامتا ثم عقد جلسة

سريّة واطلاق سبيل الرجل ويقال ان الحامل على ذلك ما هو مركز في طباع الدول سيما اذا كان القصد هو اركاس المسطوع عليه لما ياتر به الساطي بيد ان الدولة الانكليزية لم تنزل من ذلك الوقت الى الآن تعاضد الدولة العلية وتنصح لها وتظاهرها متى استطاعت كما ياتي ومع هاته الشدائد التي تقدمت الاشارة الى بعضها فالسلطان محمود رحمه الله ونعمه لم يزل جليداً مقداماً حتى انه لما بلغه خبر الاسطول وهو يجادث احد كبراء دولته لم يزد على سؤاله عن تحقق الامر من غير انزعاج ثم عاد لحديثه الذي كان فيه وشمر عن ساعد الجد في تجديد الاسطول واقرار الراحة بانتظام العساكر النظامية والاحكام السياسية والشرعية فاخرمته المنية قبل الاستتباب وتسلطن ولده السلطان عبد الحميد فاخذ في السعي في الانتظام وتغيير السيرة القديمة الى التهذيب الرقني الذي هو موافق للشرع العزيز كما يأتي في الفصل الرابع. من الخاتمة واصر الفرمان العالي المحدث للتنظيمات وتعريبه هو

من المعلوم عند الجميع ان دولتنا العلية لم تنزل من مبدأ ظهور امرها معنوية بكامل الرعاية للاحكام القرآنية الشريفة والقوانين الشرعية المنيفة وان سلطنتنا السنية قد وصلت بذلك الى الدرجة القصوى من القوة والمكانة ورفاهية الرعايا وعمارة المدن والقرى الا انها منذ مائة وخمسين سنة تناقصت قوتها ومعمورية ممالكها واخذت في التاخر والضعف وذلك لغوائل متعاقبة واسباب متنوعة نشأ منها تجاوز الحدود الشرعية والقوانين المرعية ولا يخفى ان الممالك التي لا تنسج ادارتها على منوال القوانين الشرعية لا تدوم استقامتها فلذلك لم تنزل افكارنا منذ جلوسنا على سرير الملك مصروفة الى تدبير وسائل عمارة الممالك ورفاهية الاهالي مما يحصل به المطلوب في مدة يسيرة بعون الله تعالى نظراً الى حسن الموقع الجغرافي المحنوي على ممالك دولتنا العلية ذات الاراضي الخصبة والاهالي ذوي الاستعداد وتمام القابلية الى ان راينا من المهم وضع قوانين جديدة مؤسسة على القواعد الشرعية المشيدة واعتمادنا في وضع ذلك على العناية الربانية متوسلين بحرمة سيد البرية صلى الله عليه وسلم ومدار القوانين المشار اليها على وجوب حفظ النفس والعرض والمال وعلى بيان المرجع في تعيين الاداء وجلب العساكر اللازمة اما وجوب حفظ النفس والعرض فلكونها اعز الامور الدنيوية فاذا خشي الانسان عليها اضطر الى التثبث بمن يرجو به وقايتها كائناً من كان وان لم يكن في اصل نظرتهم مجبولاً على الخيانة ولا يخفى ان ذلك ما يضر بالدولة والمملكة بخلاف ما اذا كان آمناً

على نفسه وعرضه فإنه لا يجيد عن طريق الصدق والاستقامة وصرف المهمة الى حسن الخدمة لدولته وملته. واما المال فان من نقد الامن عليه لا يتأتى له القيام بحقوق دولته اذ لا يخلو دائماً من شغل بال واضطراب حال بخلاف ما اذا كان آمناً على ماله فإنه يشغل نفسه بما يعنيه في دينه ودنياه وينظر في توسيع دائرة معارفه وعيشه وبذلك يتمكن من قلبه حب الوطن وتشدت غيرته عليه وعلى دولته ويكون سعيه على حسب ذلك واما تعيين الاداء فالمرجع فيه ان كل دولة تحتاج في حفظ ممالكها الى القوة العسكرية كما تحتاج في ضبط تصرفاتها الى مصاريف لازمة فلا بد لها من مبلغ وافر من المال بحسب احتياجها واما يتحصل ذلك بما يضرب على اتباع تلك الدولة فلزم ان يوضع للاداء المشار اليه طريقة مستحسنة وذلك ان الاستبداد وان بقيت معه ممالكنا سالمة والحمد لله على ذلك لكن ظهرت آثاره من الاخلال والحراب وذلك لان جعل زمام مصالح المملكة السياسية وامورها المالية بيد شخص واحد موكولة الى اختياره بل لا مانع ان يقال موكولة الى قهره وجبره يتسبب عنه ما ذكر خصوصاً اذا لم يكن ذلك الشخص من اهل الخير فإنه يوتر منفعته على منفعة الغير وتكون تصرفاته مبنية على الظلم والظير فوجب لذلك ان يبادر بترتيب معيار مضبوط يعتبر في توزيع الاداء على الاهالي مراعى فيه قدر المكاسب واليسار بحيث لا يؤخذ من احد ما فوق مقدوره بعد ان يجعل لمصاريف الدولة اللازمة للعساكر وغيرها حد محدود بقوانين لا تعداها واما جاب العساكر فهو من اهم ما يتوقف عليه حفظ الدين والوطن والذب عنها فيلزم الاهالي ان يقدموا اشخاصاً منهم للخدمة العسكرية لكن الطريقة الجارية في ذلك الى الآن مما فيها من عدم الانتظام تؤدي الى اختلال اصول الزراعة والتجارة والى قلة التناسل ( فيقع النقص في الاموال والافس والثرات ) ومنشأ ذلك عدم اعتبار عدد النفوس الموجودة ببلدان المملكة فيؤخذ من بعضها اكثر من المقدور ومن بعضها اقل من الميسور واستمرار الجندي في الخدمة العسكرية مدة حياته وبذلك يقل النسل ويحصل الضجر الخلل بفوائد الخدمة المذكورة فبناء على ذلك نرى من اللازم اذا مست الحاجة لاخذ العسكر من المالك ان يوضع لذلك اصول مناسبة جارية على منهج المساواة المطلوبة ثم يسلك في الاستخدام العسكري طريقة المناوبة بحيث لا يبقى الشخص في الخدمة المذكورة اكثر من خمسة اعوام مثلاً فهذه الاصول التي عليها مدار القوانين والتنظيمات يحصل بمعونة الله نمو العمران والقوة والامن والراحة فلذلك نقول يلزم من الآن فصاعداً ان لا يعامل احد



من ارباب الجرائم والجنايات بما يفضي الى اطلاق نفسه من سم ونحوه بدون مبالاة بل لا يحكم عليهم الا بما تقتضيه القوانين الشرعية وان لا يسلط احد على الوقوع في عرض آخر وهتك حرمة وان يتصرف كل انسان في امواله واملاكه بغاية الحرية وعدم المعارضة وان من جنى جناية لا يجرم ورثته من حق وراثته بالاستيلاء على امواله للجناية التي هم براء منها وهذه المساعدة منا جارية في حق المسلمين وغيرهم من اهل الملل التابعين لسلطنتنا بدون استثناء احد منهم ولا تمام الامان وتعميم الاطمئنان يزداد في اعضاء مجلس الاحكام العدلية قدر ما يلزم للنظر في سائر اللوازم وفصلها بما يتفق عليه الاكثر وعلى وكلاء دولتنا العلية ان يحضروا المجلس المذكور في بعض الايام ويبيدي كل واحد ما يستصوبه دون تحاش ولا مداراة واما المفاوضات في شأن التنظيمات العسكرية فانها تكون بدار الشورى الكائنة بمجلس السر عسكر وكل ما يستقر عليه الرأي من القوانين يعرض علينا لنوشحه بالخط الميمون ويكون دستور العمل الى ما شاء الله وحيث كان وضع القوانين الشرعية المشار اليها انما هو لاحياء الدين والدولة والملك والملة أكدنا ذلك بالعهد والميثاق من طرفنا الملكي على ان لا يصدر منا شيء يخالفها واقسمنا على ذلك في بيت الخرقه الشريفة بمحضر جميع العلماء والوكلاء وسيحلف كل منهم على ذلك فاذا صدر بعد ذلك من احد الوزراء والعلماء ما يخالف تلك القوانين الشرعية فانه يجازى بالنأديب المناسب لجريمته الثابتة بدون التفات لرتبته ولا مراعاة لذاته وحيث ان مأموري الدولة لهم مراتب كافية ومن ليس له ذلك الآن سيرتب له ما يكفيه وجب ان نشدد في قطع مواد الرشوة المستبشرة طبعاً وشرعاً بوضع قانون يخص عقوبتها ولاستبقاء التنظيمات المشار اليها والاصول المبنيّة هي عليها المغيرة للعوائد الجوربة القديمة وجب ان ننشر هذه الاوراق السلطانية الى سفراء الدول المتحابة المقيمين بالاستانة العلية ليكونوا شاهدين على امضائها كما ننشرها الى اهالي الاستانة وسائر ممالكنا المحمية فن سعى في حل عرى هاته القوانين الموضوعة على اساس شرعي متين فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا ينال فلاحاً الى يوم الدين ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لاجراء هذا الخير العميم آمين " اهـ

ثم ان الجهلاء واصحاب الفوائد الشخصية من المنتسبين للعلم او من اهل السياسة كادوا ان يحدثوا تحويراً في المالك باشاعة ان التنظيمات تضاد الديانة الاسلامية فاضطر المرحوم السلطان عبد المجيد الى ازالة هذا الوهم من الافكار بارساله شيخ الاسلام احمد عارف الى المالك فقام فيهم خطيباً يشرح ان الشرع المحمدي لا يخالف التنظيمات بل

يقتضيها ولما كان هذا العالم معروفاً بالرسوخ في العلم والورع انقادت العامة لمواعظِهِ اما  
ذوو الغايات الخصوصية من ذوي الرياسات فلم يأنوا جهداً في تعطيل اجراء التنظيمات  
بالفعل الى ان وجدت روسيا سبيلاً الى المداخلة سنة ١٢٧٠ فاضطرت الدولة العلية الى  
حربها المعروفة بحرب القريم وظهرها كل من دولتي فرنسا وانكلترا وسردانيا حيث  
توجه نامق باشا الى فرنسا والقي على مسامع الامبراطور نابليون الثالث باعانة وزيره  
دوروان دولوز ان غض النظر عن تطاول روسيا لا تأمن بوائقه الدول الغربية لان  
الروسيا لا يسمع الله لو تسلطت على الاستانة اما حساً او معنىً للملكت النسلط على البحر  
المتوسط وحجرت التجارة عن سائر الممالك الشرقية من الممالك الغربية وايضاً تحصل على النفوذ  
السياسي الذي تخضرم به الدول الغربية اذا لم تقبل انما تستولي عليها وحيث كانت فرنسا  
ناشرة راية الفخر في المعمور لا يسوغ لها اغضاض النظر عن هذا الحادث وترك الدولة  
العلية منفردة مع خصمها الالاد وبسط هذا المعنى بجماعة نفس حركت الخطوة الفرنسية في  
الامبراطور فاجابه الى معاضدة الدولة العلية و اشار عليه بان يستوثق من انكلترا مخالفتها  
ومعاضدتها فما وصل الى لندرة حتى وجد القوم في قلق من انتظاره وكادوا ان يحملوه  
على الاعناق وفتح دار الندوة لمطليه وتلقاه اهلها بالرحب والقبول وحماية الدمار فلم  
تلبث الحرب بضع اشهر حتى اعلنت فرنسا وانكلترا حربهما للروسيا وانضمت اليها دولة  
سردانيا اذ كان ذلك تسبباً منها لاتحاد ايطاليا ودخولها في زمرة الدول العظام وامتدت  
الحرب واستمرت نيرانها الى ان سلمت روسيا للصلح على شروط معاهدة باريس ومضمونها  
هو ابقاء استقلال الدولة العلية في جميع اجزاء ممالكها واستقلالها ني في سائر تصرفاتها  
الداخلية التي يشترط فيها الحرية والامن التام لرعاياها على اختلاف اصنافهم واما الممالك  
التي لها استقلال في ادارتها وهم من النصارى كالصرب والجبل الاسود والافلاق  
والبغدان فتبقى ممتازة تؤدي الخراج للدولة تحت حمايتها واما البحر الاسود فيكون حائداً  
حتى لا يسوغ لاحدى الدولتين المالكيتين لشطوطه جعل سفن حربية فيه سوى عدد  
يسير لمجرد حفظ الراحة الداخلية وكذلك نهر الطونة يكون نهراً تجارياً فقط تحت مناظرة  
جمعية اورباوية ومن ذلك الوقت نخلصت الدولة العلية من اثقال الروسية السابقة ودخلت  
في سلك الدول الاورباوية العظام وتكفلت الدول باستقلالها ومن سوء الحجت لم يزل  
اغلب المتوظفين في غفلاتهم مصرين على السيرة الاستبدادية والعدو منهم بالمرصاد  
فالف جمعيات سرية في قواعد مملكتهم وارسلت عملها الى الولايات العثمانية التي اغلب

سكانها نصارى والقوادس انفسهم بتعليم الثوران والقاء العداوة بين الراعي والرعيّة هذا  
وسفير روسيا في قاعدة الخلافة يحسن اوجه التودد الى روسيا والاستماع الى نصحها  
الملائمة لطباع من استماله من الرجال من الاستمسك بالسيرة الاستبداديّة التي هي سيرة  
الروسيا لكن على شرط التسليم في الولايات التي يسكنها الصقالبة وبذلك تعقد دولة  
الروسيا مع الدولة العليّة معاهدة على الذب والافدام وتعضها بماضتها مالك اسلاميّة  
عوضاً عما يخرج من عندها وتساعدوا ايضاً على الخط من ديونها الى المقدار  
الذي يظهر لها فاثرت هذه الوسوس واعدت الدولة العليّة بعدم اقتدارها على دفع  
فائدة ديونها حتى اغتازت منها سكان اوربا واستعمل الاهمال في شأن تلك الجمعيات  
السريّة حتى ثارت ولايتا بوسنه وهرسك ثم البلغار ثم الجبل الاسود ثم الصرب وتدارك  
رجال الدولة الصادقين الخطب بتنظيمهم الى الدسائس الباطلة التي ليس القصد منها الا  
اضعاف الدولة بيدها وجعلها في قبضة عدوها وافرادها عن الدول الناصحة لها مع انها  
استقرضت من رعاياها منذ سنة ١٢٧٠ نحو خمسة الاف مليون فرنك ولم يحصل منها  
ومن مداخيل الدولة التي هي نحو عشرين مليوناً ليرة في السنة على مر تلك السنين التي  
ثي نيف وعشرون سنة مما يصح ان يعد الا ما تضمنه التقرير الذي قراه الصدر الاعظم  
بمحضر السلطان عبد العزيز في الباب العالي وهذا مضمونه « انه قد اتخذ جميع الوسائل  
اللازمة لاصلاح شأن المجالس الحكميّة وانقان تنظيمها وترتيب خدمتها على اعدل وجه  
ممكّن حتى ينال جميع رعايا الدولة منها غاية ما مولى من حسن المعاملة والانصاف من غير  
مراعاة الجنسيّة ولا المذهب وانه بذل جهده في اصلاح قوى الدولة وتنظيمها على  
ما يعادل تنظيمات الدول الاخرى وان جملة العساكر مع الرديف تبلغ الآن ثمانمائة الف  
نفر مجهزة الجهاز التام ومصحوبة بما يلزمها من المدافع المتقنة حسب الاختراعات الجديدة  
وان الاساطيل اعنى باصلاحها غاية الاعناء حتى اصبحت الدولة العثمانيّة الآن عندها منها  
ما يجعلها بمنزلة الدول البحريّة الكبار وانه متى نجرت السفن المشروع الآن في انشاءها في  
الترسانة العليّة يكون للدولة من الفرقاطات المدرعة والمونيتور ( وهي سفن ذات ابراج )  
سبعة عشر فلكا وانه أبرز الاوامر اللازمة لتحصين سائر حدود السلطنة بالابراج والحصون  
حسب مقتضيه ضروريات الوقت وانه جهز ترسانات الدولة بالادوات والمكينات  
والمهات اللازمة حتى صارت الآن تستطيع ان تجاري ترسانات اوربا في انشاء السفن  
الحربيّة او اصلاحها وانه يفرغ عما قريب من انشاء المصنع الجديد الذي شرع في انشاءه

منذ مدة في الطوبخانة وهو مصنع يستطيع ان يصب ثلاثمائة مدفع في كل عام من أحسن مدافع الشيشخان وان اهتمامه الآن بمساعدة وزير المعارف واقراءه الوزراء الاخر موجه الى تكثير عدد المكاتب والمدارس توفيراً لاسباب التعليم وترتيبها على وجه يمكن سائر الناس من الانتفاع بها الانتفاع المطلوب وان الاعمال المتعلقة بالسكك الحديدية والطرق المعدة لسير العجلات واقع الاهتمام بها من غير انقطاع ولا تواني وان في اواخر اغسطس الآتي تكمل سكة الحديد المشروع في انشائها بين اسكودار وازميد وان الحرائث لا يزال موجهاً اليها كل ما تستحقه من عظيم اعنائه واهتمامه وتنال يومياً من التسهيلات سائر ما تحتاج اليه منها دوام اغفاء الادوات والآلات اللازمة لها على اختلاف انواعها من اداء رسوم الكمر ك على الاطلاق في سائر اقاليم السلطنة وهذا كله لزيادة ترغيب الناس في الاشتغال بها حالة كونها هي اعظم ينابيع الثروة في الممالك وختم الصدر الاعظم تقريره بقوله ان مائة الدولة باقية على ما كانت عليه . هذا وبعض التقرير لم يكن في الخارج طبق ما ذكر ولهذا تفانم الامر فيما بعد الى ان استندت رجال السياسة والعساكر الى فتوى من شيخ الاسلام في اخلال فكر السلطان واولوا السلطان مراداً وحيث كان ضعيف المراج واتزعج بكيفية ولايته وهوت عمه وبالثورة على الوزراء من بعض الميين لم يطق تحمل عبء الخلافة فاستند اهل الحل والعقد الى فتوى ايضاً واولوا سلطاننا عبد الحميد ايداً الله فتدارك امر الادارة باصداره الخطط الهاموني عند تقلده البيعة وهذا تعريبه ” انه لما اعتزل اخي الاكرم حضرة السلطان مراد الخامس عن مشاغل السلطنة والخلافة وفرغ منها جلسنا بموجب القانون العثماني على تخت اجدادنا العظام وقد وجهنا لهدتكم مسند الصدارة العظمى ورياسة مجلس الوكلاء ابقاءً وتجديداً بناءً على ما لداكم من الروية المسلم بها والحمة المجرية وما لكم من الوقوف والاطلاع على مهم امور الدولة وكذلك اقررنا جميع الوكلاء على مناصبهم واني شديد الاتكال في جميع الاحوال على تسهيلات جناب موفق الامور (هو الله سبحانه وتعالى) وتوفيقايد الصمدانية وقصارى آمالي ومقاصدي معطوفة بالحصر لتأيد اساس شوكة دولتنا ومكنتها بحيث تنال صنوف تبعتنا بلا استثناء الحرية ويتشعرون جميعاً بنعمة العدالة والرفاهية فاؤمل بثقة تامة ان جميع وكلاء دولتنا وعماها يشاركوننا في هذا الاثر ويعاونوننا عليه وقد عرف الناس اجمع بان حال الجحرا والاغشاش الملم بدولتنا له جهات واسباب متنوعة وصور واشكال متعددة فاذا امعنا النظر في ذلك من اي جهة كانت تجتمع مبادئه واسبابه في نقطة واحدة وهي عدم

جربان القوانين والنظامات المؤسسة على الاحكام الجليلة الشرعية التي هي المسند الاساسي في دولتنا على حقها وتامها واتباع كل فرد اهواء نفسه في ادارة الامور اما اتساع ميدان عدم الانتظام الطارىء على ادارة دولتنا ملكاً ومالاً وما حصلت عليه امور ماليتنا من عدم الامنية في الافكار العمومية وتعذر وصول المحاكم الى الدرجة المتكفلة بتأمين حقوق الناس وتاخر استفادة مملكتنا حالة كونها قابلة لانواع وسائل العمران كالخرف والصنائع والتجارة والزراعة كما هو مسلم فهو من عدم الثبات الذي وقع على كل ما شرع به من الاجراءات وكل ما حصل من التثبيتات الصادرة عن نية خالصة لتقصد اعمار مملكتنا ورفاهية حال رعايانا وتبعتنا وسعادة حالهم ونوالهم بدون استثناء الحرية الشخصية وكون ذلك باجمعه صار عرضة لتغييرات متنوعة منعت انتاج المقصد الاصلي فلا ريب في انه تولد ونشأ عن عدم الثبات باتباع القانون والنظام ولذا كان من اهم ما يلزم ان التدابير الواجب وضعها اولاً فاولاً في مطلب قوانين المملكة المتقضي وضعها وتنظيمها في صورة لتكفل بامنية العموم وثقتهم ينبغي ان يتدأ بها من هذه النقطة المهمة وهي ان يترتب مجاس عمومي تكون افعاله وآثاره مستوجبة لثقة العموم واعتماد ويكون موافقاً لقابلية مملكتنا واخلاق اهلها كافلاً باتمام تأمين اجراء القوانين حرراً بحرف سواء كانت القوانين الموجودة او التي نتأسس من الآن فصاعداً توفيقاً (موافقة) لاحكام الشرع الشريف المقدسة ولما هو بالحقيقة ضروري ومشروع لمملكتنا وملتنا وناظرآ في موازنة واردات الدولة ومصاريفها فليبحث الوكلاء في هذا المطلب ويتذكروا فيه بتدقيق وتأمل ويعرضوا قرارهم لدينا ويستأذنوا عنه ثم لما كانت مسألة توديع الماموريات الى غير اهلها من المامورين وتبدلاتهم المتوالية من غير سبب مشروع هي من جملة الامور الباعثة على ابقاع جربان القوانين والنظامات كما ينبغي في حيز الاشكال وهذا مما ياتي بكبر المضرة ملكاً ومصلمة فينبغي ان يتعين من الآن فصاعداً مسلك مخصوص لكل نوع من الخدم والماموريات ولتخذ قاعدة ثابتة يستخدم بمقتضاها في كل عمل من يكون اهلاً ولا يعزل احد او يبدل من ماموريتهم بلا موجب على وجه ان تكون كافة الوكلاء وماموري الدولة كباراً وصغاراً مسئولين عن الوظائف الموكولة لهم كل بحسب درجته وكما هو معلوم لدى الخافقين ان ترقية ملل اوربا المادية والمعنوية انما هي حاصلة بقوة الثنون والمعارف ولما كان استعداد كافة صنوف تبعتنا وما فطروا عليه من الذكاء والحمد لله يؤهلهم من كل وجه للترقيات واهم ما لدينا من الامور

الاسراع بتعميم المعارف فاخص ما نتمناه والحالة هذه ان يحصل الاجتهاد بإبلاغ تخصيصات المعارف إلى الدرجة الكافية جسماً يساعد الامكان وان تستحصل الوسائل الموصلة لتعميم نشر اصول المعارف على الفور وبإدراجاً لاصلاح الاصول الملكية والمالية والضبط في الولايات بحيث توضع ضمن دائرة الانتظام في صورة مناسبة للقاعدة التي تتخذ في المركز وحيث ان الحادثة التي ظهرت في العام الماضي في اطراف هرسك وبوسنة باغراه ارباب الاغراض قد انضم لها ايضاً مسألة عصيان الصرب والدم المهرق من الطرفين انما هو دم اولاد وطن واحد وكان دوام هذه الحال التي يرثي لها موجب لكدونا وتأثرنا الشديد يلزم التشبث بالتدابير المؤثرة المنفضية لاستئصالها وفيما نؤيد مجدداً كافة احكام المعاهدات المتعقدة مع الدول المتحابه نؤثر رعايتها على الوجه الحسن فينبغي المتابعة بالاجتهاد على ازدياد روابط الحب والمسالمه المتبادلين بيننا وبين الدول ونستل حضرة الرب المتعال ان يقرن مساعينا جميعاً بتوفيقاته السجانية في كافة الاحوال آمين . يوم الاحد في ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٣ »

ثم اعلم الخزم في الثورة وقهر جميع العصاة في سائر الانحاء وعند ما رأته روسيا تهمل الوسائل التي اعدتها لم تطق صبراً حتى جيشت الجيوش ووقفت على قدم الحرب بدعوى ان تعهدت الدولة العلية في حق النصارى لم تجر وانهم لا زالوا في الظلم من الولاة والتعدي من المسلمين وان تعهداتها الجديدة الموافقة للائحة الكونت اندراسي وزير النمسا التي قدمها على وجه المودة والنصح والمساعدة للدولة العلية للاصلاحات المطلوبة للولايات النائرة هي غير كافية ولم ترضهم فتريد اذا الدولة الروسية ان تطلب الاستقلال في الادارة لتلك الولايات على ان تكون تحت حمايتها وانها تنفذ هذا بقوة السلاح لولا ان انكلترا جاشت في حلقها وصرحت لها عند ما كانت تمد الثائرين حساً ومعنى انها ان لم تكف عن هذا الحرب السري فانها تدخل معها في الحرب الجمهوري وكذلك دولة النمسا اظهرت التحرش من جهتها خوفاً من كل منها على مصالحها اذ دولة الانكليز تخاف من تملك روسيا خليج فارس وخليج السويس وبذلك تسقط من يدها مستعمراتها في الهند ودولة النمسا تخشى علو كعب الصقالبة بجوارها فيظرون عليها وتلاشى فيما بينهم مع ساقية التآلف بين العثمانيين والهناكاريين الذين هم قسم مستقل من مملكة النمسا حتى ان رئيس الدولة يلقب بامبراطور النمسا وملك هنكاليا وهذا التآلف جاء من مساعدة العثمانيين لهم عند ما كان قسم النمسا فاهراً لهناكاريا ومستهدداً عليها في التصرفات السياسية غير

انه منع كل من الدولتين مانع من انفاذ قصدها بالفعل . فاما دولة انكلترا فانها لما كانت دولة حرة بجنحة لم يكن في قدرتها التصرف الأعلى طبق ارادة الامة وامتها منقسمة الى حزبين احدهما يسمى حزب المحافظين والثاني يسمى حزب الاحرار وتقدم بسط هذه التسمية في الكلام على انكلترا وكان الحزب الثاني مضاداً لانتصار دولته للدولة العلية حتى انه لما كان يدير زمام التصرف في سنة ١٢٨٨ وانتهزت روسيا الفرصة من حرب جرمانيا وفرنسا فطلبت تغيير معاهدة باريس فيما يتعلق بتقوية شأنها في البحر الاسود ساعدت اذ ذلك دولة انكلترا على ذلك المطلب وغير شرطه وفي هاتين المنازله المتكلم عليها كان التصرف بيد حزب المحافظين لكن الحزب الآخر مضاد لهم وكاد ان يجذب اليه الحزب الآخر فلم يكن في وسع زعماء هذا الحزب الذين ييدهم زمام تصرف الدولة ان يخالفوهم بالمره سيما والباعث على انفاذ سياستهم مع المخالفة لم يحصل في هاتين المسائل كما يفهمه البصير واضف الى ذلك عدم تحقق محالف ذي قوة برية معتبرة يمكن لانكلترا ان تتعاقد معه للانتصار للدولة العلية لان فرنسا الوحيدة لمثل ذلك لم يكن في وسعها الارتباك في الحرب لما تقدم في الفصل الثالث من المقصد في الكلام على فرنسا وهذا السبب المتعلق بفرنسا ذاته هو الذي نكص دولة النمسا عن انفاذ قصد الهنكارين في معاهدة الدولة العلية حيث ان الموازنة الاورباوية تغيرت وتحالف الامبراطرة الثلاثة اي امبراطور المانيا وروسيا والنمسا اما حقيقة واما حكماً على مساعدة بعضهم ونفهم كما بينته الحوادث فلاجل الجواذب المتباينة المشار اليها غاية ما استطاعته كل من انكلترا والنمسا لكبح الروسيان ان عقدا مؤتمراً في الاستانة للاتفاق ما بين الدول الموقعين على معاهدة باريس على ما ينصلح به الحال ويرجع السلم بين الدولتين المتنافرتين فأرسي امرهم فيه على ان طلبوا من الدولة العلية ما يأتي

اولاً . تغيير حدود الجبل الاسود باعطائه بعض اراضي من المملكة العثمانية . ثانياً تشكيل لجنة من مرخصي الدول الاورباوية لتعيين تلك الحدود الجديدة . ثالثاً ابقاء حكومة الصرب على الحالة السالفة بان تكون لاهلها ولا عليها وتقرر حدودها من جهة بوسنة عملاً بمقتضى الخط السلطاني الصادر سنة ١٢٣٢ . رابعاً الولاة الذين يتعينون الى بوسنة وهرسك والبلغار ينتخبون من جانب الباب العالي مع موافقة دول اوربا في ذلك وابقائهم في مأمورياتهم مدة خمس سنين . خامساً نظراً الى الموقع الجغرافي تقسم تلك الولايات الى الوية ويتعين لها متصرفون من جانب الباب العالي بعد انتخاب اولئك الولاة لهم . سادساً

انشاء مجلس مركب من ثلاثة اعضاء بكل من الولايات تنتخبهم مجالس الولايات لتحرير دخل الولاية وخرجها وانتخاب اعضاء مجالس الادارة وتوزيع الضرائب السلطانية على الاهالي ما عدا رسوم الكرك والدخان الرجعة للدولة العلية . سابعاً ابطال طريقة التزام مداخيل الدولة واسقاط البقايا السابقة بكل من الولايات الثلاث . ثامناً دخل الولايات المذكورة عدا ما هو راجع للدولة كالدخان والكرك يعطى منه قسط خزينة الدولة العلية والقسط الباقي يصرف في مصالح الولايات المذكورة وينظم لكل منها دستور للعمل بذلك . تاسعاً ترتيب المحاكم النظامية . عاشراً اعطاء حرية الاديان . حادي عشر تنظيم الحرس الاهلي . ثاني عشر العفو العمومي عما سبق من الجنايات السياسية . ثالث عشر اعطاء رخصة للاهالي في شراء الاراضي السلطانية . رابع عشر الشروع في تنفيذ تلك الشروط قبل مضي ثلاثة اشهر . خامس عشر تعيين لجنتان من طرف دول اوربا للاحتساب على اجراء تلك الشروط . غير ان الدولة العلية امتنعت من قبول الاقتراحات المذكورة مخرجة بانها صارت دولة قانونية حرية للجميع اصناف رعاياها على السواء بالقانون الاساسي الذي احاط به المملكة السلطان الغازي عبد الحميد ايد الله ملكه وقد سبقت الاشارة اليه في الفرمان الذي اصدره عند البيعة العامة وبرزه للعمل بالفعل عند ما كان المؤتمر في مفاوضاته واصحبه بالخط الشريف الآتي نص تعريبه في موكب مشهود وكانت تلاوته في يوم كانه يوم عيد وهو

” وزير ي سمير المعالي مدحت باشا

” ان سطوة سلطتنا كانت في حالة القهقرة في الايام السالفة واسباب ذلك التقهقر لم تكن ناشئة عن المشاق الخارجية فقط بل انما وقعت لاجل الانحراف عن الطريقة المستقيمة في الادارة الداخلية حتى ضعفت امانى وثوق الرعايا بالدولة ولذلك كان المرحوم والدنا الماجد السلطان عبد الحميد منح بعض اصول في تحسين الادارة معروفة بالتنظيمات الخيرية اشتملت على تأمين جميع الرعايا في انفسهم ومالهم وعرضهم وشرفهم طبقاً لقواعد الشريعة المطهرة والتنظيمات المذكورة هي التي كانت سبباً لابقاء السلطنة محافظة على لوازم الامنية الى الآن ومن آثارها المشكورة انها سهلت لنا نجاح مساعينا في تأسيس هذا القانون الجديد الذي اقتضته اراء رجال دولتنا التي تجت عنهم بحريتهم حيث استندوا الى تلك الامنية وقد تيسر لنا في هذا اليوم الاعلان به . ولما كان هذا اليوم من الايام السعيدة فانه يلزمي ان نذكر الان المقدس المرحوم والدنا ونصفه بعنوان محيي الدولة وان نذكر



مقاصده الحسنة ولا شك انه كان سعى بنفسه في ادخال السلطنة في العهد القانوني الذي سنستظل به الان ولو توفرت مدة تأسيس التنظيمات الخيرية الاسباب المتوفرة الان لكاف والدنا المرحوم اسس اذ ذاك احكام هذا القانون الاساسي ولكن العزة الالهية قدرت ان يكون هذا التبديل السعيد الذي هو الكفالة العظمى لخير رعايانا في مدة ولايتنا والله المنة على ذلك. ومن المعلوم المقرر ان اصول ادارة الدولة صارت مغايرة للتبدلات المتتابعة التي وقعت شيئاً فشيئاً في تصرفاتنا الداخلية وفي زيادة خلطتنا مع الدول الاحباب وغاية مرغوبها ازالة جميع الاسباب المانعة للامة وللبلاد من الانتفاع بالنتائج الطبيعية التي لهم حق فيها كما يلزم وان نرى جميع رعايانا قد جاوزوا الحقوق التي من علائق الامم المهذبة بحيث يكون كلهم متعاضدين بنية سالمة في التقدم والالفة والاتحاد فكان من الواجب اتخاذ طريقة نافعة مستقيمة للحصول على المقصد المذكور ووقاية حقوق الدولة ومحو الخطيئات والغلطات الناتجة من الاعمال الغير المباحة الناشئة من وجود التصرف الاستبدادي بيد نفر واحد او بعض انفار وان تمنح حقوقاً متساوية لجميع الطوائف المركبة منهم الامة وان نجعلهم في حالة يمكنهم معها الانتفاع بخير الحرية والعدل والتسوية ولا فرق بينهم في ذلك وهذا هو الوجه الوحيد الصالح للحماية جميع المصالح وضماناتها وهذه القواعد الكلية التي تجت وجوب عمل آخر مفيد للغاية وهو وجوب تقييد اساس ادارتنا بصورة شورية قانونية ولذلك لما اصدرنا خطنا عند صعودنا على كرسي السلطنة قررنا لزوم احداث مجلس للامة (وفي الاصل برلنتو) وقد اشتغلت جمعية خاصة مشكلة من رجال دولتنا واهل العلم والمتوظفين الاعيان في تأسيس اصول هذا القانون بغاية التدقيق ثم وقع التامل منها بمجلس وزرائنا والمواقفة عليها وهذا القانون اشتمل على اثبات الحقوق الراجعة للذات السلطانية وحرية جميع الرعايا العثمانيين السياسية والعرفية وتسويتهم لدى الاحكام السياسية والعرفية ايضاً وبيان مسئولية الوزراء والمتوظفين ومتملقات وظيفتهم وحق مجلس الامة في الاحساب على اعمالهم واستقلال المجالس الحكمية في خدمتها والمعادلة بين دخل الدولة وخرجها معادلة حقيقية وقسمة التصرفات الحكمية بالاطوان مع بقاء النظر الاعلى فيها للدولة وجميع هذه الاصول المطابقة لاحكام الشريعة المطهرة والضروريات الوقت ومرغوبنا قابلت النية الحسنة التي شأنها تحقيق خير الجميع حيث ان ذلك غاية المراد وقد جعلت اتكالي على الله وعلى امداد رسوله في ذلك وانظت لعهدهم هذا القانون بعد ان وافقت عليه بامضائي السلطاني ويقع العمل به حالاً بحول الله في جميع جهات السلطنة

فالآن ارادتنا انكم تعلموا بهذا القانون وتجروا العمل بمقتضاه من هذا اليوم كما يجب عليكم ايضاً اتخاذ جميع الوسائل اللازمة المتأكدة للاشتغال في تهيئة الترتيب التي تضمن ذكرها القانون المذكور والله تعالى المسئول ان يقارن بالنجاح سعي كل من اشتغل فيما يؤدول الى نجات السلطنة والامة وكتب في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٢٩٣ .“

غير ان اعضاء المؤتمر لم يقنعهم ذلك وسافروا جميعاً من الاستانة دفعة واحدة مظهرين الضدية للدولة العلية والدولة لم تكثر بذلك حيث ان ما فعلته من الرفض لمطلبهم كان عن رأي الامة لانها عقدت مجلساً عاماً من جميع وجوه اصناف رعيها حتى انه حضره المعروف بالدراية والديانة امير الامراء (الفريق) رستم باشا وزير الحربية اذ ذاك في المملكة التونسية حيث كان رسولا عن اميرنا في تهنئة حضرة السلطان بالولاية واجمع جميع اولئك الاعيان على اخلاف دياتهم على رفض تلك المطالب بل ان النصارى واليهود منهم قالوا نوثر اراقة آخر نقطة من دمنا وصرف آخر درهم من مالنا على حفظ شرف مملكتنا من الاهانة بالتهجيرة وان كان هذا لم يبد فيما بعد حقيقة الأمن البعض دون البعض هذا بعد حين كان عرف جميعهم الرجل الوحيد مدحت باشا صاحب الصدارة اذ ذاك بعواقب الانفراد عن الدول واحتمال نعضهم جميعاً لكي يتبصروا وليعلم حقيقة ضميرهم فلم يتزحزحوا شيئاً فانفذ السلطان ووزيره هذا الرفض والله درهم من رجال اذ لم يسع سائر الامم الا انصافهم والاذعان بان لم الحق في رفض ذلك الاقتراح بل ان اللورد صالسيوري اشد المخاصمين في المؤتمر قال عند ما استقر بمجلس الوزراء في انكلترا لقد انصف القوم في رفضهم للمطالب نعم ان الخضم زاد تألباً وأعلن بان الدولة العلية اهانت اوربا لكي يموه احقاقه في اشهار الحرب بيد ان انكلترا مع ذلك لم تسمح له بما اراد وألحت على التعلل للدولة العلية واجتمع سفراء الدول في انكلترا واستقر امرهم على لائحة هذا نص تعريبها « ان الدول التي تعاطت عموماً اسباب سلم المشرق واشتركت لهذا المقصود في مؤتمر الاستانة قدرات ان الطريقة الوحيدة في بلوغ المقصد الذي اعتمدت عليه هي المحافظة على التوافق الذي وقع من حسن البخت بينهم ومع ذلك يجددون تقرير امرهم وهو من مصالح العموم اعني تحسين حالة امم النصارى بالمالك العثمانية واجراء الاصلاحات في بوسنه وهرسك والبلغار حسبما قبله الباب العالي على ان يجرها من عند نفسه ولذلك اعنبر عقد الصلح مع الصرب حجة اما ما يتعلق بالجيل الاسود فان الدول تعتبر عقد الصلح معه امراً مرغوباً فيه ولا بد له من توطيد به يقع تعديل الحدود وتعطي حرية الجولان في

نهر البويانة لان الدول تعتبر التاويلات التي تقع او ستقع بين الباب العالي وهاتين الولاياتين  
 كما انها تقدمت خطوة الى السكون الذي هو الداعي لرغبتهم العمومية ولهذا يستدعون الباب  
 العالي لتوكيده بترجيح العساكر على قدم السلم ولا يبقى منها هنالك غير عدد العساكر اللازمة  
 لتقرير الراحة وبادر الى اجراء الاصلاحات اللازمة للراحة وخير الولايات في اقرب  
 وقت حتى يقع ما اشتغل به المؤتمر وقرروا بمقتضاه ان الباب العالي حاضر الى اجراء  
 القسم المهم من تلك المطالب واتخذوا مشورته المؤرخ في ١٣ فبراير سنة ١٨٧٦ وما  
 قررتها الدولة العثمانية في المؤتمر حجة سيما وذلك كان علي يد وكلائها وقد كان ظهر للدول  
 بالنظر الى استعدادات الباب العالي الحسنة ومصالح الحقيقة في اجرائها انها متيقنة بما  
 أملة من ان الباب العالي حيث انتهز هذه الفرصة الحاضرة فانه يقوم بحزم لاجراء الوسائل  
 المعدة لتحسين حال النصارى حقيقة وهذا المطلوب من الامور الضرورية لراحة اوربا  
 وحيث سلك هذه الطريقة علم يقينا ان من شرفه ومصالحه ان يجتهد في ذلك بعزم على  
 وجه مستقيم فتطلبت الدول اذ ذلك ان تلاحظ كيفية اجراء الدولة العثمانية مواعيدها  
 بواسطة وكلائهم في الاستانة ونوابهم واذا بات ماوالم عديم النجاح مرة اخرى بان لم  
 تحسن حال النصارى رعايا حضرة السلطان بكيفية تمنع رجوع التشعبات التي تضطرب  
 بها دائما راحة المشرق فاعلمه سيظهر لهم من الواجب ان يقرروا ان مثل هذا الحادث  
 لا يوافق مصالحهم ومصالح اوربا عموما وفي هذا الحال نتخفظ الدول باعلان ما يروونه  
 عموما من الطرق التي ستظهر لهم التزاما لتقرير خير الامم النصارى ومصالح السلم العمومي .  
 وكتب في لندن في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ »

وارسلوها للدولة العلية كالبلاغ الاخير فرفضتها وباليتمها قبلتها اذ هي مطابقة لما كان  
 اصدرته من فرمان المطابق للاتحة الكونت اندراسي والمراقبة من الدول اذا كان اجراء  
 الاصلاح حقيقة مقصودا لا ضير فيها سيما ونفس معاهدة باريس المصروفة بكال استقلال  
 الدولة العلية في ادارة ممالكها هي ايضا مصروفة باشرط اصلاح الادارة المنتهين لمراقبة  
 الدول ها اذلا معنى لجعلها شرطاً في معاهدتهم الا ان يكون لهم حق في طلب اجرائها كما  
 يطلبون اجراء سائر شروط المعاهدة نعم في ذلك ما ينافي النخوة لكن باب ارتكاب  
 اخف الضررين لا ينسى ولا يخفى ان دولة روسيا تشمل ما ينيف عن الثمانين مليوناً  
 واذا اضيف لها مظاهروها من اتباع الدولة العلية كانت نحو تسعين مليوناً من النفوس  
 وهي مرتاحة من الحرب وتنهأت لها منذ عشرين سنة واوصلت سلك الحديد الى اطراف

مالكها التي يعتنى بها ولا ينسى انه منذ ثلاثة وعشرين سنة فقط قد حاربها اربع دول  
 معا وكانت الحرب بينهم سجالاتا والدولة العلية لا تشمل اكثر من اربعين مليوناً منهم خمسة  
 عشر مليوناً اكثرهم معاضد لعدوها بالمال والرجال واقلم لا يعينون بالمال الا عن مفض  
 فضلاً عن الانفس وقد كانت اذذاك في حرب اهلية دامت نحو السنين ولم تنتها بكال  
 الاستعداد لتوهم انتصار الدول لها فاذا هم قد انفردوا عنها وتركوها وخصمها فقامت  
 الحرب على ساق وظهر من صناديد العثمانيين ما هو معروف حتى اقر سائر الاجناس لم  
 بانهم امة لم تزل حية سباً ما بدا من عسكر البطل الغازي عثمان باشا المشير فانه قاتل  
 في بليغنا التي صيرها حصناً عظيماً في مدة حربه بجيش لا يبلغ الاربعين الفا جيشاً عمرماً  
 من الروس والرومانيا يتجاوز المائة والعشرين الفا وقتل منهم ما ينيف على عدد جيشه  
 ولولا سبقيّة القدر بعدم انجاده لما تيسر للروس مجرد حصار جيشه حتى اضطر الى  
 الهجوم فخرق الحصار بن بقي سليماً من جيشه الذي قدره سبعة وعشرون الفا فتراكت  
 عليه مائة الف او يزيدون الى ان خرج واضطر للتسليم فاقبل عليه القيصر نفسه ولما سلم  
 له سيفه قال له " ان مثلك ايها البطل يحق له الفخر الدائم " ورد اليه السيف وكفى بذلك  
 شهادة له فصحى الجو للروسيا وتقدمت الى ان بلغت جوار القسطنطينية وامتنعت من  
 توسط الدول في الصالح حتى طلبته الدولة العلية منها رأساً وعقدت على شروط تضمنتها  
 معاهدة سان استيفانوس وهذا نص تعريبها

« الشرط الاول انه بموجب الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة وبمقتضى الشروط  
 والوجوه الآتي ذكرها تقرر تصحيح حدود ممالك الدولة العلية والجبل الاسود وذلك  
 لاجل انتهاء المنازعات والمصادمات المتتابعة الوقوع فيما بينها فالحدود تمتد من جبل  
 دوبروزيجه على الوجه الذي عينه المؤتمر الذي كان حصل في الاستانة الى غوربتو ويملكه  
 والحد الجديد يستطيل الى غاجقة وعلى هذا متوتركيا غاجقو نبق في تصرف الجبل  
 الاسود وتمتد الحدود ايضاً من مجمع انهر بيوه وتارة وتمر من نهر درين الى جهة الشمال  
 وتنتهي الى مجمع هذا النهر مع النهر المعبر عنه فيم واما حدود الجبل المذكور الشرقية  
 فتبتدى من نهر فيم الى بريرة بولرة ومن روستراق الى سوق بلاتينا وبيهور وروستراق  
 تبقيان داخل الجبل فعلى ذلك يكون تحديد الخطوط هكذا اعني من الجبال المسلسلة  
 الجامعة لروغوة وبلاو وكوزنره الى شلب باقليني ومن رؤوس جبال قوبريونيق وباباور  
 وبورور حذاء حدود بلاد الارناوط الى اعلى ذروة جبل بروقليتي ومن هذه النقطة الى

كثيب يسقاشيق وينتهي الحد على الخط المستقيم الى عين الماء في جيسني هوتي ويفصل فيما بين جيسيني هوتي وجيسيني قاستراني ويتجاوز ماء اشقودرة الى ان ينتهي لنهر بويانة وهكذا فع النهر الى مصبه في البحر وبموجب ذلك تبقى نكسيك وغاشقه واشبوزي وبودغوريجة وزابلياق وبارضمن الجبل المذكور وقد يصير تعيين حدود امارة الجبل قطعياً بمعرفة لجنة مركبة من بعض مأموري دول اوربا بشرط ان تكون وكلاء الباب العالي والجبل معهم ايضاً فهذه اللجنة تلاحظ منافع الطرفين وامنية البلاد الكائنة في الجهتين ثم تشير في الخريطة الى التعديلات التي ترى لها لزوماً وتعلم انها هي الحق وتوضح في ذلك ما رآته من صالح الجهتين ثم لا يخفى ان امر سير السفن في نهر بويانة لم يزل يجلب النزاع فيما بين الباب العالي والجبل الاسود فلاحل قطع هذا النزاع يصير تحرير نظام ذلك بمعرفة اللجنة المذكورة

الشرط الثاني. ان الباب العالي يثبت استقلال امارة الجبل الاسود على الوجه القطعي ثم فيما ياتي نتقرر فيما بين دولة روسيا والدولة العلية والامارة المذكورة كيفية المناسبات التي ستكون بين الباب العالي والجبل وقضية تعيين وكلاء من طرف الامارة في الاستانة وفيما يقتضيه الحال من ممالكها ويتقرر ايضاً امر اعادة ارباب الجنايات الذين يفرون من بلاد الدولة العلية الى الجبل ومن الجبل الى بلاد الدولة وامر اطاعة اهل الجبل المقيمين او المارين في بلاد الدولة العلية واقتيادهم الى نظمات ومأموري الدولة طبق الحقوق الجارية بين الدول والعادات والمعاملات القديمة التي كانت تجري بينهم في بلاد الدولة وستنقد ايضاً مقابلة فيما بين الباب العالي والجبل الاسود لاجل توضيح وتنظيم المسائل المتعلقة بالانثاء العسكرية في قرب الحدود واحوال ومناسبات الاهالي المتجاورة هناك واذا اختلف الباب العالي مع الجبل في بعض مسائل ولم يكن فصلها باتفاقها فتحكم بينها دولتا روسيا واوستريا ومن بعد هذه المعاهدة اذا وقعت مباحثة او مصادمة فيما بين الباب العالي والجبل ما عدا المطالب الملكية الجديدة ينبغي ان يفوض امرها الى دولتي روسيا واوستريا وهما باتفاقها يفصلانها بينهما وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى عشرة ايام يجب على عساكر الجبل الاسود ان تخرج من البلاد الغير الداخلة ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الثالث. ان امارة الصرب تكون مستقلة ويكون حدس بموجب الخريطة المربوطة لهذه المعاهدة مجرى نهر « درين » وتبقى « كوجك ازورنيق » و « سقار » في

ادارة الصرب ويمتد هذا الحد الى منبع نهر « ره زه وه » الكائن جوار « استايلاق » على حسب الحدود القديمة وتبتدي الحدود الجديدة من هنا اعني مع مجرى نهر رزوه الى نهر راسقة ومنه الى « يكي بازار » ومن يكي بازار يصعد الخط الفاصل ويمر من جوار قريتي « مهنتره » و « ارغويج » الى اعلى النهر المذكور حتى ينتهي الى منبعه ويمتد الى بوسور بلاتينا الكائنة في وادي ايار وينزل مع الماء الجاري الذي يصب في النهر المذكور ومنه يسير مع انهار ايار وسيدج ولاب الى منبع نهر ياتسه الكائن في جبل غرابا شينجة بلاتينا وبعدها يمر من التلال الفاصلة بين نهري قريه و ترينجة ومن اقصر الطرق الموجودة على مصب نهر ميوا واجقة حتى ينتهي ايضا الى نهر ويرنجة ويسير مع هذا النهر ويقطع ميوا واجقة وبلاتينا ويصل الى جهة موروا في قرب قرية قاليانس ومن هنا يسير الى قرب قرية استابوحي ويجمع هناك مع نهر بلوسينه وهكذا مع النهر الى موروا ويمتد مع النهر الى اعلى حتى يصل الى « قونقاويجة » ويقطع سوق بلاتينا ويجمع بنهر نيساوة ويتصل بقرية قرونجا ومنها يمر من اقصر الطرق ويمتد على حدود الصرب القديمة الى جنوب شرق « قرة ول بور » وعلى هذا الخط يتصل بنهر الطونة وتقرر اخلاء « اطه قلعة » وهدمها وترتيب لجنة مركبة من «أموري الدولة العلية والصرب لاجل تعيين خط الحدود على الوجه القطعي في برهة ثلاثة اشهر ويكون ذلك بمعاونة «أمورين من طرف دولة روسيا وهذه اللجنة تفصل ايضا المسائل المتعلقة بجزائر نهر « درين » وتقطعها وحينما تبتدي هذه اللجنة بتعيين الحدود الفاصلة بين بلاد الصرب والبغار ينبغي ان يكون وكيل واحد من طرف البغار بين يشترك معهم في هذا الامر

الشرط الرابع. ان المسلمين الذين لهم املاك في البلاد التي صار الحاقها بالصرب اذا لم يريدوا الإقامة هناك فلهم الخيار ان احيوا اجرؤا املاكهم وان احيوا اقاموا وكلاء من طرفهم لاجل حفظها واستغلالها والمسائل المتعلقة باموالهم الغير المنقولة تفصلها لجنة مركبة من «أموري الدولة العلية والصرب باعانة «أمورين من طرف دولة روسيا في ظرف سنتين وهذه اللجنة تفصل ايضا في برهة ثلاث سنين امر فراغ املاك الدولة والاوقاف والمسائل المتعلقة ببعض الاشخاص الذين لهم علاقة ونفع في الاملاك المذكورة وذلك يكون غيب انعقاد المعاهدة فيما بين الدولة العلية والصرب والاناس المقيمين او الذين يجولون في بلاد الدولة العلية من تبعه الصرب تكون المعاملة معهم على القواعد الكلية بمقتضى الحقوق الكائنة بين الدول وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى خمسة عشر يوماً

يجب على عساكر الصرب ان تخرج من البلاد التي ليست داخلية في ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الخامس . ان الباب العالمي قد اثبت استقلال رومانيا اعني المملكتين ولها ان تطلب من الدولة العلية غرامة الحرب وتجري المذاكرة بهذا الشأن فيما بينها وعند ما تنعقد المعاهدة بين الدولة العلية ورومانيا تنال تبعة رومانيا الامن والامتياز طبق تبعة دول اوربا الشرط السادس . نقرر ان تكون البانار امانة مخزارة في ادارتها تدفع مبلغاً معلوماً الى الدولة العلية ويكون مأمورو الحكومة والعساكر الاهلية من المسيحيين ويصير تعيين حدودها على الوجه القطعي بمعرفة لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والروسيا وذلك قبل خروج عساكر الروسيا من الروم ايلي وهذه اللجنة تبين هناك في الخريطة التعديلات التي ينبغي اجراؤها وتلاحظ ملية أكثر الاهالي وتوضح المنافع المحلية تطبيقاً لفن تخطيط الاراضي وتقرر تعيين وتبيين مقدار اتساع ملك الصقالبة في خريطة وجعلها اساساً في قطع الحدود وخط الحدود يبتدىء من حدود الصرب الجديدة ومن غرب « ورائجه » الى سلسلة الجبل الاسود ومن جهة الغرب يمر من غرب « قومانوه » و « قوجاني » و « قلقان دلي » الى جبل « قوارب » ومن هناك يمر من نهر « بوجيجه » الى درينه ويلتفت الى جهة الجنوب الى حدود غرب قضاء اخرى حتى ينتهي الى جبل ليناس ومنه يمر من غربي كورينجه واستاوره ويتصل بجبل غراموس وكذلك يمر من ماء « قاستريا » ويلتصق بنهر موغليينجه ويسير مع النهر الى « بيكيجه » ويمر من نهر وارديكيجه ومن مصب نهر « واردار » وقرية « غاليقو » الى قراء « بارغه » و « صاري كوي » وهناك يمر من وسط عين الماء المعبر عنه « بشيك كل » الى مصب نهري « استروما » و « قره صو » ومن السواحل الى « بوروكل » ويمتد الى الشمال الغربي ويمر من سلسلة جبل « رودوب » الى جبلي « جالبه » و « اشوه » ويمر من جبال « اشك قولاج » و « جيبيون » و « قره قولاس » و « جيقلي » الى « نهر ارده » ويلتفت لجهة الجنوب ويمر من قراء سوكوتلين وقره حمزة وارناود كوي واقارجي وايينجه الى « تكه دره سي » في قرب « ادرنه » ومن تكه دره سي و « جورلي دره سي » الى « لوله برغوسي » ومن هنا وعن نهر « صوجق دره » الى قرية « سوركن » ومنها من التلال ويقطع « حكيم طايه سي » حتى يتصل في ساحل البحر الاسود ويبتدىء ايضاً من « منقاليه » ويترك السواحل ويمر من شمال حدود لوا طولجي ومن فرق راسوه الى نهر الطونه

الشرط السابع . ان امير البلغار يصير انتخاباً من طرف الاهالي بالحربة التامة والباب العالي يشتمه بانضمام اراء الدول ولا يجوز انتخاب احد من اقارب ملوك دول اوربا الجالسين على سرير الملك للإمارة المذكورة وحينما تنحل الإمارة كذلك يكون انتخاب الامير الجديد على هذا المنوال وهاتيه الشروط وقد تقرر انه ينبغي من قبل انتخاب الأمير ان يجتمع مجلس معتبري البلاغ اما في « فله » واما في « طرفونا » تحت نظارة مامورين من طرف روسيا وفي حضور مامورين من طرف الدولة العلية وتؤسس نظمات هذه الادارة المستقلة توفيقاً لامثالها اعني لنظامات المملكتين التي تنظمت في سنة ١٨٣٠ غب انعقاد مصالحه « ادرنه » وعند تاسيس تلك النظمات ستصير دناية حقوق ومنافع الاهالي من المسلمين والروم والاولاخ وغيرهم الموجودين والمختلطين مع البلغار بين وتقرر ايضاً احالة تاسيس هذه الادارة الجديدة في البلغار مع ما يلزم من النظر في صور اجرائها لهيئة مأمورين موظفين من طرف دولة الروسية من هنا الى سنتين وفي انقضاء السنة الاولى من تاسيس الادارة الجديدة اذا لم يحصل اتفاق بهذا الشأن فيما بين روسيا والباب العالي ودول اوربا يكون للدول المشار اليهم حق ان يوظفوا مأمورين يرافقون المأمورين الروسيين

الشرط الثامن . ليس لعساكر الدولة العثمانية حق بعد هذا . للاقامة في البلغار وسيصير هدم القلاع القديمة الكائنة هناك بمرنة الحكومة المحلية وان الباب العالي له حق ان يتصرف بالادوات الحربية الموجودة في قلاع الطونة التي صار اخلاؤها من العساكر بموجب سند المتاركة الذي تحرر في ٣١ يناير والاكات الحربية الكائنة في مدينتي شمشي ووارينه وجميع الاملاك المتعلقة بالحكومة العثمانية كيفما شاء وتبقى عساكر روسيا في البلغار مقيمة الى ان ينتهي ترتيب العساكر الاهلية الكافلة لحفظ الراحة وتوطيد الامنية واذا اقتضت الحال يقومون فعلاً باعانة المأمورين وسيصير تعيين عدد العساكر الاهلية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولة روسيا وان مدة اقامة عساكر روسيا في البلغار تكون سنتين والعساكر التي تبقى هناك بعد خروج جميع العساكر الروسية من بلاد الدولة العلية تكون عبارة عن ست فرق مشاة وفرقتين خيالة وجميعاً خمسون الفاً ومصروف هؤلاء العساكر يكون على البلغار ويكون لها طرق مراسلات في المملكتين في شطوط البحر الاسود من جهة وارنه وبرغوس وفي مدة اقامتها هناك يكون لها المخازن المقتضية على الشطوط المذكورة



الشرط التاسع . ان المرتب السنوي الذي يلزم على البلغار ايفاءه للدولة العلية يتسلم الى البنك الذي يعينه الباب العالي وهذا البنك يصير تعيينه بمعرفة دولة روسيا والدولة العلية وسائر الدول وذلك في انتهاء السنة الأولى من ابتداء اجراء اصول الادارة الجديدة . ومقدار ذلك المرتب يتأسس بالنظر لايراد البلاد والاراضي التي تكون في ادارة الامارة على الحساب المتوسط والبلغار تعهد بالقيام في التعهد الذي على الدولة العلية الى شركة سكة الحديد في طريق وارنة وروسيتق غب المذاكرة مع الباب العالي وادارة الشركة المذكورة ومسألة سكة الحديد الاخرى الموجودة ضمن الامارة يصير فصلها بمعرفة الدولة العلية وحكومة البلغار وادارة الشركة

الشرط العاشر . ان الباب العالي له حق في مرور العساكر ونقل المهات والذخائر من الطريق المينة في داخل البلغار الى الايالات العثمانية التي وراء البلغار ولاجل عدم وقوع مشاكل في هذا الخصوص وتأمين الايجابات العسكرية العثمانية سيوضع نظام بالاتفاق مع الباب العالي والامارة من ابتداء تعاطي هذه المعاهدة الى ثلاثة اشهر في ذلك وهذا الحق المتعلق بالمرور والعبور يخص بالعساكر النظامية فقط دون الباشبوزق والجرأكس والعساكر المعاونة والباب العالي كذلك له ان يتعاطى البوسطة عن طريق الامارة ويستعمل مسالك التراف في مخابراته فهذان الامران كذلك يصير تعيينهما وتنظيمهما في المدة والشروط المحررة اعلاه

الشرط الحادي عشر . ان المسلمين وغيرهم من اصحاب الاملاك اذا ارادوا الاقامة في خارج الامارة لم ان يحفظوا املاكهم ويؤجروها او يفوضوا امر ادارتها الى من يريدونه ثم ان مأمور الدولة العلية ومأمور البلغار بين يجتمعان تحت نظارة مأمور روسيا ويفصلون المسائل المتعلقة بتصرف الاملاك وفي منافع مسلمي البلغار وذلك يكون في ظرف سنتين واملاك الدولة والاقواف يصير تعيين امرها اما بالبيع واما باستعمالها على الوجه الذي يكون فيه النفع الزائد لجهة الباب العالي ويصير تعيين ذلك بمعرفة لجان مخصوصة محدودة في السنتين المذكورتين والاراضي التي تبقى بدون صاحب عند انقضاء السنتين تباع بالمناداة والمزايدة ويؤخذ ثمنها ويدفع الى ايتام وارامل المصابين في الاحوال الاخيرة من المسلمين والمسيحيين

الشرط الثاني عشر . ان القلاع الكائنة على نهر الطونة يصير هدمها جميعاً ولا يبقى من بعد هذا على سواحل نهر الطونة قلعة ما مطلقاً ولا يجوز وجود سفن حربية في مياه

رومانيا والصرب والبلغار سوى السفن الصغيرة والزوارق المختصة والمستعملة في الامور الانضباطية فقط وحقوق ووظائف وامتيازات لجنة الطونة المختلطة تبقى بتامها على اصلها الشرط الثالث عشر . ان الباب العالي يتعهد بتنظيف البحر في مضيق « سنه » وارجاعه الى حاله السابق ليصلح لمرور السفن منه ويتعهد ان يضمن العطل والضرر الذي حصل للتجار بسبب منع مرور السفائن من شهر الطونة مدة الحرب وسيصير فصل ٥٠٠٠٠٠٠ فرنك من اصل دين لجنة الطونة الى الباب العالي لاجل هذا الامر

الشرط الرابع عشر . ان الاصلاحات التي قدمت الى مرخصي الباب العالي في اول جلسة مؤتمر الاستانة ينبغي حالاً اجراؤها بالفعل في بوسنة وهرسك مع التعديلات التي ستقرر فيما بين دولتي روسيا واوستريا ويجب ان لا يطلب من هاتين الايالتين بقايا الخراج وان لا يؤخذ شي من الواردات الى ابتداء شهر مارس سنة ١٨٨٠ بل تصرف كلها في الاحياجات المحلية ويسد بها عوز الاهالي والعيال الذين اصابوا في الاحوال الاخيرة ومن بعد انقضاء المدة المذكورة يتعين المبلغ الذي يلزم على الاهالي دفعه في كل سنة الى الحكومة المركزية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولتي روسيا واوستريا الشرط الخامس عشر . يتعهد الباب العالي باجراء احكام النظام الاساسي الذي وضع في سنة ١٨٦٨ المنص بجزيرة كريد طبق مطلوب الاهالي الذي بينوه مقدماً ويلزم اجراء الاصلاحات الماثلة لنظامات كريد في « ترحاله » و « يانيه » وفي سائر جهات الروم ابلي التي ليس لها نظامات مخصوصة ويصير تشكيل لجنة مركبة من الاهالي المحلية في كل ايالة لاجل ترتيب وتأليف النظامات الجديدة ثم يصير تقديمها الى الباب العالي ليتذكر مع دولة روسيا في ذلك

الشرط السادس عشر . ان خروج عساكر روسيا من ارمينية وارجاع تلك البلاد الى الدولة العلية يمكن ان يفضي الى المناقشة والاختلاف فيما بينهما فلذا يتعهد الباب العالي حالاً باجراء الاصلاحات على حسب الاحياجات المحلية في الولايات التي سكانها ارمن وتأمين المسيحيين من تعدي الاكراد والجراكسة الشرط السابع عشر . ان الباب العالي سيعلم العفو العمومي عن المتهمين في الاحوال الاخيرة ويطلق سبيل المحبوسين والمنفيين بسبب ذلك الشرط الثامن عشر . ان الباب العالي يتعهد بالتبصر بعين الدقة الى ما بينه وكلا الدول المتوسطة في خصوص قضاء قوتور وتعيين الحدود الايرانية على الوجه القطعي

الشرط التاسع عشر. ان مبالغ الغرامة الحربية التي طلبها حضرة قيصر روسيا هي في مقابلة الاضرار والخسائر التي تكبدتها دولة روسيا بسبب هذه الحرب والباب العالي قد تعهد بدفعها من هاتيه المبالغ (اولاً) ٩٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل في مقابلة مصروف العساكر والادوات الحربية والاشياء التي بليت. (ثانياً) ٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الاضرار الحاصلة في سواحل بلاد روسيا الجنوبية وفي اخراجات البضائع التجارية وفي طرق الحديد (ثالثاً) ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل بمقابلة الضرر الحاصل من الهجوم على قوقاس (رابعاً) ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الخسائر التي حصلت لتبعة روسيا المقيمين في الممالك العثمانية ولتأسيساتها فعلى ذلك تكون هذه المبالغ من حيث المجموع عبارة عن ١.٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل يعني ٢٤٥٣١٧٣٩١ ليرة عثمانية وريال مجيدي ايض ونصف هذا وان القيصر المشار اليه قد لاحظ ضيق حال الدولة العلية من جهة المال وتامل في مقاصدها التي لو هت عنها في هذا الشأن ووافق بالقبول على ان تتترك الدولة العلية الاراضي المحررة اسمائها ادناه عوضاً عن القسم الاكثر من المبالغ المذكورة. (اولاً). لواء طولجي يعني قضاء كيليا وسنه ومحمودية وايساقجي وطولجي وماجين وباباطاغى وخرسوه وكوستنجة ومجيديه والجزائر الكائنة في نهر الطونة قد تركتها الدولة العلية جميعاً لئلا ان الدولة الروسية ليس لها فكر بالحاق هاتيه البلاد الى ملكها بل انها تحفظ حق مبادلة هذه البلاد بقطعة بساراييا التي اخذت منها بموجب معاهدة سنة ١٨٥٦ فحدود قطعة بساراييا من جهة الجنوب طرف من اراضي كيليا ومصب نهر الطونة والجهات التي يصطادون بها السمك في النهر يصير تمزيقها بمعرفة مامورين من طرف الروسية ومن حكومة المملكتين في برهة سنة واحدة اعتباراً من تاريخ تعاطي هذه المعاهدة. (ثانياً). اردهان وقارص وباطوم وبايزيد مع الاراضي الحاوية عليها الى جبل صوغانلي سيصير تسليمها الى دولة روسيا وحينئذ الحدود الفاصلة تكون هكذا اعني بتتدى الخط الفاصل من الجبال التي فيها بين المياه الجارية والمنصبه في نهري «هوبا» و«جورق» ويمر من الجبال المتسلسلة الواقعة في جنوب قضاء «ارتوين» ومن جوار قريتي «الات» و«بشاك» ومن فوق «درونك» و«كتي» و«هوجه زار» و«بجقين طاغ» ومن الجبال الفاصلة للمياه التي تخلط بنهري «تورم» و«جورف» ومن فوق قراء «بالي» و«هين» و«لم كليسا» الى ان ينتهي الى نهر تورم ومن هنا يمر من سيوري طاغ ومن مضيق سيوري طاغ ويتصل بقريه زيمان ويلتفت الى جهة الجنوب حتى يصل الى «زوين» ومن زوين يمر



التي ينالها القسيسون والزوار من تبعة سائر الدول سوية وسفارة روسيا الكائنة في الاستانة وقناصلها يحمون حقوق الاشخاص المذكورة وذواتهم ومؤسساتهم والرهبان وغيرهم الموجودين في الاماكن المقدسة وبالخصوص في « اينوروز » فهم حائزون حقوقهم التي كانوا حائزين عليها في السابق ويحفظون الديورة الثلاثة الكائنة في اينوروز مع مشتقاتها المتعلقة بهم كسائر الديورة والمؤسسات المذهبية الكائنة لغيرهم هناك سوية

الشرط الثالث والعشرون . ان المعاهدات والمقاولات التي كانت موجودة فيما بين الدولة العلية والروسية المتعلقة بالتجارة والمحاكمة وبتبعية الروس المقيمين في بلاد الدولة العلية وتعطلت احكامها بسبب هذه الحرب ينبغي ان تجري احكامها كما في السابق وان دولتي الروسية والعثمانية قد اعدوا المناسبات التي كانت قبل هذه الحرب في الامور التجارية وغيرها بمقتضى احكام المعاهدات والمقاولات المذكورة ما عدا المواد التي نسيختها هاتو المعاهدة

الشرط الرابع والعشرون . ان خليج الاستانة وخليج جناق قلعه سواء كان في زمن الحرب او زمن الصلح يكون مفتوحا للسفن التجارية التي تريد المرور منه الى بلاد روسيا من الدول التي تكون على الحيادة والباب العالي ليس له من بعد هذا ان يضع الحصر الغير المؤثر على الشطوط الموجودة فيما بين البحر الاسود وبحر الازاق والمخالف لضمون معاهدة باريس التي صار امضاؤها في ٤ ابريل سنة ١٨٥٦

الشرط الخامس والعشرون . ان عساكر الروس يخرجون من بلاد الدولة العلية الكائنة في اوربا ( الزوم الي ) ما عدا البلغار وذلك من تاريخ انعقاد الصلح القطعي الى ثلاثة اشهر هذا وان العساكر المذكورة لهم ان يأتوا الاساكن الموجودة في البحر الاسود وبحر مرمرة عند السفر للركوب في السفائن التي تحضرها او تستأجرها دولة روسيا حتى لا يكونوا مجبورين على اطالة مدة الاقامة في الممالك العثمانية وفي رومانيا واما خروج عساكر روسيا من الاناطول فيكون بعد انعقاد الصلح القطعي بستة اشهر ولهم ان يأتوا الى طرابزون لاجل الركوب في السفن ومن هناك يسافرون الى القريم او القوقاس

الشرط السادس والعشرون . ان اصول الادارة والاوامر التي وضعتها دولة روسيا في البلاد التي دخلتها عساكرها والتي ينبغي تسليمها الى الدولة العلية بموجب هاتو المعاهدة تكون باقية وجارية الى حين توجه العساكر منها وليس للباب العالي المشاركة في الاحكام ولا للعساكر العثمانية الدخول اليها قبل ذلك بناء على هذا

ان امير العساكر الروسية يجبر الضابط الذي يعينه الباب العالي عن سفر عساكر الروسية وليس للباب العالي ان يجري الاحكام من قبل ان نسلّم له القلاع والايالات الشرط السابع والعشرون. ان الباب العالي لا يجازي احداً بسوء من تبعته الذين دخلوا في المناسبات مع دولة روسيا في زمن الحرب وليس للأموري الدولة العلية ان تمنع او توقف احداً من الاهالي الذين يرغبون ان يسافروا مع العساكر

الشرط الثامن والعشرون. ان اسرى الحرب يصير ارجاعهم تحت نظارة مأمورين مرتبين من طرف الدولتين وذلك عقيب تعاطي مقدمات الصلح وهؤلاء المأمورون يسافرون الى اودسا وسباستبول واما مصروف اسراء العساكر العثمانية تدفعها الدولة العلية في ظرف ست سنوات تحت ثمانية عشر قسطاً بموجب الدفتر الذي يجره المأمورون المذكورون واما قضية مبادلة الاسرى فيما بين حكومتي رومانيا والصرب وامارة الجبل الاسود فيصير اجراؤها على هذا الاساس لكن يطرح مقدار الاسرى الذي عند الدولة العلية من مقدار اسرى عساكرها ولا تلزمها فيه تلك المصاريف

الشرط التاسع والعشرون. ان حضرة امبراطور روسيا والحضرة الملوكانية سيثبتون هذه المعاهدة وامضاء اثبتهما يكون في بطرسبرغ في ظرف خمسة عشر يوماً او بوجه اسرع من ذلك ان امكن وكذلك يجري التصديق رسمياً على الشروط المذكورة في هذه المعاهدة على حسب الاصول الجارية في المعاهدات الصلحية وان الدولتين المتعاهدتين من تاريخ تعاطي المعاهدة يعدون انفسهم رسمياً بانهم متعهدون بان مرخصي الطرفين قد امضوا هذه المعاهدة كما يأتي تصديقاً لمضمونها. — حرر في ايا ستفانوس في ١٩ شباط الرومي (فبراير)

٣ ايار (مارس) الافرنجي سنة ١٨٧٨ الامضاء

الكونت اغنايف صنفوت نليدوف سعدالله

لكن انكثرا لم تسمح بالاقرار بذلك حتى ادخلت اسطولها بحر مرمر وعاضدتها بقية الدول في طلب تعديل تلك المعاهدة وعقدوا لذلك مؤتمراً في برلين وارسى الامر فيه على معاهدة نص تعريبها

بسم الله القادر على كل شيء

لما كانت حضرة سلطان العثمانيين وحضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى واراندة وامبراطورة الهند وحضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وحضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكارييا وحضرة رئيس جمهورية فرنسا وحضرة ملك ايطاليا وحضرة

امبراطور جميع روسيا يريدون لاجل اقرار الراحة العامة في اوربا انتهاء المسائل التي ظهرت في الشرق بسبب تقلبات الاحوال فيها في هذه السنين الثلاث وبسبب الحرب التي عاقبتها معاهدة اياسطفانوس استقر رأيتهم جميعاً على عقد مؤتمر يكون احسن الوسائل لاجل الاتفاق بحسب ما تقرر في معاهدة اياسطفانوس وبناء على ذلك عينت الدوات الملوكية المشار اليهم وحضرة رئيس جمهورية فرنسا مرخصين وهم

حضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وارانلندا وامبراطورة الهند عينت الاونورايل بنيامين دزراييلي الذي هو كبير وزراء انكاترا والاونورايل روبرت ارثتالبت عاسكون سيسل مركزيز صالحسبري الذي هو ناظر خارجية انكاترا والاونورايل لورد اود وليم ليوبولد روسل الذي هو سفير من الطبقة الاولى لانكاترا لدى حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا

وعين حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا البرنس بسهارك كبير الوزراء في بروسيا وبرانارد ارنتس دوبولوى مستشار الخارجية والبرنس هوهلوه شانغفورست سفير المانيا لدى رئيس جمهورية فرنسا

وعين حضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاليا الكونت اندراسي وزيره الخاص ووزيره في الامور الخارجية والكونت لويس كاروليني سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا والبارون هنري دوهاميل سفيره لدى ملك ايطاليا وعين حضرة رئيس جمهورية فرنسا موسيو وليم هنري وادانطون احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وشارل رايونند كونت دوصان فاليه من اعضاء مجلس الاعيان وسفير فرنسا لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وفيكس ديسبرز المكلف بادارة الامور السياسية في دائرة الخارجية

وعين حضرة ملك ايطاليا الكونت لويس كورتي احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وادورد كونت دولوني سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وعين امبراطور جميع روسيا البرنس الكسندر غورچيخوف وزيره في الامور الخارجية والكونت دوشوفالوف من قرناء الحضرة الامبراطورية ومن اعضاء المجلس الخاص وسفيره لدى دولة بريطانيا وهول دوبريل سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وعين حضرة سلطان العثمانيين الكسندر قره تيودوري باشا وزيره في الامور النافعة ومحمد علي باشا المشير في عساكره وسعد الله بك سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك

بروسيا فاجتمعوا في برلين بحسب اشارة دولة اوستريا هنكارييا وبوجب استدعاء دولة  
جرانيا ومعهم سائر المحررات المؤذنة بالتريخيص فبعد ان وجدت مطابقة للاصول وقع  
بينهم الاتفاق على المواد الآتية

(المادة الاولى) صارت لأن البلغار اماره مستقلة في امورها الداخلية ( ادارة مختارة )  
تدفع خراجا في كل سنة الى الباب العالي وتكون تحت تابعية الحضرة السلطانية ويكون  
لها حكومة مسيحية وعساكر وطنية

( المادة الثانية ) تكون اماره البلغار عبارة عن الاراضي الآتي ذكرها وهي ان  
حدود تلك الاراضي من جهة الشمال تبتدئ من حدود الصرب القديمة وتمر عن يمين  
ساحل نهر الطونة وتنتهي الى محل في شرقي سيلستريا وهذا المحل سيصير تعيينه من طرف  
المؤتمرا الذي يشكل من ماموري دول اوربا ومن هنا ايضا يتصل الحد في البحر الاسود ويمر  
من جنوب منقاليا التي صار الحاقها برومانيا اما من جهة الجنوب فانه يبتدئ من مصب  
النهر ويمر من جوار القرى المسماة « هوجه كوي » و « سلامكوي » و « اواجق »  
و « قولبة » و « صوجباتق » على شاطئ النهر الى جهة فوق الحاذية « اوادي فامجني »  
ومن جنوب « بليمة » و « كمنالقي » على بعد من « جنكة » مقدار متر ٢ ونصف ويتجاوز  
« دلي فامجني » ويمر من شمال « حاجي محله » ويصعد الى ذروة المحل الكائن فيما بين « تيكنالك »  
و « ايدوس برهسا » ومنه الى بلقان « قرين اباد » وبلقان « ويره زويقه » ومن بلقان  
« قرغان » الواقع في شمال المحل المسمى « قوتل » الى ان يتصل بمحل « تيمورقو » وعلى  
هذا يكون مروره من سلسلة البلقان الكبير الاصلية ويمتد على جميع مساحته الى ان  
ينتهي الى ذروة « قوزيقه » ومن هنا يترك ذروة البلقان يلتفت الى جهة الجنوب ويسير  
من بين قريتي « پيرتوب » و « دوزنجي » ويفادر قرية پيرتوب المذكورة الى البلغار  
وقرية دوزنجي الى شرق الروم ايلي ويتصل بنهر « طوزلي دزه » ويسير مع مجرى النهر  
الى مصبه في نهر « طوبولينجه » ثم الى نهر « اسموسكيو » الذي يصب في نهر طوبولينجه  
المذكور بجوار قرية « پيريجوه » ويترك من الاراضي الكائنة فوق نهر اسموسكيو المذكور  
مقدار كيلومتر ٢ الى شرقي الروم ايلي ويمر من مقسم المياه فيما بين اسموسكيو ونهر  
فامنيقه ويلتفت الى الجنوب الغربي من التل المسمى وونجات وينتهي رأسا الى النقطة  
المذكورة في خريطة اركان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ومن هنا يقطع بخط مستقيم  
الجهة العليا من وادي اهتان ويمر من بين بوغدينه وقره ولي ويتصل بالخط في مقسم نهر



المرج فيما بين اسقر وقرلي وحاجيلر ويسير مع الخط المذكور من تلال «ولنيا» و «موغيللا» الى المر الواقع في نقطة عدد ٥٣١ والى المحلات المسماة «ازمايليقا» و «ره وسومناتيقه» ويدخل من بين «سيوري طاش» و «قادرته» ويتصل بمحدود لواء صوفية ومن هنا يتبدى من «قادرته» الى جهة الجنوب الغربي ويمر من بين نهر قره صو ونهر «استروما قره صو» ويسير مع خط مقسم المياه ومن تلال الجبال المسماة «تهورقبو» و «اسقونيه» و «فاضيسار بلقان» و «حاجي كدك» تجاه بلقان قابنتيق ويتصل بمحدود لواء صوفية القديمة وكذلك يمر من بلقان قابنتيق المذكور ومن بين وادي «ريلسقارقا» ووادي «بسقارقا» ويسير مع خط مقسم المياه ويدور تل «ودينجه بلانينا» وينزل الى وادي استروما في المحل الذي يختلط به نهر استروما مع نهر رياسقارقا ويدع قرية «برافلي» للدولة العلية ويصعد من جنوب قرية «بلشيتقة» الى فوق ويمر من اقصر خط الى سلسلة «غولما بلانينا» وتل «غيتقة» ويتصل بمحدود لواء صوفية ويترك كامل منشا صوهارقا للدولة العلية وينتفت الى جهة الغرب من جبل «رجينقا» ويدور جبال فارونا يابوقه وحدود لواء صوفية القديمة من جبل «قرني وره» ويمر من فوق مياه «اكريصو» ولبنيقه ويطلع الى تلال «بابنابولانا» حتى ينتهي ايضاً الى جبل قرني وره المذكور ومن هذا الجبل يمر من تلال «استرز» و «ويله غوصو» و «مسيد بلانينا» ومن بين «استروما» و «موراوه» مع خط مقسم المياه الى غاسينا وقرنه طراوه ودار قوسقة ودرانيقة بلان وبعدها من فوق دوشا فلادانق ومن مقسم انهر صوقوه وموراوه وينذهب رأساً الى المحل المدعو «استول» ومن هنا ينزل الى الطريق الموصلة الى صوفية وبيروته ويقطع في هذه الطريق الف متر ومنه عن طريق ويدليا بلانينا ويصعد على خط مستقيم الى جبل «رادوجينا» الكائن في سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية دويقجي الى صربستان وقرية سناقوس الى البلغار ثم ينتفت الى جهة الغرب ويدور تلال البلقان المسمي سهروق من صوب استاره بلانينا ويتصل بشرقي حدود امارة الصرب القديمة بجوار «تولا اسميلوه قوفة» ويسير على هاتيه الحدود حتى ينتهي الى نهر الطونة عند «راقويجه» ثم ان هذه الحدود جميعها سيصير تعيينها بمعرفة لجنة مركبة من وكلاء الدول الحمضية على المعاهدة وحصل الاتفاق اولاً على ان هاتيه اللجنة تنظر بالاعثناء في خصوص محافظة حدود بلقان شرقي الروم الي الكائن تحت سلطة الدولة العلية وثانياً ان لا يصير انشاء استحكام في اطراف «صماقو» بمسافة ١٠ كيلو متر

( المادة الثالثة ) يكون انتخاب امير البلغار من اهلها بجرية تامة واقرارهُ من الباب العالي برضى دول اوربا العظام ولا يصح انتخاب امير عليها من بيوت الدول المذكورة فاذا توفي عن غير ولد يكون انتخاب امير بعده على الشروط والاصول المقررة

( المادة الرابعة ) بعد انتخاب الامير تجتمع اعيان البلغار بين في طرنوفا لترتيب احكام ونظامات تخص الامارة وفي الجهات التي تكون سكانها من الترك واهل رومانيا والروم وغيرهم يلزم مراعاة حقوقهم ومصالحهم فيما يتعلق بقضية الانتخاب وترتيب الاحكام الاساسية

( المادة الخامسة ) المواد الآتية تكون اساساً للحقوق العمومية في البلغار وهي « ان الاختلاف في المذاهب والاعتقادات لا يخرج احداً من الاهلية والجدارة من تمتعه بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فان الحرية ومباشرة جميع الاعمال الدينية ينبغي تأمينها لجميع الناس القاطنين في البلغار من اهلها ومن الاجانب ايضاً ولا يسوغ اتخاذ مانع ما لترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او لعلاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين »

( المادة السادسة ) تكون ادارة « البلغار الموقته » تحت ادارة مأمورين من دولة الروسية الامبراطورية الى ان تنتظم فيها القوانين الاساسية ويستدعى مأمور من طرف السلطنة العثمانية والقناصل الذين تنتخبهم الدول الذين وقعوا على هذه المعاهدة بقصد مراقبة اعمال « الادارة الموقته » المذكورة فاذا حصل خلاف بين القناصل المذكورين فابرام العمل يكون على حسب اكثرية الاراء كما انه اذا حصل خلاف بين اكثرية ارء المذكورين والمأمورين من طرف امبراطورية الروسية او المأمورين من طرف الحضرة السلطانية تجتمع سفراء الدول بالاستانة الذين وقعوا على هذه المعاهدة في مؤتمر ( كنفراس ) ليقر رؤسائهم على انتهاء الخلاف المذكور

( المادة السابعة ) تشكيل « الادارة الموقته » المذكورة لا يبق اكثر من تسعة اشهر اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة وبمجرد انتخاب الامير تصير مباشرة اجراء الاحكام الجديدة فتصير تلك الاحكام دستوراً للعمل وتكون الامارة قد حازت استقلاليتها الادارية ( ادارتها المختارة ) جوازاً تاماً

( المادة الثامنة ) جميع المعاهدات التجارية والسفريّة والاتفاقات التي جرت بين الدول الاجنبية وبين الباب العالي والتي لم يزل عملها جارياً تبقى مرعية الاجراء مع امارة

البالغار فلا يصح تبديل شيء منها مع احدى الدول المذكورة بدون رخصة منها ولا يسوغ وضع شيء من الضرائب على البضائع التي ترسل الى احدى الجهات في مرورها على البالغار وتكون معاملة جميع الاهالي ورعايا الدول وتجارهم في الامارة على قدم مساواة تامة وتبقى امتيازات وخصائص الاجانب المقررة في المعاهدات ( التي امضيت بين الدول والباب العالي ) مرعية الاجراء في الامارة ما دام لم يحصل تعديلها برضى الدول

( المادة التاسعة ) الويركو السنوي الذي يجب على امارة البالغار ان تدفعه في كل سنة الى متبوعها الحضرة السلطانية يكون دفعه الى البنك الذي يعينه الباب العالي ويكون تعيين المبالغ عند ختام السنة الاولى من جريان نظاماتها الجديدة باتفاق بين الدول الموقعين على هذه المعاهدة وهذا الويركو يحسب بنسبة ايراد الامارة وحيث انها ستحمل جانباً من ديون السلطنة العمومية يلزم للدول ايضاً ان يتذكروا على مقدار الدين الذي يعين على الامارة وذلك عند مذاكرتهم في امر الويركو

( المادة العاشرة ) جميع التعهدات والاتفاقات التي وعدت السلطنة العثمانية باجرائها مع شركة سكة الحديد بين وارند وروسجى تدخل في عهدة امارة البالغار اعتباراً من مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة اما تسوية الحسابات السابقة التي كانت بين الشركة المذكورة وبين الباب العالي لامرها يكون بين الباب العالي وحكومة البالغار والشركة المذكورة وكذلك دخل في عهدة البالغار سائر تعهدات الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا ومع الشركة المنوط بعهدتها تشييل سكك الحديد في الروم الي فيما يتعلق باتمام السكك المذكورة واتصالها في الاراضي التي دخلت الآن في حوزة البالغار ويكون عقد شروط الاتفاقات اللازمة لتسوية هذه المسائل بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة البالغار عند اقرار الصلح

( المادة الحادية عشرة ) بعد هذا لا تبقى العساكر العثمانية في البالغار وهدم سائر القلاع والحصون يكون على مصروف حكومة الامارة في ظرف سنة واحدة او اقل من ذلك ان امكن وينبغي لتلك الحكومة ان تتخذ وسائل مجمله لذلك ولا يسوغ لها ان تبني بدلها حصوناً جديدة ويكون للباب العالي حق في ان يتصرف في المهات الحربية وغيرها من الاشياء التي هي ملك له الباقية في حصون الطونة التي اخلتها العساكر العثمانية بموجب الهدنة التي حصلت في ٣١ جنوارى (كانون الثاني) وكذلك التي في شمله (شمنى) ووارنه (المادة الثانية عشرة) المسلمون وغيرهم الذين لهم املاك في البالغار ويريدون السكنى

خارجاً عنها بقون ممتعين باملاكهم فيمكنهم والحالة هذه ايجارها الى غيرهم وادارتها بمعرفة من ينتخبونه وتشكل لجنة مؤلفة من الترك والبلغاريين لتسوية جميع المسائل المتعلقة بكيفية نقل وتشغيل املاك الوقف لحساب الباب العالي والمسائل المتعلقة بالذين لم مصالح فيها وهذه التسوية تكون في ظرف سنتين ثم ان البلغار بين الذين يسافرون يسكنون في باقي اطراف الممالك العثمانية يكونون تحت الاحكام والقوانين العثمانية

( المادة الثالثة عشرة ) تشكل على جنوب البلقان ولاية تحت اسم « ولاية الروم ايلي الشرقية » وتكون تحت تابعة الحضرة السلطانية تابعة سياسية وعسكرية بشرط ان تكون مشمولة باستقلالية ادارتها ويكون واليها نصرانياً

( المادة الرابعة عشرة ) حدود « ولاية الروم ايلي الشرقية » تكون متصلة بحدود البلغار من جهتي الشمال والشمال الغربي والولاية المذكورة تكون عبارة عن الاراضي الكائنة ضمن الدائرة الآتي ذكرها « فحد هذه الولاية يبتدىء من البحر الاسود ويسير على النهر الواقع في جوار القرى المسماة هوجه كوي وسلام كوي وايواجق وقولبه وصوجيلق » الى جهة فوق محاذياً لوادي « دلي فامجق » ويمر من فوق « چككنه » مقدار مسافة كيلومتر ٢ ونصف تقريباً ويتصل بجنوب قراء « بلبيه » و « كحالتق » ثم يصعد الى التل الكائن فيما بين « تبكنلك » و « ايدوس بره سا » ويمر من بلقاف « قرين اباد » و « بره زويجه » و « قوزغان » حتى يصل الى « تيمورقبو » بالجهة الشمالية من « قوتل » وبعدها يدور جميع سلسلة البلقان الكبير وينتهي الى تل « قوزيقه » وفي هذه النقطة اعني من ذروة البلقان الكائن على غربي حدود الروم ايلي ينزل الى جهة الجنوب ماراً من بين قرية بيتروب التي تزكت للبلغاريين قرية دوزانس الباقية في الروم ايلي ويصل الى نهر « طوزلي دره » ويسير مع النهر الى مجمه مع نهر طوبولينقا وكذلك يمر مع هذا النهر الى مجمه مع نهر « سموسقيور » في جوار قرية « بريسوا » وعلى هذا يترك لروم ايلي الشرقية في شطوط مجاري هاتم الانهر مملاً مقدار كيلو مترو ٢ ثم يتبع الخطوط الفاصلة العياض المذكورة ويسير الى جهة فوق على طول انهر « سموسقيور » و « قامنيقا » ويلتفت الى الجنوب الغربي في تل « ووانجاق » ويصل الى المحل المبين في خريطة ارکان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ثم يقطع على خط عمودي مجرى نهر « ابجان دره » من الاعلى ويمر من بين « بوغدينا » و « فارولا » حتى يصل الى الخط الفاصل الكائن فيما بين نهري « اسقر » و « ماريقا » ويسير على طول الخط الموضح في الخريطة المذكورة تحت رقم ٥٣٠

من تلال « وولينا موجيلا » و « جمابليقا » و « روه سومناتيقا » ويجتمع بحدود لواء صوفيه فيما بين « سيوري طاش » و « قادر تبه » فعلى هذا تفرق حدود الروم ايلي والبلغار من جبل « قادر تبه » ثم الخط الفاصل المذكور يمر الى قدام من بين انهر ماريقا وتوابعه ريبين انهر « مستافره صو » واتباعه تابعا استقامة الخطوط الفاصلة لهذه المياه ويتوجه الى جهتي الجنوب الشرقي والجنوب مارا من تلال جبل « دسبوت » الى صوب جبل « كروشوا » وهذا الجبل كان مبدأ الحد الذي عينتها معاهدة اياسطفانوس ثم الخط المذكور يتبع الخط المامين في المعاهدة المذكورة اعني انه يتبدئ من هذا الجبل ويمر على سلسلة « قره بلقان » من تلال « قولاقلي طاغ واشك جبلي وقره قولاس » وايشيقلر ويسير جهة الجنوب الشرقي حتى ينتهي الى نهر « واردا » ويسير مع هذا النهر على طول حتى يصل الى قرية « اطه قلعه » وتبقى هذه القرية في سلطة الدولة العلية ومن هنا يصعد ذروة جبل « بش تبه » ثم ينزل ويمر من جسر « مصطفى باشا » ويتجاوز نهر المريچ من جهة فوق بمسافة خمسة كيلومتر ثم يتوجه الى جهة الشمال مع بين الانهر الصغار التي تصب في نهري « خانلي دره » و « مريچ » ويسير على خط مقسم المياه الى المحل المسمي « كودلر بايري » ومن هنا يلتفت الى جهة الشرق ويمتد الى « صقار بايري » ومنه الى وادي « طونجه » والى « ييوك در بند » ويترك « ييوك در بند » و « صوجاق » الى جهة الشمال ثم يسير من بين الانهر التي تصب في نهر طونجه من جهة الشمال وفي نهر المريچ من جهة الجنوب على خط مقسم المياه ويصعد الى تل « قبيار » وتبقى قبيار في الروم ايلي الشرقية ثم يلتفت الى جهة الجنوب ويمر من بين المياه الكائنة فيما بين نهر المريچ من جهة الجنوب وبين قريتي « بلورن » و « التلي » التي تصب في البحر الاسود ويصل الى جنوب قرية « الماللي » ويدور تلال « ووسنه » و « زواق » من شمال المحل المسمي « قراكلق » ويسير مع الخط الفاصل فيما بين نهري « دوكه » و « قره اغاج » حتى يتصل بالبحر الاسود

(المادة الخامسة عشرة) يكون للحضرة السلطانية حق في ان تباشر محافظة الحدود البرية والبحرية وذلك بان تبني في تلك الحدود استحكامات وتقيم فيها عساكر ولتأمين الراحة العمومية في ولاية « الروم ايلي » الشرقية يشكل فيها ضبطية وعساكر داخلية ومذاهب الاهالي الذين تواف منهم هذه العساكر والضبطية تكون مرعية ويكون تعيين ضباطهم من طرف الحضرة السلطانية وقد تعهدت الحضرة السلطانية بان لا توظف في

حصول الحدود عساكر غير نظامية كالباشى بوزق والجراكسة وفي جميع الاحوال لا يسوغ للعساكر النظامية المذكورة ان تعدى على الاهالي وعند مرورهم في الولاية (لاستقرارهم في الاستحكامات) لا يسوغ لهم الافامة فيها

(المادة السادسة عشرة) يكون للوالي حق في ان يستدعي العساكر العثمانية اذا حصل ما يخل بالراحة الداخلية والخارجية فاذا وقع ما يوجب ذلك يخبر الباب العالي نواب الدول بالاستانة عن قراره وعن السبب الذي احوجه اليه

(المادة السابعة عشرة) يكون تعيين والي «ولاية الروم ايلي الشرقية» مدة خمس سنين من طرف الباب العالي باتفاق الدول

(المادة الثامنة عشرة) بمجرد مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة تشكل لجنة اورباوية للنظر في ترتيب ادارة «ولاية الروم ايلي الشرقية» بالاتفاق مع الباب العالي ومن خصائصها ان تبين في ظرف ثلاثة اشهر وظيفة اموريه الوالي وماله من الاستطاعة وترتيب الولاية الادارية والنظامية وانالية ويكون ابتداء اشغالها تنظيم اختلاف احكام الولايات وما حصل عليه المذكرة في الجلسة الثامنة من المؤتمر الذي عقد في الاستانة وبعد ان يحصل القرار على جميع المصالح المتعلقة بالولاية المذكورة يصدر فرمان من طرف الحضرة السلطانية فيبلغه الباب العالي الى الدول

(المادة التاسعة عشرة) يناط بعمدة اللجنة الاورباوية المذكورة بالاتفاق مع الباب العالي ادارة المالية في الولاية الى ان تنجز القوانين الجديدة المراد وضعها

(المادة العشرون) جميع المعاهدات والاتفاقات والمعاملات التي جرى تداولها بين الباب العالي والدول الاجنبية او التي ستعقد فيما بعد يكون معمولاً بها في «ولاية الروم ايلي الشرقية» كما هو جارٍ في سائر السلطنة العثمانية وجميع الامتيازات والخصائص التي حازتها الاجانب على اختلاف وظيفتهم ومصلتهم تبقى محتارمة في الولاية المذكورة وقد تعهد الباب العالي بان جميع احكام السلطنة هناك فيما يخص المذاهب المختلفة يكون معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الحادية والعشرون) تبقى حقوق الباب العالي وتعهدهات فيما يتعلق بسكك الحديد في الروم ايلي الشرقية معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الثانية والعشرون) تكون قوة الروسية في البلغار وفي «ولاية الروم ايلي الشرقية» مؤلفة من ست فرق من المشاة وفرقتين من الخيالة وجميع ذلك لا يزيد على

٥٠٠٠٠ نفر وتكون مصاريفهم على الولايات التي يتبؤونها وتبقى علاقتهم ومواصلتهم مع الروسيا بواسطة رومانيا بحسب الاتفاق الذي يحصل بين الحكومتين المذكورتين وفضلاً عن ذلك تكون بواسطة مراسي البحر الاسود مثل وارنه وبورغاس حتى يمكن لهم ان يتخذوا هناك مخازن للوازمهم مدة اقامتهم وتقرر ايضاً ان اقامة العساكر الامبراطورية في « ولاية الروم ايلي الشرقية » والبلغار تكون مدة تسعة اشهر اعتباراً من يوم مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة وقد تعهدت دولة الروسية الامبراطورية انه قبل انقضاء هذه المدة تمنع مرور عساكرها من رومانيا فتخلو منهم امانة البلغار

( المادة الثالثة والعشرون ) قد تعهد الباب العالي بان يجري في جزيرة كريد النظامات التي تقرر فيها في سنة ١٨٦٨ والتعديلات التي يرى من العدل اجراؤها وكذلك يجري في بقية الولايات نظامات وقوانين على ما تقتضيه المصالح الداخلية كما في كريد مما لم ينص عليه في هذه المعاهدة نصاً خصوصياً الا فيما يتعلق بالغاء الضرائب كما هو جارٍ الآن في كريد ويشكل من طرف الباب العالي لجانة مخصوصة يكون اكثر اعضائها من الاهالي للنظر في متعلقات النظامات اللازم اجراؤها في كل ولاية ثم تعرضها على الباب العالي للتروي فيها وقبل ان يعمل بها وتجعل دستوراً للعمل يلزم الباب العالي ان يستشير اللجنة الاورباوية المتقدمة للنظر في احوال الروم ايلي الشرقية

( المادة الرابعة والعشرون ) اذا فرض انه لم يقع اتفاق بين الباب العالي ودولة اليونان فيما يتعلق بتعديل الحدود كما تقرر في المادة ١٣ من مضبطة مؤتمر برلين فدول جرمانيا واوستريا هنكاري وفرنسا وبريطانيا العظمى واطاليا والروسية تحفظ لنفسها عرض التوسط بين الفريقين تسهلاً للمذاكرات

( المادة الخامسة والعشرون ) ثبوتاً عساكر اوستريا وهنكاريا ولايتي بوسنه وهرسك ويناط بها ايضاً امر ادارتهما وحيث انها لا تريد ان تتولى ادارة سنجيقة يكي بازار الممتدة بين الصرب والجبل الاسود على الخط الجنوبي الشرقي ما وراء ميترووتسه فالادارة العثمانية تبقى ممولاً بها هناك وحيث ان المراد اقرار الاحوال السياسية الجديدة وحرية المواصلات وتأمينها فدولة اوستريا وهنكاري تحفظ لنفسها الحق بان يكون لها قشل وطرق تجارية وعسكرية في جميع الجهات المذكورة ولهذا الغاية تحفظ لنفسها هي والدولة العثمانية ان تتفقا على المواد المتعلقة بهذه المسألة

( المادة السادسة والعشرون ) قد اعترف الباب العالي استقلال الجبل الاسود

وكذلك اعترفتهم بقبية الدول الموقعين على هذه المعاهدة الذين لم يعترفوا سابقاً ( المادة السابعة والعشرون ) اتفق الموقعون على هذه المعاهدة على ان استقلال الجبل الاسود يكون مربوطاً بالمواد الآتية وهي « لا يسوغ التمييز في الاعنقادات الدينية في الجبل فلا يخرج احداً من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية او بدخولهم في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فجميع الاهالي التابعين للجبل الاسود وللاجانب اينما الحربه الناهة في حبس المتعلقة المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين »

(المادة الثامنة والعشرون) قد صار تعيين حدود الجبل الاسود كما سيأتي وهي انها تبتدئ من « ايلينو برودو » وتسير الى شمال « قلوبوق » وتمر من فوق « تره بنيجه » وتصل بمحل « غرانقارو » وتبقى غرانقارو ضمن لواء هرسك ومنها يصعد الخط الفاصل الى جهة فوق من نهر غرانقارو ويصل الى محل يبعد عن النهر الذي يصب في « سيدلقة » مقدار كيلومتر فقط ومن هنا يسير على اقصر طريق ويصعد الى التلال التي في جوار « تره بنيجه » ثم يذهب الى « بيلاتوه » ويترك هذه القرية للجبل يسير من التلال الى جهة الشمال وعلى قدر الامكان يمر بعيداً عن طريق « بيلكه » و « قوربتو » و « غاجقه » مقدار ٦ كيلومتر ويصل الى الطريق الكائنة فيما بين « سوبنا بلانينا » وجبل قوربله ومنها عن جهة الشرق يمتد الى جبل اورلين ويترك قرية « وارنقويجي » لمرسك ثم يمتد من الشمال الشرقي ويدع « روانه » داخل الجبل ويمر من تلال « لپرسليك » و « ولجاق » ويسير من اقصر طريق وينزل الى نهر « بيوه » ويتجاوز هذا النهر ويصل الى « تاره » الكائنة بين « قرقويقه » وبين « نندوينه » ومن تارة يصعد الى « موجقواق » ويتصل بمحل « سقوج زرو » ومن هنا الى قرية « صوقولار » ويجمع بالحدود القديمة ثم يمر الى تلال مقرا بلانينا وتبقى قرية مقرا داخل الجبل ويمر ايضاً من السلسلة الاصلية الى الطريق المذكور في خريطة اركان حرب اوستربا تحت رقم ٢١٦٦ ومن فوق مقسم المياه الواقع بين « ليم » و « درين » وبين « سيونه زم » ثم يتصل بالحدود الجديدة بعد مروره فيما بين قبيلة « قاجي دره فالويجي » وبين قوسقارجنه « و « قلامنتي » و « غرودي » وبعد ذلك ينزل الى صحراء بودغورويجه ويترك قبائل قوسقارجنه وقلامنتي وغرودي وهوتي لبلاد الارناووط ويتصل « ببلاونيقه » ومن هنا يمر من جوار جزيرة « غوريقه طوبال »



ويتجاوز ما اشقودره ويسير رأساً من « غوريقه » طوبول الى التلال ويمر من مقسم المياه الكائن فيما بين « مغورد » و « فاليمد » مع خط المقسم المذكور ويترك « ميرقويق » داخل الجبل وينتهي الى بحر ونديك ( فينيسيا ) عند قرية « فروجي » ثم يلتفت الى الشمال الغربي ويمر في الساحل من بين قرى « شوسانه » و « زويسي » ويتصل بمنتهى الحدود الجديدة في جهة الجنوب الشرقي فوق « ورسوته بلانينا »

( المادة التاسعة والعشرون ) انضمام انتواري (باري) وشطوط البحر التي تخصها الى الجبل الاسود مشروط على الصورة الآتية وهي ان يعاد على الدولة العثمانية الاراضي الكائنة على جنوب تلك الجهة الى بويانا من ضمنها دولسنجو ويضم الى دلماتيا مرسى سبزا والاراضي المتعلقة بها الى غاية حدودها الجنوبية كما هي مدينة بالتفصيل في الخريطة ويكون للجبل الحرية المطلقة التامة للسفر في نهر بويانه ولكن لا يسوغ له ان يبني على النهر حصوناً او استحكامات الا ما لزم للمحافظة على اشقودرة خاصة فتكون تلك الحصون والحالة هذه غير خارجة عن دائرة مسافتها حول المدينة المذكورة بسنة كيلومتر (٦٠٠٠ متر او نحو عشرة اميال) ولا يكون له بواخر حربية ولا رابة ولا يسوغ لاي دولة كانت ان تدخل بواخرها الحربية الى مرسى انتواري اما الحصون الكائنة في ارض الجبل بين النهر وشط البحر فتهدم بالكلية ولا يسوغ اعادة بنائها ويفوض لعهد اوستريا وهنكاريا ادارة البحرية والصحية في انتواري وفي شطوط الجبل وعلى الجبل ان يستعمل القوانين والاصطلاحات البحرية على موجب القوانين والاصطلاحات الجارية في دلماتيا (باوستريا) وقد تعهدت اوستريا وهنكاريا بان تحمي بواخر الجبل الاسود التجارية ويلزم للجبل ان يتفق مع اوستريا وهنكاريا على مد سلك الحديد وانشاء طرق عادية في الاراضي التي دخلت حديثاً في حوزته وعلى تأمين حرية المواصلات عليها

( المادة الثلاثون ) المسلمون وغيرهم الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الجبل الاسود ويريدون ان يستوطنوا خارجاً عن الامارة لهم حق بان يبقوا مالكين عقاراتهم بايجارها او تشغيلها بواسطة من يختارونه وتشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين واهل الجبل الاسود لتسوية المسائل التي تتعلق بكيفية نقل الاملاك او حرثها او ادارتها سواء هي من املاك الوقف او الاملاك الميرية التي للباب العالي فتجري تسوية جميع متعلقات الذين لهم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين ( المادة الحادية والثلاثون ) على امانة الجبل الاسود ان تتفق مع الباب العالي على

ما يتعلق بتعيين وكلاء من طرفها في الاستانة او في جهات اخرى من السلطنة العثمانية  
مما يرى لازماً اما اهل الجبل المقيمون في السلطنة العثمانية او المسافرون فيها فيكونون  
تحت احكام الدولة العثمانية علي حسب الاصول المقررة بين الدول وعلى حسب العوائد  
المقررة مع الجبل

( المادة الثانية والثلاثون ) يلزم ان عساكر الجبل الاسود تخلي الاراضي التي هم  
الآن مستولون عليها مما لم يدخل في حدود امارة الجبل الجديدة وذلك في ظرف عشرين  
يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة او اقل من هذه المدة اذا امكن كذلك  
يلزم للعساكر السلطانية ان تخلي في المدة المذكورة الاراضي التي دخلت الان في  
حوزة الجبل

( المادة الثالثة والثلاثون ) حيث انه يلزم الجبل الاسود ان يتحمل جانباً من  
الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي دخلت في حوزته بموجب  
شروط الصلح تعين نواب الدول الاجنبية في الاستانة هذا المبلغ بالاتفاق مع الباب  
العالي على اصول عادلة

( المادة الرابعة والثلاثون ) لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية  
امارة الصرب ربطتها بالشروط المحررة في المادة الآتية

( المادة الخامسة والثلاثون ) لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في الصرب ضد  
احد حتى يخرجهُ من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعهُ بالحقوق المدنية والسياسية  
او بدخوله في الوظائف المبرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع  
والحرف المختلفة كيفما كان مقرهُ فجميع الاهالي التابعين للصرب والاجانب ايضاً الحرية  
التامة في جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب  
المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين

( المادة السادسة والثلاثون ) امارة الصرب تكون مالكة للاراضي الموجودة في ضمن  
الحدود الآتي ذكرها وهي ان الخط الفاصل يمر على طول الخط الحالي ومن مصب نهر  
« درينا » في نهر صاوا ويذهب مع الجرى ويترك « ازرونيق وزخار » للامارة ولا يترك  
الخط المذكور اعني الحدود القديمة الى « قابونيق » ثم يفترق سيف ذروة جبل قابونيق  
عن الخط المذكور ويسير من جنوب الجبل على طول حدود نيش الشرقية ويمر من  
تلال « ماريقا وماردار بلانينا » وهذه التلال هي الخط الفاصل بين انهر « ايلباروسيتيغا

وطوبليقا» وعلى هذا تبقى « بره بولاد » للدولة العلية وبعده يسالك خط مقسم المياه الى جبة الجنوب من بين « برونيتا » ومدودجا وبترك وادي مدودجا كلاً للصرب ويصعد الى تل « قولجاق بلانينا » ويكون هو الخط الفاصل فيما بين الانهر المسماة « بولجنيقا وترنيقا وموراوا » ويصل الى تل « بولجنيقا » ثم يذهب من تجاه « قابينا بلانينا » الى مجمع انهر « قوانسقا وموراوه » ويتجاوزهُ ويسير على الخط الفاصل فيما بين مياه النهر الذي يخلط بنهر موراوه في جوار « قوانسقا وزه دوس » ويتصل « بيلانينا ايليجه » فوق « ترغويست » ومن هنا اعني من ذروة جبل ايليجه يمتد الى ذروة جبل « قناروق » وير من المحلات المدروجة في الخريطة تحت عدد ١٥١٦ و ١٥٤٧ ومن « بابينا غورا » وينتهي الى جبل « قرني وره » ثم يبتدئ من هذا الجبل ويجمع بمحدود البلغار يعني يمر من تلال « استره سرو وبلوخلو ومسيد بلانينا » ويسير على خط مقسم المياه الواقع فيما بين استروما و « موراوه » وينتهي الى المحلات المدعوة « غاسينا وقرنه تراوه ودار قوسقوه ودرابنيقه بلان » وبعدها يمر من فوق « دشاني قلادنيق » ومن اعلى مقسم مياه « صوقوه وموراوه » ويذهب رأساً الى « استول » ومن هنا ينزل الى قرية « سفوزه » من جهة شمالها الغربي ويقطع طريق « بيروت » بمسافة مقدار الف كيلومتر عن صوفية ويصعد على خط مستقيم الى « وبدليق بلانينا » ويمر من جبل « رادوجينا » الواقع في سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية « دوفنجي » لامارة الصرب وقرية « سناقوس » الى البلغارستان ثم يسير من ذروة هذا الجبل الى جهة الشمال الغربي ويمر من بلقان « سيروق » ومن « استارا بلانينا » ويصعد الى تلال البلقان وفي جوار « قولوا اسميلجوه قوقا » يتصل بمحدود الصرب الشرقية القديمة ويسير على هذه الحدود الى نهر الطونة وينتهي عند النهر في « راقويجه »

( المادة السابعة والثلاثون ) لا يغير شيء في الصرب من الشروط الحالية فيما يخص العلاقات التجارية الكائنة بين المالك الاجنبية وبين امارة الصرب الى ان يجري بدلها اتفاقات جديدة ولا يسوغ ان يؤخذ على البضائع التي تمر في الصرب مرسله الى جهة اخرى شيء من العوائد او الرسومات اما المزاي والامتيازات الشاملة الآن رعايا الدول الاجنبية في الصرب وحقوق الاحكام وحماية القناصل لرعاياهم على الاصول المعمول بها الآن فبقى مرعية الاجراء الى ان يحصل اتفاق بين امارة الصرب والدول الاجنبية على تعديلها

( المادة الثانية والثلاثون ) للمعاهدات التي تعهد بها الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا او مع شركة سكة الحديد في الروم الي اوفيا يتعلق باتمام السكك الحديدية وتشغيلها في الاراضي التي دخلت في حوزة الصرب تبقى مرعية الاجراء عند اماره الصرب وعند التوقيع على هذه المعاهدة يجري اتناق بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة البلقار على قدر ما يخصها لتسوية هذه المسائل

( المادة التاسعة والثلاثون ) المسلمون الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الصرب ويريدون ان يستوطنوا خارجا عن الامارة لم الحرية بان يبقوا مالكين عقاراتهم بموجزتها او تشغيلها بواسطة من يختارونه وستشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين والصربيين لاجل تسوية جميع المسائل التي تتعلق بكيفية نقل وادارة الاملاك المتعاقبة بالمؤلف او الاملاك الميريّة التي للباب العالي وكذلك تسوية جميع متعلقات الناس الذين لم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين ( المادة الاربعون ) تكون معاملة رعية الصرب القاطنين في السلطنة العثمانية او المسافرين فيها بحسب اصول الاحكام والقوانين المتداولة بين الدول الى ان تحصل معاهدة بين الدولة العثمانية والصرب

( المادة الحادية والاربعون ) يلزم معسكر الصرب اخلاء جميع الاماكن التي لم تدخل في حوزة امارتهم في ظرف خمسة عشر يوما اعتبارا من يوم التوقيع على هذه المعاهدة كذلك يلزم المعسكر السلطانية ان تنظلي في المدة المذكورة الاماكن التي دخلت في حوزة الامارة

( المادة الثانية والاربعون ) حيث انه يتعين على الصرب حمل جانب من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي حازتها بموجب هذه المعاهدة فسفراه الدول الاجنبية في الاستانة يعينون مبلغ قيمة الاراضي المذكورة على صورة عادلة بالاتفاق مع الباب العالي

( المادة الثالثة والاربعون ) لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين استقلالية رومانيا وربطتها بالشرطين الآتين

( المادة الرابعة والاربعون ) لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في رومانيا ضد احد حتى يخرج من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتع بالحقوق المدنية والسياسية بدخوله في الوظائف الميريّة او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف

المختلفة كما كان مقره فجميع الاهالي التابعين لرومانيا والاجانب ايضا الحرية التامة  
في جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب المذاهب  
المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين فتكون معاملة رعايا جميع الدول سواء  
كانوا من التجار او غيرهم في رومانيا بدون تمييز في المذهب على قدم مساواة تامة

( المادة الخامسة والاربعون ) امارة رومانيا تعيد على حضرة امبراطور الروسية  
ازاضي بيسارايا التي كانت انفصلت من الروسية بموجب معاهدة باريس التي امضيت  
في سنة ١٨٥٦ وحدودها في الجهات الغربية من مجرى نهر البروث وفي الجنوب من نهر  
« كيليا » و« ستارى استانبول »

( المادة السادسة والاربعون ) يضم الى رومانيا الجزر الثلاثة التي على الطونة وجزر  
« بلان طاغ » و« سنجقية » وهي تشمل قضاآت كيليا وسولينا ومحمودية وزانجه وطولجي  
وماجين وبابا طاغ وهرسوا وكوستنجه ومحمدية وما عدا ذلك يعطى لها ايضا الاراضي الكائنة  
على جنوب الدبروجه الى ان تصل الى وسط پتدى من شرق سيليستريا ويمتد الى البحر  
الاسود على جنوب منغاليه ويكون تعيين تخوم تلك الحدود في تلك المواقع بمعرفة اللجنة  
الاورباوية المنوط بعهدتها تعيين حدود البلغار

( المادة السابعة والاربعون ) مسألة تقسيم المياه والصيدا تعرض على لجنة الطونة  
الاورباوية لتكون حكما عليها

( المادة الثامنة والاربعون ) لا يجوز وضع رسومات او عوائد في رومانيا على السلع  
التي ترد اليها بقصد ارسالها الى جهة اخرى

( المادة التاسعة والاربعون ) يسوغ لرومانيا ان تعقد مع الدول الاجنبية اتفاقا  
لتسوية مسألة امتيازات ووظائف فواصلهم فيما يتعلق بحماية رعاياهم في الامارة الا ان  
الحقوق الحالية تبقى مرعية الاجراء ما دام لم يحصل اتفاق عمومي بين الامارة والدول  
( المادة الخمسون ) تبقى رعية رومانيا القاطنون في الممالك العثمانية او المسافرين  
فيها او رعايا العثمانيين المسافرين في رومانيا او القاطنون فيها متمتعين بالحقوق التي تشمل  
رعايا بقية الدول الاورباوية الى ان تعقد معاهدة لتسوية امتيازات القناصل ووظائفهم  
بين الدولة العثمانية ورومانيا

( المادة الحادية والخمسون ) تعهدات الباب العالي ووظائفه فيما يتعلق باتمام الاشغال  
النافعة وما اشبهها في الاراضي التي دخلت في حوزة رومانيا تعود الى عهدة رومانيا

(المادة الثانية والخمسون) لاجل زيادة تأمين حرية السمر في نهر الطونة التي اعترف انها من المصالح الاوربوية. قرّر رأي الموقعين على هذه المعاهدة بان جميع الحصون والاستحكامات الموجودة الآن على النهر من عند المحل الذي يقال له « ابواب الحديد » الى ثم النهر تهدم بالكلية فلا يسوغ بعد هذا بناء غيرها ولا يجوز سفر احد من البواخر الحربية على الطونة منعدر « ابواب الحديد » الا البواخر الصغيرة المينة لخدمة الضبطية في النهر وخدمة الكبارك ولكن يسوغ لبواخر الدول الموجودة في نهر الطونة لاجل الحراسة ان تسافر في النهر الى غاية « غلاتس »

(المادة الثالثة والخمسون) تبق لجنة الطونة الاوربوية مقررة في وظائفها ولرومانيا فيها نائب وتجري اعمال ووظائفها الى « غلاتس » بحرية تامة مستقلة عن مداخلة مأموري تلك الاراضي وتبقى ايضا سائر معاهداتها واتفاقاتها واشغالها واعمالها وقراراتها فيما يتعلق بامتيازاتها وخصائصها ووظائفها ثابتة الاجراء

(المادة الرابعة والخمسون) قبل نهاية الاجل المقرر لبقاء لجنة الطونة الاوربوية بسنة واحدة يلزم للدول ان يتفقوا على تطويل سلطتهم او على التعديلات التي يرون اجرائها من اللازم

(المادة الخامسة والخمسون) جميع المنظمات المتعلقة بالسفر في النهر ووظائف الضبطية فيه من « ابواب الحديد » الى « غلاتس » يكون ترتيبها وتنسيقها من طرف اللجنة الاوربوية بمساعدة نواب من طرف الممالك الكائنة بسواحل النهر ويصير تأليفها بالنظمات الموجودة او التي ستحدث في امور النهر اسفل من غلاتس

(المادة السادسة والخمسون) يلزم للجنة الطونة الاوربوية ان تتفق مع الدول فيما يتعلق بتنوير الفئارات الكائنة على جزر « يلان طاغ »

(المادة السابعة والخمسون) قد فوض لاوستريا وهنكارييا الاشغال اللازم اجرائها لازالة موانع السفر التي تحدث من « ابواب الحديد » والشلالات ويلزم على الممالك المجاورة النهر من الجهة المذكورة ان تجري جميع التسهيلات اللازمة لمصلحة تلك الاشغال اما المواد المقررة في المادة الرابعة من معاهدة لندن التي امضيت في ١٣ مارس سنة ١٨٢١ فيما يتعلق باخذ ضرائب موقفة لسد مصاريف تلك الاعمال والاشغال فتبقى منوطة بدولة اوستريا وهنكارييا

(المادة الثامنة والخمسون) الباب العالي يسلم الى امبراطورية الروسية في اسيا

(الاناطول) اراضي اردهان وفارص وباطوم مع مرسى باطوم وجميع الاراضي الكائنة بين تخوم الروسية والتركية القديمة والتخوم الالتي يانها وهي «الحدود الجديدة» تبتدىء من البحر الاسود على حسب الخط المقرر في معاهدة اياستفانوس الى نقطة في الجهة الشمالية الغربية من «خورده» وعلى جنوب «ارتوين» وتمتد على خط مستقيم الى نهر «جوروك» وبعد عبوره هذا النهر بسيز شرقي «اشمشين» ويستمر على خط مستقيم في الجنوب وهناك يلاقي حدود الروسية المشروحة في المعاهدة المذكورة وذلك في نقطة على جنوب «ناريمان» مع بقاء مدينة «اولتي» في حوزة الروسية ثم يبتدىء الخط بالقرب من «ناريمان» الى الجهة الشرقية ويكون مروره من «ترينيق» وبعد دخول مدينة ترينيق في حوزة الروس يسير الى «بنك شاي» مجارياً نهره الى ان يصل الى «باردوز» وبعد دخول مدينة باردوز ويكي كوى في عهدة الروسية يؤخذ نقطة من غرب قرية «قره اونجان» تجعل الحدود عليها على خط الى ان يصل الى «مجنجرت» ومنها على خط مستقيم الى ان يصل الى تلال «قباداغ» فيستمر على خطه مصب نهر «الاركس» في الشمال ومصب نهر «مرادصوى» في الجنوب الى ان يصل الى حدود روسيا القديمة (المادة التاسعة والخمسون) امبراطور الروسية يصرح هنا بان غاية مقصده ان يجعل باطوم مرسى حراً (معنى حر ان تكون البضائع معفاة من جميع رسومات الدخول او الخروج)

(المادة الستون) تعيد الروسية على تركية اودية الشغراد ومدينة «بايزيد» الالتي سلمت للروسية بموجب المادة ١٩ من معاهدة اياستفانوس وقد سلم الباب العالي الى مملكة ايران مدينة «قطور» وارضها كما قرء عليه رأي اللجنة الانكليزية والروسية الالتي نيط بهدتها تعيين تخوم تركية وايران

(المادة الحادية والستون) الباب العالي يتعهد بان ييري بدون تأخير في الولايات الالتي سكانها من الارمن سائر الاصلاحات والتحسينات الالتي تحتاج اليها امورها الداخلية وان يتعهد بتأمينهم من تعدي الجراكسة والاكراذ عليهم ويفيد الدول الاجنبية المرة بعد المرة التشبثات الالتي اتخذها لهذه الغاية وهي تراقب كيفية اجرائها

(المادة الثانية والستون) حيث ان الباب العالي اظهر رغبته في ابقاء اصول حرية الديانة وتوسيع مداها توسيعاً مطلقاً فان الموقعين على هذه المعاهدة ينزلون هذه الرغبة منزلة الفعل فلا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في جميع اطراف السلطنة العثمانية

حتى يخرج احدًا عن الاهلية والجدارة بجميع ما يتعلق بتمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقروء ويؤذن لجميع الناس بان يؤدوا الشهادة في جميع المحاكم بدون تمييز احد في الدين واستعمال سائر الامور الدينية يكون بحرية فلا يكون مانع ما لترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او لعلاقتهم مع رؤسائهم ويكون الاكليروس ( اصحاب الرتب الكنائسية ) والزوار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية في الروم اليه والاناتول حائزين حقوقاً واحدة وامتيازات وخصائص واحدة وفوض الى القناصل ونواب الدول الاجنبية في تلك الممالك حق في حماية اولئك المذكورين وحماية محلاتهم الدينية والخريرية حماية رسمية في الاماكن المقدسة او غيرها اما الحقوق المسلمة لفرنسا فلم تزل مرعية الاجراء وصار من المعلوم المقرر هنا انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة اما زوار جبل اثوس من اي جنس كانوا فيبقون حافظين لاملاكهم وامتيازاتهم ومنحهم السابقة ويبقون متمتعين بمساواة تامة في الحقوق والمزايا

( المادة الثالثة والستون ) تبنى معاهدة باريس التي امضيت في ٣٠ مارس ١٨٥٦ ومعاهدة لندرة التي امضيت في ١٣ مارس ١٨٧١ مرعية الاجراء وذلك فيما يتعلق بالمواد التي لم تنسخها ولم تعد لما هذه المعاهدة  
( المادة الرابعة والستون ) يقع التصديق على هذه المعاهدة بعد ثلاثة اسابيع او اقل ان امكن وللشهادة بذلك اثبت الموقعون اسماءهم على هذه المعاهدة بعد ان وضعوا عليها اخطامهم

تحريراً في برلين في اليوم الثالث عشر من شهر يولييه ( تموز ) سنة ١٨٧٨

الامضاء

فون بسمارك	صالسبري	هايمول	شوفالوف
فون بولوي	اودروسل	وادنطون	دويريل
هوهنلو	كورتى	سان فاليه	فروه تيودوري
اندراسي	لاوني	دبيريس	محمد علي
كارولي	غورجيقوف	بكنسفيلد	سعد الله



وعند الاخذ في العمل بمقتضى هذه المعاهدة طلبت روسيا عقد معاهدة نهائية لتصحيح ما سلم من معاهدة سان اسٲيفانوس لتخرج عساكرها من الاراضي العثمانية فاستقر الامر على معاهدة تعريبها

( المادة ١ ) يقع بعد هذا صلح ووداد بين السلطنتين

( المادة ٢ ) قد وقع الاتفاق بين الدولتين على ان تصرحا بان المواد التي تضمنتها معاهدة برلين التي صار اجرائها بموجب توسط الدول السبع جرى العمل بها عوضاً عن شروط صلح معاهدة اياسطفانوس التي صار تعديلها او تبديلها في مؤتمر برلين

( المادة ٣ ) جميع مواد معاهدة اياسطفانوس التي لم يحصل تبديلها او تعديلها او الغاؤها في معاهدة برلين جرت تسويتها في المواد الآتية من هذه المعاهدة تسوية قطعية

( المادة ٤ ) بعد اسقاط قيمة الاراضي التي سلمتها تركيا الى الروسية بموجب معاهدة برلين يبقى مبلغ الغرامة الحربية المتعين على الباب العالي اداؤه ٨٠٢٠٥٠٠٠٠٠ فرنك وكيفية اعطاء هذا المبلغ والضمان عليه تكون بالاتفاق بين دولة الحضرة العلية السلطانية ودولة قيصر الروسية ما عدا ما صرح به في المضبطة الحادية عشرة من معاهدة برلين فيما يتعلق بالغرامة الارضية والحقوق الاولية المختصة بالدين لم مطالب على الدولة العلية

( المادة ٥ ) مطالب رعية الروسية القاطنين في تركيا بصفة تمويض عن الضرر الذي حصل لهم في مدة الحرب الاخيرة تعطى عند رؤيتها وتسويتها بمعرفة سفارة الروسية بالاستانة واطلاع الباب العالي عليها وعلى كل حال لا يمكن ان تزيد على ٢٦٠٧٥٠٠٠٠ فرنك ويلزم تقديمها الى الباب العالي في ظرف سنة واحدة اعتباراً من يوم مبادلة هذه المعاهدة المصدق عليها وبعد مضي سنتين لا يقبل الباب العالي شيئاً منها

( المادة ٦ ) يعين من طرف الباب العالي ومن طرف دولة الروسية مأموران مخصوصان لتسديد حساب تموين العساكر العثمانية الذين كانوا اسرى في الحرب الاخيرة وهذه المصاريف تعين الى يوم التوقيع على معاهدة برلين ويسقط منها المبلغ الذي صرفته الدولة العثمانية على مؤونة الروس الذين كانوا اسرى عندها وبعد تسوية هذا الحساب يدفع الباب العالي المبلغ الى الروسية في احد وعشرين قسطاً متساوية يكون دفع آخر قسط منها في ظرف سبع سنين

(المادة ٧) سكان الاماكن التي الحقت بالروسية الذين يريدون الإقامة في غيرها يسوغ لم الخروج منها بحرية تامة كما انه يسوغ لم ايضا بيع املاكهم وعقاراتهم « الغير المنقولة » ولجل هذه الغاية تعطى لم مهلة ثلاث سنين اعتباراً من يوم التصديق على هذه المعاهدة فاذا انقضت هذه المدة ولم يخرجوا من الاماكن ولم يبيعوا عقاراتهم يصيرون رعية الروسية

(المادة ٨) قد تعهد الموقعون على هذه المعاهدة بان لا يعاقبوا او يسببوا معاقبة رعية الدولتين الذين كان لم علاقة او مشاركة مع عساكرها في الحرب الاخيرة واذا اراد احد من العثمانيين ان يتبع عساكر الروس عند خروجهم من ارض الدولة العلية فلا يسوغ للمأموري هذه الدولة ان يمنعهم

(المادة ٩) منحت رعية الدولة العثمانية الذين اشتركوا في الانقلاب الاخير الذي وقع في ولاياتها بالروم ايلي الامان والعمو التام بحيث ان كل من حبس منهم لهذا السبب او نفي او ابعد من بلاده يعني عنه ويخول الحرية التامة

(المادة ١٠) جميع المعاهدات والاتفاقات والتعهدات التي كانت حاصلة بين الموقعين على هذه المعاهدة فيما يتعلق بالاحكام وحال رعية الروسية القاطنين في تركيا ثم الفيت بسبب الحرب الاخيرة تصير معمولاً بها كما كانت سابقاً فتبقى علاقة كل من الدولتين من جهة تعهداتها وعلاقتها التجارية وغيرها على الحالة التي كانت عليها قبل الاعلان بالحرب ما عدا ما صرح به في هذه المعاهدة او في معاهدة برلين

(المادة ١١) يتشبهت الباب العالي بالوسائط الفعالة لتسوية جميع الدعاوي والمنازعات المختصة برعية الروسية الموقوفة منذ بعض سنين ويعطى لم تعويض اذا اقتضتها الحال مع المبادرة الى انهاء جميع الدعاوي التي صدر بها لم اعلامات وقرار من المجالس

(المادة ١٢) بعد التصديق على هذه المعاهدة يقع تبادلها في صان بطرسبرج في ظرف اسبوعين او اقل اذا امكن

تحريراً بالاستانة العلية في ٨ شباط (فبراير) ١٨٢٩

فتلخص مما تقدم ان سائر الممالك العثمانية هي آمنة للوارد عليها واحكام الدولة العلنة بها لكل من حوته ممالكها شرعية سياسية منظمة ولها مجلس شورى ومجلس اعيان

ومجلس مبعوثان (نواب) وان اعترض الآن من القلائل الخارجية ما اوجب تأخير  
اجتماع المجلسين الاخيرين لاتمام اجراء الاصلاحات حقيقة واما تعيين قواها البرية  
والهجرتة والدخل والخرج فقد تقدم ذكره مع بقية الدول

❖ الى هنا وقف بالمؤلف رحمه الله القلم ❖ وبذلك اختتم هذا الكتاب وتم ❖



## تقاريف

﴿ كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ﴾

مكتوب

وارد من فخر العلماء والاشراف السيد علوي السقاف شيخ السادة بمكة المكرمة سابقا حرسه الله  
الحمد لله تعالى

حضرة العالم العلامة والخبر الفهامة الملاذ الانغم والماجد الهام الاكرم مولانا الشيخ  
محمد بيرم ادام الله النفع به امين  
بعد اداء تجليات عاطرة . واشواق متكاثرة . هو اني بعد ان تشرف ناظري بالمرور  
على جملة سالحة من تحرير انكم البديعة العالية المنار . وجدتها جديرة بما سميت به من صفوة  
الاعتبار . بمستودع الاقطار والامصار . اضاء بسياحتي فيها ناظري . وتنزه من الغموم  
بجولاني بها خاطري . كيف وهي خريده غراء عربية الا انها غريبة نيف في بلاد الروم .  
وعروس تجلت في منصفها الا انها لا يكافئها كل خاطب لها يروم . اشرقت فيها كواكب  
التدقيق . وازادت في آفاقها شمس التحقيق . ابدعتم معانيها واحسنتم . واحكمت مبانيها  
وانقنتم . فشكر الله تعالى لكم حسن هذا الصنيع . واساله تعالى دوام النفع بكم لكل وضع  
ورفيع . وها هي بيد الخادم عائدة اليكم . بجمعية عرضنا هذه النائية عنا في لثم اباديكم .  
ودمتم . في عز كما رتم

في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٠٠

مستمد دعواتكم الصالحة

﴿ علوي بن احمد السقاف ﴾



ترجمة مكتوب

وارد عن لسان صاحب المحنسة ملك السويد والتوروج اوسكار الثاني من مدينة اوسلا  
بتاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٩

حضرة السيد

بأمر من جلالة الملك انشرف بأن اخبركم بورود تأليفكم الموسوم بصفوة الاعنبار  
الذي تفضلتم بتقديمه الى مقامه السامي بصفة كونه حامياً ورئيس شرف للمؤتمر الثامن  
الدولي للمستشرقين وقد كلفني جلالتك بان ابليج سيادتكم جزيل شكره على هذه الهدية  
النفيسة وتفضل يا حضرة السيد بقبول فائق اجلاي واحترامي رئيس الكتاب  
❖ دوسيلسنغ ❖

واسم الكتاب مذكور في الصحيفة ٦٢ من فهرسة الكتب التي قدمت الى جلالة الملك المشار اليه بطلب المناسبة

ترجمة مكتوب وارد باللغة التركية

من اكتب كتاب عمرو الوزير المرحوم سعدالله باشا سفير الدولة العلية في ويانه سابقاً  
من مدينة ويانه بتاريخ ٤ مايس ١٨٨٨

فضيلتو افندم حضر تلري

وصلت ليد الاعزاز نيمقتكم الكريمة واني لني غاية الابتهاج بما تفضلتم باظهاره في  
حق هذا العاجز من آثار توجهاتكم الودادية وارجوكم قبول عذري لتأخري عن المبادرة  
بالاجابة. هذا واني اتباهي بوقوفي باخبر على ما كنت اسمعه باخبر عن فضائل ذاتكم العالية  
وكالاتكم المشهورة وانكم نحرير صاحب قلم اوقتموه لخدمة الملة والمدنية الاسلامية واقبالها  
وتوقيعها وقد حفظت ذكرى ملاقاتنا التي تشرفت بها عند ما حضرتم الى اوربا لتبديل  
الهواء واهنيكم على توفيقكم لتحرير رحلتكم المسماة بصفوة الاعنبار المشحونة بالفوائد العظيمة  
التي احفتموني بنسخة منها لطفاً منكم وتكرماً « نخير الناس من ينعف الناس » واني ارجو  
ان لا تنسوني من دوام توجهاتكم والامر لسيدي في كل حال ❖ سعد الله ❖

## ترجمة

### المرحوم السيد محمد بيرم الخامس

هو السيد مُحَمَّدُ بن مصطفى بن مُحَمَّد الثالث بن مُحَمَّد الثاني بن مُحَمَّد الاول بن حسين بن احمد بن مُحَمَّد بن حسين بن بيرام حضر الى تونس قائداً على احدى فرق الجيش العثماني عند فتحها من يد الاسبانيول على يد الصدر الاعظم سنان باشا سنة ٩٨١ هجرية وقد تزوج بيرام بنتاً من آل ابي عبد الله بن الابار القضاي صاحب كتاب التكملة وإيتمت الكتاب وهو الذي ارسله صاحب بننسية زيان بن ابي الحملات الى صاحب افريقية (تونس) ابي زكريا يحيى بن ابي حفص يسنيث به لما حاصره ملك برشلونة الاسبانيولي فانشده قصيدته المشهورة التي اولها

ادرك بجيلك خيل الله اندلسا ان السيل الى منجاتها درسا

وقد قدر الله ان الاسطول الذي ارسله صاحب تونس لم يصل في الوقت المناسب لانجاد الاندلسيين فرجع ابن الابار لتونس حيث استوطن بها سنة ٦٣٥ وقد امهرها بيرام اربعة آلاف ريال هذا هو المنشأ الاصيل لهذه العائلة

وقد ولد السيد مُحَمَّدُ بيرم بمدينة تونس في الحرم سنة ١٢٥٦ هجرية الموافق لمارس سنة ١٨٤٠ ميلادية وامه بنت الفريق محمود خوجيه وزير البحرية بالايالة التونسية وامها بنت النهاد ذي الشرف المعروف ويتصل نسب آل بيرم

بالسادة الاشراف من جهات اخرى ايضا اهمها جهة محمد بيرم الاول فان  
 والدته بنت السيدة الشريفة حسينة بنت محمد بن ابي القاسم بن محمد بن علي بن  
 حسن الهندي الشريف وهذا السيد قدم الى تونس واجمعت عامتها وخاصتها  
 على الاعتقاد بنسبه الطاهر والتبرك به ونسله فيها بركة اهل تونس الى الآن  
 اما نسبه فيتصل الى الحسين السبط عليه السلام وقد تولى محمد بيرم الثاني  
 نقابة الاشراف في حياة ابيه مضافة الى خطة القضاء التي كانت بيده سنة  
 ١٢٠٦ واستمرت النقابة في يد ولده محمد بيرم الثالث وحفيده محمد بيرم  
 الرابع الى حين وفاته سنة ١٢٧٨ كما ان رئاسة الفتية الخنفية المبرع عنها في  
 تونس بمشيخة الاسلام استمرت في يدهم ويد ابيهم محمد بيرم الاول من  
 ذي القعدة سنة ١١٨٦ الى ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ اي احدى وتسعون  
 سنة وستة اشهر ولم تنقطع الا مدة قليلة بين وفاة بيرم الاول وولاية بيرم  
 الثاني . وكان جميع آل بيرم منخرطين في سلك العلماء مفتخرين بخدمة العلم  
 الا القليل منهم فقد دخلوا في الخدمة العسكرية واجتمع لهذه العائلة خدمة  
 الدين من الطريقتين طريق العلم وطريق الجهاد حتى ان احمد بيرم توفي  
 بجراحة اصابته في محاربة الجزائر بين لمراد باي امير تونس اذ ذاك سنة  
 ١١١٢ وكان هذه الخدمة السياسية اثرت في صاحب الترجمة مع قرابته  
 لوزير البحرية حينئذ فصار له ميل كلي للتدخل في الامور الملكية ومعرفة  
 احوال الحكومة وقد كان جده محمود خوجه رام ادخاله في الخدمة العسكرية  
 لولاهم اذ اعلمه شيخ الاسلام بيرم الرابع فدخل صاحب الترجمة الى جامع الزيتونة  
 وقرأ على مشايخ الوقت المدودين ولم ينمه ذلك عن اثناعشر ففكره بما يهواه من

امور الادارة مع تباعد اهل العلم عادة عن كل ما هو خارج عن دائرة دروسهم وقد جرت عادة الكثير من العلماء والادباء بتونس ان يكون لكل واحد منهم سفر شبيه بالسفينة يسمونه "كناشا" يجدهون فيه ما يجلبون لبهم جمعة من النشآت او انشآت غيرهم علمية وادبية نظاماً ونثراً متضمنة انقوائد المختلفة في فنون ومعاني شتى وقد خطى صاحب الترجمة على خطاهم وعمره سبعة عشر سنة واول ما افتتح به كتابه ما تجمع لديه من اوامر وقوانين وانظامات في شؤون الحكومة اصدرها اذ ذاك صهره الامير محمد باشا وهذا يدل دلالة واضحة لا شبهة فيها على ميل صاحب الترجمة وتملقه باحوال السياسة وقد كان في حال صباه يرى العربان يقدون على والده وهو مشغول بالزراعة يتفجرون ويتوجعون مما يصيبهم من ظلم الحكام وتشديدهم في نهب الاموال بسائر الطرق التي اخترعوها في ذلك الوقت مما هو مبسوط في الكلام عن سياسة تونس الداخلية في صفوة الاعتبار فاطر فيه نجيبهم وبكاؤهم فاقوقف حياته من ذلك المهمل على الانتصار للرعايا وتخفيف الاستبداد عليهم والسعي وراء نشر القوانين وتأسيس المجالس النيابية والميل بكل جوارحه للحرية مع ما جرت به العادة من تباعد ذوي البيوتات عن مثل ذلك حتى لقد بلغ به الومع بالحرية وحب المجالس الشورية ان تخالف رأياً يوماً وهو صغير السن لا يتجاوز من العمر عشرين سنة مع ابيه وابن عمه عندما افتتح الامير الصادق باشا المجلس الاكبر واسس قوانين عهد الامان (كونستيتسيون) فكان صاحب الترجمة ينتصر لهذه المستجدات ويترسم فيها خيراً للبلاد وذاك يخالفانه مع ان احدهما كان من جملة اعضاء المجلس لما غرس في اذان اصحاب



البيوتات من التنحي عن مثل هذه المستجدات التي لا تروق في اعين  
حكامهم وبعد وفاة عمه الشيخ بيوم الرابع ولاء الامير مشيخة المدرسة العنقية  
في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ فباشر التدريس فيها ومن عادة علماء تونس  
من مشايخ المدارس ان يقرأوا فيها صحيح البخاري خصوصاً في الاشهر الثلاثة  
المكرمة واعتباراً من ١٥ رمضان يبتدى كل واحد منهم بحسب الدور يجتم ما  
قرأه وذلك بان يتلو الحديث الشريف الذي وقف عليه ويكتب عنه ما يعن  
له من الشروح والتعليقات ويكون لذلك مجلس حافل يستمر من العصر الى  
قريب الغروب وتوالي الاحتفالات المذكورة الى الليلة السابعة والعشرين  
من رمضان حيث يكون ختم جامع الزيتونة ودور المدرسة العنقية في اليوم  
الخامس والعشرين منه وقد حضر الامير بنفسه ذلك الختم في تلك السنة تشجيعاً  
للشيخ الجديد وكان حديث الختم قوله عليه الصلاة والسلام "ان امتي يدعون  
يوم القيامة غراً محجلين فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل" وفي ٩  
جمادى الثانية سنة ١٢٧٨ صار مدرساً في جامع الزيتونة من الطبقة الثانية  
وفي ١٥ رجب سنة ١٢٨٤ رقي مدرساً من الطبقة الاولى فاستمر مباشراً  
للتدريس مشغولاً بادارة املاكه وعقاراته واموره الخصوصية وتوفي والده  
الى رحمة ربه في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٨٠ وترك له ثروة عظيمة وفي  
تلك الاثناء ظهرت الفتنة العمومية في الايالة التونسية متسببة عما كان  
يتوقعه ويخشاه من عاقبة ظلم الرعية واستبداد الحكام وقبيل ذلك اقبلت  
المجالس الشوروية التي كان صاحب الترجمة يتولع بها ويهاها ولا يتوسم  
لخير المملكة سواها وكان ذلك اثر عليه تأثيراً شديداً حتى انه كاتب احد

اصدقائه من امراء المسلمين اقيمين باوربا بما نص محل الحاجة منه " فيا لها من حال . يرثي لها من رام النزال . وتغز اشدتها شاخحات الجبال . الى ان قال فقد فاز من نهض بنفسه . واستراح من فتنة باطنه وحسه . اذ الآيات وردت على ذلك ناصة . فقال تعالى واقفوا فتنة لا تصيبين الذين ظالموا منكم خاصة . ففاز المخففون . وابتلى المتأهلون . ووالله العظيم ونبيه الكريم . طالما نهضت عزائي الى الترحال . فاثقلني قيود العيال . مع ما انا عليه من الوحدة عن اخ شقيق . او قريب يخلفني فيهم عند الضيق . ولم استطع التخلص بكلي . الا يخفى مما يثقل كلي . واقسم بالقرآن . وصفات الرحمن . اني عرضت للبيع املاكي . لاتخلص بها من اشراكي . واستعين منها بالاثمان . فلم اجد من يصرف لهذا الوجه اي عنان . ولو من اعيان الاعيان . الخ " (والمكتوب كله منشور في الصحيفة ٣٦ من الجزء الثاني من صفوة الاعتبار ) ومن ذلك الحين اشد اتصاله بالوزير خير الدين باشا اذ كان هو رئيس المجلس الاكبر الذي انفي وكانت مناسبة الوصلة بينهما حهما للحربة وتعميم الشورى في المملكة وهما كما لا يخفى القوتان الوحيدتان لحفظ استقلال البلاد من التلاشي ولذلك فانه لما تولى خير الدين باشا الوزارة الكبرى في تونس في رمضان سنة ١٢٩٠ كان صاحب الترجمة من اكبر انصاره ومحازبيه وتظاهر بذلك تظاهرا كلياً حتى نشر في الرائد التونسي الذي هو جريدة الحكومة الرسمية مكتوبين اظهر فيها انبساط الاهالي من تغيير الوزارة وبين ذلك المنتصرين للحاكم السابق وانهم فئة قليلة لا تحب خير البلاد وكان بذلك اول تونسي جاهر بآرائه السياسية في الجرائد تحت امضائه على ما اذن وزاد

على هذا التظاهر الادبي بان سعى في اعمال تظاهر مادتي وذلك بان اتفق مع علماء جامع الزيتونة على اقامة احتفالات في الجامع شكراً لله على انقاذ البلاد من عهد الجور وادخالها في عصر الاطمئنان والرجوع لعهد الامان وحمل بالفعل ذلك الاحتفال واعقبه كثير مثله في جهات الحاضرة وبقية بلدان المملكة فكانت نهضة حقيقية وطنية صادرة عن اخلاص نية حبا في الحرية واستقامة الاحكام ولما استقر الوزير المشار اليه في المنصب ووجه عزمته لاصلاح الادارة رأى ان الاوقاف مشتتة قد استولت عليها ايدي الخراب والاطماع فرأى ان جمعها في ادارة واحدة يكفل حفظها ويجمع ريعها فيصرف في اوجه المشروعة وذلك على النحو الجاري في دار الخلافة السعيدة وقد رأى الوزير ان يهدى الى صاحب الترجمة امر هذه الادارة الجديدة لما يعهده فيه من معرفته بالاحكام الشرعية واطلاعه على مقتضيات الوقتية فامتنع المرحوم اولاً من قبول اي وظيفة كانت لانه لم يكن يميل الى التقيد بشي مما يمنعه عن السعي وراء ضالته المنشودة وهي الحرية للرعية ودخوله في الوظائف يجعله بلا ريب مقيداً مع الوزير بالآداب التي تقتضيها الوظيفة اما بقاؤه خارجاً عن دائرة الحكومة فيبقى على حربه التي تمكنه من تذكير الوزير بما عساه ينساه من تميمه لما كان تعهد باجرائه هذا فضلاً عما كانت عليه سجة صاحب الترجمة من الهمة واباءة النفس حتى كأن جده حسين بيرم المتوفي سنة ١١٥٥ قد نظر اليه بظاهر الغيب لما ذبل البيتين الشهيرين

شيان لو بكت الدماء عليها عيناى حتى تؤذنا بذهاب

لم يبلغا العشار من حقيها فقد الشباب وفرقة الاحباب

بقوله

واشدّ من هذين ان يلقي الفتى ذل السؤال ووقفه الابواب  
 ومع ذلك فقد تغلب اصحابه عليه وقبل ادارة الاوقاف في ١٧ صفر  
 سنة ١٢٩١ ولم ينفرد مع ذلك بامرهابل شارك معه مجلساً مؤلفاً من ثلاثة  
 اعضاء احدهم من رجال الادارة والاثنان الآخران من اعيان الاهالي والتجار  
 وجعل نظرم في الاوقاف على قسمين الاول الاوقاف الالهية اي التي هي  
 موقوفة على ذرية الواقف او قرابته والثاني الاوقاف التي على اعمال البر  
 مثل الخوامع وقراءة القرآن وغير ذلك فاما نظرم في الاول فهو مجرد نظر  
 ارشاد واما القسم الثاني فنظرم عليه نظر تصرف مطلق والمباشر للاعمال هو  
 الرئيس بعد اخذ رأي الاعضاء عنها وقد جمع الاوقاف كل نوع منها لجهة  
 واحدة بان ضم مثلاً جوامع الخطب كلها لجهة والمدارس كلها لجهة واوقاف  
 القرآن لجهة وهكذا الى آخر انواع الموقوف عليه وجعل لكل قسم وكيلاً  
 خاصاً يباشر العمل في ذلك تحت النظر الاصلي فيقبض الوكيل ويصرف في  
 اقامة الشعائر وفي اصلاح الموقوف والموقوف عليه ولكنهُ لا يعمل شيئاً الا  
 بعد الاستئذان من رئيس المجلس وجميع حساباته ترسم في دفترين مخصوصين  
 بشهادة عدلين احد الدفترين للحسابات اليومية والثاني للحسابات العمومية  
 وانما جمع كل نوع من الاوقاف تحت نظر وكيل واحد لان الموقوف عليه  
 مختلف الربح بعضه غني وبعضه فقير فاذا كانت ادارتها جميعاً متحدة فيصرف  
 من دخل الغني على الفقير لانها من نوع واحد وبذلك تيسرت سهولة  
 الاصلاح ثم انه في آخر كل اسبوع يقدم الوكلاء حساباتهم ويوردون

للخزينة العمومية كل ما زاد عندهم من الايراد على المصروفات الضرورية وهذه الخزينة لها ثلاثة مفاتيح اثنان منها ببقيان بطرف امين المال والثالث يحفظ عند الرئيس ولا تفتح الا بحضور الجميع ثم ان جميع اماكن الاوقاف لا يحصل تأجيرها الا بعد الاعلان والزيادة علناً بمحضر القاضي ثم ان اموال الاوقاف اول ما يقام منها الوقف والموقوف عليه حسب نص الواقف ويقدم الالم على المهم وجميع مداوات المجلس ودفاتر الايراد والصرف في الخزينة العمومية يمضيها جميع الاعضاء مع الرئيس يومياً وكان يصرف من فواضل الاوقاف على الاوقاف التي لم يحضرها دخلها وذلك على وجه القرض ولما يحضر مالها تعيد ما استقرضته للخزينة العمومية ثم يدفع منها جميع مرتبات الحكام الشرعيين من قضاة ومفتيين في جميع المملكة والسادة الاشراف ويدفع منها مصروفات نظارة المعارف من موظفيها ومرتبات مدرسي جامع الزيتونة ومصروفات دواوين الشريعة المطهرة ومصروفات المجلس البلدي بماضرة تونس واصلاح الطرقات وتنظيفها واقامة الجسور والقناطر ومصروفات المستشفى والمكتبة العمومية وغير ذلك من مصاريف بعض المهمات التي تحدث احياناً وترجع الى مصلحة عمومية ان كان في الفوائض ما يوفي بها وبسبب اجراء قوانين الاوقاف حقيقة بدون معاباة تحسن حالها وزادت ايراداتها حتى بلغت في السنة الخامسة من وجود هذه الادارة مليونين ومائة وخمسين الف ريالاً ونيفاً وكانت في السنة الاولى مليوناً واحداً ومائتي الف ريال ونيفاً زيادة على ما ظهر من الاوقاف التي كانت تلاشتها ايدي العدوان حتى بلغت الى مئات من قطع الاراضي والدكاكين والبيوت والآف من شجر

الزيتون كما هو مبسوط في العدد ١٨ من الرائد التونسي سنة ١٢٩٧ وظهرت  
اوجه من الموقوف عليه لم تكن في الحسبان كالوقف على تنوير الاماكن  
المظلمة في الليل والوقف على التقاط العقارب الى غير ذلك من اوجه البر.  
وقد التزم الرئيس ان يفرغ جهده لاصلاح هذه الادارة المستجدة وتدريب  
عمالها على العمل حسب المرغوب حتى انتزم في اول الامر ان يباشر جميع  
الاعمال بنفسه جزئية وكلية ليلاً ونهاراً واستمر على ذلك مدة طراً عليه في  
اثائها مرض عسي لم يفارقه الى ان قضى عليه وكان ابتداء المرض في  
صيف سنة ١٢٩٢ وبسبب هذا المرض عزم على السفر للتداوي في اوربا  
فسافر اليها في شوال سنة ١٢٩٢ وكان ذلك سبباً لكتابه صفوة الاختبار ولم  
تكن هذه الرحلة اول تأليف له بل قد سبق له كتابة رسالة سماها "تحفة  
الخواص في حل صيد بندق الرصاص" ومضمونها احتواء عنوانها وسبب  
تأليفها الخلاف الحاصل بين بعض العلماء في حل اكل الصيد المذكور من  
عدمه والى ايضاً في اول نشأته مجموعاً مختصراً مفيداً في فن العروض  
وذلك عند بداية تعاطيه لنظم القريض وحرر مسألة فقهية في جواز اسدال  
شعر الرأس وسببها ان الامير امر رجال حكومته باسدال شعرهم وكانوا  
يملقونه فاستفتى في جواز ذلك من عدمه واختلف فتاوى العلماء خشية  
القول بالتشبه بالافرنج فكتب المرحوم رسالته بالجواز مستنداً على عمل النبي  
صلى الله عليه وسلم . وفي تلك السنة اي سنة ١٢٩٢ افتتحت في تونس اول  
مدرسة على حسب النظام الجديد المتبع في اوربا سميت المدرسة الصادقية نسبة  
للأمير فكان المرحوم من اعضاء اللجنة التي رتبت نظاماتها واهتم كثيراً باقناع

الناس على ادخال ابنائهم فيها وكان هو من اول العاملين بقوله فجعل ابنه كاتب هذه الاسطر من جملة تلامذتها وقد حصل في بداية الامر نفور الناس منها اذ ان العادة جرت بنفرة غير المؤلف ولم تنزل تلك المدرسة ناشرة فوائدها بين التونسيين واكثر المتولين مناصب الحكومة بتونس الآن هم من الشبان الذين تغذوا بلبان معارفها

وفي ١٠ جمادي الثانية سنة ١٢٩٢ عهدت اليه نظارة مطبعة الحكومة فنظّمها واصلح شأنها واصدر الرائد التونسي (الجريدة الرسمية) في مواعيده المعينة كل اسبوع مرة وكان لا يصدر الا بحسب التيسير ولما كان الرائد التونسي هو الجريدة الوحيدة التي تصدر في تونس بذل كل ما في وسعه لجملة مفيداً لبني وطنه واستعان على تحريره بجهازة اعلام كاشيخ حمزة فتح الله المصري والشيخ محمد السنوسي التونسي ونشرت فيه مقالات رنانة حاثثة على الجامعة والوحدة والعدل والائتلاف لا سيما زمن الحرب بين الدولة العلية والروسيا وقد قسم المرحوم وقته فكان يتوجه لادارة الاوقاف صباح كل يوم ويتوجه للمطبعة بعد الظهر وفي تلك الاثناء نظم المكتبة الصادقية بازاء جامع الزيتونة وهي مكتبة جمعت آفاقاً من الكتب النفيسة في كل فن تبرع بجانب عظيم منها الوزير خير الدين باشا واكثرها كتب استولت عليها الحكومة من مملوكات الوزير القديم مصطفى خزندار وجعلها مفتوحة للمطالعة واستفادة العموم في جميع اوقات النهار بشرط ان لا يخرج منها كتاب وجميع مصاريف هذه المكتبة تحملت بها ادارة الاوقاف على ما مرّ بيانه

وفي سنة ١٢٩٣ لما ظهرت الحرب بين الدولة العلية والصرب بذل

صاحب الترجمة غاية مجهوده لمساعدة الدولة بالمال والخيل والبغال حيث لم تيسر مساعدتها بالرجال لاسباب سياسية وموانع محلية وقد نشر صاحب جريدة الجوائب الصادرة بالاستانة قصيدة لصاحب الترجمة في الحث على التعاون والائتلاف عند تلك المناسبة قال فيها

يا امة الاسلام صونوا عزمكم	بتعاقد وتمدن وتنافس
يا امة الاسلام احيوا ذكركم	بتآلف وتودد وتانس
يا امة الاسلام نموا صيتكم	بمعارف وصنائع ومجالس
يا امة الاسلام حوطوا امركم	بتشاور وتدبر وحوارس
يا امة الاسلام اجلوا فخركم	بديانة قد سترت بجنادس
يا امة الاسلام هبوا للفلاح	ح ولا تضيعوا نجبكم بتقاعس
يا امة الاسلام عوا واستيقظوا	ان الهلاك مسارع للناعس
يا امة الاسلام زيدوا ثروة	بتعاون ومصانع ومفارس
يا امة الاسلام شيدوا مجدكم	بتناصر وتناصح وتجانس
يا امة الاسلام شدوا عزمكم	فثباتكم بين البرايا ما نسي

ولما خلت وظيفة شيخ الاسلام بتونس عند وفاة صاحبها توجهت الانظار لتولية صاحب الترجمة عليها حتى ان المنصب المذكور بقي خاليا مدة شهرين لذلك فاعتذر بان الوقت غير مناسب لاعادة جاه هذا المنصب ورجوع عزه اليه كما كان عليه زمن عمه

ولما استمعى خير الدين باشا من الوزارة التونسية في رجب سنة ١٢٩٤ رام صاحب الترجمة التخلي عن وظائفه ايضا غير ان مداخلة الامير الشخصية



منعته من تنفيذ هذا العزم وقد رأى من الوزير محمد خزنة دار جميل العناية  
كما يستدل عليه من المکتوب الآتي

” الهام الاوحد التحرير الشيخ السيد محمد بيرم رئيس جمعية الاوقاف  
دام مجده اما بعد السلام عليكم وبركاته فالواصل اليكم ترجمة مکتوب ورد  
من المكلف بامور دولة اسبانيا للاطلاع عليها وتعرفونا بما يجاب الرجل في  
النازلة وفي امن الله دتم والسلام من كاتبه محمد في ٢٩ ذي الحجة سنة  
١٢٩٤ ” ومن ذلك الحين ايضاً صار الوزير مصطفى بن اسماعيل يظهر له كمال  
التودد والتلطف وفي مصيف سنة ١٢٩٥ اثناء وجود المعرض الباريسي سنة  
١٨٧٨ توجه المرحوم ثانياً الى باريس للمعالجة من مرضه الذي لم يفارقه  
وفي هذه السنة زار لندره من بلاد الانكليز وعند عودته عرج على  
الجزائر وفي مدة اقامته بباريس اكرمه المارشال مكاهون رئيس الجمهورية  
الفرنسية اذ ذاك باحضاره في الاوبره وهو التياترو الكبير في نفس لوجته  
(حجرته) وحضر بعض الاحتفالات التي اقامها الوزراء اثناء المعرض  
وبالجملة فان القوم اكرموا اكراماً فائقاً وفي تلك السفارة احتفل ولي  
عهد الامارة بتونس وهو الامير الحالي بجنتن نجليه فكاتبه المرحوم بالتهنئة  
وكانت بينها علاقة ودية قديمة فاجابه الامير بهذا المکتوب ونصه بعد  
الهدلة والتصلة

تبدت في حلا الحسن الجلي خريده ذات ثغر ألسي  
تجر مطارفاً وتميس تيباً ويسطو لحظها في كل حي  
فيا لله ما احلى دلالاً واعذب لفظها شهد الشهي

فما للبحر لم يصبح فراتاً      وقد امتت به زمن الملى  
فقلت لها انتم يا خود فخر      فقالت بنت فكر البيرمى  
لقد حاز المعارف والمعالي      وحيد الدهر ذو الحسب النقى  
انت من نحوكم درر التهانى      منظمة بسلك جوهرى  
وكيف يفوت حظك بابتعاد      وفي الاحشاء ذو ودّ خفى  
وها ولدى الزكى يروم وصلاً      لجانبكم بباريس السمي  
واني ارتجى بشرى الشفاء      وعودكما مع اللطف الخفى  
الماجد الزكى العالم ابو عبد الله الشيخ السيد محمد بيرم حرسه الله تعالى .  
اما بعد اتم السلام فقد ورد نظمكم الرائق . وما تضمنه من التاريخ الفائق .  
في التهنئة بالحنان واني اهنيك بذلك كما ارتجى هنيئاً . بتمام شفائك . وانت  
ان ترحلت عن حمانا جسماً . فلم يزل ودك مرتسماً . بدفاتر الاحشاء رسماً .  
والسلام من الفقير الى ربه امير الامراء علي باي امير الاحمال عنى عنه  
في ٢ رجب الاصب من سنة ١٢٩٥

ولما رجع من هذه السفارة واستقر مدة احب ان ينظم المستشفى التونسي  
على النحو الذي رآه في اوروبا من اقان المستشفيات والاعتناء بالمرضى  
وتقسيمهم كل قسم على حدة وكذلك تحسين حال المجانين اذ ان المستشفى  
التونسي واحد يقبل جميع المرضى واستعان على ذلك بحكام ماهرين اهمهم  
الدكتور ماسكرو حكيم الامير الخصوصي وقد حسن للوزير مصطفى بن  
اسماعيل هذا العمل وتخصيص احدى القشلاقات العسكرية القديمة الواسعة  
لهذا الغرض وكانت معطلة خاوية تسمى بفراغها واقفال ابوابها ما كانت عليه

البلاد التونسية في العصر السالف من القوة والاستعداد والتأهب للمكافحة والجلاد والمدافعة عن استقلال البلاد والقشلة واقعة في حي مرتفع تقي الهواء وفي تلك الاثناء حصلت منازعة بين الحكومة التونسية واحد الفرنسيين المدعو الكونت دو صانسي على ارض فسيحة تعرف بهنشير سيدي ثابت كانت تنازلت له عنها الحكومة لتحسين حالة الزرع ونتاج الخيل ولما اخلت بالشروط التي اعطيت له بمقتضاها وانتهت مدة التنازل رامت الحكومة استرجاعها وبينما هي تنازعه فيها اذا بالوزير وبعض اعوانه دخلوها عنوة فوقع لذلك هرج ومرج وانتهزها قنصل الفرنسيس الموسيو روستان فرصة لارهاب الامير والاستيلاء على الوزير وزيادة شوكة دولته في تونس فقطع العلاقات السياسية وطلب عدة مطالب للترضية اهها عزل الوزير والتعويض على الكونت . وكل مطلع على تاريخ تونس الحديث لم بما كتب عن مصطفى بن اسماعيل في صفوة الاعتبار وغيرها يعلم انه لم يكن اهلاً لتقليد الوزارة ولا لمباشرة شؤون المملكة باي وجه من الوجوه وهكذا جرت سنة الخلق . كما اخذت امة في الانحلال والاضمحلال تسلط عليها الوضع . ونبذ الرفيع . وثقدم الغافل . وتأخر العاقل . وتملك العبي . واحترق الذكي . وانتصر الجهل . وخذل الفضل . وقامت دولة الاوغاد والسفل . ليقضي الله امرآ كان مفعولا ولولا سيطرة الظلم والاستبداد من الحكام والجهام الاهالي بلجام من الجور والاعتساف . لما رفع مصطفى بن اسماعيل من حضيض الارض الى عنان السماء . ومن دائرة السوق الى منصب الوزراء والله الامر من قبل ومن بعد ولما كان الوزير المذكور يحس من نفسه بعدم

اللباقة لمركزه كان دائماً متوقفاً الشر من كل مقتدر على تفهيم الباي بحقيقة حاله وسوء اعماله ولذلك فان رستان علم ان لا شيء يقوده غير الارهاب فطلب عزله ارباباً له فسهل عليه قياده من ذلك الحين فصار في يده كالميت في يد غاسله وقد اسرع الوزير بترضية التفصل ترضية رسمية على الاعتداء الذي حصل منه فداءً لمركزه واستقر الرأي على تشكيل لجنة للتحكيم تحت رئاسة قاض فرنساوي يكون فيها عضوان تونسيان وعضوان فرنساويان تنظر في جميع مدعيات الطرفين وتصدر حكمها فيها فكان صاحب الترجمة احد ذئبك العضوين التونسيين وقد ناضل عن حقوق حكومته بجمع قواه وبلغ به تعب الفكر والبدن منتهاه حتى عاد اليه المرض بعد ان كاد يشفي منه وقد اوصاه الحكماء الذين باشروا معالجته في باريس وفي مقدمتهم شاركو الشهير بان يقلل ما امكن من الاشتغال بالفكر ويتباعد عن الانفعالات النفسانية اذ ان مرضه عصبي واقع في الاعصاب الواصلة بين المعدة والقلب مع ضعف شديد في الدم تطراً عليه ادوار غريبة في الوجع والالم التزم لتسكينها بمعاطي المرفين وهو روح الافيون وقد رجع من باريس آخر مرة وكاد يبطل استعماله بالمرّة بل بقي عدّة اشهر لا يستعمله اصلاً غير ان مسألة صانسي وما رآه فيها من حيف الاجنبي لاهتضام حقوق البلاد والتلاعب باستقلالها اعاد اليه المرض كله باشد مما كان عليه وقد صدر الحكم بحقوقية الحكومة التونسية كما هي العادة في جميع المسائل التي تقع من هذا القبيل في البلاد الشرقية في مثل هذه الاوقات

وفي تلك الاثناء انهي تظيم المستشفى الجديد المسمى بالصادقي وهو على

قسامين احدهما مجاني للفقراء يسع مائة مريض والآخر للموسرين باجرة معينة زهيدة وافتتحه الامير بنفسه في موكب حافل حضره في يوم ١٠ فبراير سنة ١٨٧٩ (١٨ صفر سنة ١٢٩٦) وأعلن الوزير عن لسان الحكومة بحسن مساعي صاحب الترجمة في تنظيم هذا المستشفى بقوله في خطاب القاه على مسامع الامير في ذلك الاحتفال وهو "بمقتضى الاذن العلي وعناية سيدنا ادم الله تعالى بقاءه بمصالح بلاده وقع انجاز هذه المأثرة الجميلة التي هي احدى مآثر الحضرة العلية وهي هذا المستشفى الصادق الذي شرفه سيدنا ايداه الله تعالى بالحضور فيه هذا اليوم وقد اعنى الشيخ السيد محمد بيرم ببذل الجهد في انجازه وترتيبه على الكيفية المشاهدة بما نرجو من الله تعالى ان يعجل ذلك من سيدنا محل الاستحسان" فاجاب الامير بالشكر والثناء واهدى الى صاحب الترجمة في ذلك اليوم علبة مرصعة ذات قيمة وافرة مكتوب عليها اسمه بالاحجار الكريمة. وفي اواسط تلك السنة تطاول احد اعوان الوزير على القاضي المالكي الشرعي بديوان الحكم وهو امر لم يعهد له مثل في تونس حيث لم تنزل الاحكام الشرعية وحكامها مرموقين بين التبجيل والاحترام اللائقين فهاجت البلاد لذلك وماجت واتفق الحكام الشرعيون على تعطيل الاحكام الى ان يسترضيه الامير بعزل الوزير وعقاب تابه العقاب الصارم واجراء القوانين والمجالس الشورية في البلاد لتكون ضمانة كافية على عدم العود لمثل هذا الحادث المكدر وعدم تسليم الادارة لمن لا يكون كفؤا لها وبعد ان انفتحت كلمتهم على هذه المطالب وكادوا ان يحصلوا عليها دخل بين بعضهم داخل الغرور والتفرقة فتشتت آراؤهم وانحلت جامعتهم ورضوا

بتبعيد التابع المتناول لاحدى معاقل المملكة في قابس الواقعة على حدود طرابلس وبشكيل الامير لمجلس سماه مجلس الشورى للنظر في مهمات امور الدولة وجعله تحت رئاسة الوزير نفسه واعضاؤه بقية وزراء المملكة ومستشاروها وليس فيهم الا اثنان من الاهالي والباقي كلهم من مماليك الجراكسة وزاد عليهم اثنين هما السيد محمد بيرم والعربي باشا زروق رئيس المجلس البلدي وكانا من اشد المعضدين لعزائم الحكام الشرعيين في مطالبهم التي طلبوها وكان ذلك في ١١ رجب سنة ١٢٩٦ ولا يخفى ما في رضا المشايخ بمثل هذا المجلس خصوصا بعد تعيين صاحبيهم فيه من الايقاع بهما والتفاضي عن صالح البلاد الحقيقي ولم تطل الايام حتى اختلق الوزير مأمورية لصاحب الترجمة وارسله بها الى فرنسا وحاصلها السعي لدي كبراء القوم وخصوصا غامبيتا رئيس مجلس النواب اذ ذاك وصاحب القول الفصل في بلاده لتغيير قنصلهم في تونس لانه اشتد على الحكومة اشتدادا لم يبق لها حرية للعمل في شؤونها الداخية قط ولم يقف عند حد في القاء الدسائس والفتن وتوغير الصدور بين الراعي والرعية حتى انه لما طلب اعيان الاهالي التونسيين ما طلبوه من تأسيس الحرية والشورى في بلادهم كان الموسيو رستان نائب الجمهورية الفرنسية ينصح الامير بعدم الاصغاء الى هذا الطلب وان العساكر الفرنسية بالجزائر مستعدة لمعاضدته وكسر شوكة الاهالي واذلالم عند الزوم وهي سياسة قديمة اتبعتها فرنسا في تونس نفسها فان قوانين عهد الامان السابق ذكرها المؤسسة في تونس سنة ١٢٧٤ كانت بمساعي فرنسا وانكثرا ظاهرا وتهديدها للامير باسطوليها اللذين حفرا لذلك الغرض

وكان ذلك لمجرد قتل يهودي في اقامة حدٍ اقتضته الشريعة ولما اجريت تلك القوانين بالفعل سنة ١٢٧٧ وتوجه الامير لمقابلة الامبراطور نابليون الثالث في الجزائر واهدى اليه نسخة من تلك القوانين اقتبلها منه بالشكر ظاهراً ولما اختلى الامبراطور بقنصله ايون روش وبجته توييخاً شديداً على مارواه المرحوم الجنرال حسين وافهمه غلظه من المعاضدة على اجراء القوانين الشوروية في تونس حقيقة وقال له ان العرب اذا تأسسوا بالعدالة والحرية فلا راحة لنا معهم في الجزائر مطلقاً ومن ذلك الحين وجه القنصل هتة لاقناع الوزير مصطفى خزنة دار بالفاء تلك القوانين ووجد منه اذناً صاغية فالتاها وبقيت كذلك الى هذا الوقت . وقد قبل السيد محمد بيرم مأموريته كما قبل المرحوم حسين باشا وزير المعارف اذ ذاك بتونس مثلها لدي البرنس بسمارك ولما توجه صاحب الترجمة للسلام على الامير سلام الوداع واجهه بكلام اللوم والعتاب على ما جرى منه من تعضيد المطالب الالهية فاجابه الشيخ بيرم بكلام اثر في نفسه تأثيراً لم يزل يكرّره بتوجه الى آخر مدته وهو انه قال له انا نطلب الحرية التي قال سيدنا انه لا يعطيها لنا غيره فاجابه الامير لمن اعطي الحرية النجار والحداد ام لك او لهذا ( واثار الى احد كبار الحاضرين ) فان النجار والحداد اذا اعطيا الحرية اساءوا التصرف بها ولم تبق لنا معها راحة فقال له السيد بيرم ان الحرية التي يعطيها سيدنا للحداد والنجار تصيرها مثلي انا ومثل هذا واثار الى ذلك الوجيه وسبب انزعاج الامير من هذا الجواب هو تكرار لفظة الحرية فيه ولم يعهد انه سمعه من قبل حتى ان امراء تونس قديماً كانوا يعتقدون انهم يمتلكون البلاد بين فيها من

الارزاق والالعام والسكان امتلاكاً شرعياً لا ينازعهم فيه منازع واورد المؤرخ البيب الشيخ احمد بن ابي الضياف في تاريخه نادرة جرت له مع امير تونس حسين باشا الثاني في هذا الموضوع كادت ان تورده حنفة رحمه الله . ولما وصل صاحب الترجمة هذه المرة الى باريس وكان ظاهر امره انه توجه للتداوي اجتمع بالموسيو غامبينا وفاوضه في المسألة التي كلفه بها الوزير وسلمه تقريراً فيها هذه صورته

” اني اقدم على وجه خصوصي غير رسمي الى حضرتكم العلية تقرير ما هو واقع في المملكة التونسية مما عساه ان يكدر صفاء القلوب حيث كنت أنا واهل بلادي على علم من ان الدولة العظيمة الحرة لا يبلغها ما هو حاصل الآن من نائبها في تونس الذي اتخذ طريقة التشديد والتخويف ديدناً في كل شيء حتى صير حكومتنا متحذرة من اصدقائنا عوضاً عن زيادة الالفة والركون الذي هو الواجب مع الامة الفرنسية التي كل اهلنا يعلم انها وحدها هي التي تفيدنا ولهذا عند ما امتلاً وطابنا من الكدر لم نقصد الاً ابلاغ الحال الى رجالها المنصفين من غير ان نطرق باباً غير بابها وذلك ان موسيورستان النائب المذكور بعد ان اوقع دولتنا في ارتباك وكاد يغير علينا الدولة الفرنسية في نازلة موسيو دو صالسي التي لا تستحق تلك الاهمية حسبما يوضح ذلك التقرير الذي حرره مجلس التحقيق المعين من فرنسا وبعد ان اضطر حكومتنا الفقيرة التي لم تستطع دفع كبونها ( فوائد ديونها ) ولا مرتبات متوظفيها الى دفع مبالغ مجاناً من المال والاملاك الى اناس لا فائدة بهم لكلا الدولتين لاسباب تتعاشى عن ذكرها امام فحامتكم حتى انه خسرها



في مدة الستة اشهر الاخيرة فقط نحو مائة الف وسبعة واربعين الفا فبعد هذا كله اذا هو الآن يتعرض رسمياً لتحسين ادارة البلاد التي بها تتمدن الاهالي ويدخلون في الحضارة وكانت الدولة الفرنسية انالتنا اياها على يد نائبها سنة ١٢٧٤ (١٨٥٨) انتصاراً للانسانية والحق فعوناً عن زيادة التقدم مع تقدم العالم اذا هو الآن مضادٌ لذلك وقال الى سيادة سيدنا الباي لا تفعل مجلس الشورى الذي طلبته منك الاهالي وابق على حالتك العتيقة بل او عز اليه مع بعض اعوانه المنكشف حالم بان يقتل نحو ثلاثة اشخاص وينفي نحو سبعة ويلتجى الى حمايته ولا عليه في شيء فلولا مكارم سيادة سيدنا الباي لا وقع البلاد بل فرنسا ذاتها في ارتباك مضادة للانسانية والعدالة المجبولة عليها الدولة الجمهورية الفرنسية . فيا ايها الحضرة الفخيمة هل ترضى الامة والدولة التي ترسل ابناءها الى اقصى المشرق والمغرب لحفظ الانسانية ان يكون نائبها مضاداً لذلك في بلاد هي جارة لها عندما كانت الدولة العظيمة تخرج اهل الجزائر من الحكم العسكري الى الحكم البلدي مستترا في دعواه بعدم التعرف بالمجلس بانه سمع ان المقصد منه هو التعرض لمصالح فرنسا مع انه على علم بان مصلحة الامة الفرنسية يعتبرها ويراعها كل من الامر والمأمور في بلادنا لعلنا ببقاها بيد انه اذا كانت المصلحة ليست لفرنسا وانما هي مجرد فوائد شخصية فان مصلحة البلاد تقدم عليها وهو الذي نؤمل المعاضدة عليه من الرجال المشهورين في العالم من الدولة الفرنسية وتبقى بما اثرهم مزينة صحف التاريخ فهذا انا انهي الى مسامعكم الشريفة اختصاراً ما هو حاصل والحضرة كم ان تطلبوا الايضاح ممن يعلم حالة بلادنا من الذين لم خبرة بها من الضادقين

وقد بادر صاحب الترجمة بإرسال تفصيل المقابلة وما حصل فيها من الكلام الى الوزير بمكتوب مؤرخ في ١٢ شعبان سنة ١٢٩٦ من جملة ما قاله له فيه عن لسان غامبينا " ان كنتم تريدون الارتياح من الرجل (اي رستان) فيجب ان تكتبوا هذا الامر بل ولا اجتماعكم بي في شأنه والأمر كان ذلك ينقض قصدكم " وما كاد يصل هذا المكتوب الى تونس حتى انتشر الخبر بسر المسألة ولم يعلم ان كانت الاشاعة حصلت من نفس الوزير او من المترجم الذي كان الواسطة في الكلام بين غامبينا وصاحب الترجمة الذي لم يكن يتكلم اللسان الفرنسي والحاصل ان القنصل انتهز هذه الفرصة الجديدة وارعد وبارق على الامير والوزير وزاد في اغيار صدورهما على صاحب الترجمة وساعده البخت او الصدفة بانه في الوقت الذي كان الاهالي في تونس يطلبون تأسيس الشورى في بلادهم كانت الدول مشغولة في مصر بمخلع اسماعيل باشا وحصل ذلك على يد خير الدين باشا صاحب الصدارة حينئذ وارتباطات الباشا المذكور بتونس وخصوصاً بصاحب الترجمة مشهورة عند الجميع فاستنجموا من ذلك ان طلب الشورى في تونس لم يكن القصد منه الا احداث ارتباكات في المملكة فتفتح الباب لمداخلة الباب العالي خصوصاً وكان صاحب الترجمة معارضاً شديداً للمعارضة في وصل سكة الحديد بين الجزائر وتونس وتعيين الحد الفاصل بينهما الا بعد العرض للدولة العلية وزادوا في اقتناع الباي بالتلغراف الذي ارسله خير الدين باشا يعلمه فيه بفصل اسماعيل باشا عن خديوية مصر وقد استعمل الصدر الاعظم في تلغرافه عبارات اشتم منها رائحة التهديد والوعيد للباي حتى التزم الحال للاستفهام من الباب العالي

بواسطة السفارة الفرنسية عن الغرض من عبارات ذلك التلغراف مع انه في ذلك الوقت كانت العلاقات الخصوصية بين المرحوم وخير الدين باشا معكزة مكدرة من حين خروج الباشا المذكور من وزارة تولس ولم يصف ماؤها الا بعد ذلك التاريخ كما يدل عليه المکتوب الآتي

“الفاضل الزكي الثقة المتمد الشيخ سيدي محمد بيرم حرس الله تعالى كاله وبهد قد وصلنا مکتوبكم في ٢٢ من الشهر وعلمنا ما احتوى عليه من لذيذ الخطاب ونحن لله الحمد على ما يسر الاحباب من العافية التامة في امورنا الحسية والمعنوية واما ما اشترتم اليه من الاحوال السالفة عن قدومنا لدار الخلافة فجوابه عنى الله عما سلف والسلام من خير الدين في ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٦”

ومن راجع تاريخ مکتوب صاحب الترجمة المذكور اعلاه وجواب المرحوم خير الدين باشا عنه وقارن بينهما وبين تاريخ انفصال الباشا المشار اليه عن الصدارة العظمى الواقع في ٩ شعبان سنة ١٢٩٦ يعلم علم اليقين انه في مدة صدارة الباشا المشار اليه لم تكن بينه وبين الشيخ بيرم ادنى علاقة وان كل ما بناه اذ ذلك المرجفون بناء على دلائقها الودادية القديمة هو محض اختلاق وكان الوزير التونسي غفل او تغافل عن حقيقة الامور التي اناطها بعهد صاحب الترجمة فارسل اليه تلغرافاً رسمياً الى باريس نص ترجمته

من باردو في ٧ اغسطس سنة ١٨٢٩ (الموافق ١٨ شعبان سنة ١٢٩٦)

“من الوزير الاكبر الى الشيخ سيدي محمد بيرم . شاعت الاخبار بانك متداخل في امور سياسية خصوصاً وانه لم يصدر لكم ادنى امر فيها ولذلك

فان سيدنا المعظم يأمركم صريحاً بان لا تتداخلوا مطلقاً في هذه المسائل حيث انكم سافرتم لمعالجة صحتكم واذا انتهت مدة التداوي فارجعوا الى تونس

ثم بعد ذلك ورد له مكتوب من الوزير بتاريخ ٢٥ شعبان جواباً عن مكتوبه المؤرخ في ١٢ شعبان وفيه يقول " اما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقد بلغنا مكتوبكم الخصوصي وعلما ما ذكرتم وما وقع مع موسيو غاميتا فنثلك من يعتمد عليه وعلى صداقته ولما اكتان السر فيكون مهناً لان نفعه لنا وانما الله يحقق الامل من اتمام الوعد لان القنصل في غاية القوة الخ "

فلم يسع صاحب الترجمة بعد هذا الاضطراب في اقوال الوزير الا ان يستعفى من وظائفه فاجابه الوزير عن الاستعفاء بهذا المكتوب ونصه " الفاضل الزكي المدرس الشيخ السيد محمد بيرم رئيس جمعية الاوقاف حرسه الله اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فان ما عرضتموه علينا من طلب الاعفاء من رئاسة جمعية الاوقاف علمناه ومن معلوماتكم انكم كنتم طلبتم هذا منا قبل سفركم على خير فلم نسمعكم لذلك والذي نعرفكم به انني لم نزل على رأيي في عدم اسعافكم لما ذكر و نرجو الله ان يجمعنا بكم وانتم على حال كمال ودمتم بحفظ الله والسلام من الفقير الى ربه امير الامراء مصطفى الوزير الاكبر عفا عنه في ٣ رمضان سنة ١٢٩٦ "

وفي اليوم نفسه ارسل له مكتوباً آخر نصه " اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فانه بلغنا كتابكم المؤرخ في ٢٥ الشهر الفارط متضمناً ما نحن

على ثقة منه من سلوككم الطريق المستقيم في اقوالكم واهمالكم وتحركم في الاجتماع من ان ينسب اليكم غير ما قصدتموه ولا يستغرب ذلك من مثلكم ونرجو الله ان يجمعنا بكم وانتم على حال كمال ودمتم بحفظ الله والسلام

وقد رجع صاحب الترجمة الى تونس بعد الاحاح الشديد عليه من اصدقائه فوجد الحال متغيراً وملاحح الوزير تظهر الشر ومع ذلك فقد ابلاغه صاحب الترجمة ما رآه وسمعه في باريس بخصوص المسئلة التونسية واراة رجال السياسة فيها ومن جملة ما ابلاغه ان الاخبار رائجة هناك بان القنصل اقنمه بمساعدة فرنسا على مرغوباتها من ضم تونس اليها وفي مقابلة ذلك تضمن للوزير ولاية العهد على الامارة واستيلائه عليها بعد سيده ونصحته بان لا يفتر بهذه الترهات فان القنصل اذا حصل على مرغوبه لا يوفي وعده للوزير ولا تعود الخسارة الا على البلاد واهلها وقد حقق الزمن حدس السيد بيرم فانه لما دخلت فرنسا في تونس سنة ١٢٩٨ لم تطل مدتها فيها حتى عزات مصطفى ابن اسماعيل عن الوزارة واخرجته من البلاد بالرة ولم توف له بما وعدته به بل نظرت اليه نظر الخائن وكثيراً ما تكلمت جرائدها وارباب الوجاهة فيها لتجريده عن نشان اللجيون دونور الفرنساوي وهو حامل اول درجة منه وبقي يتقاب متغرباً في البلدان تقذفه امواج النذل والسؤال بعد ان صرف ما ادخره ايام عزه من الاموال الطائلة واصبح

يوماً بجزوى ويوماً بالعقيق ويا حديب يوماً ويوماً بالخليصاء

الى ان جاءت به المقادير الى القسطنطينية حيث تفاضت الدولة العثمانية عن ذنوبه وابقتة يتنعم بلذيد الحياة ويتحسر على ماضي عزه وغبن

صفقتو . اما صاحب الترجمة فانه بعد عودته الى تونس من مأموريته توجه الى ( المرسى ) للسلام على ولي عهد الامارة الامير الحالي السابق ذكره فوجد الامير المشار اليه في مركبته امام محطة السكة الحديد فاركبه معه وسارا الى بستان الامير فكبر هذا الامر على مصطفى بن اسماعيل وامر صاحب الترجمة بالكف عن التردد على ولي العهد وكثرت الدلائل على سوء نية الوزير نحو السيد بيرم وتغلب دسائس موسيو رستان ضده حتى انصحته بعض الاصدقاء من خواص حاشية الباي بالسفر خارج المملكة لان بقاءه في البلاد فيه خطر عليه فطلب بعد عيد الفطر التوجه لاداء فريضة الحج خصوصا وقد تهدده الوزير بانه اذا شاع الخبر الذي كان اعلمه به بخصوص مساعيه لولاية الامارة ياتي به تحت اعباء المسؤولية الثقيلة فامتنع الوزير من اعطاء الرخصة بالسفر وقد توسط حينئذ السيد الشريف نقيب الاشراف السابق في تونس للحصول على تلك الرخصة وبين للوزير عدم جواز منع المسلمين من اداء فريضة الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وللسادة الاشراف في تونس النفوذ الكبير والكلمة المسموعة فالتزم الوزير بالاجابة وقد سافر صاحب الترجمة من تونس في ٢٦ شوال سنة ١٢٩٦ ولم يعد اليها بعد وقصد مالطه ومنها للاسكندرية ومصر القاهرة وفيها تقابل مع الخديو المرحوم توفيق باشا وكان ذلك في ابتداء ولايته فقدم له قصيدة في التهنئة بالولاية وتاريخها وقد دار الحديث بينهما عن كيفية نظام اللجنة المالية الدولية المولفة في تونس لادارة اشغال الدين وعن النتائج التي انتجتها وهل البلاد متضررة منها ام لا وكان ذلك بسبب ما اقترحت انكلترا وفرنسا اذ كان ذلك على الحكومة

المصرية من اقامة لجنة للمراقبة المالية ثم ان المرحوم سار الى الحجاز وقد تقابل في مكة المكرمة مع المولى الشريف حسين الامير السابق واكم وفادته ثم بعد اداء فريضة الحج والمناسك توجه للزيارة في المدينة المنورة حيث اقام ثلاثة ايام وكان مرضه العصبي مشدداً عليه في الطريق وهناك توسل للحضرة النبوية بقصيدة طويلة طالباً من الله الشفاء للبدن والطف بالوطن ومطلع القصيدة

الى السدة العظمى شددت عزائي  
الى باب خير الخلق نصصت وجهتي  
اليك رسول الله قد جئت ضارعاً  
فياخير خلق الله جدلي بالرضا  
ويا اكرم الاجساد هب لي توبة  
وانت ملاذي في اموري كلها  
ألا يا رسول الله طهر بلادنا  
يريد خلاف الحق في الخلق جائراً  
فعجل بانقاذ البلاد من الذي  
وفرج همومي والكروب وعلتي  
وللعدل ان ينقاد كل ملوكنا  
الى سدة الاجلال شمس المكارم  
ومن فضل باب الله املت راحمي  
وفضلك ممدود على كل قادم  
وامن مغافي من عقاب المآثم  
واسس على التقوى قيام دعائي  
فعجل شفائي من سقامي الملازم  
فقد جار في الانحاء ظمأً عفاصي  
فننصحهُ رشداً لذا كان ظالمي  
تأبط شرّاً وارتندي بالمظالم  
وليس سواك يرتجى للعظام  
لكيما يحل الدين اعلى العواصم  
ومن المدينة المنورة توجه الى ينبع وسافر منها الى بيروت ماراً على خليج السويس وقد ذكر هذه الرحلة في اول هذا الجزء الخامس وما لاقاه في سفره من كرم واکرام صاحب السماحة السيد السند سلمان افندي القادري

تقيب اشرف بغداد

ولما وصل الى بيروت لاقاه والي سورية اذ ذاك المنعم المقام الجليل  
الذكر مدحت باشا بمزيد العناية الرعائية واحتفل به اعيان المدينة من مسلمين  
ومسيحيين بما ابقى لهم في نفسه الذكر الحسن والثناء المستطاب وكان المرحوم  
من جملة المشتركين المساعدين في جمعية المقاصد الخيرية التي تأسست في  
بيروت لانشاء مدارس خيرية وقد زار تلك المدارس ولاقى من احتفال  
الاساتذة والتلامذة وانشادهم القصائد والمقالات الرائقة بين يديه ما زاد  
ابتهاجه وقد هنأه الشاعر الدراكة الهليخ المرحوم الشيخ ابراهيم الاحدب  
بقصيدة شائقة ذات اربعة واربعين بيتاً مطلعها

بدر العلى تاريخه (من غربه) في الشرق اشرق نوره لمحبه

ومنها

من اين هذا الطيب هل ريم النقا ليلاً سرى ليدير راحة صبه  
او جاء بيروتاً محمد يرم من طيبة فذكت نوافح قربه  
حيث الزمان على تلون طبعه ادى به كفارة عن ذنبه  
وقد مدحه ايضاً الاديب الفاضل واللودعي الكامل الشيخ ابو حسن  
قاسم افندي الكستي البيروتي بقصيدة غراء منها

به تونس الغرب استعزت واحرزت بصحبته الفضل الذي ليس يجحد  
يفار على الدين الخفيف لانه خبير به لا يعتريه التردد  
عليه من العلم الشريف جلالة يقوم لها الدهر الحسود ويقعد  
وسيرته الحسنة في كل موطن بألسنة الايام تنلى وتنشد  
وبعد ان اقام هناك اسبوعاً رام فيه التوجه لدمشق الشام لرؤية



معالمها العظام وملاقة السيد الامير عبد القادر الجزائري غير ان الوقت لم يسعف بذلك لتراكم الثلج في الطريق وتعطيله للسكة فتوجه تَوّاً الى القسطنطينية وهناك ورد عليه مکتوب من الامير المشار اليه نصه

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله حمد المتوسلين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين . وعلى آله وصحبه آمين . من خادم اهل الله عبد القادر بن محيي الدين الحسيني الى جناب العالم الفاضل . والهمام الكامل . صاحب المقام السني . الشيخ السيد محمد بيرم افندي المحترم . ادام الله عليه سوابغ النعم . اما بعد اهداء تحية مقرونة بالاخلاص والتكريم . وادعية متوالية بدوام تفعمكم العميم فالموجب لتحريره اولاً السؤال عن راحة وجودكم السعيد . والابتهاج بسماع حديثكم المجدد . وثانياً قد بلغنا من ولدنا عبد القادر افندي الدنا سلامكم . ومزيد محبتكم وودادكم . وحصل لنا بذلك تمام السرور . زادكم الله نوراً على نور . ورغبة يربط اسباب المودة بمجانبتكم . واستجلاب بدائع خطابكم . ومجابه دعائكم على الدوام . تحررت لكم هذه الارقام . وعليكم السلام في ١٦ جمادى الاولى سنة ٩٧

المخلص

عبد القادر الحسيني

وكان المرحوم قبل توجهه الى الاستانة ارسل مکتوباً بواسطة بعض خواصه للوزير بتونس نصه " الصدر الهمام امير الامراء جناب الوزير الاكبر سيدي مصطفى اطال الله عمره اما بعد السلام التام فاني قضيت المناسك والله الحمد ولم استطع المبادرة بالرجوع الى الوطن لاني في اضطرار الى اراحة البال والبدن للاسباب التي تعلمونها حقاً فلزمتني مراعاة الحال الى ان ينفس الله

الكر ب لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة والله حفيظ وولي من يتوكل عليه والسلام في غرة صفر سنة ١٢٩٧ "الأ ان هذا المكتوب لما بلغ تونس منعه احماء صاحب الترجمة وخواصه من الوصول ليد الوزير وبقي المرحوم في وظائفه الى حين وصوله للاستانة ولما ورد خبر وصوله اليها اسرعت الحكومة التونسية بتوجيه جميع وظائفه الى غيره وهو المرحوم الشيخ احمد الورتاني وما يجمل بي ذكره هنا ان عائلة صاحب الترجمة رأت من مكارم اخلاق هذا الخلف وحسن تودده وتلطفه بها ما يندر وجود مثله في الاعصر السالفة فضلاً عن هذا الزمان في وقت اضطهاد الحكومة لسلفه ومراقبتها الشديدة لكل ما يتعلق به ثم ان صاحب الترجمة لما استقر بدار الخلافة مدح الحضرة السلطانية بقصيدة مطلعها

النصر والتأييد والعمر المديد      قد توجت في عرشها عبد الحميد  
وارخ سنة الجلوس الشاهاني بقوله

بشرى الولاية قد اتت تاريخها      خلافة يسنى بها عبد الحميد

ولم تطل الايام حتى ارسل الوزير التونسي يطلب من الباب العالي ارجاع الشيخ يريم الى تونس مدعيًا انه سافر بدون رخصة الحكومة ولم يقدم حساباً عن ادارته في الاوقاف والواقع ونفس الامر انه لم يطلبه الا بالحاح فنصل فرنسا عليه من جهة لان فرنسا لا تحب حصول الارتباط بين تونس والدولة العلية باي وجه من الوجوه حتى انها من بين سائر الدول لم تعترف بفرمان سنة ١٢٨٨ المقرر لتابعة تونس للخلافة الاسلامية ومن جهة اخرى قد خشى الوزير من النعم صاحب الترجمة بخير الدين باشا وافسادها مساعيه

لتولي الامارة واطلاع الدولة العثمانية على دسائسه وسوء سياسة الحكومة التونسية في مدة الصادق باي لانه سلم جميع الامور بيد وزيره العديم الخبرة وقد بذل مصطفى بن اسماعيل جميع مجهوده واغرى بعض كبار الرجال في الاستانة لمساعدته على اخراج الشيخ بيرم منها غير ان حكمة مولانا امير المؤمنين وعدالته حالت بين صاحب الترجمة وبين اعدائه واصدر امره العالي بانه اذا كانت هناك دعوى على ناظر اوقاف تونس المقيم بالاستانة فاترفع فيها اذ ان تونس لم تخرج عن كونها من الولايات العثمانية التي تجمعها جامعة تحت السلطنة وبذلك سكت مصطفى بن اسماعيل عن دعواه الفاسدة اما اولاً فلان صاحب الترجمة لم يخرج من تونس الا يجواز (باسبورت) رسمي ممضي عليه من الوزير نفسه بصفة كونه وزير الخارجية لم يزل محفوظاً لان وقد حضر لوداعه يوم السفر كثير من كبار رجال الحكومة بما فيهم وزير البحرية وأعدله بامر الوزير الاكبر زورق خصوصي من زوارق الهابي لتوصيله للباخرة وقد اوصاه الوزير بمحضر جمهور عديد من التونسيين لاحضار بعض هدايا من الحرمين المحترمين هذا ما يتعلق بالسفر واما حساب الاوقاف فقد جرت العادة بنشره سنوياً في الجريدة الرسمية "الرائد التونسي" ولم يتأخر نشره قط وهو محفوظ في مجموعة الرائد يمكن مراجعته ثم ان صاحب الترجمة قبل سفره للمجازاة اخذ براءة من مجلس ادارة الاوقاف ممضى عليها من جميع الاعضاء ومن امين الصندوق وهي حجة قوية ناطقة بان لا شبهة في الحساب ولا شيء من اموال الاوقاف باق في ذمة الناظر وتلك البراءة هي بنصها بالحرف الواحد

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

الحمد لله

ريالات فضة

٣٥٣٩٣٩ <sup>١</sup>/<sub>٢١٠</sub>

٣٠٤٨٧٩ <sup>٢</sup>/<sub>٤٠٤٢</sub>

٤٩٠٥٩ <sup>٣</sup>/<sub>٤٠٥ <sup>١</sup>/<sub>٢</sub></sub>

٨٦٢ ٥١١٠٠٠

٤٠٤٣٤ <sup>٢</sup>/<sub>٤٠٥ <sup>١</sup>/<sub>٢</sub></sub>

اطلعت الجمعية على حساب دخلها وخرجها سنة ١٢٩٦ التاريخ بأنضمام حسابات السنين السابقة اليها فكانت جملة الدخل ثلاثمائة الف وثلاثة وخمسين الف ريال وتسعمائة وتسعة وثلاثين ريالاً ونصف ريال وعشرة نواصر فضة وجملة الخرج ثلاثمائة الف واربعه آلاف وثمانمائة ريال وثمانين ريالاً الأثمانية نواصر ونصف نصري فضة الذي بتذاكر الجمعية وكان الفاضل ما قدره تسعة واربعون الف ريال وستون ريالاً الأ سبعة نواصر ونصف نصري فضة اخرج منه الرئيس ثمانية آلاف ريال وستمائة ريال وخمسة وعشرين ريالاً فضة صرف خمسة آلاف فرنك صرفت في مصالح الدولة وخرجت فيها تذكرتين منها لقابضها يدفعها مصروفاً على يد الوزير الأكبر ولم يدفعها القابض الى الآن احداها تذكرة مؤرخة في ٢٧ القعدة من عام ١٢٩٣ عدد ٤٦١٩ بها الفا فرنك اثنان وثنانيتها مؤرخة في ١٥ الحجة سنة ١٢٩٥ عدد ٣٥٦٩ بها ثلاثة آلاف فرنك ولما كان الفصل الواحد والعشرون من ترتيب الداخلية للجمعية قاضٍ بابقاء المفتاح الثالث

للخزنة الثانية عند الرئيس والفصل السابع عشر من الترتيب المذكور قاض بان كاهية الجمعية يقوم مقام الرئيس عند غيبته وقد اراد الرئيس السفر الى اروبا فبمقتضى ذلك ابقيت تذكرتا الدولة المذكورتان بالخزنة الثانية المذكورة وسلم الى الكاهية مفتاحها الثالث بحضور الجمعية بعد اطلاعها على الحساب المذكور وسلامة ذمة الرئيس مما في عهده وكان الباقي تحت يد امين مال الجمعية اربعين الف ريال واربعائة ريال وخمسة وثلاثين ريالاً الأربعة نواصر و نصف ناصري فضة وكتب في ٢٠ يونيو الموافق لرجب الاصب ١٣ من عام ستة وتسعين ومائتين والف

صح احمد الورتثاني صح محمد بن الامين

صح محمد الشاذلي السنوسي صح من محمود بن سالم

هذا وقد خرج صاحب الترجمة من القطر التونسي وترك وظائفه فيه ولم يكسب منها شيئاً مع انه كان يسهل عليه كثيراً في تلك الاوقات الدخول في ابواب الكسب بلا معارض ولا ممانع كما جرت به العادة عند الكثير محافظة منه على الاستقامة واحترام الحق لا سيما والاقواف لم تكن في بادئ امرها مضبوطة ولا معلومة فامرها في الواقع موكول لذمته وطهارة نفسه فكان كثيراً ما يلتزم لبيع املاكه وعقاراته لتسديد مصاريفه الواسعة حتى ان مصاريف سفره الاخير لباريس حيث توجه بمأورية من طرف الوزير التونسي تعمل بها من عنده وبلغت اربعة عشر الف فرنك مع ان الوزير المذكور وعده بتسديدها ولم يوف بعد . ولما استقرت اقامته في دار الخلافة وجد المرحوم خير الدين باشا مهتماً

بتقديم تقرير بشأن الاصلاحات المقنني ادخلها في نظام الدولة العلية  
 لزيادة سطوتها وتأييد عظمتها على حسب ما يفكر وقد انتهى التقرير المذكور  
 بالفعل غير انه لم يجر عمل القبول لانه لم يكن مطابقاً في بعض وجوهه  
 لاحكام الشريعة الفراء فاخذ الشيخ بيرم في تطبيقه عليها ولما انتهى منه حصل  
 تقديمه للحضرة السلطانية ومن ذلك الحين شملته الانظار الشاهانية بعين  
 ملاحظتها لدقة علومه واتساع معارفه ثم انه تفرغ لتدوين "صفوة الاعتبار  
 بمستودع الامصار والاقطار" وتم الجزئين الاولين منه وكان يقصد تقديمه  
 للحضرة المعظمة المشار اليها عند اتمامه خصوصاً وهو شارع في جمل خاتمة  
 الكتاب المذكور على نحو مقدمتي ابن خلدون واقوم المسالك اي انها  
 تتضمن ما يقتضيه الحال لاصلاح الاحوال في البلاد الاسلامية لعود عصر  
 شبابها اليها كما هو غرضه الوحيد الذي يدأب له منذ زمان ويتحمل في  
 سبيله كل مشقة وعناء وقد تحسنت صحته اذ ذاك واستراح من آتاعاب المرض  
 وكاد ان يشفى منه تماماً حتى ان استعماله المرفين قل بحيث بلغ درجة تقرب  
 العدم وبينما هو على ذلك الحال متنعم بالانتظار الرحمة من الله بانقاذ  
 بلاده من حكومتها الجائرة اذ ذاك وقد اعتذر عن العمل بمقترحات  
 اقترحها عليه الموسيو فورنييه سفير فرنسا في ذلك الحين حاصلها الرجوع الى  
 تونس تحت كنف فرنسا او الاقامة بالجزائر او بباريس اذ فاجأته الاخبار  
 بزحف العساكر الفرنسية على الحدود التونسية وابتداء حركة "خبر"  
 المخترعة. ثم ان الشيخ بيرم كان عالماً بما ستؤول اليه البلاد من السقوط في يد  
 فرنسا ولكنه لم يكن ينتظر حصول ذلك في العصر الحاضر وكانت في تلك

الاثناء ترد عليه مكاتبات من بعض احبائه التونسيين وغيرهم بما يحصل في  
 تونس من تلاعب الوزير بين قنصلي فرنسا وايطاليا وارضائه احدهما يوماً  
 واغضابه الآخر يوماً ثانياً وكان الشيخ ينصح مكاتبه ومحبيه بتجنب هذه  
 الالاعاب المضرة خصوصاً تظاهر الوزير بالليل الفجائي لايطاليا واغضائه مرة  
 واحدة عن فرنسا حتى انه اهان كرامتها لان ذلك لا تؤمن عواقبه ولم يرض  
 على ذلك شهر حتى ايدت الوقائع ما كان يخشاه وليس من غرضنا تكرار  
 كتابة ما حصل في ذلك العهد لدخول فرنسا الى تونس واعلان حمايتها عليها  
 اذ ان ذلك تكفلت به كتابات غيرنا ولكننا نقول ان الحضرة السلطانية  
 اصدرت امرها لخير الدين باشا ولصاحب الترجمة بتقديم ما يريانه في هذه المسئلة  
 لجانبها وقد كتب صاحب الترجمة في ذلك تقريراً مفصلاً لخص فيه بيان  
 حقوق الدولة العلية على البلاد التونسية وارتباطاتها بها قديماً وحديثاً واستنهض  
 هم الدولة لانقاذ تلك المملكة المسلمة حيث انها مرقد المجاهدين ومدفن الصحابة  
 والتابعين من الوقوع في يد دولة اجنبية وختم التقرير بنتيجة ما يراه وهو  
 انه اذا كانت الدولة تشغلها شواغل الحرب الروسية وعواقبها من انقاذ  
 تونس بالقسر من مغتصبها فلا اقل من انه يلزمها التحالف مع دولة اجنبية  
 اخرى للتساعد بها على نيل ذلك المرام ولو اقتضى الحال التنازل لها عن  
 مدينة واحدة مثل مينا بنزرت في مقابل هذا التحالف وكانت الدولة جرت  
 على مثله مراراً عديدة فان خسارة مدينة واحدة خير من خسارة مملكة  
 برمتها وقد كان الشيخ بيرم يكتب هذا التقرير والدموع تفرح عينيه والالم  
 العصبي الذي تحرك وتجدد يفتك بجسده وكان يكرر القول على جلسائه بان

لا حذر مما قدّر لا سيما وان الفرصة المناسبة للدولة قد فاتت وهذا الزمن  
 زمن قتال لا وقت جدال وسيأتي ذكر هذا التقرير في مجموعة منشآتِهِ  
 ورسائله ولما رسخت قدم فرنسا في البلاد يئس المرحوم من قرب العودة اليها  
 ورام التقرب من عائلته للمخاطبة في شؤون بيع ما تبقى من املاكه ونقله العائلة  
 من تونس الى بلاد اخرى فسافر الى ايطاليا لذلك الغرض واقام في مدينة  
 ليفورنو لقربها من تونس وكان مدة اقامته في الاستانة معاشرًا لاهلها  
 وخصوصًا ابناء العرب منهم معاشرة الصفاء والاخلاص متباعدًا عن المزاحمة  
 في طلب المناصب او التداخل فيما لا يعنيه ولم يرَ منهم الا ما يسره وكان  
 السيد سلمان القادري رجع من القسطنطينية الى بغداد فلما استقر بها كاتب  
 صاحب الترجمة بما نصه

”كنايي هذا وانا مبتلي من الاشواق . ومضطرب لما لها من الاحراق .  
 كيف لا وحب ذلك المولى الاجل . والنجيب الافضل . قد اخذ بهجامع  
 القلوب . واحاط بالفكر على اتم اسلوب . لمزيد ما انطوى عليه من الاوصاف  
 الحميدة . والمكارم السديدة . مع طبع رائق . وعلو جناب فائق . وشهامة  
 كاملة . ونجابة فاضلة . وعلم وافر . وفضل متكاثر . فكل فضيلة به حرية .  
 وكل مفخرة له سجية . وليكن معلوماً لسيدي ادام الله تعالى بقاءه . وانه  
 كل ما يمتناه . باي لم اخل ذكر ثنائيه الجميل من لساني . ولم ينفك تخيل  
 شخصه المنير لحظة عن جناني . بل لا زلت آنساً بما ذكرته من الذكر والخيال .  
 مفتخرًا بما خصلته من محبة ذلك المولى النبيل بين الاحباب في جميع الاحوال .  
 ثم اني وان قدمت من قبل هذا عريضة لم احظ بجوابها من ذلك الجناب



الرفيع لكني ابي عذراً لما وقع من القصور مدة من عدم ترديفه بكتاب آخر اذ ترادف العرائض . معدود لدي من جملة العرائض . فلم يكن التأخير المذكور ناشئاً من قصور في المحبة . ولا عن تقصير في العلم بعلو الدرجة والمرتبة . بل ذلك نوع من التقدير . ووجدانك القوي عالم خبير . يصدق ما يدعيه هذا الخالص الفقير . فالرجو من بعد هذا ان تستمر المراسلات في البين . وينقطع بوجودها البين . افندم

الداعي

في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩      پوست نشين حضرت كيلاني

نقيب بغداد

\* السيد سلمان القادري \*

وقد كان صاحب الترجمة على عادة اهل تونس وعلى ما امتاز به من التشيع الكلي لآل البيت النبوي الكريم يميل ميلاً خاصاً للسيد المشار اليه لاسببه العالي وحسبه العالي وفضله المتلاهي حتى ان ذلك كان من جملة البواعث على الايقاع به تشغيلاً من سيادة السيد النقيب حرسه الله ومع ذلك فقد كان المرحوم يسعى جهده لجمال علاقته مع جميع من يعاشره من العرب وغيرهم في الاستانة على احسن ما يكون من الجمالة وحسن المعاملة وكان مع صاحبي الساحة السيد احمد اسعد افندي والسيّد ابي المهدي افندي على قدم الوداد وحسن الاعتقاد كما يظهر من آثارها المحفوظة لديه ونذكرها هنا تبركاً بهما وافتخاراً بوجهما

” اخذت يابهجة الفضلاء . وقرّة اعين العلماء .

كتابكم الكريم . وامركم المحترم الفخيم . واطلعت على رسالتكم الجميلة (١)

(١) عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان

الشاهدة لحضرتكم بايادي العلم الطويلة . واني بجمده تعالى ممن يجب ان  
يسدي المعروف لاهل الفضائل . سيما مثل حضرتكم من ارباب المزايا العلية  
والفواضل . فاذا وفق المولى نقوم بتقديمها لعلها . ودمتم ارباب المناقب واهلها

الداعي

( ابو الهدى )

” قدوة الاماجد الكرام . ذو الفضل والاحترام . محبنا العزيز السيد  
محمد بيرام . حفظه الله آمين

وبعد مزيد السلام . مع التحية والاكرام . اعرف سيادتكم هو ان الساعة  
ثلاثة وانصف في يومنا هذا لازم تشر فونا في البيت مع نجلكم المكرم لاجل  
ان تترك بكم . هذا ما لازم ودمتم . في عز وسرور . وانتم حبور  
في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٠٠ ”

الداعي

( احمد اسعد )

وبعد ان اتفق صاحب الترجمة مع عائلته على العود الى الاستانة  
والسكنى بها حيث لم ير محلاً انسب منها من بلاد الاسلام ولا تليق  
السكنى بعائلة مسلمة في بلاد اجنبية مع انه كان يحظر في بال بعض  
التونسيين اذ ذلك التوجه في عدد كبير الى امريكا للاستيطان بها غير ان  
هذا الفكر لم يمكن تنفيذه لصعوبات حالت دونه فقصد المرحوم التوجه  
الى القسطنطينية وعرج على جنيفا من بلاد سويسره حيث ابقى كاتب هذه  
الاحرف في احدى مدارسها المعتبرة ثم قصد ويانه وبلاد المجر والهربر  
ورومانيا حيث اقام ليلة في بخارست ومنها توجه الى وارنه من اعمال البلغار

ومنها ركب الباخرة قاصداً دار الخلافة حيث لم تتصل السكة الحديد  
اذ ذلك بينها وبين اوروبا وقد قاسى في هذه السفرة آلام البرد واتعاب  
السفر الذي حق فيه القول بانه قطعة من العذاب خصوصاً ولم يكن  
صاحب الترجمة يتكلم بلغة اجنبية الا بعض كلمات فرنساوية وليس في  
النمسا ولا في البلاد التي عرج عليها كثيراً من يتكلم تلك اللغة وكان يسرع  
المسير للوصول قبل عائلته الى الاستانة لتحضير محل لنزلها وقد وصل اليها  
قبل العائلة بنحو يومين او ثلاثة وبعد ان استراحوا قليلاً فاجأهم ذوو  
المداسس والاغراض بوشايات اوغرت الصدور على صاحب الترجمة  
وكادت ان توقعه فيما لا تحمد عقباه وكان مبنى تلك الوشايات على حصول  
الحركة العرايية بمصر اثناء وجود الشيخ بيرم في اوروبا فبنى عليها اصحاب  
الاغراض اقوالاً فاسدة ومزاعم بعيدة منشأها الحقيقي حزازات في  
صدورهم من الحسد له وبغية الايقاع بارباب المناصب من اصدقائه واحبائه  
فاردوا الانتقام منهم بالاساءة الى صاحبهم وجعله محل تهمة يستخرجون  
منها ما يروج غرضهم في النكايه باولئك الرجال فالتمز هذا المهاجر بدينه الى  
دار الخلافة الاسلامية ان ينزوي في بيته ويلازمه مدة تقرب من الستة  
اشهر لا يخرج منه الا لتقضاء الضروري او اداء فرض عين كصلاة الجمعة  
وقد رأى في تلك الاثناء من تودد الهام الابير الصالح الورع الشيخ محمد ظافر  
افندي المدني وتلطف الفريق الغيور الحاج حسن باشا محافظ مركز بشكطاش  
محل سكنه وكلاهما من اقرب المقرئين للذات الشاهانية المخلصين لها في السر  
والعلانية ما اطلق لسانه بالشكر وقلبه بالدعاء الصالح لها والحق يقال ان

الحضرة الخاقانية لم تفتعن شمول صاحب الترجمة بعين رعايتها وكثيراً ما  
 كان امير المؤمنين نصر الله به الدين يظهر علام رضائه وصفائه عليه حتى انه  
 لما اراد يهدي الى امبراطور المانيا فريدريك الثالث وكان اذ ذاك ولي العهد  
 بعض جياذ الخيل امر احد الاعوان ان يتوجه الى الشيخ بيرم ليكتب رسالة  
 عربية يصحبها المأمور السلطاني معه عند ذهابه الى برلين ليقدّمها مع الخيل  
 الى الامير المشار اليه وكان ذلك بعد صلاة يوم الجمعة الثالث والعشرين من  
 رجب سنة ١٢٩٩ وكان يطلق عليه عند ذكره من الفاظ العناية ما يستدل  
 به على قرب منزلته من خليفة المسلمين وبمجرد وصول جلالتيه الى قصره  
 الفاخر ييلدز بعد صدور ذلك الامر جاءه الرسول بالكتابة المطلوبة فسرّ  
 بها كثيراً واثني على كاتبها وتلك الرسالة هي " الحمد لله بديع الخلق كما شاء  
 واراد . جاعل الصافنات الجياذ . عدة مستمرة من أهم آلات الاستعداد .  
 وصلاته وسلامه على رسوله متم مكارم الاخلاق . الحاث على الفروسية  
 واقتناء الخيل العتاق . وعلى آله واصحابه فرسان ميادين الوفاق . اما بعد  
 فلا يعزب عن نباهة نبيه . ودراية خبير في المعارف وجيه . ما للخيل على  
 الاطلاق من المزية . في المنافع البشرية . بسائر الآفاق . حتى ورد في الخبر  
 الشهير " الخيل معقود بنواصيها الخير " لاسيما نوع العراب منها . الجامعة  
 لاشتات الحسن فلا مندوحة لاهل الفضل عنها . ألم تر انها قد حوت جمال  
 الصورة واستقلت بالحذق وتهذيب الاخلاق المشكورة . فكادت ان تشارك  
 النوع الانساني في الادراك . وفعلت سائر انواع الحيوان بلطافة الذات  
 والمزية في مواطن العراك . ألا وهي العاديات صبحاً . المغيرات صبحاً .

متوسطة الجموع . مستشرفات الفروع . مبلغات الآمال . مقربات الشواسع لهم الرجال . فذلك توجهت اليها عناية اهل الفضل . وتسابقت اليها الرغبات في الخصب والمحل . ولم تزل كريماتها محفوظة الانساب . متوارثة الخصال الحميدة من الاجداد الى الاعقاب . لا يأتي اهل العناية عن اقتنائها . ومعرفة اصلها ونسبتها وانتشائها . ويفوز عليها بالمزية ما صلح منها لاقتناء الملوك العظام . سيما ما اختص بان يعتلى صوته خليفة الاسلام . لا زال تاجاً على هامة الايام . وما تختاره اليه العرب من صفوة جيادها الكرام . وعلى الخصوص ما تميز باهدائه . لخلاصة اهل ولائه . من الملوك الفخام . وكان منها هاتو الخمس الجياد . العتيقات الاعراق الامجاد . ثلاثة منها عراب الآباء والامهات . واثنان من خلاصة الاعاجم الوطن وان ناكبت العراب في الصفات . وقد تحرر هذا التحرير في التعريف باصولها . وما جمعت من سمات الكمال وفصولها . فاما الثلاثة العراب . السابقة القرين في العرافة والانتساب . فاولها اشقرها المبارك . الذي لا يدانيه في استجماع الحاسن مشارك . واسمه المجلي . وقد طابق اسمه مسماه اذ هو لمفاخر الخيل مجلي . وهو من جياذ نجد العربية . الشهيرة الصفات والمزية . سقلاوى القبيلة . شامل لما يحمده في امثاله من الفضيلة . كل سلسلة اصوله من قبيلته المحمودة . وكلا ابويه متفرع من ذلك القبيل الى جدود كثيرة معدودة . مسماة اجداده وجداته . خالصة من اشتباه النسب وكالاته . واما ثانيها وهو الاشهب . الجاعل ابد القصبات الهين الاقرب . واسمه السابق . فهو مناكب متقدمه في جميع صفاته حتى غدى به لاحق . سوى انه استعوض عن النجدية . بان كان من العراق العربية .

ولا يخفى ما لعتاقها من شهرة الزينة . سيما في حفظ النسب من الاختلاط .  
وانساق عمودها على اقوم صراط . لا جرم ان كان وحيد اقرانه . بنباهة  
شانه . واما ثالثها المسوم . وهو الاحمر المستكمل المقوم . واسمه ابو ليلى . فقد  
جمع لما في جياذ الخيل يتلى . اذ هو من صنف كحيل العجوز . الذي هو  
لصفات العتاق من العراب يجوز . وعلى من جراه في ميادينها يفوز . فهو  
لا يجارى اذا ما ضم . لانه من خلاصة خيل قبيلة شمر . فاعمرى ان هاته  
الثلاثة وان اختلفت انسابها . فقد اتحدت عراقتها واحسابها . وكل منها  
قد استكمل صفات الجودة والفضيلة . واستتبت فيه محامد كل الخصال  
الجميلة . فلا بدع ان تبعها ما يكمل به عدد الخمس . مما تنبسط له الروح  
وتشرح به النفس . وهما الفرسان الاخضران . اللذان استكملت لهما صفة العتاق  
ولو انهما اعجبيان . وهما من جزيرة مدلي الشيرة . ذات النقطة المهمة من  
البحر الابيض الفائزة بالخيول ذات المناقب الخطيرة . وهما وان افترقا هيكلًا .  
فقد نفردا منظرًا مجملًا . اذ هما فرسا رهان . متحدا الاخلاق والسمات  
والالوان . فاستكملت هاته الخيل مزايا التناسب . وكانت لها جهة ملائمة  
بما للمتهادين من التوادد المتقارب ”

وقد كان السلطان ارسل له قبل ذلك ايضاً كتاب التتفاء لابن سينا  
في نسخة جميلة لتفحصه وتقدم كتابه بضمونه وبعد مدة من الزمن صفا فيها  
الجو للشيخ يرم من رمي الاعادي وحسد الحساد زاد السلطان في اكرامه  
باحساب مصاريف اقامته في الاستانة على خزينة الدولة باعتباره ضيفاً من  
ضيوف الحضرة السلطانية وذلك بان تدفع نظارة الماينة اجرة المنزل ولوازم

البيت وقدرت في الشهر بخمس وعشرين ليرة عثمانية وقد استمر صرف هذا المرتب مدة ثمانية عشر شهراً اي لحين خروج صاحب الترجمة من الاستانة وقد بادر المرحوم بكتابة المکتوب الآتي لاداء واجب الشكر على هذه العناية السلطانية ونصه

المقام الذي اتاخرت به مطايا البيان واستقرت . واعترفت بالبلاغة بانه وحيد عصره واقرت . وغضد اليراع اشهادها اذ كان بعد ان جست يدها اسطاعته ونقرت . فلا بدع ان ابصرت به عين الوزارة وقرت . وكان يمين الخلافة المؤمن منها على ما تشا . ألا وهو صاحب الدولة علي رضا باشا . باشكاتب الحضرة السلطانية . افاض الله عليه آلاءه القدسية . اما بعد سلام تحمله ايدي التعظيم . وتحفه آداب الاجلال والتفخيم . فقد بلغ العبد ما حصل له من عناية مولانا صاحب الخلافة العظمى . والسلطنة الباذخة المجد الشهي . فوقع مني هذا الانعام الموقع الذي ليس وراءه حد في الاعجاب . وهزني السرور حتى اعجزني عن التلطف بالخطاب . كيف لا وقد لاجت من ذاك الانعام بفضل الله علائم اخلاصي فيما اقتحمته من مفارقة وطني وكسبي وعشيرتي وخواصي كما كنت بسطته لدى جنابكم قبل ان تحدث على وطني الطامة الكبرى . المرجو من الله ان يبدل بأمر المؤمنين عسرهما يسرا . من اني اعد عملي قرينة لله جل وعلى . اذ في ذمتي ورقبتي بيعه لامير المؤمنين لا تبلى . ولا يجوز لي شرعاً ان ابغني بعبد الحميد سلطاني بدلا . فقد ورد في صحيح البخاري " من خرج عن السلطان قيد شهر مات ميتة جاهلية " فلم ابالي لذلك بالمضادات الوطنية والخارجية . واستقررت في ظل الخلافة

الاسلامية . إلى ان غمرتني الانعامات الخاقانية . فكيف لا اطير لهذا الانعام  
سروراً . وهو علامة بارادة الله تعالى ان تنال النفس الرضى موفوراً . فقلت  
يا نفس قرّبي عيناً . وردني من مناهل امير المؤمنين عذباً معيناً . فما انت  
شاهدت قسطاس عدله . واين انت من جوده وفضله . وفوق ذلك الطاف  
العناية . التي ليس وراءها للتطلب من غاية . فحسي حسي . ولنتوجه ضارعاً  
الى ربي . بشر اشربي . واخلاص قلبي . ونقول اللهم يا من تجلي بجلائل  
انعامه . ويا من احتجب برداء كبريائه . يا من توجهت الى جنبابه الاقدس  
عزائم الآمال . ويا من تعلقت بعيم جوده اطامع السؤال . نستوهبك من  
الصلوات والتسليمات . ما يناسب من فضلك على جميع المخلوقات . وانرت  
به اقطار الارض والسموات . سيدنا ومولانا محمد خاتم الرساله . ومنار  
الدلالة . وتنظم فيها معه صحبه الكرام وآله . وتضرع اليك اللهم ان تكسو  
هاته الدولة العلية العثمانية حلة النصر . خافقة أوبة عدلها الى آخر الدهر .  
مؤيدة اعلامها . مكتوباً على صفحات الايام اجلالها واعظامها . بتأييد اسد  
غايبها . وامام محرابها . قرة اعين المسلمين . مولانا امير المؤمنين . المحفوف  
بالتأييد الرباني . الخليفة الاعظم السلطان عبد الحميد الثاني . اللهم وكما جعلته  
منخرطاً في سلك المدح من رسولك عليه الصلاة والسلام لامراء القسطنطينية  
من آله الكرام حسبها هو في الصحيح المأثور . فاجعله اللهم مظهرآ لوعدك  
حيث قلت ” ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان  
مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن  
المنكر والله عاقبة الامور ” واطل اللهم في طاعتك عمره . واجعل السداد



والصلاح فيما دبره . منكسة اعداؤه على الاعقاب . مستبشرة اجابؤه بعمله  
المستطاب . وأسنتهم بالدعاء اليه صادحة . خاتمين ضراعتهم باسرار الفاتحة .  
وبعد ان انتظمت دعواتنا بمشيئة الله في سلك الاجابة . واحرزت من حضها  
موقع الاصابة . حان لعصابة الشكر والحمد والثناء ان تكون لسدة امير  
المؤمنين ايده الله مصروفة . ومن البديهي ان وقوعها موقع القبول لدى  
جلالته على حسن تمهيد مثلك أيها الوزير بعد الاعتماد على الله تعالى موقوفة .  
فلتور لها زناد الحمية . من تلك الغيرة الرضائية . لا زلتم صاعدين مدارج  
السعادة في العناية السلطانية

وفي تلك المدة تفرغ الشيخ لتأليف الجزء الثالث من صفوة الاعتبار  
وتحرير رسالة سماها " التحقيق في مسألة الرقيق " بحث فيها عن كيفية  
معاملة الرق عند المسلمين بمقتضى الشريعة وبيان اسباب الرق ودواعيه  
واحكامه وذهب فيها الى ان العبيد المباعين الآن هم احرار وان منع  
الحكومات الاسلامية لتجارة العبيد هو شرعي محض لا يحتاج الحال فيه  
لطلب الدول الاجنبية وقد حرر قبل ذلك جواباً علمياً لبعض نبلاء الانكليز  
عن سؤال وجهه اليه مضمونه هل ان التونسيين مسرورون من دخولهم  
تحت دولة اجنبية فوضح السيد بيرم في جوابه بان التونسيين ليسوا اقل  
الام حبا في الاستقلال والتنعم بلذائذه والغيرة على الوطن وانهم مسلمون  
يتمنون بكل جوارحهم دوام صلتهم بالجامعة الكبرى الاسلامية واستدل على  
ذلك بادلة عقلية ونقلية طويلة مقننة وقد كانت من عادة صاحب الترجمة  
منذ كان في تونس ان يحتفل كل سنة بالمولد النبوي الشريف احتفالاً

شائناً واطب عليه حين وفاته حتى انه كان آخر اعماله في هذه الدنيا رحمة الله وفي كل سنة يكتب رسالة مخصوصة في موضوع من المواضيع العلمية يتخلص فيها لذكر المولد الشريف وقدائف في الاستانة رسالتين لذلك الغرض احداها فيما يجب لآل البيت النبوي الكريم من التبجيل والتعظيم مبيناً حقوقهم على المسلمين بشرط ثبوت النسب العلي حتى لا يدخل في هذه السلسلة السامية دخيل ترتب له تلك الحقوق الواجبة وثاني الرسالتين فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم على سائر المسلمين وألف رسالة اخرى في سكنى دار الحرب وذلك عند ما رأى ما طرأ على بلاد الاسلام من التفتت المستمر نسأل الله اللطف والسلامة وقد ذهب في هذه الرسالة بعد شرح ما عليه البلاد الاسلامية الآن الشرح الكافي وايراد الادلة والنصوص الشرعية الى ان الانسان حر فيما يختاره حسب مصلحته واجتهاده . وقد سأله بعض الافاضل عن رأيه في مسألة الاجتهاد والتقليد مستنداً على الرسالتين المطبوعتين في الاستانة المنسوبتين لملك بهوبال صديق حسن خان فشرع في الجواب غير انه لم يتمه ويظهر من فحوى كلامه واعماله الخصوصية انه يرى تقليد احد الائمة الاربعة واجباً على حسب المشهور في مذهب اهل السنة . ولما تولى امير تونس الحالي منصب الامارة هنأه الشيخ يرم بكتوب مصدر بهذين البيتين

ألا بعلي ملك تونس سدّدا فلا زال فخرًا للبلاد مؤيداً  
ونجح دعائي بان اذقت ارّخن ألا بعلي ملك تونس سدّدا  
وقد توجهت في ذلك الوقت آمال احباء قائل هذين البيتين لرجوعه

الى تونس اذ ان نفوره الذاتي كان من الوزير مصطفى بن اسماعيل الذي اقل نجمه بوفاة سيده الصادق باي ولم يبق من مانع له من العود الى بلاده ومسقط رأسه ومدفن اجداده خصوصاً ورستان نائب فرنسا استبدل بغيره وصفا الوقت وزال المقت فكاتبه بعض المشيعين للسفارة الفرنسية بتونس بمناسبة الفرصة لا سيما وقد كان وعد الامير عند توديعه وهو اذ ذلك ولي العهد بالعود الى الوطن عند ولايته عليه فاعتذر صاحب الترجمة عن كل ذلك بان السيرة العمومية هناك لم تبق على الحالة المألوفة ثم ان صحته لم تنزل في تقهقر في الاستانة لتأثره من الانفعالات النفسانية المتسببة عن دسائس ذوي الاغراض السابق شرحها التي لا يكاد يخلو منها من كان له شأن بين الناس او فضل يميزه بين اقرانه والمعالجة والعيال يلزمها الكثير من المال فباع صاحب الترجمة جميع املاكه بتونس وصار يصرف من ثمنها في حاجياته وعوائده التي لم يغير منها شيئاً بحيث رأى نفسه في تأخر مالي مستمر لا يأمن معه من الوقوع في مخالب الفقر وهو لم يحسن من العمل الا مباشرة عقاراته والتفرغ للاشغال العلمية وكان بعض كبار اصدقائه ينفروا من سائر الوظائف العادية لاعدادهم الى وظيفة مخصوصة تليق بعلومه وما زال منتظراً حتى ضاق لذلك ذرعاً وزاد عليه اشتداد المرض العصبي اذ وجد عاملاً لتحريكه قوياً وهو الانفعال النفساني المستمر فنظر في امره فلم يجد من البلاد الاسلامية التي يمكنه الاقامة فيها براحة بال الا القطر المصري وهو مع حرارته التي يأبأها مزاج صاحب الترجمة الا انه اوفق من غيره من البلاد الاخرى . اما الولايات العثمانية فقد اشار عليه بعض المطلعين على الاحوال على ان طلبه

التوجه اليها لا يجوز محل القبول خصوصاً وهو لم يكن له ميل إلا للتوجه الى المدينة المنورة للمجاورة او الى الشام وينميه عن الاقامة في الحجاز احتياجه المستمر للحكام والعلاجات وهما شيان مفقودان تقريباً من تلك الجهات المباركة فاستخار الله في القدوم الى مصر وساعدته المقادير بالحصول على مكاتيب توصية لبعض ذوي النفوذ في هذه البلاد فاراد طلب الرخصة للقدوم اليها ولكنه استشعر ان طلب الاذن للتوجه اليها ربما لا يجوز قبولاً خصوصاً وانه تعذر عليه وجود من يبلغ الحضرة السلطانية تفصيل امره وشكوى حاله على الوجه الحقيقي والآفاق احترام الخليفة لمثل من علماء المسلمين كان يدفع شكواه ويرفع عنه ألم معيشته ولكن دون الملوك من عقبات الاشغال ما يمنهم عن الوقوف احياناً على مثل هذه الاحوال فاذا فقد الناصح الامين الذي يتيقظ للملافة هذه الامور بحسن تبليغها الى مقام الخلافة حصل الاهمال الذي وقع فيه صاحب الترجمة وامثاله فالتزم التمهّل بطلب العودة الى الوطن وقارن هذا الطلب الاجابة اذ كاتبه علي رضا باشا باشكاتب المابين الهايوني بهذه البطاقة العربية وهذا نصها بالحرف الواحد بخط يده

” العالم .. ضل والاديب الكامل محمد افندي يريم سلمه الله  
بعد التحية الوافية نبدي لكم اننا عرضنا مادة العزيمة الى بلدكم فصدرت  
الارادة السنية السلطانية علي عزيمتكم الى ذلك الطرف ان شاء الله تكون  
مصعوباً بالسلامة ونروم منكم ان لا تنسوننا من دعائكم الصالح في السفر  
والاقامة ودمتم في ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٠١ .. (علي رضا)“

ومما يذكر هنا مقروناً بمزيد الاسف ان القسطنطينية العظمى تشتمل على نحو المليون نفس من السكان من اجناس مختلفة اقليم ابناء العرب او المتسبون اليهم ومع ذلك لا ترى اشد منهم تهاافتاً على الايقاع فيما بينهم فبينما ترى الروم والارمن واليهود يعاضدون بعضهم بعضاً ويسعون لبني جنسهم في الخير بحيث يصدق عليهم انهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ترى اولاد العرب المسلمين يتحللون ويتلفون على اختلاف الاسباب وايجادها لابعاد بني جنسهم عن دار الخلافة وتغيير قلوبهم منها والله في خلقه آيات . فقد راجت فيهم سوق التحاسد والتباغض والتنافر والتشاحن حتى لا يكاد يخلو حديث من احاديثهم او حركة من حركاتهم الا في ابداء بعضهم وايقاع السوء بأنفسهم والتخاذل فيما بينهم لا فرق في ذلك بين الكبير والصغير والعظيم والحقير بل الداء واحد في الكل الا من وفق الله ولا شك ان هذا من سوء حظ الاسلام الذي كان ينبغي ان يصرفوا له اوقاتهم في خدمته بما في يدهم من النذرة على نفعه نسأل الله ان يرفع من بينهم آفة الدسائس التي يشوشون بها على انفسهم وعلى بلادهم ويسقطون بها سائر الامة العربية في أعين الامة التركية

وقد غاب عن الشيخ حركة الخلافة والعين مغرورة بالدمع والحشاء ممثلة بالاسى والصدر مغمم بالانسف ليس ذلك لمنصب فارقه او لرفاهة عيش زایلها او لطمع في شيء من نعيم الدنيا الزايل وعيشها الفاني وانما كان يتحرق فؤاده لما كان يرى عليه الامة الاسلامية من الانحلال والاخذ في اسباب الضعف وكيف ان بلاده وقعت اولاً في يد الاجنبي وخرج لاجل ذلك

مشتتاً بعائلته في البلاد ليسكن بها بلدة اسلامية فلم ير امامه مكانا هو اولى  
 ان يقصد لهذا الغرض وألقى بعالم مسلم مثله من اولاد نقباء الاشراف ان  
 يقيم بعائلته فيه سوى دار الخلافة وعلل النفس بأن ما يراه هناك من صولة  
 الاسلام وتشديد الدين واستقامة امور المسلمين واجتهاد امير المؤمنين ومن  
 حوله من خاصته وحاشيته ورجاله لانقاذ الاسلام واهله مما سيسلى مصابه  
 بفقد بلاده ومنى النفس بانه لا ييأس على ضعفه وعجزه من القيام بخدمة  
 تفيد الاسلام او نصيحة تشيد الدين او اشتراك في عمل يجمع به كلمة المسلمين  
 او ما يماثل ذلك مما يجب على كل فرد من المسلمين القيام به وخصوصاً من  
 كان من طائفة العلماء فرأى لسوء الحظ من تلك الدسائس ودنايا  
 السعيات ومسابقة الوشاة اضراراً بكل من كان مثله على رأيه حتى يخلو  
 الجؤ لاولئك المسابقين ما اضطره الى مبارحة دار الاسلام للتشتت مرة  
 اخرى في البلاد بعائلته بعد ان يس من العمل في حقه بمقتضى الآية الشريفة  
 "قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى" والمرحوم يمتهت بجبل النسب  
 الى البيت الطاهر النبوي من جهة ويتصل من الجهة الاخرى الى مجاهد في  
 سبيل خدمة الدولة العلية اراق دمه في افتتاح البلاد التونسية ولم تزل  
 اعقابه لتوارث الولاء والاخلاص والصدقة المتينة للدولة العلية في كل  
 زمان ومكان حتى انه لما اهدى السلطان عبد المجيد كركاً من السمور الفاخر  
 من ملبوساته الذاتية الى امير تونس احمد باشا لم ير الامير المشار اليه أليق  
 بلبسه من الشيخ بيرم الرابع فاعطاه اياه ولم يزل محفوظاً يتبرك به في بيت  
 بيرم بتونس وصار لبس الكرك عزية لهم لم يقلدهم فيها سواهم وقد اكتفى الشيخ

الرابع بذلك عن قبول نشان الافتخار التونسي لما عرضة الامير عليه واتبعه في ذلك صاحب الترجمة ايضاً سنة ١٢٩٥ اذ صارت العادة في تونس ان العلماء لا يتقلدون النياشين وفي حرب الدولة مع الروسية سنة ١٢٤٤ تقاعست الولاية التونسية عن نصره الدولة مادياً وادبياً فلم يجد شيخ الاسلام بالاستانة من يستعين به لحث المسلمين في تونس على مساعدة الدولة الأجد صاحب الترجمة بيرم الثاني لما هو مشهور عن هذه العائلة منذ القدم انها متعلقة بخدمة الدولة لا تفتقر عن ذلك ابداً فاجابه بالمكتوب الآتي نصه

”ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . ان احسن ما تشرفت به الامة المحمدية . وتجلت به العصابة الاحمدية . اتباع اوامر الله تعالى ونواهيه . وبذل الجهد في اعلاء هذا الدين وتشديد مبانيه . اقتداءً بصدرها الاول . وعملاً بسنة نبيه المرسل . ولعمري ان هذا في العبارة وان كان سهلاً يئناً . ففي ابرازه للوجود ليس هيناً . لتوقفه على امدادات الهية . وهداية ربانية . وداع الى هذا بلسانه . ورحمه وسنانه . وقد تطابقت حملة الانبياء في سائر البلاد . من جميع العباد . ان القائم بهذا الشأن . والحائز قصب السبق في هذا الميدان . ومجدد الدين بعد الاندراس . ومظهر اعلامه اثر الانطامس . الدولة العثمانية اعلى الله منارها . وضاعف اقتدارها . وانام الانام في ظلها . واعاد عليهم من فيض فضلها . فلم تخل والحمد لله من امام يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . ولم يأل جهداً في رمي اعدائه بالعباب الاليم . مؤيد من الله بعلماء . عاملين هم ورثة الانبياء ناهجين في نصح العباد مناهج الاصفياء . وقد ورد علينا من حضرة مولانا شيخ

الاسلام . وامام العلماء الاعلام . ومرجع الحكام في الاحكام . ومن بيده  
مقاليد النقض والابرار . لا زالت اقلامه في بحار العلوم ساجدة . ومواعظه  
للقلوب جارحة . وتجارته عند الله تعالى رابحة . كتاب كريم . هادي باوامره  
ونواهيه الى الصراط المستقيم . لا يقابله كل مؤمن الا بالقبول والتسليم .  
وكيف لا وقد جاء بالذكرى التي تنفع المؤمنين . المأمور بها في الكتاب  
المبين . حاثا على الجهاد . والتشمير عن ساق الاجتهاد . وتعاطي اسبابه .  
وطرح الامور الصارفة عن بابه . فاجتمع لقراءته الاعيان من العلماء وغيرهم  
بحضرة الامير جمعا . وفتحوا له قلوبا وسمعا . وتلقوه بالاذعان والقبول .  
والمبادرة لامثاله بالفعل والقول . واميرنا مثابر على تنفيذ اوامر الدولة  
العلية . التي طاعتها من طاعة رب البرية . وما هو الا ان يؤمر فيطيع .  
ويكف . فيأتي بما يستطيع . والله تعالى يؤيد سلطاننا بمدد نصره . ويجعل  
اعداء الدين تحت قهره . ويعلي رايته الشاعفة في البر والبحر . ويكتب على  
صفحاتها سورة الفتح والنصر . والسلام اللائق بجلالكم . من العبد الفقير  
محمد بيرم

وفي الحرب الاخيرة تأخرت الحكومة التونسية عن مساعدة الدولة  
ايضا خوفا من معارضة فرنسا فقام الشيخ بمقتضى ما ورثه عن ذويه من محبة  
الدولة العلية يحرض الوزير وينصح الامير ويحض المسلمين جميعا على اعانة  
الدولة ولم يكف بذلك فقط بل سعي سعيه حتى توصل لاستخراج فتاوى  
شرعية بوجوب القيام بواجب المساعدة للدولة حتى لا يبقى هناك عذر لمعتذر  
في ذلك التقاعس وهذا صورة السؤال الذي طلب عليه الفتوى



”علماء الاسلام . بعد اهداء السلام . والتحية والاکرام . ما قولكم . رضي الله عنكم . في نازلة صورتها ان امام المسلمين قد اخبر اهل قطر من المسلمين من هم تحت طاعته . وداخلون تحت بيعته يخضب ائمتهم باسمه على منابرهم بان العدو قد فاجأ بلاد المسلمين مهاناً بالحرب ووقعت منه المباشرة بالفعل في حدود المملكة وكان الامام استنصر من العدو ما آل امره اليه من مباشرته بالحرب فهياً من العساكر بحدود المملكة للمدافعة عن بيضة الاسلام نحو الستائة الف وحين اطلعه على جيوش العدو وعلم ما امكن من اخبارهم رأى الامام ان الستائة الف تحتاج الى ضم آخرين اليهم من العدد الكثير الذي تحصل به مقاومة العدو ويمكن له به مدافعة العدو فاستنفر كل من استطاع من اهالي ذلك القطر الى الانضمام الى حوزة العساكر ثم الذي وقع في الخارج بعد استنصار الامام هو ان العدو قد استولى على بلدان وقرى من مملكة ذلك الامام واهاليها مسلمون جارية في تلك البلدان والقرى شعائر الاسلام كما استولى على قسم من مملكة ذلك الامام سكانه نصارى يؤدون الخراج ويدعون بالطاعة للامام وهذا القسم له بال من المملكة يبلغ عدد سكانه نحو الخمس ملايين وقد جعله العدو مركزاً لذخائره وعدده وعدده بما فيه من الحصون ومع ذلك لم يقدر العدد الوافر الهياً من عساكر المسلمين على اخراج العدو لما تسلط عليه ثم حصلت للعدو مضرات اخرى من غزو سفنه وثورة قسم ممن كان تحت سلطانه من المسلمين باهانة الامام لهم فهل يجب والحالة ما ذكر على احاد ذلك القطر المستنفر اهله ممن قدر على الزاد والكراع والسلاح ان ينفر للامام ويلبي دعوته سواء كان

ذلك القطر موالياً لموضع الهجوم أو بعيداً عنه وعلى تقدير ان يكون الموضع الموالي اهله تكاسلوا او عرض لهم ملاح يتعلق الوجوب حينئذ بين يلي من يلهم وهكذا ام لا يجب واذا قلنا بوجوب ذلك على الافراد والاشخاص بذلك الشرط فلو كان هناك من له منفعة عامة كمثل عالم لا اعلم منه في البلد بفصل القضاء فهل ذلك مسقط للوجوب عنه ام لا جوابكم الشافي

وما فتى رحمه الله يخلص الخدمة للبيت العثماني عند كل فرصة وبكل وسيلة حتى انه رأى رأياً ينتج عنه نفع المسلمين وارتقاء شأنهم جميعاً من جهة توثيق عرى الجامعة الاسلامية وائتلاف ممالك المسلمين وتنظيم احوالها على ما يضمن قوة المركز وثبات الوجود ومن جهة اعتلاء شأن البيت العثماني بتشديد امر الخلافة فيه على جميع المسلمين وممالكهم وذلك الرأي هو ان نتحد الممالك المستقلة الاسلامية والولايات العثمانية المستقلة استقلالاً داخلياً ثم يصير الجميع عصبية واحدة ومملكة واحدة تحت رئاسة الخليفة السلطان العثماني ومن ضمن الامور التي اوصى بها في روابط هذه الجامعة ان يجتمع امراء الممالك الاسلامية في بعض السنين بالكمبة المطهرة لتكون شاهداً على قوة ارتباطهم وفي ذلك من اعلام شأن الممالك الاسلامية ما لا يخفى على كل من امعن النظر في نظام الممالك الالمانية التي كانت ضعيفة ضئيلة بتفرقها ممالك صغيرة يسهل على الطامع ابتلاعها كما حصل مراراً فلما اتحدت جميع المقاطعات الالمانية على النمط الذي نراه الآن بمملكة بروسيا اصبحت اعظم الممالك شأنًا واشدها قوة وصارت مملكة بروسيا التي كانت تحت رحمة الطامع اضعفها وانفرادها اقوى الممالك باتحادها مع بقية الممالك الالمانية وقد

كتب المرحوم في هذا الباب كلاماً طويلاً مستشهداً فيه بالشواهد الدينية والتاريخية كقول احد مشايخ اسلام الاستانة الاقدمين عند تحسبته هذا المشروع لمن كان يعارضه ان الاليق بجهد السلطان وفخر الدولة ان يكون السلطان سلطان السلاطين لاسلطان الولاية وربما ادخلناه في ضمن ما سنشره من بعض كتاباته التي تركها عند الفرصة

وقد خرج الشيخ على تلك الحال يقرب طرفه في البلاد لعله يجد بلدة اسلامية يشد اليها رحله فلم يجد من بلاد المسلمين بلدة يطمئن فيها الساكن على نفسه وعرضه ولا يكون عرضة لمثل تلك الدسائس الا البلاد المصرية وان كان دمه ليجري اسفاً على تلك البلاد ايضاً التي اصابها ما اصاب غيرها من سيطرة الاجنبي عليها ولكن رب ضار نافع وبعض الشراهن من بعض وقد انكر عليه المتشدقون عمله هذا وقدموه على مصر في حالة وجود الانكليز وتضارب الاحوال فيها غير انه كان يجيب على ذلك " بان لاحق لأحد في الاعتراض عليّ اذ ان الدولة رضيت لي الإقامة في تونس تحت حماية فرنسا حسب منطوق الارادة السنية المسطرة اعلاه وتونس انسلخت بالمرّة عن الممالك العثمانية ولا اثر لسلطة الدولة او المسلمين فيها. اما مصر فانه مع وجود الانكليز فيها فانها لم تنزل ولاية من ولايات الدولة وسيطرزة الحكومة المحلية فيها قائمة وعلى فرض المساواة في المعاملة لا قدر الله فلا فرق بين الانكليز والفرنسيين "

وقد انتقل المرحوم بعائلته الى مصر معرجاً في طريقه على بلاد اليونان وذلك في الحرم سنة ١٣٠٢ (نوفبر سنة ١٨٨٤) اي بعد الاحتلال الانكليزي

بسنين وشهرين ولما استوطن بالقاهرة هناك حضرة المصقع البليغ الشيخ حمزة  
افندي فتح الله بهذين البيتين البديعين  
لئن اشرقت في الشرق مصر بيبرم واضعت به تلك الكنانة نونس  
فكم شاد مع آباءه من مكارم اضاءت بها في الغرب من قبل تونس  
وبعد ان استراح اياماً قابل الجناب الخديوي التوفيقي المرحوم فاظهر  
له مزيد العناية وانزله منزلة الثقة الامين فحكي له سموه جميع ما جرى في  
الثورة العسكرية وتفصيلها وكلما يتعلق بما قاساه فيها وختم كلامه بقوله " اني  
ذكرت لكم كل هذا للتأكدوا من صداقتي لكم " ثم اظهر له من علائم الاكرام  
ما جعله دائم الشكر له ومن ذلك انه امر بان تكون مصاريف الشيخ على نفقة  
الحكومة كما كان في ضيافة مولانا السلطان وفي ٢٥ ربيع الاول من تلك  
السنة اصدر جريدة الاعلام وهي جريدة علمية سياسية يومية غير ان صحة  
صاحب الترجمة وقلة اختباره بالقطر المصري لم تساعده على توالي اصدارها  
يومية فعملها تظهر ثلاث مرات في الاسبوع ثم صارت اسبوعية واستمرت  
كذلك مدة طويلة بحيث ان اول عدد منها صدر في التاريخ المذكور واخر عدد  
وهو ٢٦٩ صدر في غرة جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ ثم احتجبت الجريدة المذكورة  
عن الظهور بتولي صاحبها خطة القضاء في محكمة مصر الابتدائية الاهلية وكان  
في نيته عند تأسيسها مع فتح مطبعة مخصوصة به ان يشغل نفسه بتحريرها وبطبع  
الكتب المفيدة طالبا لنفع العموم بما اكتسبه من الاختبار بالتحول في البلدان  
وبما يعلمه من العلوم الشرعية الاسلامية وتطبيقها على الاحوال السياسية التي  
ينتج عنها تحرير البلاد وانتظام امورها كما كانت تتوابع به نفسه منذ القديم

حتى قال خير الدين باشا عن هذه الجريدة انها لا تلبث ان تكون " تيمس العرب " ودفعه الى ذلك ايضاً ما كانت عليه سمجته من حب الاشتغال بالعلوم وفن التحرير والانشاء وما يتسع هذا الغرض الآ في مثل الاشتغال بطبع الكتب وانشاء الصحف ولكن قد خاب جميع امله اذ ان الجريدة لم تطل ايامها حتى رماها بعض الناس بانها تحت على الانتماء للاجنبي وهو امر لم نقله ابداً وغاية ما هنالك انها كانت تحت على الاستفادة من الانكليز ما داموا موجودين في البلاد اذ ان معاكستهم وامر البلاد والامة جميعاً في يدهم لا تعتمد عقباها كما بينته التجربة بعد والذي أَلْجأهُ لانتهاج هذا المسلك ما قاساه من ظلم الاستبداد وما رآه من وجود عوامل محرّكة في مصر باغراء بعض الاجانب لتوغير صدور الناس على حكاهم اذ ذاك وخشى من دوام الحال على ذلك المنوال ان يأتي بالضرر المادي والمعنوي على الطائفة الاسلامية والحاصل ان كثيراً من الناس لم يقدروا عمله حق قدره هذا زيادة عن ان حال الجرائد في الشرق ليس هو على ما يشاهد في البلاد المرئقية في التمدن والحضارة بحيث ان الجرائد هنا لا تنجح الا اذا كان لها معضد قوي ولم يتعود الشرق لغاية الآن ان ينمي شيئاً ما لم تكن يد الحكام فيه والشيخ بيرم كان قليل المعرفة بالناس واخلاقهم في مصر فلم يجن من جريده ثمرة تذكر ثم ان الكتب التي طبعها تحمل بخسارة مصاريفها ولم يكسب منها شيئاً وزد على ذلك انه تربى في ترف وعزة نفس وهمة عالية ومن تكن هذه اخلاقه فلما ينجح في عمل تجاري ثم ان الحرّ اضرب به حنّه وزاد في ثقورها فزاد في استعمال المرفين زيادة مفرطة حتى صار يستعمل نحو الغرام وكسور

في اليوم وهو مقدار كاف لقتل عدة من الانفس الغير المتعودة عليه  
فالتزم بعد سنتين ونصف من الإقامة بمصر ان يسافر الى اوربا وكان ذلك قريب  
احتفال ملكة انكلترا بهضي الحسين سنة على توليها الملك فتوجه اولاً الى  
مدينة فلورنسا من اعمال ايطاليا لملافاة صديقه المرحوم الجنرال حسين  
باشا التونسي حيث طلبه لتسوية شؤونه لما اعياه المرض فأوقف جملة من  
املاكه على بعض اخصائه وخصصها بخدم لجيوش المسلمين ومن هناك قصد  
المرحوم مدينة باريس لاستشارة حكائما في امر صحته ثم سافر الى اندرة  
عاصمة الانكليز وهناك قابل جملة من نبلائها وكبار اعيانها كاللورد سالسيوري  
واللورد نورثبروك وقد تكلم مع من قدر الله والاهمال ان يكون بيدهم  
زمام الاحوال المصرية بما رآه نافعاً لبني جلدته وجنسه وحامياً لدمارهم  
ومشيدياً في المستقبل فخارهم وكان اذ ذاك النفور متمكناً بين نائب الانكليز  
في مصر وبين رئيس مجلس النظار فيها فكان التوم في حيرة من هذا  
الامر خصوصاً والمرشحون لمنصب الوزارة في مصر قليلون جداً والفكر  
القائم في اذهان بعضهم حينئذ ان رياض باشا مكروه في البلاد مستبدلين على  
ذلك بظهور الثورة فيها مدة وزارته الاولى فبذل المرحوم جهده لصرف  
هذا الفكر وسعى بقدر استطاعته لما فيه اعلاء شأن المسلمين وبعد ان حضر  
الاحتفال رجع الى باريس لاتمام المعالجة ثم عاد الى مصر بعد ان تغيب عنها  
نحو الخمسة اشهر مرجعاً في طريقه على برلين وويانه وفي الاثناء المذكورة  
سعى الساعون كثيراً لارجاعه الى الاستانة وكتبه بعض اصدقائه  
في ذلك حسب ما صدرت به الاوامر السلطانية فأظهر المرحوم كمال

استعداده للرجوع اليها قائلاً ان بيعة امير المؤمنين لم تنزل في عنقي  
واوقف رجوعه على تسوية احواله المالية ثم يقدم الى القسطنطينية ومع  
ذلك فلم تكن الاعداء تكف عنه الاذى في غيابه ايضاً حتى انه لما طبع  
صاحب الترجمة احدى رسائله المذكورة آنفاً المختصة بمقوق الاشراف  
دس ارباب الدسائس له في دار الخلافة ما اوجب المخابرة مع الحكومة  
المصرية بشأن موضوع تلك الرسالة اذ قيل انه تعرض فيها لمسالة الخلافة  
وهو امر لم يخطر له على بال ومن العبث ان يفكر فيه عاقل وحاشا لمثل  
الشيخ بيرم وقد وصل لما وصل اليه من التعمب المادي والمعنوي غير  
منه على بني جنسه وملته ان يتصور حدوث زيادة الشقاق بينهم وزرع  
بذور الخلاف بمسألة استقرار القرار عليها منذ قرون واجمع المسلمون قاطبة في  
مشارك الارض ومغارها عند عربها وتركها وزنجها بالاقرار فيها لبني  
عثمان منذ عهد السلطان سليم الاول ثم تعبهه ايضاً فيما يكتب في  
جريدة الاعلام الى ان يسر الله بقدم الغازي مختار باشا الى مصر وظهر له  
بالعيان فساد تلك الوشايات

وفي اثناء سفره كاتبه العلامة المرحوم الشيخ عبد الهادي نجا الاباري  
من كبار علماء الجامع الازهر ومفتي المعية السنية بهذا المكنوب

بسم الله والسلام عليكم ورحمة الله

ورد الكتاب على الحب المغرم - فشفاه من وجد الغرام المولم -  
قد شمت منه مذ شمت اريجه - بشراً بصحة ذي السيادة بيرم -  
حيًا فأحيا بهجة كانت بما - قاساه تسمي في اشد نالم -

وايك ما ذاق شراباً سائغاً      من بعد فرقتي وراحة نائم  
 الأبان سررت سرائرنا بما      ابداه من سريان برء محكم  
 لجناب مولانا الهام فانه      هو بهجة الدنيا ونور العالم  
 جمع الاله له الفضائل مثلما      جمع الزهور الروض تحت المرزم  
 ما بين اخلاق كازهار الربى      ومحاسن تزهو بكل غنيم  
 بجمالة وجلالة وفخامة      وسماحة موروثه عن حاتم  
 وسيادة وسعادة ابدية      وجميل تدبير برأي محكم  
 فالله يكمل صحة لجنابه      ما غردت قدريه بترنم

استفتح أوكتي هذه بلطائف تحيات تنسك . بها نسائم الاسحار فتمسك .  
 واستفتح كما ثم رقائيق تضرعاتي بقلب سليم الى ربه تنسك . مبتللاً اليه تعالى  
 ان ينعم البال ويشرح الصدر بكمال صحة . مزاج حضرة نضرة وجه الايام .  
 وغرة طلعة الزمان وقررة اعين الانام . شمامة الدنيا التي بها تتأرجح . وشمس  
 فلاة العلياء التي بها تتبرج . علامة العصر . الذي انست محاسنه محاسن ابناء  
 سلافة العصر . فاهو الأروح الارواح . ولوح الفضائل التي تتبلج في المساء  
 والصبح . وان شفاء جسمه لشفاء لكل عليل . وروا ظما كل غليل . فمهما صح  
 مزاجه الشريف صح مزاج الايام . ومهما لبس حبل العافية فعلى الدنيا السلام .  
 هذا ورجائي ان تمشوا روعي بنوالي اخبار صحتكم كلما وفد وافد . وتنعموا  
 نفسي بورود اخبار صحتكم كلما ورد لهذا الطرف وارد . ثم سعادة الهام فكري  
 باشا يتحف حضرتكم بلطائف التحيات . احسن الله لنا وله ولحضرتكم النهايات  
 في ١٣ الحجة سنة ١٣٠٤  
 عبد الهادي نجبا الاياري



وعلى ذكر هذا المكتوب والشيء بالشيء يذكر ننشر هنا بعضاً من  
محررات وردت على صاحب الترجمة عن لسان المغفور له توفيق باشا دلالة  
على منزلته لديه وانموذجاً على معاملته له فمنها تلغراف جاءه جواباً على التهنئة  
التي قدمها يوم تذاكر الجلوس الخديوي في ٢٦ يونيه سنة ١٨٨٨

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد بيرم بمصر

تلغراف حضرتكم الوارد بتهنئة الحضرة الخديوية على اليوم السعيد  
بمرضه قد صارت الممنونة لجنابه العالي من ذلك ولزم تبليغ الامر للمعلومية

سر تشريفاتي خديوي

برأس الثمين

ومنها مكتوب ورد له من محمد زكي باشا تشريفاتي اول خديوي

اذذاك وهو

حضرة والدنا العزيز المحترم دام بالخير والنعم

تشرفنا بورود تذكرة حضرتكم ومتشكرين غاية التشكر وبوقته قدمنا  
الامانة للاعتاب الكريمة فحصلت الممنونة التامة وامرنا بتبليغ ذلك لسيادتكم

افندم

الداعي

محمد زكي

في ٦ شعبان سنة ١٣٠٦

ولما كنا بصدد ذكر هذه المهررات فلنجعل خاتمتها مكتوباً ورد على

المرجوم من صديقه الحميم . الملاذ العظيم . ذي القلب السليم . الاستاذ الابر  
مولانا الشيخ محمد ظافر دامت بركاته اذ الغاية بيان ما كانت عليه صلوات  
صاحب الترجمة بمعاصريه ومعارفه ومخاطباته مع محبيه ونص المكتوب

## الحمد لله

الى حضرة الهام الفاضل . والعمدة الكامل . جامع شتات الفضائل . وناظم  
فرائد محاسن الشئائل . ومنبع المعارف . ومجمع اللطائف . وقطب فلك السياسة  
ومركز دائرة ارباب الرئاسة . جناب الاعز الاكرم . مولانا الشيخ سيدي محمد  
بيرم . ادام الله عزه واقباله . وانه مناه وآماله . آمين

بعد اهداء تحييات اطيب نفعا من روض الازهار . والطف من اسيم  
الاسمار . فند وصل كتابكم الكريم . المشتمل على الدر النظيم . الحري بالتبجيل  
والتعظيم . وقرت به اعيننا سرورا . وامتلات به قلوبنا بهجة وحبورا . وما  
اعلنموه من الفرح والجدل . بمصول نشاط محبكم من عارض المرض الذي  
حصل . فهو من علامات تمام الوداد . وخصوص محبتكم الاصيلة وكال  
الاعتقاد . ولكم عندنا من ذلك الحظ الاوفر . والقسط الاكبر . وما عطفتم  
به على ذلك من الذكر الجميل . والثناء والتبجيل . على الحب فهو من  
انطباع كما لانكم الظاهرة . التي تجلت في مرات ذاتي واصبحت في عالم  
الشهادة لكم ظاهرة . كما هو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة اخيه  
كما يشهد بذلك ذوق كل صديق وموقن وعلى كل فنحن معترفون بالقصور .  
ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في جميع الامور . وان يجعلنا ببركة دعاكم  
مظهرًا للخيرات . وواسطة لتوالي المبرات . وان يجعل العاقبة للمتقين . وينجز وعده  
ينزول نص النصر على اعلام جيوش المؤمنين . ونخص بالسلام كامل من  
بحضرتكم وجناب اخينا الشيخ سيدي حمزه مسلم عليكم . وكذا كامل اولادنا  
مقبلين يديكم . وهذا ما نزم . ودام مجدكم والسلام

خادم الفقرا

محمد ظافر المدني

١٣ شعبان سنة ١٢٩٤

وقد تفرغ صاحب الترجمة في الاوقات التي يتركها له المرض لاثام تأليف ابتداءه في استانبول سماه " تجريد السنان للرد على الخطيب رونان " وذلك ان العالم الفرنساوي المذكور وهو من مشاهير اهل بلاده تعرض في خطابه القاها بباريس تحت عنوان " الاسلام والعلم " الى ذكر الديانة الاسلامية وانها تمنع العلوم من الانتشار بين ابناها فأفسد صاحب الترجمة هذا الزعم برد مقنع اتى فيه على ذكر جميع العلوم والفنون التي استنبطها المسلمون او نقحوها وله رسالة في صورة سؤال حررها في جواز شراء اوراق الديون التي تصدرها الممالك الاسلامية حتى تبقى اموال المسلمين في بلادهم ولا يحجبهم عنها اشتباه الرباء الذي لا ينطبق في هذه الحالة عليها وكتب تقريراً مسهباً في شأن التعليم بمصر ذهب فيه الى لزوم انتشاره باللغة العربية لسهولة تناوله وتعميمه بين العموم مستنداً في ذلك على عمل العرب في صدر الاسلام وعلى عمل الاروبا وبين انفسهم فانهم لا يعلمون الا بلغاتهم وقد نجحوا اماً مصر فلما اتبعت طريقة التعليم باللسان الاجنبي لم تنتشر فيها العلوم والفنون مع طول الزمن الذي مضى من حين تأسيس المدارس فيها وله ايضاً عدة كتابات على جملة احاديث نبوية شريفة وهي التي كان يحتفل بختتمها في تونس على حسب العادة الجارية هناك في المدرسة العنقبة التي كان شيخاً عليها وفي سراي المرسي عند جناب الامير الحالي وسنشر جميع هذه الرسائل والمنشآت والقصائد وغيرها من التحاريز العلمية والسياسية التي كتبها في مجموعة خاصة بحول الله تعالى ولم تتركه ايضاً في مصر دسائس بعض الفرنسيين وتهمهم الباطلة فمن ذلك ان جريدة لانترون

(المصباح) الباريسية نشرت خبراً عن مكاتبتها في القاهرة في شهر أغسطس سنة ١٨٨٩ مفاده ان الشيخ بيرم سافر متوجهاً الى الشيخ السنوسي للاتفاق معه على اهاجة نار الفتنة في السودان بواسطة المهدي والقصد من ذلك كله معاكسة فرنسا وصادف نشر هذا الخبر خروج صاحب الترجمة حقيقة من القاهرة ولكن لاستنشاق الهواء البارد على شاطئ البحر في جهة رأس البر بدمياط وقد تجول المرحوم في كثير من انحاء القطر المصري وكان يكتب اثناء تجوله في ذهنية بقية صفوة الاعتبار فاتم الجزء الرابع واول الخامس ولم يمله الاجل لاتمامه فانه كان يقصد التوسع في الكتابة عن بلاد النمسا وسويسره والمانيا ورومانيا والبلغار والصرب واليونان وهي البلاد التي شاهدها ولكن ما كتبه اجمالاً عنها في الجزء الاول يمكن ان يعني القارئ عن التفصيل والاسهاب وكان ينوي كتابة خاتمة صفوة الاعتبار على نمط مقدمتي تاريخ ابن خلدون واقوم المسالك فلم تمكنه صحته ولا اجله من اخراجها من حيز الفكر الى قوة العمل ونحن نورد هنا بعض تعليقات كتبها ليوسع البحث فيها في هذا الموضوع عسى ان يقيض الله من يمشي على نطها اذ المقصود هو نفع ملتنا وايقاظنا من غفلتنا وكفى بما جرى للامة في القرنين الماضيين من التقهقر والتلاشي والانحلال واعظاً في ديوان المبرواهم باب المبتدا والخبر لمن يروم الاستفادة بالماضي ليدفع به غائلة المستقبل اما تعليقاته فهي فيما ينبغي لنا اتخاذ تدبير نفوسنا عليه وفيه فصول الاول في زيادة نشر العلم الثاني في كيفية الحكم وانه ينبغي اتخاذ قول واحد من المذهبين (اي في تونس حيث الاحكام جارية بمقتضى المذهبين الحنفي والمالكي). الثالث في كيفية ادارة

السياسة وما هو عمل الملك وما هو عمل كل وزير وما هو عمل مجلس النواب الذي حقه ان يتخذ من الاهالي وان لا تعطى الكلفة دفعة واحدة بل على قدر استطاعة الاهالي وقابليتهم وان ذلك يأتي في المسمين من الملك وهو المرابي لرعيته والسبب في عدم اعطاء الحرية التامة في فرنسا كما هو جار في انكلترا ثم تعامل الدول مع دول الاسلام على خلاف التصرف في داخلتهم لضعفها وعدم انصافهم فعلينا بالوسائل وحكم تذاكر البنوك شهراً وليس هو من قبيل السفتجة . وعلاقة الدول والاحكام وفوائد الصحف وفوائد سكك الحديد والبريد والتكلم عليه وعدم تأخير المقصد في الكلام عند الزيارة لاثنين معاً . والنهي عن الغيبة بين الاخوان . اجتهاد اليهود في المال بكل بلاد واغلب الصناعات بأيديهم وعدم تعاطيهم الصنائع المهدمة . الطرق الموجهة للنفرة بالتفاضل . ابلاغ الشريعة الى الكفار واجب ولو بدون حرب . اجتهاد الاجانب في العمل حتى وصلوا بين شاطيء اميركا والبحرين الاحمر والايض وخرق المنسني والخرق تحت المنس . اسباب عدم استواء الدول الاجانب في التظلم ببلاد الاسلام على حسب مقاصدهم وقوتهم فامريكا مثلاً وان كانت رعيته عند الترك قدر رعية الانكليز فلا تجد منهم تظلماً ولا اقامة حجة مستمرة من سفيرهم . الوجوب على الحكومة والعلماء فيمن يتوجه الى الحج بتعليمه ما يجب عليه قبل السفر والافمينع

وفي ١٢ جمادي الاولى سنة ١٣٠٦ (١٤ يناير سنة ١٨٨٩) عين

صاحب الترجمة قاضياً في محكمة مصر الابتدائية الاهلية في مدة وزارة رياض باشا الثانية وكان في وزارة نوبار باشا كلف المرحوم بكتابة ما يراه

عن القوانين المعمول بها في المحاكم الاهلية من حيث مطابقتها للشريعة الفراء  
او القوانين الجارية في الدولة العثمانية الشامل لها كتاب المجلة والدستور فرام  
اولاً التوسع في الموضوع بتقسيم القوانين المصرية باباً باباً ومقارنتها بالمجلة  
او الدستور واذا لم يجد نصاً مطابقاً لها فيها فيطبقها بقدر الامكان على قول  
احد المجتهدين بدون تقييد بمذهب مخصوص غير ان عملاً مثل هذا يلزمه  
طول الوقت وكثرة العمال والزم من غير قاض بذلك فالترزم ان يصرف النظر  
عن هذا العمل وكتب عن القوانين ما نصه

” القوانين الاصول التي عليها مدار الحقوق في الحكومة المصرية هي القانون  
المدني وقانون التجارة البري وقانون التجارة البحري وقانون العقوبات وهاته  
القوانين الاربعة نظر مطابقتها للقوانين العثمانية اوللشريعة المطهرة على التفصيل الآتي  
فاما قانون العقوبات وقانون التجارة البرية والبحرية فجميع ما يوجد  
من موادها في القوانين العثمانية الماثلة لها هو مطابق مطابقة كاملة وهو ايضاً  
الاكثر من مواد القوانين المصرية لكن القليل جداً من مواد هاته القوانين  
لا يوجد اصلاً في مثلها من القوانين العثمانية . واما القانون المدني المصري فهو  
مخالف للمجلة العثمانية التي هي قائمة مقامه مخالفة كثيرة كلية غير ان القانون  
المدني المصري مع ذلك أكثره مطابق للشريعة المطهرة على الاطلاق من غير  
نظر الى خصوص مذهب معين بل بالنظر الى اقوال الائمة المعمول باقوالهم في  
الديانة والقليل من هذا القانون المدني مخالف ايضاً لجميع تلك الاقوال غير  
ان تحويله بما يرجع به الى مطابقة احدها مما يقتضيه الحال امر سهل يسير  
بفطنة حذاق اهل الخبرة والعلم “

وكذلك كلفه الباشا المشار اليه تقديم تقرير بما يراه لاصلاح حال  
الاقواف وقد فعل وكان موجهاً همته في مدة توظيفه بالمحاكم لسعي وراء  
تطبيق قوانينها على الشريعة الفراء ولما قدم ولي عهد الانكليز الى مصر كان  
صاحب الترجمة من الافراد القليلين الذين اجتمعوا به وفي تلك السنة انهى  
رياض باشا ترميم منزله بالحلمية فهناهُ المرحوم بهذه الايات

ان الوزير المصطفى في عصره	لا زال عوناً للمليك بازرو
ابدى من التدبير في الاصلاح ما	قد حقق المهود منه بقطره
فلقد اتى في قصره ما يتبني	حسناً به ومتانة مع وفوه
والقصر قصر واسع الارجاه قد	ابدى له انموذجاً من قصره
وكلاهما مستأهل بعيا له	وادارة باصابة من فكره
فكنا نشاهد في الصغير اجادة	فكذا الكبير نراه صار بامره
اذ اتفن التحسين حتى ارخوا	قصر رياض فيه جنة مصره

( سنة ١٨٨٩ )

وقد عين عضواً في اللجنة التي تشكلت للنظر في تعميم المحاكم الاهلية  
بالوجه القبلي وعضد هذا التعميم وكذلك اتُخب عضواً في لجنة تشكلت في  
المحكمة بناء على طلب نظارة الحقاينة لتقديم تقرير للنظارة بكل ما يرى  
لزوم تعديله في القوانين على حسب ما يلائم حالة البلاد وعين عضواً في  
لجنة بنظارة الداخلية لمراجعة الاحكام الصادرة من قوميونات الاشقياء  
وانبنى على عمل هذه اللجنة الافراج عن عدد عظيم من المحكوم عليهم  
بالاشغال الشاقة في طره وكان امضاؤه على تقرير هذه اللجنة آخر اعماله

الرسمية فتوجه الى مدينة حلوان لتغيير الهواء وهناك اشتدَّ عليه المرض وبلغ به الضعف غاية المنتهى وظهر في جهة جنبه اليسر خراجان بسبب الحقن بالمرفين اعقبها بعد فتح الطبيب لها تكوُّن المادة في الرئة وبعد ان لازم الفراش بالمرض المعروف بذات الجنب نحو الخمسة والعشرين يوماً فارق الحياة وذلك في الساعة الخامسة ونصف بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ (١٨ ديسمبر سنة ١٨٨٩) وقد خلف ثلاثة بنين رزق بهم من بنت عمه التي تزوج بها في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٢٧٧ وكان قبل ملازمته للفراش محتفلاً بالمولد النبوي الشريف هناك بحضور بعض الاصحاب وقد دخل الى الحرم من تلك الحفلة ولم يخرج حياً وفي مدة مرضه ورد عليه مکتوب من صديقه رياض باشا ونصه

” جناب الاستاذ

من صميم الفؤاد قد تكدرت من خبر ما طرأ على جنابكم من انحراف المزاج الذي لم اعلم به الا من منذ كم يوم وادعو المولى سبحانه وتعالى ان ينَّ عليكم بالشفاء وكمال الصحة والعافية ونراكم معنا عن قريب وعلى اي حال اترجاكم ان لا تؤاخذوني والعدر عند كرام الناس مقبول

عجبكم المخلص

في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧

✽ رياض ✽

وقد حضر دولة الباشا المشار اليه الى حلوان وقصد عيادته وارسل اليه نجلة وكذلك كان المرحوم توفيق باشا كثير السؤال عنه يومياً بواسطة طبيبهِ عيسى باشا حمدي ولما توفي اظهر لابنائهِ جميل التلطف نعمدهُ الله



برحمته وقد شيع رياض باشا جنازة صاحب الترجمة صبيحة يوم الجمعة  
وكانت مودتها صافية خالصة ودفنه في التربة المخصوصة التي شيدها  
بقرب ضريح الامام الشافعي رضي الله عنه وقد كتبت على قبره هذه الايات  
وهي من انشاء الشاعر البليغ حفي بك ناصف

يا قبر اضنانا البكاء وتبسم	ادريت ان الفضل فيك مخيم
أعلمت انك قد حويت محمداً	وتركت أكباد الوري لتضرم
هذا الذي كانت بدائع فكره	تلي البيان على البراع فينظم
من عترة ثوت العلوم بدارهم	فهم لطلاب الهداية انجم
اولاه مولاة مواهب فضله	والله يعطي من يشاء ويرحم
واقام في دار النعيم فأرخوا	في جنة الفردوس أسكن بيرم

سنة ١٣٠٧

وقد رثاه جملة من احبابه وكتبت الجرائد تنعيه ولتقتصر منها على  
ماقالته "الوقائع المصرية" جريدة الحكومة المصرية الرسمية الصادرة في  
٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٩ نمرة ١٤٥ "انا لله وانا اليه راجعون . في آخر ليلة  
الخميس الماضي انتقل من هذه الدار الفانية الى الدار الآخرة الباقية المرحوم  
الشيخ محمد بيرم احد قضاة المحكمة الابتدائية الاهلية بمصر وصاحب جريدة  
الاعلام العربية وكانت وفاته رحمه الله بمدينة حلوان عقب اشتداد الداء  
العصي الذي مني به من عدة سنين ولم ينجع فيه علاج الاطباء  
وفي صباح يوم الجمعة الماضي احتفل بنقل جسده من حلوان احتفالاً  
بليق به قامه وفضله وانتظره على محطة ميدان محمد علي العدد العديد من

رجال الحكومة السنية واكبرها وفي مقدمتهم صاحب الدولة رياض باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية والمالية وكثير من العلماء وفضاة المحاكم الاهلية ومشاهير المحامين وذوي الفضل من الوجوه والاعيان . ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ما كان من صاحب الدولة رياض باشا من العناية بأمر المرحوم والاهتمام بشأنه والمساعدة في آكرام تشييع جنازته ودفنه وتعزية اولاده وتشجيعهم على تحمل المصائب الى غير ذلك من الاحتفال والاكرام ولما وصلت الجنازة الى المحطة شيعت في مشهد حافل مشى فيه دولة رئيس النظار ومن تقدم ذكرهم ومن حضروا من حلوان بغاية السكون والوقار وكان في مقدمة المشهد الذاكرون ومرتلو البردة وغيرها من الاحزاب والاوراد ثم المشيعون للجنازة فعملة السرير وكلهم آسفون لفراق هذا الرجل العظيم الشان وقد دفن رحمه الله في المدفن الذي بناه صاحب الدولة رياض باشا بقرافة الامام الشافعي عليه الرضوان وفرقت الصدقات على الفقراء والمساكين ودعا الناس للمرحوم بالرحمة والغفران

اما الرجل رحمه الله فكان عالماً فاضلاً فقيهاً كاملاً متضلماً من العلوم الشرعية بأنواعها مطلعاً على احوال الامم وله الباع الطولى في فنون التاريخ القديم والحديث وكان من ذوي الاقلام البليغة فيما يريد كتابته من المواضيع وقد ألف رسائل كثيرة في الاحاديث والاصول والاحكام الشرعية والجغرافيا التاريخية والسياسية وغيرها وكلها تدل على غزارة مادته وسعة تفننه في المعارف والعلوم وكان كثير الاستشهاد بأحوال الامم الغابرة والحاضرة في كتاباته واقواله وله قوة حاضرة في اقامة الدليل والبرهان كما يشهد بذلك

المقامات الافتتاحية التي كُنن بنشرها في جريدة الاعلام رحمة الله واسعة وافرح على آله وذويه جميل الصبر . وعزاهم على مصابهم فيه أكمل العزاء واثمهم على الصبر عظيم الاجر آمين“

وهذا ما قالته جريدة الحاضرة الصادرة بتونس في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٨٩ عدد ٧٤ ” صباح يوم الخميس الفارط نشرت اخبار التلغراف من حلوان مصر القاهرة خبر وفاة العلامة النحرير صاحب الصيت الشهير المؤلف الشيخ السيد محمد بيرم وبما انه من مفاخر البلاد التونسية تقوم الحاضرة بواجب رثائه وهي ادري من غيرها بفضائل رجالها فقد ولد هذا العالم في بيت العلم البيروني سنة ست وخمسين ومائتين والف وتربي في مهاد العلم والتعليم وقرأ على ابن عمه الشيخ احمد بيرم وعلى عم جده الشيخ مصطفى بيرم وعلى شيخ الاسلام الشيخ محمد معاوية وقرأ على الشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ الشاذلي بن صالح والشيخ محمد الشاهد والشيخ علي العفيف وغيرهم من فحول جامع الزيتونة الى ان حصل على مرتبة عالية وتقدم لخططي التدريس وقرأ كتباً مهمة بجامع الزيتونة وولي مشيخة المدرسة العنقية بعد وفاة عمه شيخ الاسلام الرابع وختم بها الاختام المهمة وكان يعيدها كل سنة في بيت الحضرة العلية وكان عالماً فاضلاً عالي الهمة عزيز النفس رفيع الحسب منشئاً فصيح اللسان جميل الحاضرة صاحب اناة ووقار خبيراً بالسياسات الشرعية والوقفية حسن التدبير واسع الادارة امتنع من قبول الخطط الشرعية عدة مرار متملاً بضعف بدنه وكان عضواً في عموم الجمعيات التي انعقدت لوضع التراتيب العلمية والتنظيمية اول الوزارة

الخيرية وهو الذي قام برئاسة جمعية الاوقاف عند تأسيسها فأسس اصولها بعد ان جمع شملها بما يقتضيه العلم والانصاف وولي نظارة المطبعة الرسمية واعتزته امراض عصبية همدمته سافر بسببها عدة مرار لباريز وايطاليا وحنكته الاسفار بما يزيد في الاعتبار وبشارته كان انشاء المستشفى الصادقي وباشراقامته على النمط الذي رآه بباريز ومن قلمه كان انشاء قانونه وشكره الامير يوم فتحه في الموكب العمومي وولي عضواً في مجلس الدولة الشوري على عهد وزارة ابن اسمعيل واشتد مرضه والح في طلب الإعفاء ولم تسعفها الدولة بذلك وخرج لبيت الله الحرام اواخر سنة ست وتسعين ومائتين وألف ورجع على طريق الشام ولما رأت الدولة انحلال وظائفه حالته تغيره في الثامن والعشرين من محرم سنة ١٢٩٧ وتنقل من الشام الى دار الخلافة الثمانية فنزل بمنزل التعظيم والتكريم وعرضت عليه نقابة الاشراف والفتوى بالشام فلم يقبل لضعف بدنه ثم انضم اليه ابناؤه وعائلته واجرت عليه الدولة جراية سلطانية وهناك ألف رحلته صفوة الاعتبار بمستودع الاقطار والامصار وادعها من الاصول السياسية والاصول العلمية ما يدل على كمال تضلعه وقوة عارضته واقام بالاسنانة الى ان شق عليه مرضه العصبي وأشار عليه الاطباء بالتنقل الى البلاد الحارة فتنقل بأهله وابنائهم اول المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة والف وتلقته الديار المصرية بالرحب والقبول وانزله الجنب الخديوي منزلة التكريم واجرى عليه جراية تليق بأمثاله وفتح بها مطبعته الاعلامية وافادت صحيفة "الاعلام" في سائر الجهات العربية الى ان ولي حاكماً بالحكمة الالهية وفي اثناء هاته الاسفار كان مجداً في الاعتناء بكرام

ابنائهم في المدارس الى ان وصلوا الى قدم الكفاءة للهيات وترقى اولهم لخطبة كاتب مجلس النظار بالديار المصرية نسأل الله ان يجعل منهم خلفاً محموداً وان يديم عليه في نعيم الجنان ظللاً ممدوداً

هذا وقد قيل ان قيمة المرء لا تقوم بمقدار مادحيه فقط بل بانضمام المنتقدين عليه ايضاً وعلى ذلك نقول انه من دون سائر الجرائد العربية والافرنجية قد انفردت احدي جرائد الاستانة العربية بنشر ما يخالف امره عليه الصلاة والسلام " اذكروا موتاكم بخير "

ولم يكن ذلك ليؤثر على حسن صيته وشهرته فقد قيل - كلام العدى ضرب من الهذيان - ومن تأمل في تاريخ حياة المغفور له علم انه كلما خفض الاعداء والحساد من شأنه ذراعاً ارتفع ميلاً وكما اشتدت به ملمات الحوادث وكوارث الزمن زاد قدره اعتلاء فقد خرج المرحوم من دياره مغرباً مشرداً فما زالت به همته حتى بلغت به الى شرف المقابلة بالحضرة الشاهانية ونوال اقصى الرعاية السلطانية وخسر امواله واملاكه فقام له فضله وعلمه بعدم الحاجة لاحد فعاش ميسوراً ومات ميسوراً واجتهد بعض ذوي التقصير في الحط من سيرته والاعين في شهرته فما زاده ذلك الا اعتلاء في الصيت واحتراماً في النفوس وتوقيراً في الصدور فقضى حياته حميد السيرة وانتقل الى رحمة ربه طاهر السريرة وعلى كل حال فنسأل الله ان يجازي الجميع خيراً ولا يريهم خيراً هذا وقد كتبت ما كتبت والله يعلم اني لم اقصد به فخراً ولا حباً في الظهور وانما هي حقائق مشبوتة بمسنداتها القيتها تحت نظر القارئ ليرى في حياة هذا المؤلف وما طرأ عليه من

نعيم وبؤس العبرة التي يتوخاها وقياماً بمحقوق الابوة والتربية واجابة لما  
كان كلفني به عند قدومه الى مصر ولكوني اعلم الناس بأحواله رحمة الله  
رحمة الابرار

وكما تذكرت على قبره محاسن افعاله في حياته العمومية وجميل اخلاقه  
وشهامة نفسه في حياته الخصوصية أكاد انشد بيت المعري مخاطباً  
لقبر ابيه

لأطبقت اطباق الحارة فاحتفظ بلؤلؤة المجد الحقيقة بالخزن  
٩ ذي الحجة سنة ١٣١١

﴿محمد يريم﴾



كتاب

## صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

وهو رحلة

الشيخ الجليل والعالم المحقق النبيل السيد محمد بيرم الخامس التونسي  
رحمه الله وطيب ثراه

الجزء الاول — يشتمل على مقدمة وأقسام وفيها مباحث في احكام السفر شرعاً والاستدلال على قبرة الخالق والقول بتكوير الارض ودورانها والاستدلال على ذلك بأقوال الحكماء والفقهاء والصوفية وغير ذلك من المباحث الشرعية والعلمية الطبيعية وذكر ما ورد في السفر من كلام الحكماء والادباء وحكم السفر لغير ارض الاسلام واسباب سفر المؤلف وتقسيم احوال اهل الارض الآن مقسماً ذكرهم الى ٨٧ فصلاً اي على عدد الحكومات المستقلة مشروحة كل واحدة منها بالشرح الوافي وهو اتم كتاب في الجغرافية العمومية للكرة الارضية مطبوع باللغة العربية وفي هذا القسم كثير من الفوائد كدخول الاسلام الى الصين وذكر دولهم فيه والمملكة التي أنشأها السلطان سليمان وذكر استيلاء الانكليز على الهند والموكب الذي حصل لتلقيب ملكتهم بسلطانة الهند وسفر ولي عهدهم الى ذلك القطر وما جرى له من الاحتمال وكذلك سفر شاه ايران الى اوربا والاستانة وما لاقاه فيها من اكرام السلطان عبد العزيز وتفصيل احوال مملكة مراكش واسباب تقدم اوربا ويلي هذا الكلام على القطر التونسي منشأ المؤلف ثم جدول عمومي عن احوال جميع ممالك الارض وبيان عدد سكانهم وديانتهم وقواتهم الحربية والبحرية وايرادهم ومصروفهم وتجارتهم وديونهم وطول السكك الحديدية فيها

الجزء الثاني — في بقية الكلام على القطر التونسي بالتفصيل عن ادارته وسياسته واحكامه واخلاق اهاليه وجميع ما يتعلق بذلك من زمن الفتح الاسلامي الى حين دخول فرنسا فيه

الجزء الثالث — في الكلام على مملكتي إيطاليا وفرنسا بالاسباب واسباب تقدمها وتاريخها القديم والحديث وحالتها الادارية والسياسية وقواتها الحربية والمالية وانتشار العلوم والمعارف فيهما ورسوخ الحرية في ابناءهما

الجزء الرابع — في الكلام على قطر الجزائر وتاريخه ودخول فرنسا فيه وما وقع في حربه مع الفرنسيين وبيان حاله الآن كل ذلك بقاية البسط والشرح وكذلك الكلام على مملكة انكلترا وما رآه المؤلف فيها وذكر تاريخها واسباب تمدنها وتقدمها وانتشار مستعمراتها واحوالها بالتفصيل ثم ذكر جزيرة مالطة واستيلاء الانكليز عليها وحالتها قديماً وحديثاً

وفي هذا الجزء الكلام على القطر المصري وبيان احواله الى سنة ١٣٠٣ هجرية اي حين وصول المرخصين العثماني والانكليزي اليه وذكر الديار المصرية وجغرافيتها وتاريخها وحكوماتها وسياستها وتفصيل الثورة العسكرية وفيه بحث عن افساد دعوى حرق المسلمين لمكتبة الاسكندرية

الجزء الخامس — في الكلام على الحجاز بالتفصيل والدولة العثمانية وتاريخها الى حين عقد معاهدة برلين واسماء سلاطينها وتاريخ ولايتهم مع بيان اعمالهم الشهيرة منظومة في قصيدة وفي جميع هذه الاجزاء مكاتبات لبعض الملوك والسلاطين والامراء ومعااهدات دولية كثيرة وفرمانات سلطانية متعددة في اغراض ومقاصد شتى وبلي هذا الجزء ترجمة المؤلف بقاية الشرح والبسط وما حصل له في اسفاره وتنقلاته ومخاطبات الامراء والوزراء والعلماء والشعراء له وهي خاتمة الكتاب







فهرست

❖ الجزء الخامس من صفة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ❖

صحيفة

- |    |   |
|----|---|
| ٢  | فصل في تاريخ الحجاز — مطلب في تاريخه القديم |
| ٢  | ذكر العرب البائدة                           |
| ٣  | بحث في عمر الارض                            |
| ٤  | ذكر العرب العاربة                           |
| ٧  | اصول التشريع في الاسلام                     |
| ٨  | ذكر العرب المستعربة                         |
| ٩  | ذكر العرب المخضرمين                         |
| ٩  | فصل في التاريخ الجديد للحجاز                |
| ٩  | مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم         |
| ١٢ | ولاية العائلة الشريفة الحالية امانة الحجاز  |
| ١٣ | مطلب في السياسة الداخلية للحجاز             |
| ١٧ | مطلب في سياسته الخارجية                     |
| ١٧ | مطلب في عوائد وصفات الاهالي بالحجاز         |
| ١٩ | مطلب في التجارة بالحجاز                     |
| ٢١ | مطلب في الصنائع به                          |
| ٢٣ | مطلب في المعارف به                          |
| ٢٤ | مطلب في الاحكام به                          |
| ٢٦ | مطلب في هيئة المساكن به                     |
| ٢٧ | حكم تنظيم المدن في الاسلام                  |
| ٢٨ | مطلب في اللبس وبقية العادات بالحجاز         |
| ٣٠ | مطلب في اللغة به                            |
| ٣١ | الباب العاشر — في المملكة العثمانية         |
| ٣١ | فصل في سفر المؤلف اليها                     |

٣٢	ذكر خليج السويس
٣٥	ذكر مدينة بيروت
٣٦	ذكر رستم باشا متصرف لبنان اذ ذاك
٣٩	ذكر المرحوم مدحت باشا
٤٠	ذكر من اجتمع بهم المؤلف من الاعيان في بيروت
٤٠	ذكر مدينة ازميز
٤١	ذكر جنائق قلعه
٤١	وصول المؤلف للقسطنطينية
٤٢	مطلب في صفة القسطنطينية
٤٦	فصل في مجمل تاريخ الدولة العثمانية
٤٧	قصيدة «عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان» الشيخ بيرم الثاني
٥٢	وصية بطرس الأكبر قيصر روسيا
٥٥	اصلاحات السلطان محمود الثاني وترتيب الجيش النظامي سنة ١٢٤١
٥٥	واقعة نافارين بين بحر الجزر وحرق الاساطيل العثمانية
٥٦	فرمان كلخانه الصادر بالتنظيمات الخيرية في ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥
٥٩	ذكر حرب القرم ومعاهدة باريس المعقودة في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦
٦١	الفرمان الذي اصدره جلالة السلطان عبد الحميد الثاني عند جلوسه
٦٣	دسائس روسيا وثورة بعض الولايات بالروم الي
٦٤	اقتراحات مؤتمر الاستانة
٦٥	الفرمان الصادر بالقانون الاساسي
٦٧	لائحة (بروتوكول) لندره وهي البلاغ النهائي قبل الحرب الاخيرة
٦٨	انتشاب الحرب بين الدولة العلية وروسيا سنة ١٢٩٤
٦٩	معاهدة الصلح المعقودة في اياستفانوس في ٣ مارس سنة ١٨٧٨
٧٩	معاهدة برلين المعقودة في ١٣ يولييه سنة ١٨٧٨
٩٨	المعاهدة التي ابرمت مع الدولة العلية لاخللاء الاراضي العثمانية من العساكر الروسية
١٠١	تقاريف الكتاب
١٠٣	ترجمة المؤلف رحمه الله

















